عبد الله إمام



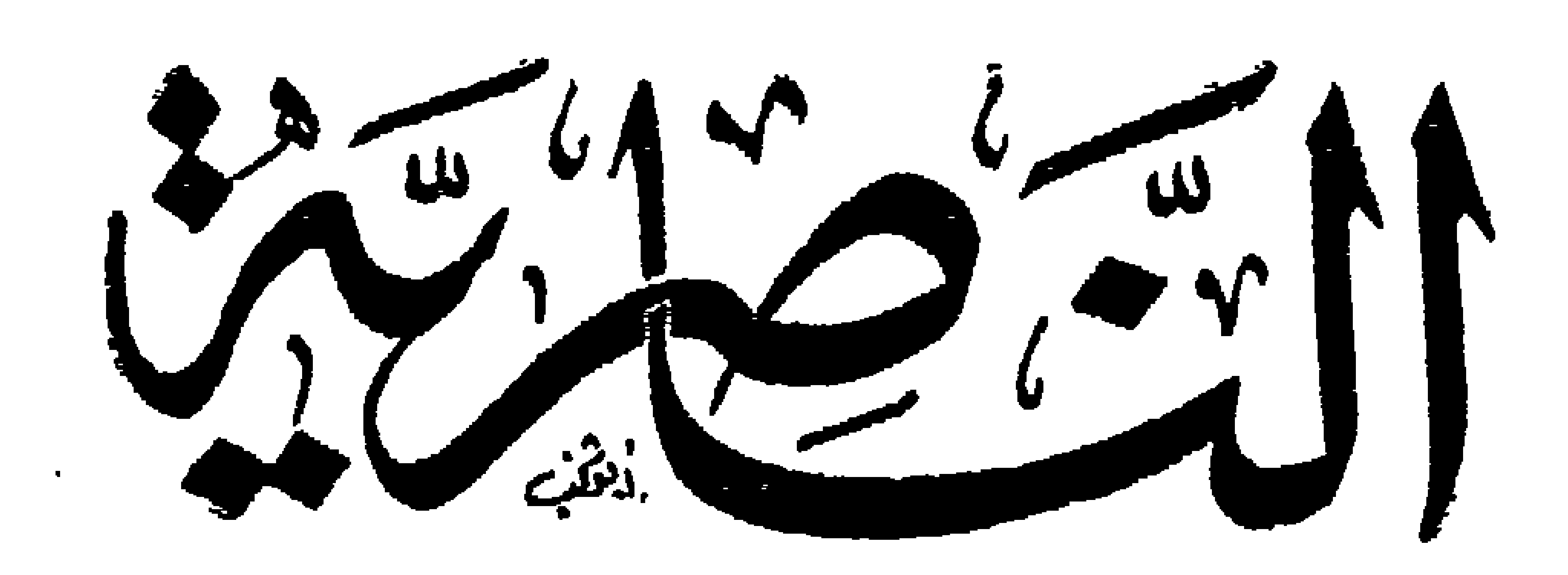
الناصرية

دراسة في فكر جمال عبد الناصر
مدعمة بالوثائق ومحاضر اللجنة المركزية

تقديم:

ضياء الدين داود

عبد الله إمام



دراسة بالوثائق فى الفكر الناصري

تقديم

ضياء الدين داود

فهرس

الموضوع	الصفحة

الإهداء ...

الى الشعب

العربى فى مصر

صانع التاريخ

وصانع الأبطال

تقديم :
بقلم : ضياء الدين داود

قاد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الأمة العربية، والهمها طوال ثمانية عشر عاما من فكره وروحه الكثير وقدم لها من تضحياته ونضاله الأكثر .

وفى أثناء حياته كان منبعا مستمر الفيض بالفكر ، والتحليل مضيئا الطريق أمام الشعب العربى الذى آمن به ، ووثق فيه ، وبادله الحب والاخلاص .

ولقد كان هو بنفسه يقدم فكره فى بساطة وسهولة تصل الى الجميع فتستقر فى نفوسهم ايمانا قويا ، وفهما واعيا ، ثم ينطلق ارادة فاعلة .

وبعد انتقاله الى جوار ربه ، انطلقت الحناجر تنادى بالاستمرار على طريقه ، ومنهجه ، وتطلعت العيون ، والقلوب ، والعقول ، الى تراثه لكى تتخذ منه كما كان ، وكما اراده عبد الناصر مصابيح مضيئة على طريق النضال ، واكمال المسيرة الى غاياتها ..

نصرا يمحو عار الهزيمة ، ويسترد الحق .. وآمالا لما بعد النصر تقيم المجتمع الاشتراكى الذى تنمحى فيه كل صور الاستغلال ..

وامتدت كثير من الأيدى تجمع تارة أجزاء من التراث ، وتبوبها ، وتحلل ، وتفسر تارة أخرى .

كما صدر قرار اللجنة التنفيذية العليا بتشكيل لجنة للتراث ، يرأسها لخطورة مهمتها رئيس الجمهورية ورئيس الاتحاد الاشتراكى العربى .

ولا شك أن كل الجهود المتناثرة التى تبذل ، وكل الاجتهادات الأخرى سوف تعين اللجنة فى مهمتها ، وهى اسهامات مقدرة ، غير أنه ينبغى الحذر من التأويلات الخاطئة والمغتصبة للكلمات ، والجمل ..

وينبغى التنبه أيضا الى مراحل النضال وما أطلق فيها من شعارات ، وسادها من قيم لا بد بالضرورة أن تتغير بتغير المرحلة ، ومقتضياتها ..

وينبغى أيضا الحذر من استباحة التخريجات التى قد لا تبقى من مبادىء عبد الناصر ، الا عنوانها ، وتحت هذا الستار قد تهدم نفس الفكر وتسىء اليه .

ولقد اطلعنى الأخ عبد الله امام على جهده الذى بذله مخلصا ، وفى حماس ، ومنذ اللحظات التى شعرنا فيها بعمق آلام فراق القائد ، وفداحة الخطب ، وصدق الاحساس بمسئولية كل فرد فى هذه المرحلة نحو فكر عبدالناصر ، وطريق عبدالناصر ، وأهداف عبدالناصر ، وكل بناء فكرى أو تنظيمى أو مادى اقامه عبدالناصر .. اطلعنى على فكرة اخراج هذا الكتاب ، وخطوطه فى تفكيره ، فرحبت بها ، وأخذت أتابع ما ينجز .

والحق انه قـد التزم جانب الأمانة فى النقل ، والاستشهاد ، كما وفق فى اختيار معالم بارزة فى فكر القائد ، وفى نضاله ، ونجح فى أن يجعل من أحاديثه ، وكلماته مواضيع متصلة ، لا تفصلها سوى تداخلات يسيره توضح ، وتؤكد ، مع استطرادات فى مواقف كانت تحتاج لمزيد من الوضوح أو التناول لجوانب أكثر ، أو التأكيد من الواقع على صدق تحليل المعلم ، وعمق رؤيته وتحليله .

ولقد كان عبد الله امام فى هذا المسلك ملتزما بما أشار اليه من أن عبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا لا يفهمه الا الخاصة ، فقد كان هو نفسه يشرح ، ويحلل ، ويبسط ، ويستخرج النتائج .

ان الكتـــاب يتنقل بنا بين السياسة الداخليـــة والتطبيق الاشتراكى ، والقضايا النظرية المختلفة التى طرحها المعـــلم فى هذا المجال ، كقضية الاشتراكية ، وصراع الطبقات والنظرة التحليلية لحقائق العلاقات الاجتماعية ، وارادة التغيير الثورى . وقضايا الحرية والديمقراطية ، والثورة الاجتماعية وقضايا ومعارك بناء الجيش الوطنى وتدعيم الاستقلال الاقتصادى مع اقامة القاعدة الاقتصادية السليمة ودور الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة فى قيادة الاستعمار الجديد ، ومواجهة تحدياتها ومؤامراتها . الى السياسة الخارجية، التى هى انعكاس للسياسة الداخلية ، والتى أملت مبدأ القومية العربية ، والوحدة العربية ، ثم الوحدة الافريقية، والتعايش السلمى، والحياد الايجابى، ونبذ الأحلاف، ومقاومتها ، بل واسقاط كل المحاولات التى بذلت لربط الوطن العربى بها ثم الصراع العلمى بين قوى التحرر الوطنى وقوى الاستعمار الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى كل ذلك كان المؤلف يبذل محاولات مخلصة للتأصيل ، وابراز الأسس النظرية ، مع عدم اغفـــال التطبيق .

وفى يقينى أن هذا المؤلَّف خطوة هامة وبنـاءة ومخلصة ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ، بل لأنفسنا، باعتبار أن عبد الناصر بفكره ونضاله ، كان تعبيرا عن فكر ، ونضال الشعب العربى .. عن أنفسنا . وفى سبيل الارساء الصحيح الصادق والأمين لحقـائق المواقف النظرية للقائد المعلم .

وهى كما قال المؤلف ، المحاولة الأولى التى نرجو كما تمنى أن تتطور .. وتتضاعف ..



هذا الكتاب

هذه ليست دراسة علمية شاملة فى فكر جمـــال عبد الناصر .. ولكنها محاولة لقراءة هذا الفكر ..

ان فكر عبد النـاصر يحتاج الى دراسات متأنية وعميقة ، تكشف أبعاده ، وتبلوره أمام الجماهير ، التى آمنت به ، وأعلنت أنها متمسكة بالسير على هداه .. وفى طريقه .. وعلى ضوء مبادئه ..

واذا كان عبد الناصر لم يترك نظرية مكتوبة .. فانه ترك تراثا ضخما وضع فيه ذخـــيرة هائلة من الفكر ، والتجربة ..

ولقد خرجت من قراءتى لاجزاء كثيرة من هـــذا التراث بايمان واحد .. هو أن عبد الناصر كان مصريا .. أولا .. واخيرا ..

انه كان يقف دائما امام كل مشكلة وينظر الى مصر .. أولا ..

يتعاون مع الغرب .. ولكن تبقى مصر ، بعيـــدة عن سيطرته ..

يصادق الشرق .. وتظل صداقته غــير مشروطة بالنسبة لمصر ..

بعيدا عن كل سيطرة ... كان يريد دائما ان يقف ببلاده وأمته ..

وبعيدا عن كل مناطق النفوذ .. كان يريد أن تظل مصر والأمة العربية ..

وعندما كان يدرس اقتراحا او مشروعا او صداقة

دولية .. كان يسال أولا اين بلاده من هذا الاقتراح او هذا المشروع او الصداقة .. هل هناك هدف للسطو على البلاد .. والتسلل اليها .. ليتأكد أولا انه لا هدف ، ولا محاولة للسيطرة ، او السطو او لفرض وصاية على حركتها الطليقة قبل ان يبدأ فى دراسته المشروع ..

ولقد قال لجريدة ليموند ذات مرة . « الى هؤلاء الذين يسالوننى ايهما افضل الولايات المتحدة او روسيا .. اقول لهم : افضل مصر ..

« فينبغى ان يكون الدافع الوحيد لأعمالنا هو مصلحة بلادنا » ..

ولقد كان عبد الناصر يفضل دائما مصلحة مصر مؤمنا .. انها أولا وقبل كل شىء جزء أساسى من الوطن العربى .. ثم انها جزء من القارة الافريقية .. وهى بالضرورة جزء من العالم ..

فهو لم يفصل مصر عن قدرها العربى ، ولا عن واقعها الافريقى والعالمى ..

بل لعل العروبة عند عبد الناصر كانت أساسا تجرى فى دمه ، تكشف وجه مصر العربية .. فالعروبة عنده حقيقة لا يستطيع ان يجادل فيها حتى اكثر الناس عداوة لفكر عبد الناصر التحررى والتقدمى ..

لقد اردت بهذه المحاولة فى قراءة فكر عبد الناصر ثلاثة اشياء :

● اولها : ان اسهم بجهد قليل فاضع امام كل من سيدرس فكر عبد الناصر محاولة لقراءة هذا الفكر ، مرتبة على الدرجة التى تصورت انها قادرة على بلورة وعرض اجزاء كبيرة منه .

● ثانيا : ان اقول انه يجب على جميع المثقفين فى العـالم العربى ، وعلى أجهـزة الاعـلام ودور العلم ، والتربية فيه أن يدرسوا فكر عبـد الناصر ، ويضعوه واضحا كما كان يحب عبد النـاصر .. مبسـطا امام الجماهير كما كانت هى طريقـة عبد النـاصر فى عرض الأمور وتبسيطها ..

فالجماهير التى خرجت ملتاعة باكية حزينة يوم علمت بفقـد البطل .. لم يغب عن ذهنها فى أتعس لحظات حياتها بالهزيمة العسكرية ، او بالموت أن ترفع شعار الاستمرار .. والاستمرار يعنى استمرار الثورة .. استمرار ارادة التغيير .. استمرار التقدم ، الذى كان عبد النـاصر ينشده ، ويسعى اليه . عنـدما كان يقول دائما اننى لن اقف الا حين يقف استغلال الانسان للانسـان ، وأن الاشـتراكية طريق طويل ليس له نهاية .. والاستمرار سوف يصل بنا الى غايتنا .. وبفكر عبد الناصر الى منتهاه .

● ثالثا : لقد قصدت بهذه المحاولة التى قمت بها وفاء اردت ان اؤكده .. وهو أننى عشت فى حياة جمال عبد الناصر ، واننى رأيته .. واننى قابلته .. واننى عشت فى امجد وازهى فترات الوطن العربى فى العصر الحديث .. بل اننى اطللت على السـياسة من خلال فكر عبد الناصر .. ومن خلال تنظيمات عبد الناصر الجماهيرية ، ومن خلال ايمان لا حد له بجمـال عبد الناصر .. المناضل .. والمفكر .. والانسان ..

واخيرا ...

لعلى لم اجد صعوبة فى عرض فكر عبد النـاصر ، ومبـادئه وانما الصعوبة كانت فى محـاولة شرح هذه

الافكار والمبادىء ، فعبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا لا يفهمه الا الخاصة . فقد كان هو نفسه يشرح ، ويحلل ، ويبسط ، ويستخرج النتائج .. وتلك أبرز خاصة فى عبد الناصر صاحب المدرسة السياسية ، وصاحب أسلوب مخاطبة الجماهير حتى فى أضخم الأمور ، وأكبرها .. وأعقدها .. بكلام بسيط يدخل عقل .. وقلب كل انسان ..

هكذا لم تقابلنى سوى صعوبة واحدة ، هى أن كلام عبد الناصر نفسه كان غنيا عن كل شرح ، وأكثر بلاغة ، وصدقا فى التعبير عن أفكاره واحاسيسه ، من أى كلام آخر ..

فعبد الناصر لم يكن يقول كلاما نظريا يوجهه الى المثقفين ، بل انه كان يبسط الأمور ، ويوضحها بحيث يعلمها لكل الناس .. ويضع اقل فئات المجتمع وعيا وثقافة امام أعقد النظريات بطريقة تمكن هذه الفئات من فهمها واستيعابها جيدا ..

وعبد الناصر لم يترك امرا لم يكن له فيه رأى .. ولكنى آثرت أن أركز علي الاركان الثلاثة البارزة فى فكره كما صاغها ورتبها .. وهى الحرية ، والاشتراكية والوحدة .

وحتى داخل هذه الاركان الثلاثة لا يمكن ان ادعى اننى استطعت ان اصل الى كل ما يحيط بها فى فكر عبد الناصر ..

ولكنها المحاولة الاولى .. وأملى ان تتطور فى مرة اخرى ..

عبدالله إمام

فلسفة صنعتها مسيرة الثورة

الناصرية فلسفة متكاملة تغطي كل جوانب الحياة ، فلم تقتصر على العموميات ، ولكنها تعرضت لأبسط التفاصيل اليومية فى حياة الناس .. فعبد الناصر لم يكتف بأن يضع الاطار النظرى لفلسفته ، بل انه كان يزيدها كل يوم ثراء سواء بالتطبيق ، او بالمناقشة ، والقاء الضوء على كثير من تفاصيلها الصغيرة ..

واذا كانت الفلسفة الناصرية قد تعرضت لمشاكل السياسة الدولية وحددت موقفا واضحا من قوى الاستعمار والامبريالية العالمية ، واتخذت الحياد الايجابى وعدم الانحياز منهاجا ، فقد تعرضت بتفصيل اكثر لكل ما يمس السياسة الداخلية بعد أن نقلت السياسة من صالونات الطبقة لتكون عمل رجل الشارع العادى ، ومحور مناقشته ، ومحل اهتمامه .. ولم تضع محظورات على حركتها بنفس القدر الذى لم تضع فيه محظورات على حرية الجماهير فى العمل والحركة ، والحوار ..

ويمكن القول بأن الناصرية تستهدف أساسا الانسان .. فالانسان هو كل ما يشغل بال عبد الناصر .. ومن أجل هذا الانسان صاغ منهجه ليكون فى خدمته ، ويحقق له حريته وكرامته ويسترد به انسانيته واذا كان القائد قد غاب عنا ، قبل أن يتم البناء المتكامل للمجتمع الذى حدد أبعاد الطريق الذى يسير عليه ، فقد ترك مع ذلك فكرا شامخا ونظرة متكاملة تجيب على مختلف التساؤلات ، وتضع منهاجا كاملا وشاملا للتقدم .. هذه النظرة هى التى صاغها فى مواثيقه الثورية ، وزادها وضوحا فى مناسبات كثيرة تعرض لمناقشتها فى مواقف مختلفة سواء فى الاجتماعات

المفتوحة مع الجماهير او المغلقة مع القيادات .. والساسة وزعماء العالم .

ولا يمكن أن نفصل اى فكر عن تطبيقه ، خاصة بالنسبة للفكر الناصرى الذى كان يتم تطبيقه فى وجود القائد المناضل صانعه .. وواضعه .. الا أن هذه الدراسة لا تتعرض بشكل اساسى ومباشر للفكر فى التطبيق ذلك ان اهم ما يجب ان نحرص عليه وأن تعيه الجماهير التى آمنت بمبادىء عبد الناصر ، هو هذه المبادىء ذاتها ، وان تضع لها من الاطارات ما يناسب أن تنطلق الى الأمام فى اتجاه زحف الجماهير وتقدمها على نفس الاساس وبالطريقة التى رسمها وحدد ملامحها عبد الناصر فى فكره ..

ولا شك ان المنهج الناصرى لم يبدأ من فراغ ، كما انه لا شك أيضا ان هذه الفلسفة المتكاملة لم تولد مع بداية ثورة ٢٣ يوليو .. فلم يكن فى ذهن عبد الناصر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو الا الأمل فى حرية الوطن ، والمواطن .. ولكن كيف .. كان هذا هو السؤال الذى استمر يختمر فى ذهن القائد ، ويجيب عليه كل يوم من خلال الممارسة والتطبيق طوال ثمانية عشر عاما « فنحن بعد قيام الثورة .. لم نكن على استعداد ، وذهبنا نلتمس الراى من ذوى الرأى والخبرة عند أصحابها ، ومن سوء حظنا لم نعثر على شيء كثير » (١)

« ولم يكن مطلوبا منى فى يوم ٢٣ يوليو أن أطلع ومعى كتاب مطبوع واقول ان هذا الكتاب هو نظرية ، مستحيل .. لو كنا قعدنا نعمل هذا الكتاب قبل ٢٣ يوليو لم نكن عملنا ٢٣ يوليو »

« فى الاسلام ، كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع ومجلد ويقول : هذه هى النظرية ، هذا هو القرآن ، وهذه هى العقيدة ، وقد حدث ذلك ليعطينا ربنا فى حياتنا عبرة وعظة .. »

---

(١) كتاب فلسفة الثورة

« ابتدأ الاسلام بأشهد أن لا اله الا الله ، وأن سيدنا محمدا رسول الله .. ابتدأ الاسلام بهذا .. جملتان .. لم يبدأ بكل ما هو موجود فى القرآن ، ثم بدأ بعد هذا أيضا الاسلام يعطينا صبرا وعظة فى حياتنا فقد قال بالنسبة للسؤال عن الخمر فيها اثم وفيها نفع ، ولكن اثمها أكبر من نفعها .. بعد ذلك قال ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ، بعد ذلك حرم الخمر وقال : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »

« ٢٣ سنة لغاية تمام القرآن ، وتم نزول القرآن ، لماذا فعل الله ذلك ؟ فعله حتى يعطينا الفرصة والدليل أو الوسيلة التى نقدر أن نعمل بها فى حياتنا وفى دنيانا » (١) .

ويزيد القائد هذا الأمر وضوحا ، وكأنه يلقى الضوء على أن هذا الذى يحدث فى بلادنا انما هو نابع أساسا من تجارب عاشت واقع المجتمع ، ومن رؤية واعية وثورية مخلصة لكل ما يدور فيه ، واستجابة لمتطلبات الجماهير وأمانيها .

« يوم ٢٣ يوليو لا أعرف أبدا أن اتكلم الكلام الذى اتكلم به الآن ، وذلك لانى لم أمش يومئذ فى تجربة العشر سنين التى وجدت فيها هذه المدة ، ويوم ٢٣ يوليو لو طلبتم منى محاضرة فى التكتيك أقول لكم محاضرة فى التكتيك أو أى موضوع عسكرى ، أما أن تقولوا أن أتكلم فى الثورة ، فى العمليات التى نتكلم فيها اليوم ، طبعا هذا موضوع من الصعب جدا أن اتكلم فيه .. ان ظروفنا قضت أن التطبيق الثورى ، تطبيقنا الثورى ، كان سابقا للنظرية .. النظرية هى دليل العمل .. عن أى شيء تكون النظرية .. هى تأتى عن دراسة المشاكل .. ولكن انا فى رأيى أن الذين يقولون انه ليس هناك نظرية ونريد

---

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ .

ان نعرف النظرية ، يريدون ان يضعوا لنا عقـدا فحسب .. بأى وسيلة من الوسائل ، وبأى شكل من الاشكال .. كيف نحل هذه العقد .. يقولون لنا « حلوها انتم » .. تكلم اى واحد يقول لك ليست هنـاك نظرية .. ما هى النظرية .. حـدد لى الآن اين نقف » .

« أنا لا استطيع ان أحدد أين نقف .. الشعب هو الذى يحـدد اين نقف .. لا اسـتطيع ان احدد بالنسـبة لى ، **أنا لن استطيع ان اقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان** ، وكل واحد أصبح يشعر ان فيه فرصة متكافئة مع الآخر » (١)

* * *

التجربة التى بدأ عبد الناصر فى صياغتها منـذ سنة ١٩٥٢ تجربة بالغة الصعوبة والتعقيد . فقد بدأ عبد الناصر زحفه الثورى مع الجماهير دون تنظيم سياسى ، وايضا بدون النظرة الشاملة للتغيير الثورى

« فارادة الثورة لم تكن فى تلك الظروف تملك من دليل للعمل غير المبادىء الستة المشهورة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته .. »

« ولقد كان هذا الشعب هو المعلم الاكبر الذى حمل على عاتقه فى أعقاب بدء العمل الثورى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عمليتين تاريخيتين لهما آثارهما الضخمة » .

« ان هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبـادىء السـتة ويحركها بالتجربة والممارسـة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به ، وتأثيرا فيه نحو برنامج تفصيلى يفتح طريق الثورة الى أهدافها اللامتناهية »

---

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية .

« ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلقن طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى ويربطها دائمـا بهذه الآمال ، ويوسع دائرتها بأن يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة فى صنع مستقبله » .

« والطلائع الثورية التى صنعت أحداث ليلة ٢٣ يوليو لم تكن قد اعدت نفسها لتحمل مسئولية التغيير الثورى الذى تصدت لمقدماته ، لقد فتحت الباب للثورة تحت راية المبادىء الستة المشهورة ، ولكن هذه المبادىء كانت اعلاما للثورة ، ليست أسلوب عمل ثورى ، ولا منهاج تغيير جذرى ، ولقد كان الامر من الصعوبة بمكان خصوصا فى جو التغيير العالمى البعيد المدى العظيم الاثر » .

« لكن الشعب المعلم صانع الحضارة .. راح يلقن طلائعه أسرار آماله الكبرى ومضى يحرك المبادىء الستة بالتجربة والخطأ نحو وضوح فكرى لصنع التصميم الهندسى لبناء المجتمع الجديد الذى يريده .. وراح الشعب الكادح يكدس مواد البناء ويكتل جميع القوى الثورية القادرة على الاسهام فيه من صفوف الجماهير » (١) .

هل كان يستطيع عبد الناصر ان يضع نظرية مسبقة على التطبيق .. رغم ان ذلك لم يحدث ، فانه لو حدث لكان قيدا مسبقا على دور الجماهير فى دفع عجلة الثورة وتطويرها .. فاذا كانت آمال الجماهير ورؤيتها ومتطلباتها متغيرة ، ومتطورة ، فان وضع هذه الامال فى اطار معين انما هو بمثابة تجميد لحركة الجماهير ، والوقوف بأمانيها عند حد أيا كان هذا الحد .. فلا شك ان الضرورات الموضوعية تكتشف مع خلال مسيرة العمل والتطبيق ..

---

(١) الميثاق الناصرى .

ولم يكن موقف عبد الناصر فى ذلك فريدا ، فقد سبقته الى ذلك الماركسية ذاتها ، وهى اليوم نظرية متكاملة احدثت تاثيرا هائلا فى العالم خلال النصف الأول من القرن العشرين .

ففى منتصف القرن التاسع عشر ، وفى ذروة الرخاءالاقتصادى للمجتمع الراسمالى ، طلع كارل ماركس بكتابه راس المال الذى اعتبره الماركسيون انجيل الطبقة العاملة الحديثة .. ووصفه كارل ماركس بأنه « النصب التذكارى لى » .

وكتاب « راس المال » فى راى البعض لا يعدو أن يكون تشريحا علميا للراسمالية ، نشأتها تطورها ، متناقضاتها الباطنية التى لابد أن توصف بها فى نهاية الأمر « أما ماهية النظام الاجتماعى الجديد الذى سوف يخلف النظام البورجوازى وحدود الملكية الاجتماعية وابعادها واسلوب ادارة الاقتصاد فى ظل النظام المنتظر ، واشكال التنظيم السياسى . فنقول ان أمثال هذه المسائل وغيرها كثير لم يعرض لها ماركس وانجلز تفصيلا ، **فلا يمكن الادعاء بأن ماركس وانجلز طلعا منذ البداية بنظرية اشتراكية مفصلة** ، فعندما أصدرا البيان الشيوعى كانا على ما يبدو يتطلعان الى ثورة ليبرالية على فرار الثورة الفرنسية ، ولم يسعيا ـ وما كان ليسعيا ـ الى ثورة اشتراكية او شيوعية » .

« والبيان الشيوعى تحدث عن وجود الصراع بين البورجوازية والبروليتاريا وبأنه سوف ينتهى بزوال الاولى ، ثم راح يسرد طائفة من المقترحات أو المطالب التى يمكن أن تشتمل عليها برامج وسياسات الليبرالية الراديكالية » (١)

وهذا رأى فيه كثير من المبالغة ، فلا أحد ينكر أن البيان الشيوعى يحتوى خطوطا نظرية واضحة لفكر اشتراكى .. وأن هذه الخطوط كانت بمثابة الأصول العلمية للنظرية التى انطلق الفكر الماركسى يضيف اليها ويكملها بعد ذلك ..

---

(١) الدكتور راشد البراوى كتاب « المذاهب الاشتراكية المعاصرة » .

فأى نظرية هى ثمرة عمل ، مع بداية من خطوط فكرية عامة لهذا العمل تتطور من خلال الممارسة .

والقوانين الموضوعية التى كانت هى أساس الماركسية لم يخلقها ماركس ولم يخترعها ، وانما اكتشفت من خلال رؤية علمية لتطور المجتمع ثم صيغت بعد ذلك فى اطارها النظرى ، واثريت بالتطبيق العلمى ..

والبيان الذى أصدره ماركس وانجلز فى ديسمبر ١٨٤٨ وضعا له مقدمات باللغات المختلفة ، وهما يقولان « فى مقدمة الطبعة الألمانية عام ١٨٧٢ » ، « لن المبادىء العامة الواردة فى البيان لا تزال محافظة حتى اليوم على كل صحتها ، وان كان يجب ادخال بعض التعديل على عدد من الفقرات » .

والبيان نفسه يوضح أن تطبيق هذه المبادىء يتعلق دائما وفى كل مكان بالظروف والأوضاع التاريخية فى وقت معين .

ففى مقدمة الطبعة الروسية عام ١٨٨٢ يقولان : « انهما تحدثا عن كثير من الأوضاع فى البيان ولكن لشد ما تبدل كل ذلك الآن » .

وفى مقدمة الطبعة الألمانية التى صدرت عام ١٨٨٣ يقول انجلز « انه بعد وفاة ماركس .. لم يعد ثمة مجال لاعادة انشاء البيان أو اتمامه ، وان الفكرة الرئيسية فى البيان هى « ان الانتاج الاقتصادى والبناء الاجتماعى الذى ينشأ بالضرورة عنه يؤلفان فى كل عهد تاريخى أساس التاريخ السياسى والفكرى لهذا العهد . ولذا فالتاريخ بأسره منذ انحلال الملكية البدائية المشاعية للأرض هو تاريخ نضال بين الطبقات المسودة ، والطبقات السائدة فى مختلف مراحل التطور الاجتماعى ولكن هذا النضال قد وصل فى الوقت الحاضر الى مرحلة اصبحت فيها الطبقة المستثمرة المرهقة هى البروليتاريا لا تستطيع أبدا أن تتحرر من نير الطبقة التى تستثمرها وترهقها وهى البرجوازية دون أن تحرر فى الوقت نفسه والى الأبد المجتمع بأسره من الاستثمار والارهاق ، ومن نضال الطبقات ؛ هذه الفكرة

الرئيسية السائدة فى البيان تعود بصورة مطلقة الى ماركس ، واليه وحده » .

وفى بقية مقدمات الطبعات المختلفة يعترف ماركس وانجلز أو انجلز وحده ، بأن بعض ما ورد فى البيان قد تخطته مسيرة الجماهير فى دولة ما ، أو فى مكان ما من العالم .. ويعترفان ان ما ورد فى البيان انما هو اطار قابل للتطور والنمو .. وهذا طبيعى فأى نظرية ثورية تزداد ثراء من خلال الممارسة ، والاحتكاك العملى بالتطبيق .

* * *

والمبادىء الستة التى رفعتها الثورة منذ أيامها الأولى لم تكن نظرية ، ولكنها كانت بمثابة البوصلة للعمل .. بوصلة تحدد خطوات المستقبل فى القضاء على الاستعمار وأعوانه ، والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم واقامة عدالة اجتماعية وجيش وطنى قوى وحياة ديمقراطية سليمة .

والدوائر الثلاث : العربية والافريقية والاسلامية التى تحدث عنها عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة كانت مؤشرات أخرى للعمل

ولعل ابرز دليل على ذلك ما يقوله القائد عند ما يلخص المشاكل التى واجهته فى البداية ، بأن ذلك الشعب بدا زحفه « من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة كذلك فان هذا الزحف بدأ من غير **نظرية كاملة للتغيير الثورى** » ..

فالمبادىء الستة « لم تكن نظرية عمل ثورى كاملة ، ولكنها كانت فى تلك الظروف دليلا للعمل يمثل عمق الارادة الثورية ، وقد تطورت هذه المبادىء بفضل النضال الشعبى الذى راح يحركها بالتجربة ، والممارسة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به ، وتأثيرا فيه نحو برنامج تفصيلى يوضح طريق الثورة الى أهدافها اللامتناهية » (١)

---

(١) الميثاق .

اذن « فليست هناك أحداث من صنع الصدفة ، ولا وجود يصنعه الهباء » (١)

وهذه المبادىء العامة . أو المؤشرات هى التى قادت عبد الناصر للعمل ، ومن خلالها ، وفى وسط ميدان العمل والتطبيق ومن بين محاولات التجربة والخطأ فى اطار النظرة التى كانت تسعى الى الاتساع والتكامل وفى ظل ظروف صعبة بالنسبة لطبيعة الثورة ذاتها التى قامت دون أن ترتكز على تنظيم حزبى ثورى يسندها ، ويشد من ازرها .

فى ظل هذه الظروف كلها استطاعت الناصرية أن تنمو ، وتتكامل من خلال الممارسة الفعلية والواقعية ، وشقت طريقها تؤكد ظروف مجتمعنا ، وطبيعته الخاصة ، وتضع مؤشرات ، وقواعد عامة فى نفس الوقت قابلة لأن تكون منطلقا للمجتمعات النامية .

فالممارسة اذن هى التى بلورت الفلسفة الناصرية ووضعت لها الأبعاد المختلفة ..

* * *

عندما بدا عبد الناصر الاعداد لثورته كان فقط يملك البوصلة ، وكان أهم مؤشراتها ذلك الذى يقف عند قضية التحرير .. تحرير الوطن من السيطرة الاستعمارية ، وتطهيره من الفساد .. وحول هذه الاهداف العامة تجمع تنظيم الضباط الاحرار ..

ولو انه وضعت امام هذا التنظيم فى بدايته نظرية متكاملة للتحول الاجتماعى على نحو ما حدث فيما بعد ، لادى ذلك الى انقسام هذه المجموعة الصغيرة من الضباط الاحرار الوطنيين ..

فان أهم ما كان يجمع هؤلاء الضباط ، ويلفهم حول التنظيم

(١) فلسفة الثورة .

هو القضايا العامة وابرزها احساسهم بالمهانة لوجود المستعمر على ارض الوطن ، يمتص خيراته ويتحكم فى مقدراته ، ويدير أجهزة الحكم والسياسة فيه ..»

وابرز دليل على ذلك ما قاله أحد اعضاء مجلس الثورة السابق فى تأبين الزعيم الخالد ، فقد قال بالنص :

« ان عبد الناصر كان قادرا على أن يلف (١) حوله قوى مختلفة الاتجاهات والمواقع السياسية والاجتماعية والطبقية . كان قادرا على استنباط واستخلاص الهدف المجمع الذى يستطيع ان يلف حوله كل هذه القوى والاتجاهات .

ونظرة واحدة علي تركيب تنظيم الضباط الاحرار وقيادة هذا التنظيم توضح هذه الحقيقة .

ضـباط من مختلفو الاتجاهات السياسية والاجتماعية برغم ما بينهم من خلافات فكرية وسياسية على الهدف المجمع الذى رفعه عبد الناصر . تجمعوا والتفوا حول القائد الذى صاغ هـذه الشعـارات .

- ●● القضاء على الاستعمار واعوانه
- ●● اقامة ديمقراطية سليمة وعدالة اجتماعية
- ●● اقامة جيش وطنى قوى يتـاح فيه للجنود الترقى لرتبـة الضابط

وبعد الثورة وبعد أن أتيحت لعبد الناصر فرصة قيادة المجتمع كله وامكانيـة تزعم الأمة العربية كلها برزت هـذه الموهبـة بروزا واضحا فاستطاع أن يجمع حوله كل الاتجاهات الوطنية والتقدمية بتركيزه على أهداف وطنية محددة يشعر الجميع انهم لا بد أن يعملوا لتحقيقها »

---

(١) خالد محيى الدين فى مقال بمجلة روز اليوسف .

ان هدف الاستقلال الوطنى كان ابرز ما يشغل بال القائد منذ صباه فخرج من أجله فى المظاهرات ، وهو طالب فى المدارس الثانوية وانضم الى الأحزاب التى تصور انها يمكن ان تحققه ، ومن خلالها تعرف على جميع التيارات السياسية والفكرية التى كانت تسود البلاد .

« كان هناك احزاب .. احزاب كثيرة ، ولدنا ، ووجدنا هذه الاحزاب ، وانضممت الى عدد كبير منها ، وأول حزب انضممت اليه كان حزب مصر الفتاة ، ثم تركته » .

« وعندما كنت فى السنة الثالثة الثانوية وبينما كنت فى ميدان المنشية بالاسكندرية وجدت معركة بين البوليس والناس ، وكان البوليس يضرب الناس ، والناس يضربون البوليس ، فاشتركت مع الناس وضربت البوليس ، فقبضوا على ، وأدخلونى قسم البوليس ، وكان ذلك بسبب أن حزب مصر الفتاة كان مجتمعا والبوليس يفض الاجتماع ، وبقيت فى القسم الى أن حضر شيخ الحارة وأخرجنى بضمانة » .

« وانا لما انضممت الى حزب مصر الفتاة لم استرح ، فتركته وانضممت الى الوفد وكنت أكثر الناس اتصالا به ، وأيضا لم استرح ، فاتصلت بالاخوان المسلمين وكذلك لم اطمئن ، واتصلت بالشيوعيين ، واتصلت بكل الهيئات العاملة فى هذا البلد كما اتصلت بالاحرار الدستوريين والسعديين ، كنت أبحث عن الحقيقة كشاب يريد أن يكافح من أجل بلده ، ولكنى كنت تائها .. وكنت اعتقد انه يمكن أن يكون هناك فائدة ، وأخيرا لم أجد أن هناك اية فائدة »

« ولما دخلت الكلية الحربية وتدرجت فى الجيش ، كان الحل الوحيد أمامى انه يجب أن نقوم بثورة لنقضى على هذا كله ،

ونبنى مجتمعا جديدا متحررا ، من كل أنواع الظلم السياسى والظلم الاجتماعى (١) »

التحرر الوطنى اذن هو القضية الأساسية التى كانت تملأ حياة عبد الناصر والتى انفعل بها .. فأخذ ينظم من أجل تخليص البلاد من الاحتلال العسكرى ، ومن النفوذ السياسى الأجنبى ، « الذى يؤدى الى الظلم السياسى والى الظلم الاجتماعى » .

وقضية التحرر الوطنى هى التى جعلته يكتب لاحد أصدقائه بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى فرضت فيه قوات الاحتلال حكومة الوفد بالدبابات قائلا : ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين (٢) .

وقضية التحرر الوطنى تمثلت فى ذهن عبد الناصر منذ البداية ليس فقط فى وجود الاحتلال الانجليزى بجنوده ، ونفوذه ، بل فى العهود الطويلة من المعاناة للشعب المصرى ضد الغزاة تلك العهود التى حاولت أن تصبغ الشعب المصرى ، وتضيع من معالمه « فانا أنظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من الاف الاسر التى تعيش فى العاصمة ، الاب مثلا فلاح معمم من صميم الريف والام سيدة منحدرة من أصل تركى وابناء الاسرة فى مدارس على النظام الانجليزى ، وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى .. كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين انظر الى هذا وأحس فى أعماقى بفهم للحيرة التى نقاسيها وللتخبط الذى يفترسنا ثم أقول لنفسى :

« سوف يتبلور هذا المجتمع ، وسوف يتماسك ، وسوف يكون وحدة قوية متجانسة ، انما ينبغى ان نشد أعصابنا ، ونتحمل فترة الانتقال (٣) » .

---

(١) مناقشات اللجنة التحضيرية ٢ ديسمبر ١٩٦١ .
(٢ ، ٣) فلسفة الثورة .

الى ما هو أبعد من ذلك الى بداية تكون الاحساسات الثورية لديكم »

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :ـ

ـ كثيرا ما سئلت هذا السؤال : **متى أصبحت ثوريا لأول مرة ؟** وهو سؤال تستحيل الاجابة عليه ، فهذا الشعور أملته ظروف تكويني وتنشئتي وغذاه شعور عام بالسخط والتحدى اجتاح كل أبناء جيلى فى المدارس والجامعات ثم انتقل الى القوات المسلحة .

وما زلت أذكر بوضوح أول صدام لى مع السلطة : كان ذلك فى سنة ١٩٣٣ وكنت يومئذ تلميذا فى الاسكندرية لم ابلغ بعد الخامسة عشرة من عمرى وكنت أعبر ميدان المنشية فى الاسكندرية حين وجدت اشتباكا بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات البوليس ، ولم أتردد فى تقرير موقفى ، فلقد انضممت على الفور الى المتظاهرين دون أن أعرف أى شيء عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله ، ولقد شعرت أننى فى غير حاجة الى سؤال ، لقد رأيت أفرادا من الجماهير فى صدام مع السلطة ، واتخذت موقفى دون تردد فى الجانب المعادى للسلطة .

ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف ، لكن سرعان ما جاءت الى المكان الامدادات حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة وهجمت علينا جماعتهم . وانى لأذكر انى ـ فى محاولة يائسة ـ ألقيت حجرا لكنهم أدركونا فى مثل لمح البصر ، وحاولت أن أهرب لكننى حين التفت هوت على رأسى عصا من عصى البوليس تلتها ضربة ثانية حين سقطت ... ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من رأسى مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الافلات بالسرعة الكافية .

ولما كنت فى قسم البوليس واخذوا يعالجون جراح رأسى سألت عن سبب المظاهرة ، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة فى ذلك الوقت ، للاحتجاج على سياسة الحكومة .

وقد دخلت السجن تلميـــذا متحمسا وخرجت منـــه مشحونا بطاقة من الغضب وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل أن تتبـــلور افكارى ومعتقداتى وخططى ولكن حتى فى هذه المرحلة المبكرة كنت اعلم ان وطنى يخوض صراعا متصلا من أجل حريته . . .

● وجه مورجان الى الرئيس مجموعة من الأسئلة حول نشأته الأولى وجو الأسرة الذى عاش فيه مرحلة الطفولة .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ اننى الابن الأكبر لأسرة مصرية من الطبقة المتوسطة الصغيرة وقد كان أبى موظفا صغيرا فى مصلحة البريد يبلغ مرتبـــه الشهرى نحـــو عشرين جنيها ، وهو مرتب يكفى بصعوبة لســـــد ضروريات الحيـــاة .

وقد ولدت فى الاســـكندرية ، لكن ذكرياتى الأولى تدور حول قرية الخطاطبة وهى قرية تقع بين القاهرة والاسكندرية حيث كان ابى يعمل وكيلا للبوسطة ـ وكنا دائما أسرة ســـعيدة يحكمهـــا أبى ولكن القوة الحافظة فيها كانت امى التى كنت أنا واخوتى نتفانى فى حبهـــا .

وكان ابى قلقا بسبب آرائى السياسية حتى فى أيام التلمـــذة ، فقد سجن أخوه أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الاثارة السياسية ولذا كانت مخاوفه أن يحل بى ما حل بعمى ـ مخاوف طبيعيـــة ـ فقد كان كل أمله ان نحيا جميعا حياة آمنة بعيدة عن المزعجات .

ولكنى بعد اشتراكى فى المظاهرةالسياسية الأولى دخلتالميدان بكل جوارحى وأصبحت رئيس لجنـــة لتنظيم المقـــاومة ولا سيما المقاومة الساخطة . ولقد كان ذلك منفذا لا بد منه لعواطفنا الحادة ولشعورنا بالكبت الذى يضغط على وطننا . .

وفى نهاية الأمر ضـــاق المسئولون فى المدرســـة ذرعا بنشاطى ونبهوا ابى فارسلنى الى القاهرة لأعيش مع عمى والتحق بمدرســـة أخرى هناك . . .

ولعل الحديث الذى أدلى به جمال عبد الناصر الى الصحفي دافيد وين مورجان (١) يكشف كثيرا من الحقائق ليس فقط حول قيام الثورة ، بل واساسا حول فكر جمال عبد الناصر .. كيف تكون والأحداث التى غذته .. فمن خلال الحوار الذى كان الصحفى يسال فيه عن تفاصيل دقيقة عن حياة الزعيم ، وعن التنظيم الذى قام بالثورة ، نوقن أن جذور الفكر الثورى عند جمال عبد الناصر قديمة وأنها ارتبطت فى الدرجة الأولى بالتحرر الوطنى وتخليص البلاد من الاستعمار . ويروى القائد فيه كيف كان يستكتشف الطريق الى المستقبل من خلال مسيرة الثورة .

ونظرا لأهمية هذا الحديث الذى يلقى فيه الزعيم بنفسه الضوء على كثير من القضايا التى تثار حول فكر الثورة ، والمنابع الأصلية له . والمعارك التى خاضتها . فقد آثرت أن أنقل أجزاء كثيرة منه لأن له أهمية كبرى لدى كل من يدرس ثورة جمال عبد الناصر ، نشأتها ، وقيامها ، والأهداف الأساسية التى كانت تجمع تنظيم الضباط الأحرار من أجلها ..

بدأ الحديث مورجان بقوله : ـ

● **لقد مضت الآن عشر سنوات منذ أن قام نحو من تسعين من ضباط الجيش المصرى بانهاء النظام الاقطاعى فى وطنهم وبالاستيلاء على السلطة فى بلادهم بين يوم وليلة بعد ثورة تكاد أن تكون بلا قطرة من الدماء** ، وقد كانت هذه السنوات العشر سنوات من الثورة المستمرة ومن التغيير المتصل ، وهذه العملية التاريخية لا تزال مطردة ، لكن لعل الوقت الحالى هو أنسب الأوقات للتطلع الى الخلف لا الى أحداث هذه السنوات العشر الأخيرة وحدها بل

---

(١) حديث للصنداى تايمز الانجليزية يونيو عام ١٩٦٢ .

وسال مورجان :

● لقد ذكر عدد كبير من الذين تعرضوا لكتابة قصة حياتكم ان مشاعركم الأولى المعادية لليهود تكونت فى هذه الفترة فقد كانت فى نفس البيت الذى يسكنه عمكم بعض الأسر اليهودية ؟..

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ هذا راى ابعد ما يكون عن الحقيقة ـ فانا لم اكن فى أى يوم من الايام معاديا للسامية على المستوى الشخصى ومن العسير على اى مصرى متعلم أن يكون كذلك ـ لقد كانت بيننا وبين اليهود كشعب ـ روابط عديدة فموسى نفسه كان مصريا ، وشعورى المعادى لاسرائيل واعمالى الموجهة ضدها انما تولدت فيما بعد من شيء واحد لا سواه وهو الحركة الصهيونية التى اغتصبت جزءا من الأمة العربية .

وقال مورجان :

● ان الذين كتبوا تاريخكم ايضا يقولون انه فى تلك الفترة وقعت لكم صدمة نفسية ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ ذلك صحيح ، ففى تلك الفترة حدث لى حادث اثر فى عواطفى اكثر من اى شيء آخر فى تلك السنوات الباكرة ـ فقد كان ابى مصرا على معارضة مشاعرى واعمالى الثورة ـ أما امى فقد كانت تنظر الى السياسة نظرتها الى شيء لا يعنيها وكانت العلاقة القائمة بيننا هى مجرد علاقة الحب الخالص الذى يربط ما بين الأم وولدها .

ولم اكن اكثر فى رحلاتى لزيارة اسرتى ـ ولكن حين انقطعت انباء امى فترة من الزمن سافرت لزيارة الاسرة ، ولما بلغت البيت لم اجد لها اثرا ـ وعلمت انها قد ماتت قبل ذلك بأسابيع ولم يجد أحد

الشجاعة الكافية لابلاغي بموتها ولكني اكتشفت موتها بنفسي بطريقة هزت كياني .

وعدت لفوري الى القاهرة حيث كرست نفسي لنشاطي السياسي بصورة اعنف من ذي قبل وخفف الزمن صدمتي ولكني ظللت مبتعدا عن أسرتي لعدة سنوات ـ فان فقد امي في حد ذاته أمرا محزنا للغاية ـ أما فقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمة تركت في شعورا لا يمحوه الزمن وقد جعلتني آلامي وأحزاني الخاصة في تلك الفترة أجد مضضا بالغا في انزال الآلام والأحزان بالغير في مستقبل السنين .

وقال مورجان :

● **ان بعض المؤرخين يقولون أن بحثكم عن مجال العمل السياسي قادكم الى محاولة واسعة لاستكشاف الاحزاب السياسية العاملة في مصر في ذلك الوقت ؟ ..**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ في سنوات التكوين هذه شغلت اهتمامي كل الأحزاب السياسية التي كان هدفها الأول أن ترد للشعب المصري حريته وقد انضممت مدة عامين بعد مظاهرة الاسكندرية الى جماعة مصر الفتاة ولكن تركتها بعد أن اكتشفت أنها رغم دعواها العالية لا تحقق شيئا واضحا .

وقد فوتحت في عدة مناسبات للانضمام للحزب الشيوعي لكني رغم دراستي للمذهب الماركسي ولكتابات لينين وجدت أمامي عقبتين اساسيتين ، عقبتين كنت أعلم انه لا سبيل الى التغلب عليهما .

كان مجرد الظل لسيطرة اجنبية لا استطيع ان اقبله .

وقد كانت لي اتصالات متعددة بالاخوان المسلمين رغم اني لم اكن قط عضوا في هذه الجماعة ، واحسست بقوة زعيمهم المرشد

العام حسن البنا وهنا ايضا وجدت أمامى صعوبات دينية ، فقد كان فى تصرف الاخوان المسلمين ضرب من التعصب الدينى وما كنت أرضى لا بانكار عقيدتى ، ولا بأن تحكم بلادى طائفة متعصبة كنت واثق من ان التسامح الدينى لابد وان يكون ركنا اساسيا من اركان المجتمع الجديد الذى كنت ارجو ان اراه قائما فى بلادى .

وتبلورت مشروعاتى لمستقبلى بعد عقد المعاهدة المصرية الانجليزية عام ١٩٣٦ التى نجم عنها ان حكومة الوفد اصدرت مرسوما يقضى بفتح الكلية الحربية للشبان بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية او ثروتهم وكنت انا مع نفر من الآخرين الذين ظلوا فيما بعد رفاقا حميمين من بين اول من استطاعوا الانتفاع من هذا الوضع ، فالتحقت بالجيش بعد أن كنت ادرس فى كلية الحقوق .

وتخرجت بعد سنتين فى عام ١٩٣٨ من الكلية الحربية بالعباسية ، كان الجيش المصرى حتى ذلك الوقت جيشا غير مقاتل وكان من مصلحة البريطانيين ان يبقوه على حاله ـ اما بعد ذلك فقد بدات تدخل طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون الى مستقبلهم فى الجيش بوصفه مجرد جزء من جهاد اكبر لتحرير شعبهم ، وعينا فى منقباد .. وذهبنا الى منقباد تملأنا المثل العليا ولكن سرعان ما أصبنا بخيبة الأمل فقد كان اكثر الضباط عديمى الكفاءة وفاسدين ، وقد دفعت الصدمة بعض زملائى من الضباط الى حد الاستقالة أما انا فلم أر جدوى من الاستقالة رغم أن سخطى كان لا يقل عن سخط الآخرين واتجه تفكيرى بدلا من ذلك الى اصلاح الجيش ، وتطهيره من الفساد .. وفى عام ١٩٣٩ نقلت الى الاسكندرية .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن وجيز نقلت الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين ، وكان ذلك بقصد التدريب لمدة شهر ، وكانت هذه أول مرة احتك

فيها احتكاكا حقيقيا بالبريطانيين كجنود واشخاص فتركوا فى نفسى اثرا طيبا .

ولم يكن هناك اى تعارض بين استطاعتى ان اشعر بشعور ودى نحو عدد منهم على المستوى الشخصى — وان احترمهم كجنود وبين شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية — ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن — فالأول كان شعورا شخصيا والآخر كان مسألة مبدأ وليس هناك علاقة بين الشعورين.

وفى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخا تاما ، أما السبيل الى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة الى دراسة وكنت يومئذ لا ازال اتحسس طريقى الى ذلك ، وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه الى تجميع عدد من الضباط الشبان الذين أشعر انهم يؤمنون فى قراراتهم بمصالح الوطن .

● وقال دافيد وين مورجان بانه فهم ان الصراع العلنى السافر بين الضباط الاحرار وبين الملك هو ازمة انتخابات نادى ضباط الجيش .

ورد جمال عبد الناصر :

— كان ذلك صحيحا فقد تملك الملك الجزع من ان يصبح النادى مركزا للتمرد ، وصمم على ان يكون الرئيس الجديد مرشحا من مرشحيه وهو اللواء حسين سرى عامر وكنت لا اقل عنه تصميما فى الحيلولة دون ذلك ..

وتحدث الرئيس عبد الناصر بعد ذلك عن تطورات الموقف بعد ازمة حل اللجنة التنفيذية لنادى الضباط بأمر من الملك ثم قال :

« ولقد احسست ان تأخير محاولتنا للقيام بثورتنا حتى سنة ١٩٥٥ مسألة مستحيلة ، فان الحوادث تتحرك بسرعة ، والاستعداد الثورى اصبح متحفزا ، ثم أن هيبة فاروق كانت فى الحضيض

لقد قدرت ان الموقف ساعاتها مناسب للقيام بانقلاب اذا عرفنا كيف ننفذه بسرعة وبكفاءة .

وفى منتصف يوليو دعوت الموجودين فى القاهرة من اعضاء الهيئة التاسيسية للضباط الاحرار الى اجتماع وابلغتهم بأن احتمال القيام بالثورة مفتوحا للنجاح ولم يكن من رأيى اعدام الملك فقد كنت أحس أن اراقة الدماء تؤدى الى مزيد من الدماء .. وكنت اريد للثورة أن تضع المقاييس التى ستحاسب دائما بها .

فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة .

وقال مورجان : ـ

● **كيف بدا العمل الجدى فى تنظيم الخلايا الثورية ؟**

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ كنا بحاجة الى شيء يجعلنا جميعا ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية ـ فاعطانا الانجليز ما نحتاج اليه ـ ففى عام ١٩٤٢ كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط وكانت الحرب تمر فى الصحراء الغربية فى مرحلة حيوية ـ وكان البريطانيون مصممين على أن تقوم فى مصر حكومة تؤازرهم مؤازرة ايجابية وذهب السفير البريطانى ـ السير مايلز لامبسون ـ ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية وسلم الملك انذارا يخيره بين اسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس مع اعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخلع ـ وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط ..

كان ذلك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان أبدا ـ وكنت يومئذ فى العلمين حين جاءنى هذا النبأ ـ وما زلت أذكر انفعالى الشديد ـ وقد كتبت فى تلك الليلة الى صديق اقول :

ترى ماذا نحن فاعلون بعد هذا الحادث التعيس الذى تقبلناه بتسليم قوامه الخنوع والمهانة ، الحقيقة هى أن الاستعمار ليست لديه الا وسيلة واحدة يرهبنا بها ـ ولكن يوم يدرك الاستعمار أن المصريين مستعدون للتضحية بأنفسهم فانه سيتراجع كالجعجاع الجبان .

ان حوادث ٤ فبراير قد الحقت العار بمصر ـ لكنها رغم ذلك الهمتنا بروح جديدة ـ فقد ايقظت هذه الحوادث أناسا كثيرين من سباتهم وعلمتهم ان هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الانسان بأى ثمن .

وبالنسبة لى ـ كان عام ١٩٤٥ أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب ـ فقد شهد العام بداية حركة الضباط الأحرار ـ تلك الحركة التى اشعلت فيما بعد شعلة الحرب فى مصر ، ومع ذلك فقد كان ينتظرنا حادث آخر ليتحول استياؤنا وسخطنا المتزايد الى خطة ملموسة للثورة .

وقد ركزت حتى سنة ١٩٤٨ على تأليف **نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور فى مصر مبلغ استيائى** ـ والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافى للاقدام على التغيير اللازم ـ وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول ان نخرج مثلنا العليا العامة فى هدف مشترك وفى خطة مشتركة ـ وكانت بى رغبة عارمة للمعرفة ـ فأقبلت على الاطلاع بفهم والتهمت كتب المفكرين من امثال : لاسكى ونهرو ، بل وانيورين بيفان ، وبدات أفكار الاشتراكية تتكون شيئا فشيئا .

● ثم اثار دافيد وين مورجان تدافع الموج الشورى فى مصر خصوصا مع سنة ١٩٤٨ باحداثها الخطيرة فى فلسطين :

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ فى مايو ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فسطين وأحسسنا

جميعا بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما أعتبرناه انتهاكا صارخا لا للعدالة الدولية وحدها ، ولكن للكرامة الانسانية كذلك .

وفى دمشق كان يجرى تأليف فرقة من المتطوعين ، فذهبت الى مفتى القدس الذى كان لاجئا يقيم فى مصر الجديدة وعرضت عليه خدماتى وخدمات جماعتى الصغيرة كمدربين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معها — فأجابنى المفتى بأنه لا يستطيع ان يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية — وبعد بضعة أيام رفض العرض .

تضايقت — فقد كان هذا يتيح الفرصة امام الضباط المصريين الشبان ليثبتوا قدرتهم على العمل ، وتقدمت بطلب اجازة حتى اتمكن من الانضمام الى المتطوعين — لكن قبل ان يبت فى طلبى امرت الحكومة المصرية الجيش رسميا بالاشتراك فى الحرب .

وكان القرار الذى اتخذته الحكومة هو القرار الصائب — لكن الطريقة التى نفذ بها القرار كانت كارثة .

لم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية وكان عمل القيادة على اعلى مستوى فى حكم المعدوم — وتبين أن اسلحتنا فى كثير من الحالات أسلحة فاسدة — وفى أوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستحمام فى غزة للملك فاروق .

وقد بدا أن القيادة العليا كانت مهمتها شيئا واحدا هو احتلال أوسع رقعة ممكنة من الأرض بغض النظر عن قيمتها الاستراتيجية — وبغض النظر عما اذا كانت تضعف مركزنا خلال المعركة أم لا — وقد كنت شديد الاستياء من ضباط « الفوتيلات » أو محاربى المكاتب الذين لم تكن لديهم فكرة عن ميدان القتال أو عن آلام المقاتلين .

وجاءت القطرة الاخيرة التى طفح بعدها الكيل ، حين صدرت الأوامر الى بأن أقود قوة من كتيبة المشاة السادسة الى عراق

مسـويدان التى كان الاسرائيليون يهاجمونها ـ وقبـل ان ابدأ فى التحرك نشرت تحركاتنا كاملة فى صحف القاهرة ـ ثم كان حصار الفالوجا الذى عشت معاركه حيث ظلت القوات المصرية تقاوم رغم ان القوات الاسرائيلية كانت تفوقها كثيرا من ناحية العدد حتى انتهت الحرب بالهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة .

وقد قتل القائمقام احمد عبد العزيز الذى كان قائدا للمتطوعين أثناء هذه الحملة حين هوجمت سيارته وهو فى طريقه الى اجتماع القدس ـ وكان احمد عبد العزيز يقول دائما : ان المعركة الحقيقية فى مصر .

كذلك اوشكت أنا ايضا ان اقتل فى الحرب . فقـد جرحت مرتين وفى المرة الثانية مرت الرصـاصة بما لا يزيد عن خمسـة سنتيمترات تحت قلبى ، وبينما كنت طريح الفراش فى المستشفى كانت افكار كثيرة وتأملات تمر فى خواطرى .

● وقال دافيد مورجان : يبدو أن الحوادث اسرعت كثيرا بعد حرب فلسطين ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر : ـ

ـ لقد اتضح لى عندئذ ان المعركة الحقيقيـة هى بالفعل فى مصر ، فبينما كنت ورفاقى نحارب فى فلسطين كان السياسيون المصريون يكدسـون الأموال فى ارباح الأسـلحة الفاسـدة التى اشتروها رخيصة وباعوها للجيش ، ولقد كان من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على ـ فكان الملك فاروق هو هدفنـا الأول من نهاية ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ .

واقمنا تنظيما ونسقنا نشاطنا ببطء ونشبت فى منطقة القنال حرب عصابات لتدمير المنشآت البريطانية ـ وكنت أعلم أن عدم قيامنا بأية محاولة كبرى للاستيلاء على السلطة قبل أن نستعد تماما امر حيوى بالنسبة لنا ـ وكان فى نيتى أن نحاول القيـام

بثورتنا فى ١٩٥٥ ـ لكن الحوادث أملت علينا قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير .

وازاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية ١٩٥٢ كانت هناك فكرة ترى ان الحل الوحيد هو اغتيال اقطاب النظام القديم وبدانا باللواء سرى عامر ـ وهو احد قواد الجيش الذين تورطوا تورطا خطيرا فى خدمة مصالح القصر ـ ومع أن ميولى الطبيعية كلها كانت معارضة لهذه السياسة . فقد اخذت على عاتقى مسئولية اول محاولة .

وكانت ليلة لا تنسى ـ فقد اختبات أنا وزملائى الذين اخترتهم ليقوموا بالمحاولة معى تحت اسوار الشجيرات المحيطة بفيللا اللواء ، وحين خرج من سياته اطلق النار عليه اثنان من زملائنا كانا على استعداد بالمدافع الرشاشة ـ ولما جرينا لنلتمس الهرب لاحقنا عويل سيدة يمزق القلب وصرخات مذعورة .

ولم اذق للنوم طعما فى تلك الليلة ـ فقد كنت أفكر فيما فعلته وانى لأذكر انى صليت راجيا الا يموت ـ وغمرتنى روح الارتياح عندما قرأت فى صحف الصباح انه لم يصب حتى برصاصة واحدة وكانت هذه هى محاولة الاغتيال الأولى والأخيرة التى قمت بها وقد وافقنى الجميع على العدول عن هذا الاتجاه وصرف الجهود الى تغيير ثورى ايجابى .

واشتد التوتر درجة درجة ، حتى بلغ قمته ـ وهنا بدات معركة التعبئة الثورية ـ وبدانا نوالى اصدار منشورات « الضباط الاحرار » وكنا نطبعها ونوزعها سرا .

وكانت الاحداث تتطور بسرعة ولا نملك السيطرة عليها ، كان السياسيون يتراشقون بالاتهامات ـ وبدأت الجماهير تعبر عن غضبها وسخطها علنا ـ وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حدثت ماساة حريق القاهرة ـ ولم تتخذ السلطات اى اجراء ـ النحاس رئيس الوزراء

لزم داره فى جاردن سيتى ، وظل فاروق فى قصر عابدين لا يحرك ساكنا ـ ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول الا فى العصر بعد أن دمرت النار اربعمائة مبنى انزلت بها خسائر فادحة ـ وتركت ١٢٠٠٠ شخص بلا مأوى ، وقد بلغت الخسائر ٢٣ مليون جنيه.

ومن الصعب تحديد من يستحق اللوم فى هذه المأساة ـ فقد بدأ اليوم بمظاهرة عنيفة قامت بها بعض الجماعات المتطرفة ـ لكن السخط الجماهيرى سيطر عليها بعد ذلك فخرج الزمام من يد اى تنظيم وكان تردد الحكومة هو المسئول عن تدمير المدينة وتدهورت الأمور من سيء الى اسوأ فتألفت وزارتان ثم خرجتا من الحكم ولم يبد على الملك ما يدل على استعداده لايجاد حل للموقف ـ وهكذا وجدنا انفسنا فى وضع المعارضة الصريحة له ..

وتحدث الزعيم بعد ذلك عن المشاكل التى واجهت تنظيم الضباط الاحرار عند قيام الثورة ، وخطة ليلة ٢٣ يوليو ، وكيف تم اعتقال عدد من قادة الجيش .. ثم مشكلة التصرف فى الملك .. الذى كان يرى البعض محاكمته او اعدامه ، « وكنت لا ازال على تصميمى أن تكون الثورة بيضاء ما امكن وقد كنت أرى اخراج الملك من البلاد على وجه السرعة » .

وبعد ان تحدث عن توقيع الملك فاروق على وثيقة التنازل عن العرش ، وكانت آخر كلمات الملك وهو يرحل .. لقد كنت استعد لافعل بكم ما فعلتم بى . »

بعد ذلك سأله دافيد وين مورجان .

● لقد تابعت الحوادث حتى قامت الثورة ونجحت ماذا حدث بعد ذلك .. وعندما بدأتم ممارسة الحكم ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

ـ نجحت الثورة ولكننا لم نكن راغبين فى الحكم مطلقا لا انا ولا زملائى من الضباط الاحرار ، كنا مصممين على محو كل اثر

للسيطرة الاجنبية وعلى اجراء اصلاح زراعى حاسم لانهاء النظام الاقطاعى الذى اختفى من قبل فى أوربا منذ ثلاثمائة عام وكنت أريد أن يضطلع بالمسئولية حزب يمكن أن يؤتمن زعماؤه على العمل فى الحدود التى تلهمها روح الثورة .

وفى بداية الأمر صفقت كل الاحزاب وهللت وتصور كل من الوفد ، والاخوان المسلمين والشيوعيين أن الثورة لهم ، فقد كانوا يحسبون أن من اليسير عليهم تشكيل جماعة من شباب الجيش المتحمسين بما يتفق مع منهجهم - ولكنهم عجزوا عن ادراك ما يكمن وراء الثورة من قوة فى الهدف .

وتحدثت مع زعماء كل الأحزاب لكنى لم أجد بينهم من كان على استعداد لتقديم صالح الشعب على صالح حزبه ، بل لقد ذهبت الى اكثر من هذا ، فعرضت على حزب الوفد أن أنقل اليه السلطة بشرط أن يضمن جلاء البريطانيين عن منطقة القنال ، وأن يطبق الاصلاح الزراعى الذى يحدد حيازة الملكية الزراعية بمائتى فدان للشخص الواحد ولكنهم رفضوا وظلوا يدوروا حول الفكر ويبعدوا عنها ..

وهكذا حملنا المسئولية على عاتقنا والأسف يملأ قلوبنا ، ولقد كان عملى يسيطر على حياتى فقلما وجدت الوقت لشىء آخر غير العمل ..

وقال دافيد مورجان :

● لابد ان تجربة مسئولية الحكم كانت امرا جديدا بالنسبة لعملكم السابق ؟

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

- صحيح .. وسرعان ما اكتشفت أن حكم بلد من البلاد يختلف اختلافا عظيما عن قيادة كتيبة من الجنود ومع ذلك ، فقد كانت هناك وجوه مشتركة بينهما فقد عرفت فى مرحلة باكرة جدا

ضرورة التخطيط ، **فالاصلاحات التى أردنا ادخالها كان لا بد من تنفيذها على اساس الخطة الطويلة الأجل** ، ولقد شغل التخطيط بالى فى هذه المرحلة ورحت أتحدث عنه مع كل من تتيح لى الظروف فرصة أن التقى به ، وتكون لديهم فكرة عنه او تجربته .. وانى أذكر أن موضوع التخطيط كان أول حديث طويل بين البانديت نهرو وبينى ..

واثناء زيارة من زياراته للقاهرة ركبنا يختا فى النيل واخذنا نتناقش لمدة ٥ ساعات حول تجاربه الخاصة بالتخطيط فى الهند .

ولم أكن استطيع ان أعتبر نفسى خبيرا كما انه لم يكن تحت تصرفنا الا عدد محدود من الخبراء ولا سيما فى المجال الاقتصادى، وهو مجال ذو أهمية حيوية ، فالخبراء رغم كل شيء قد يكونون فى بعض الأحيان عبئا ، أكثر منهم عاملا مساعدا ، وقد يكونون متحجرين فيما ألفوه من اساليب ، ولهذا فانى افضل المفكرين على الخبراء ، ان التفكير يجب أن يرسم الاطار العام للحركة أولا ثم يجيء دور الخبرة فى خدمة الاطار العام .

❋ ❋ ❋

ان هذا الحديث الهام يكشف بوضوح عدة نقاط هامة فى مجال هذه الدراسة :

- **تنظيم الضباط الاحرار كان وليد « استياء وسخط متزايد » على الاستعمار .. زاده الفساد فى الداخل اشتعالا بعد ذلك وان فكرة الثورة رسخت فى ذهن القائد بعد نشوب الحرب العالميـة الثانيـة واحتـكاكه احتـكاكا حقيقيا بجنود الجيش الانجليزى المحتل .**
- **ان القائد كان يهتم بقضية الجـلاء والاستقلال والتحرر الوطنى منذ صباه ، ولكنه كان يطل أيضا على الفـكر الاشتراكى فقد اقبل على قراءة كتب ماركس ولينين ولاسكى وبيفـان ونهرو بنهم وبدات افكاره الاشتراكية تتكون شيئا فشيئا .**

● ان الثورة كانت تهدف فى البداية الى ان تطور الاحزاب نفسها لتتولى بسلطة الحكم وتقـوم هى بالتغيير ، وهو ما عبرت عنـه صراحة قرارات تطهير الاحزاب ، ومحاولة اعادة تشكيلها فى الداخل . ولكن الثورة ((لم تجد عند الاحزاب اى استعداد لتقديم صالح الشعب على صالحها))

● شغل التخطيط بال القائد ، وبدأ يفضل أن يلتقى بالمفكرين على الخبراء ، فالتفـكير يجب أن يرسم الاطار العـام للحـركة ، والاصلاحات يجب ان تنفذ على مراحل ..

وهكذا كانت البداية التى انتهت بفكر تبلور فى ميثاق العمل الوطنى الناصرى ، وبرنامج ٣٠ مارس وغيرهما من أحاديث المعلم القـائد ولقاءاته .. وخطبـه .. والتى شق التطبيق طريقه على اساسها .

* * *

مفهوم التحرر عند عبد الناصر كان مع ذلك ابعد من أن يرتبط بتحرير مصر وحدها ، فمنذ ساعة مبكرة ادرك ان قضية التحرير للوطن العربى كل لا يتجزأ .. وان ما يحدث فى مصر ، هو جزء من مخطط استعمارى استهدف الامة العربية كلها وانه كان عليه بمثل ما طاف على الأحزاب السياسية فى مصر ، يتلمس فى واحد منها الخـلاص من الاحتلال ان يقوم بنفس الجولة يلتمس ايضا الخلاص من الاحتلال الذى يدبر لفلسطين فى وقت مبكر وهو ما اشار اليه فى حديثه مع مورجان ولكنه كان قد وضحه تفصيلا من قبل :

« فأذكر يوما عقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ عقد فيه الضباط الاحرار اجتماعا واستقر رايهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين ، وذهبت فى اليوم التالى اطرق باب بيت الحاج امين الحسينى مفتى فلسطين وكان ما يزال يعيش فى الزيتون واقول له :

« انكم فى حاجة الى ضباط يقودون المعارك ويدربون المتطوعين وفى الجيش المصرى عدد كبير من الضباط يريدون أن يتطوعوا ، وهم تحت أمرك فى اى وقت تشاء » .

« قال لى الحاج امين الحسينى انه سعيد بهـــذه الروح ، ولكنه يرى ان يستأذن الحكومة المصرية قبل أن يقول شيئا » .

« ثم قال لى الحاج أمين :

« سوف أعطيك ردى بعد استئذان الحكومة »

« وعدت اليه بعد أيام وكان رده . الرد الذى حصل عليه من الحكومة « وهو الرفض »

« ولم نسكت (١) »

* * *

وعندما يناقش عبد الناصر بعد ذلك (٢) أسباب فشل ثورة سـنة ١٩١٩ يضـع من بين الأسـباب التى ادت الى الفشل اغفـالها للمنطقة العربية التي تحيط بها ، وما يجرى فيها .

« فالقيادات الثورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء ، وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية ، ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية ، وبين القومية العربية .

« لقد فشلت هذه القيادات فى أن تتعلم من التاريخ ، وفشلت أيضا فى أن تتعلم من عدوها الذى تحاربه ، والذى كان يعامل الأمة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد .

« ومن هنا فان قيادات الثورة لم تنتبه الى خطورة وعد بلفور الذى انشأ اسرائيل لتكون فاصلا يمزق امتداد الارض العربيـة وقاعدة لتهديدها .

---

(١) فلسفة الثـــورة

(٢) الميثـــاق .

« وبهذا الفشل فان النضال العربى فى ساعة من أخطر ساعات الازمة حرم من الطاقة الثورية المصرية ، وتمكنت القوى الاستعمارية من ان تتعامل مع امة عربية ممزقة الأوصال مشتته الجهد .. »

اذن ففكر عبد الناصر منذ البداية كان يربط دائما بين مخططات الاستعمار التى تهدف لفرض السيطرة على المنطقة العربية كلها .

* * *

وكانت قمة نضوج فلسفة عبد الناصر هي صياغتها وبلورتها فى دليل عمل ، هو الميثاق الناصرى والسؤال هو :

« على اى اساس قدمت هذا الميثاق ..؟ على اساس احساساتى ، وما لمسته فى العشر سنين الى فاتت ، وحطيت فيه الآراء اللى اعتقد أنها تحل بعض المشاكل أو التناقضات » (١)

والفلسفة الناصرية لا تنظر الى النظريات السابقة عليها على انها خطأ .. كما انها لا تعترض طريقها ، ولا تأخذ بها كلها ولا ترفضها كلها فى نفس الوقت .

« فالتجربة الوطنية لا تفترض مقدما تخطئة جميع النظريات السابقة عليها أو تقطع برفض الحلول التى توصل اليها غيرها فان ذلك تعصب لا نقدر أن نتحمل تبعاته ، خصوصا وان ارادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئولياتها ، تجتاز فترة أشبه بالمراهقة الفكرية تحتاج خلالها الى كل زاد فكرى ، لكنها فى حاجة الى أن تهضم كل زاد تحصل عليه وان تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية .. انها تحتاج الى معرفة ما يجرى من حولها .. لكن حاجتها الكبرى هى الى ممارسة الحياة على ارضها (٢) » .

---

(١) حديث الرئيس للمؤتمر الوطنى ٢٦ مايو ١٩٦٢ .
(٢) الميثاق .

ان منهج عبد النـــاصر لا يقف فى وجه التيـارات الفكرية الانسانية ولا يرفضها مسبقا ، ولا يسلم بعدم صحة كل ما توصل اليه الاخرون من نتائج ، فنضال الشعوب « غير مطالب بأن يخترع مفاهيم جديدة لأهدافه الكبرى (١) »

« والتسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتمـاعى ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء عن التجربة الوطنية .. ان الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب لا يمكن استيرادها من تجارب شعب غيره (٢) »

« ومن ثم فان التجربة الثورية العربية لا تستطيع أن تنقل ما توصل اليه غيرها .. »

ولكن ..

« ليس معنى ذلك أن النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بأن يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه أنه مطالب اليوم بأن يجد الاساليب المسايرة لاتجاه التطور العـام والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة (٣) »

وفى نفس الوقت « ليس عليه أن يلتزم التزاما حرفيا بقوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر »

ومن هنا فقد كان فكر عبد الناصر ملتقيا مع بعض الافكار التى سبقته ، وكان مختلفا عنها فى نفس الوقت ..

فبينما يلتقى فكر عبـد النـاصر مثلا مع الماركسية فى تحليل التاريخ على أساس ملكية وسائل الانتاج وأن النظام الموجود هو الذى يحمل من التناقضات ما يفرض ضرورة التطور الاجتماعى ، وأن التطـور الاجتماعى تحكمه قوانين موضـوعية ، وأن الطريق

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) الميثاق ■

للديمقراطية يبـدأ بتحرير خبز الفرد .. ويلتقى مع الماركسية فى أفكاره حول صراع الطبقات وغير ذلك .. فانه يضيف الى هـذا الفكر من رؤيته ومن واقع المجتمع أفكارا جديدة كفكرة التحالف بين قوى الشعب العاملة والتحول الاشتراكى الذى يمكن ان يحققه تحالف قوى الشعب العاملة وتلعب البرجوازية الصغيرة فيه دورا هاما .. ورؤيته فى الحفاظ على الملكية الفردية والخاصة ، وبنـاء الاشتراكية العلمية فى ظل الايمان بالأديان السماوية .. وغيرها ..

وكما قلت سلفا بانه لا يمكن فصل اى فلسفة او فكر ، او منهج للعمل عن تطبيقه ، والا كان عملا تجريديا .. ولم يكن كذلك فكر عبد الناصر .. فقد كان التطبيق هو الذى يثرى الفكر .. والفكر هو المنبع للتطبيق ، فكان ما يدور فى المجتمع هو تفـــاعل سلبا وايجابا بين الفكر والتطبيق ..

ورغم ان مجتمعنـــا لم يصـــل الى استكمال مرحلة التحول الاشتراكى التى بدات بقوانين يوليو ١٩٦١ ، الا أن ما تم تنفيذه بسرعة وبمعدلات عالية فى هذا الزمن الوجيز الذى غير فيه شكل المجتمع العربى فى مصر ، وامتدت آثار التغير الى بعض المنـاطق العربية وبعض دول آسيا وافريقيا كنتائج مباشرة لهذا الفكر ، هذا وحده دلالة واضحة على أن المسيرة كانت تأخذ طريقها فى ظل ظروف متعددة واجهتها وحاولت اجهاضها والتأثير على مسيرتها فى التطبيق سواء من قوى الرجعية المتآمرة فى الداخل ، او من قوى الاستعمار والامبريالية فى الخارج التى بلغت ذروة تربصها فى ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما حملت السلاح فى وجه هذه التجربة مكرسة كل جهودها ، وأجهزتها للقضاء عليها .

على أن فكر عبد الناصر لم يكن يمر فى مجتمعنا كالسكين فى الزبد ، بل كان يمر من خـلال مقاومات ومعـوقات ، ابرزها وجود بقايا القوى القديمة التقليدية ، التى آثر الفكر الناصرى أن يتركها

ويمنحها حرية الحركة بعد أن جردها من سلاحها وهو المال ، مع انه ـ عبد الناصر ـ كان ينبه دائما الى وجود حزب رجعى غير معلن نشيط ومتحرك ومع ذلك فانه آثر أن تكون الثورة بيضاء وأن يعبر على هذه القوى بطريقة سلمية نحو التحول الذى ينشده للمجتمع .

* * *

ولا شك ان وجود القائد والمعلم ، ومسيرته بالثورة مع الجماهير كان يمكن أن يعطي للتجربة أعماقا وابعادا جديدة ، لانه رغم اكتمال خط التغيير الثورى ونموه فكرا ..

فقد كان القائد يعلن دائما ان الثورة مستمرة ، وان ارادة التغيير مستمر ، ولكن التاريخ لم يسمح أبدا لعظمائه ولصانعى المبادىء أن يكملوها ، ويرون آثارها الكاملة فى التطبيق ، ليس فقط لأن وجودهم فى حد ذاته كان يمكن أن يعطى اضافات لا نهاية لها ، يمنحونها من فكرهم المتجدد ورؤيتهم البعيدة المدى ، ولكن أيضا لأن القدر لم يمهلهم حتى يكملوا تطبيق ما فكروا فيه ، ويجنوا ثماره ..

ولكن عبد الناصر على كل حال لم يترك تجربته ورؤيته الفكرية غير كاملة ولا غير ناضجة ، بل ان هذه الرؤيا امتدت لتخرج من بلادنا تحمل اسم صانعها الى كثير من الدول النامية ، ودول العالم الثالث ، واصبحت منهاجا أمام الباحثين والدارسين والمناضلين فى جميع انحاء العالم ، وأسلوبا للحياة ترتضيه شعوبا عديدة من العالم لانه يحقق آمانيها وآمالها فى التقدم

ولقد احدث هذا الأسلوب تأثيرات عدلت على اساسها كثير من الأفكار والآراء التى سبقته ، وثبت من خلال تجربة عبد الناصر وفكرها ، خطوها ، أو أن هناك طرقا اخرى يمكن ان تؤدى الى نفس المعنى ولكنها أكثر ملاءمة لبعض الشعوب .

ومن اجل ذلك كله رفعت الشعوب العربية ، وكثير من شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية شعارا جديدا اسمه الناصرية .. وهو مجموعة المبادىء والقيم والاسس التى صاغها جمال عبد الناصر بفكره ، لتكون طريقا لتقدم المجتمع ، وصيغه ملائمة لتطوره ، ومنهاجا ـ يصفه بعض المفكرين بانه نظرية ـ كاملا لحركة ثورية نقلت المجتمع العربى فى مصر من القرن التاسع عشر ، ووضعته على ابواب القرن العشرين ..



الحرية فى فكر عبد الناصر .. هي حرية الوطن والمواطن ..

وقد يكون من قبيل الفصل التعسفي أن نعرس كل منهما علي حدة ، فالناصرية ترى أنه لا حرية للوطن بدون تحرير المواطنين ، ولا حرية للمواطنين فى ظل وطن مستعبد ..

« فشعوبنا لا تصنع بالاستقلال علما ونشيدا ، وصوتا فى عداد الأصوات فى الأمم المتحدة ولكنها تريد الى جانب ذلك أن يكون للاستقلال مضمونا اجتماعيا يصون كرامة البشر ، كما يصـــون الاستقلال كرامة أرضهم » (١) .

والشعوب فى فكر عبد الناصر لا تستخلص حريتها من قبضـــة الغاصب لتضعها فى متحف التاريخ ، ولكنها تستخلص هذه الحرية لكى تمارسها ، وتحس بها واقعا فى حياتها ، وهذا لا يتأكد الا بتحرير لقمة الخبز ، وبتحرير الانسان من كل أنواع السيطرة والضغوط الداخلية والخارجية ..

تحرير الأرض من ســيطرة الاستعمار وضغوطه ، وتحرير المواطن من سيطرة الاقطاع وتحكم رأس المال ..

وتحرير الوطن من سيطرة الاستعمار ، لا يتحقق الا بالاستقلال التام ، واتباع سياسة بعيدة عن الدخول فى الأحلاف ، ومنـاطق النفوذ .

---

(١) مؤتمر القمة الافريقى ١٧ يوليو ١٩٦٤ م

وتحرير المواطن من سيطرة راس المال والاقطاع لا يتحقق الا بالتطبيق الاشتراكى الذى يسيطر فيه الشعب على مقـــدراته الاقتصادية ..

تحرير الوطن والمواطن طريقهما الاستقلال .. والاشتراكية .. عند ذلك تكون هناك حرية حقيقية لجميع الذين يعيشون على أرض الوطن ، ويستظلون تحت سمائه ..

اذن فالقضية واحدة .. قضية الحـرية .. والاشتراكية ، والحرية هنـا لا تعنى فقط حق المواطن فى أن يخطب ، ويجتمـع ، ويسـكن ، وينتقل ، ويتعلم ، ولكنهـا اساسا حقه فى أن يعيش مسـتقلا ، وحقـه فى نصيب عادل من ثروة بلاده .. ومن هذين الحقين تنبع وتتأكد الحقوق الاخرى بطريقة سليمة وفعالة .

هذا التلازم بين الحرية ، والاشتراكية بدأ فى فكر عبد الناصر قبل قيام الثورة ، وتبلور تماما بعد عام ١٩٦١ ، ففى البداية كانت المؤشرات التى لديه هى الاستقلال ، والقضاء على الفساد والانحراف وحول الاستقلال ، كانت المعارك الاولى لعبد الناصر ولثورته ..

* * *

قضية الجلاء ، وطرد الاستعمار هى البند الاول من المبادىء الستة التى أعلنتها الثورة ، وقد كان هذا طبيعيا فمصر منذ الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ وثورة الكفاح لدى الشعب لم تخمد ابدا .. ربما هدأت بعض الأوقات ، ولكنه كان هدوءا على السطح فقط .

واذا تتبعنا أحاديث وخطب عبد الناصر فى تلك الفترة من فجر الثـورة ، وبالذات فى أعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ نجـد أن القضـاء على الإستعمار كان هو القضية الوحيدة التى تلح عليه ، والتى كان ينفرد بالحديث عنها وحدها .. ففى أول خطاب عام للزعيم الراحل هندما وقف يتحدث أمام الطلاب لأول مرة فى الجامعة ، كان حديثه

عن الاستعمار البريطانى لمصر .. وتوالت بعد ذلك خطاباته فى محافظات مختلفة ، وكلها كانت تركز على تحرير الوطن كشىء جوهرى ، ومطلب ناضل المصريون طويلا من أجله .. ولذلك فان القضية الأولى كانت فى رايه هى قضية **تحرير ارض مصر .. وهو واجب أبنساء مصر كلهم .. الذين يمكن بوحدتهم الوطنيسة** ، على اختلاف انتماءاتهم ان يتجمعوا حولها ، وأن تتوحد نظرتهم اليها ، حتى ولو كانت هذه النظرة من مواقع مختلفة ، الا ان أحدا لم يكن يختلف حول ضرورة تحقيق استقلال البلاد ، وطرد المستعمر بعد أكثر من ٧٠ عاما من الاحتلال الا الذين اتخذت الثورة موقفا منهم فى البداية وأبعدتهم عن السياسة لارتباطهم المباشر بالاستعمار ..

ولقد خلف واقع المجتمع المصرى ، وتجربته ، ومعاناته فى فكر عبد الناصر عقيدة راسخة ، هى كراهيته للاستعمار ومحاربته للاحلاف ، وقد امتدت هذه العقيدة بعد ذلك الى معاداة الاستعمار ليس على أرض مصر ، ولكن على كل أرض تدنسها أقدام أجنبى يغزوها ، ويحتكر خيراتها ، ويستذل شعبها ، **وأصبحت الناصرية** تساوى معاداة الاستعمار فى كل مكان ، والوقوف بجانب الشعوب **التي تريد ان تتحرر ، وتلفظ الأجنبى الدخيل ..**

موقف واحد .. ضد الاستعمار ، فى مصر .. وفى كل وطن عربى .. هو نفس الموقف ضد الاستعمار فى أفريقيا وفى آسيا وفى امريكا اللاتينية .

موقف أعلنه عبد الناصر صراحة ، وصاغه فى مواثيقه الثورية المختلفة .. وكرره فى كل مناسبة .. ثم راح بعد ذلك يؤكد الموقف تطبيقا عمليا بمناصرة قضايا الشعوب .. والسلام فى كل مكان من العالم الى حد أن حمل شعبنا السلاح دفاعا عن الحرية فى بلاد أخرى .. وذهب خبراؤنا العسكريون يعطون خبرتهم للمناضلين من أجل التحرير فى أماكن متفرقة .

وفي حياة عبد الناصر تحررت بلدان عديدة من افريقيا .. فبعد ثورة ١٩٥٢ تغيرت خريطة افريقيا ، وانحسرت عنها قوى الاستعمار الى حد كبير ..

ولأن عبد الناصر رفض الاستعمار ، وقاومه .. **فقد اتخذ الحياد الايجابي موقفا ليس لشعبنا فقط ، بل اصبح أحد الخطوط البارزة فى الفكر الناصرى** ، فى مجال العلاقات الخارجية والتعاون الدولى .. ذلك الموقف الذى عبر عنه أكثر من مرة بأننا نسالم من يسالمنا ونعادى من يعادينا ..

****

من اهم الوثائق فى دراسة الفكر الناصرى ، هو اول خطاب عام ألقاه جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، لأنه يعكس بوضوح فكر القائد حول الثورة (١) وانها قامت لتقضى على الاستعمار أولا ..

وفى هذا الخطاب تحدث الزعيم الى شباب الجامعة فى ذكرى شهداء الجامعة .. الشهداء الذين سقطوا فى معارك التحرير وقال بالنص :

اخـواني :

لقد كان شباب الجامعة دائما فى مقدمة الذين رفعوا علم النضال والكفاح ضد الظلم والاستعمار وقد كنت طالبا بالمدارس الثانوية اجعل خطاى تسير مع خطى الجامعة ، فأصابتنى فى مثل هذا اليوم من سبعة عشر عاما أثناء اشتراكى فى المظاهرات ضد الاحتلال ، ما أصاب الكثيرين من المكافحين فى سبيل استقلال البلاد وتحريرها .

---

(١) جامعة القاهرة ١٥ نوفمبر ١٩٥٢ م

وقد تركت اصابتى أثرا عزيزا لا يزال يعلو وجهى ، فيذكرنى كل يوم بالواجب الوطنى الملقى على كاهلى كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز .

وفى هذا اليوم وقع صريع الظلم والاحتلال المرحوم محمد عبد المجيد مرسى ، فانسانى ما أنا مصاب به ، **ورسخ فى نفسى ان على واجبا أفنى فى سبيله** ، أو أكون أحد العاملين على تحقيقه حتى يتحقق ، **وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار وتحقيق سيادة الشعب** . وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى . فازداد ايمانى بالعمل على تحقيق حرية مصر .

وأنا اذ أقف بينكم اليوم بعد سبعة عشر عاما لاحيى ذكرى الشهداء فان الحق يقضى على بأن أقول : هنا وفى هذا المكان نبتت **هذه الثورة التى تهدف الى القضاء على الاستعمار وأعوانه وتحقيق الاستقلال التام للبلاد** .

وأن أقل ما يعمل لتخليد ذكرى الشهداء هو أن يقام على قاعدة هذا التمثال رمز لهؤلاء الذين بذلوا أرواحهم فداء لوطنهم . أما التخليد الحقيقى لذكراهم فهو أن نحقق ما ناضلوا من أجله ، وضحوا فى سبيله بأرواحهم ، وانى أعاهدكم فى هذا المكان أن نعمل مخلصين على ذلك .

وانى لا أود أن أغادر هذا المكان قبل أن أقول لكم ان حركة الجيش ما قامت الا لتحرير الوطن واعادة الحياة الدستورية السليمة للبلاد . وأن كل هدفنا هو أن نوفر للشعب حرية كاملة لا يمكن سلبها .

لقد حمل ابناء هذه الجامعة دائما مشعل الحرية ، وسيظلون باذن الله يحملون هذا المشعل ، وان أملنا فيكم لعظيم ، **وما الجيش** الا جزء منكم ، **فلنتعاون جميعا حتى نحقق للوطن ما استشهد فى** سبيله هؤلاء الأبرار والله ولى التوفيق . »

والخطاب الثانى للزعيم يعتبر وثيقة تاريخية ايضـا ، لا لأنه حدد أول الأهداف الأساسية بأنه القضـاء على الاستعمار فقط ، ولكن لأنه تعرض للخلفية التاريخية لثورات الشعب المصرى ضـد الغزو البريطاني منذ البداية . وهى نفس الخلفية التى صاغها فى الميثاق بعد ذلك بعشر سنوات ..

وفى هذا الخطاب يحدد الرئيس هدف الثورة بأنه **تحرير مصر ولابد من جلاء قوات الاحتلال** .. ويقرر ان الاحتلال ــ متعاونا مع الأسرة الحاكمة ــ هو سبب الفساد .. والانقسام .. والفرقة بين ابناء الشعب ، وهو فى نفس الوقت السبب الرئيسى فى التخلف ..

ويحلل بوضوح قاطع أن السبب الاساسى الذى قامت من أجله الثورة ، هو تحرير الأرض .. فالثورة لها جذور قديمة مع بداية الاحتلال .. فقد ثار الشعب قبلها بزعامة عرابى ، وثار فى سنة ١٩١٩ وحدثت انتفاضات وطنية بعد ذلك فى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ــ ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وفى ٢٦ يناير ١٩٥٢ عندما هب الشعب ينادى بسقوط فاروق وحاشيته ونظامه ..

والنص الكامل لهذا الخطاب يؤكد رؤية عبد الناصر لتحرير الأرض كهدف رئيسى من اهداف ثورة ١٩٥٢ فهو يقول فى الخطاب بالنص :

((قد يحدد الناس تاريخ الثورة المصرية التى قام بها الجيش ممثلا للشعب باليوم الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .))

والواقع أن هذا التاريخ مجافاة للواقع لانه لم يكن الا آخـر مراحل الثورة ــ فى هذه الفترة ــ أما أولى مراحلها فسابقة لهـذا التاريخ عشرات السنين . انه اليـوم الحادى عشر من يوليـو سنة ١٨٨٢ ، اى قبل التاريخ الأخير بسبعين عاما واثنى عشر يوما **بالتحديد** .(١)

---

(١) ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ كتاب أهداف الثورة مطبوعات ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة سنة ١٩٥٣ .

ففى ۱۱ يوليو ۱۸۸۲ ضربت الاسكندرية الوادعة بمدافع العدوان البريطانى . ثم كان الاحتلال البغيض . واشتعلت مصر ثائرة . وخرج الجندى الفلاح احمد عرابى على رأس الأحرار من الضباط والجنود ليرد هذا العدوان الطاغى .

ولكن الثورة لم تحقق اهدافها . واكتفت بأن سجلت مولدها وكان لابد لها وقد بدأت طفلة ساذجة صغيرة من أن تصبر حتى تنمو مع الأيام ، حتى اذا اصبحت مكتملة قادرة على أن تقوم بعمل ما لم تتردد فى القيام به .

لقد حددت الثورة اهدافها منذ اليوم الأول لمولدها « **لابد من تحرير مصر .. لابد من جلاء قوات الاحتلال** » .

وكلما كانت الثورة تنمو ، كانت هذه الأهداف تزداد عمقا فى ضميرها ، وكلما كانت الأيام تمر ، كانت هذه الاغراض تشتد اتصالا بارادتها ، فما ان اقبلت سنة ۱۹۱۹ ، وكانت الحرب العظمى الاولى قد انتهت ، حتى هبت الثورة تطالب بتحقيق أهدافها . فصاحت « **الاستقلال التام او الموت الزؤام** » وكانت تعنى ما تقول . فبذلت فى سبيل فكرتها وهدفها دما زكيا وتضحية غالية وروحا سامية .

ولم تخف الثورة أمام رصاص المستعمرين ولا أمام أذنابهم من رخاص المصريين ولكنها مضت قدما لا تبالى بالخديعة والدس ، واذا كانت الثورة بطبعها طيبة القلب صادقة النية صدقت الخداع والخادعين ، وسكنت ، وأخذت تنتظر الوعود ، فاذا هذه الوعود سراب !!

واذا بالثورة العارمة التى ولدت لجلاء المستعمرين من أرض الوطن ترضى بدستور ۱۹۲۳ بديلا عن أهدافها الكبرى .

وثارت الثورة على نفسها ! ولكن المناورات الاستعمارية كانت قد كبلتها . فما كانت تستطيع الا أن تنتظر بعض الوقت حتى تفك قيودها .

واكتفت الثورة من وقتها بأن تنظر حواليها وهى تسخر ممن استغلوها واخذوا يتجرون بها ويتلاعبون باسمها .

كان كل من يريد أن يكسب لنفسه مجدا يعلن صلته بها . وكان كل من يريد أن يكسب لنفسه مركزا يباهى بأنه ابن الثورة وصانعها ومحركها ..

واصبحت الجماهير ضحية هذه المزايدات الوطنية وهذا اللون الجديد من ألوان الاستغلال السياسى والاتجار باسم الثـــورة ، بينما قبعت الثورة نفسها فى ركنها الهادىء ترقب هذا الصراع الجديد . وهذا الاستغلال لاسمها . وهى تسخر من جميع التجار والمستغلين لأنها تعلم أن فرصتها ستعود فتضرب ضربتها وتكشف بها مناورات هؤلاء جميعا وتمضى فى سبيل غايتها الأســاسية « **التحرير** » .

ويبدأ تجار السياسة يختلفون ويتفقون دون أن يكون لأهـداف الثورة دخل فيما يختلفون وفيما يتفقون .

ولكنها اغراض شخصية ومطامع وغايات وصراع على النفوذ . نفوذ الأفراد والأسر والاحزاب . ويتم كل ذلك باسم الثورة البريئة منهم وباسم الشعب المغلوب على أمره .

ثم تتطور الأمور فلا يعود هؤلاء السادة الحكام يكتفون بذلك انما يتعدونه الى ما هو اخطر فتعدوا على كل المقدسات فلا يصبح للسلطة القضائية أى كيان . وانما يصبح الامر فوضى فى يد الحكام والمتسابقين على النفوذ والجاه .. يوفرون لأنفسهم الوانا شتى من المتاع واللذة .

وكان الشعب المصرى المسكين يدفع ثمن هذا كله من عرقه وآلامه .. ودفع التسابق على الحكم هؤلاء الحكام الى أن ينسوا

كل ميزان للكرامة فاندفعوا يتملقون الملك وتسابقوا فى مضاعفة سلطانه وزيادة نفوذه حتى اصبح كل شيء .

وعرف هو فيهم هذا الضعف فاخذ يلعب بهم . ماداموا ينحنون أمام قامته العريضة .. فماذا يمنعه اذن من أن يطلب منهم مزيداً من الانحناء !!

وماداموا يفرطون فى حقوقهم وسلطاتهم ، فماذا يمنعه من أن يستهتر بهم جميعا .

وكانت القدوة القذرة التى يضربها الكبار تنفذ الى الصغار ، فيتسابقون بدورهم فى سبيل الحصول على المنافع الخاصة بالرشوة أو الملق أو الرياء أو أى وسيلة اخرى يمكن أن تحقق لهم هذه المنافع الخاصة .

فمن جانب عم الفساد كل شيء . ومن جانب آخر انقسمت البلاد الى طبقتين واضحتين . طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين .. واحست كل طبقة من الطبقتين بالثغرة المتسعة التى نشأت بينهما . فلاذت كل منهما بوسائل صناعية تحمى بها نفسها من الاخرى .

الى هذا الحد وصل الانقسام فى البلد الواحد والدولة الواحدة .

أما الطبقة الحاكمة فقد تكاتفت برئاسة فاروق وأخذت تحمى نفسها من الشعب بمختلف الوسائل . من فرق البوليس المدرعة الى البوليس السياسى ووسائل الجاسوسية الى القوانين التى تقيد طبقات الشعب فى سلاسل من حديد الى شراء الذمم والضمائر ..

وفئة أخرى تخصصت فى خداع الشعب لمصلحة فاروق ونظامه الى آخر تلك الأساليب البالية التى قصد منها حماية أفراد معينين من سخط الجماهير ..

أما الشعب .. بدأ يتنبه الى هذا الفساد ، وبدأ يحس أن القوم يدبرون له امرا خطيرا .. فبدأ يتكتل لمواجهة هذا التيار العاصف .. وبدأ ينتهز الفرص ليعبر عن سخطه بمختلف الوسائل التى يملكها ..

وسجل الشعب انتفاضات فى سنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٧ – ١٩٤٨ واخيرا فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ حينما هب ينادى بسقوط فاروق ورجال فاروق وحاشيته ونظامه .

وكان الجيش فى هذه الأثناء يتفاعل مع الشعب خطوة خطوة فكلما غلى المرجل فى نفوس الشعب ، غلى بدوره بين ضباط الجيش وجنوده لأن الجيش من الشعب وللشعب .. بيد أن الجيش كان يؤثر الانتظار حتى يستنفد الشعب خطوات كفاحه ، وحتى تصل الأمور الى غايتها من الفساد فيسهل بعد ذلك القضاء على الفساد .

وكان يعز على رجال الجيش وهم من الشعب أن يسود فى أوهام الحكام انهم احدى وسائل اخماد أفكار الشعب التحريرية الاصلاحية .

وأن يتسرب هذا الوهم من أذهان الحاكمين الى اذهان بعض المحكومين من طبقات الشعب الثائر . ولكنهم آثروا ايضا الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة فيضربوا ضربتهم القاضية .

وجاء يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ..

بعد سبعين عاما واثنى عشر يوما بالتحديد على مولد الثورة المصرية ..

وهب جيش مصر يباركه الشعب يضرب ضربته .. ولكن هل كان هدف الثورة هو التخلص من فاروق .. **انه هدف تصغر امامه فكرة الثورة .**

ولكن الثورة تهدف الى تغيير النظام لمصلحة الشعب . بعد أن مضى هذا الزمن الطويل والشعب مغلوب .. والغالبون قلة يعدون على أصابع اليدين .

فكان لابد من تغيير الدستور واستبداله بدستور جديد يحقق الحرية والكرامة لكل مواطن .

وكان لابد من حماية الثورة حتى لا تنحرف أو تقصر عن بلوغ غاياتها . كما حدث فى مراحلها السابقة .. وكان لابد من اتخاذ

موقف من استغلال طبقة الحاكمين المتجرين بأسماء الثورات من أن تتاح لهم فرصة أخرى لهذا الاستغلال .

وكان لابد من سن « صك تحرير العبيد » من الذين سادوهم بقوة النفوذ واتساع الملكيات هذا الزمن الطويل .

وكان لابد من عدد عديد من المسائل تتخذ فورا ليصبح الشعب حرا وليحكم الشعب نفسه غير مقيد بشيء ثقيل من الماضي الكريه العفن .

وبهذا تؤمن الثورة أنها تستطيع أن تحقق أهدافها ((تحرير مصر ، لمصر ، ولشعب مصر)) .

وينتهي بذلك أول خطاب تفصيلي للقائد المناضل .. في أول لقاء عام له بالجماهير العريضة ، ولم تكن الثورة قد انقضى عليها ستة شهور .. وفي هذا الخطاب رؤية واضحة لابعاد الثورة التي قام بها .. وكانت في ذلك الوقت تهدف لتحقيق المبادىء الستة وعلى راسها القضاء على الاستعمار وأعوانه .

* * *

ويمضي عبد الناصر ليؤكد على قضية التحرير والاستقلال في خطاباته وتصريحاته بعد ذلك .. طوال السنة الأولى والثانية من عمر الثورة .. وليؤكد أن تحرير الأرض هو أولى مهام حركة الضباط الأحرار .

« فهؤلاء الضباط كافحوا الطغيان والاستبداد بكل أشكالهما وقد صهرتهم المقاومة وأدمجتهم في كتلة واحدة لها نفس الأهداف والميول ، **وهدفهم الرئيسي هو أن يروا وطنهم قد فاز باستقلاله التام الخالي من كل أثر من آثار الاحتلال الأجنبي** .. وأمنيتهم أن يروا مواطنيهم يعيشون عيشة كريمة ، وهم متمتعون بالحرية والمساواة » (١) .

---

(١) تصريح لمندوب وكالة الانباء الفرنسية ٣٠ يناير ١٩٥٣ ..

موقف مجدد من حرية الوطن .. أن يجلو الاستعمار ، أو يكون الكفاح المسلح لتتطهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للوطن .

« فالحرية حق وان استحقاقنا للحرية لا يتقرر بما اخذناه منها ، بل يحرضنا عليه ما لم ننله بعد .. ان الشعوب التى تساوم المستعمر على حريتها توقع فى نفس الوقت وثيقة عبوديتها ، لذلك فان أول أهدافنا هو الجلاء بدون قيد أو شرط ، اننا نعلنها عالية مدوية : **يجب ان يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل ، أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده** » (١) .

« فالاستعمار هو الذى زيف ديمقراطيتنا .. وهو الذى حارب محاولتنا لاقامة حياة دستورية سليمة » .

فموقف الناصرية اذن من الاستعمار واضح منذ فجر الثورة .. وهو قتال الاستعمار حتى التحرير .. فالاستعمار لا يترك الارض التى يحتلها الا مرغما ، وحتى عندما يتفاوض فانه لا يستجيب الا اذا فاوضته الدولة المحتلة من منطق القوة ، والاصرار على التحرير والرفض لكل ما يقدمه من حلول وسط .. فان قوته وجيوشه تتلاشى أمام وحدة الشعب وتصميمه على نيل استقلاله .

ومن هنا فان الطريق الى تحرير الشعوب ليس عملا يسيرا .. وهو ليس رحلة سهلة ، ولا مناورة كلامية يستخدمها مفاوض ماهر . وانما يجب أن تكون الشعوب مستعدة للقتال ، عازمة عليه ، وأن تستعد لدفع ثمن حريتها غالبا من دماء ابنائها « ان مصر قد أجمعت على أن تصل الى حريتها واستقلالها مهما كانت الصعاب ومهما كانت المشاق وان وجود الاحتلال الأجنبى على أرض بلادنا سبعين عاما يدعونا لأن نستعد لأسوأ الاحتمالات ، واننا اذ نطالب برفع الذل عن رؤوسنا ، هذا الذل الذى ورثناه فانما نهيىء قوانا للساعة الفاصلة وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله (٢) » .

---

(١) ٢٣ فبراير ١٩٥٣ فى شبين الكوم .

(٢) المؤتمر السياسى بميدان الجمهورية ١٦ سبتمبر ١٩٥٣ .

فالاستعمار يقاتل دفاعا عن وجوده ، ولا يفرط فى الأرض التى يمتص خيراتها الا مرغما ، وهو عادة يستعين بقوى من الداخل تتعاون معه ، وتبيع نفسها له .. وهو اذ يمكن لهذه القوة من السيطرة السياسية ، والاقتصادية .. فذلك لأن مصالحها ترتبط بوجوده ، فانها معه .. ولا تتنازل عن مصالحها بسهولة ..

* * *

تحليل تاريخ الشعب المصرى يؤدى الى هذه النتيجة .. ان الاستعمار لم يتنازل مختارا ولا طائعا عن ممارسته لاحتلال الأرض ونهب خيرات الشعب .

« فان شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الاستعمار ضرب مثلا حيا ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب ..

« ان شعبنا كشف الاستعمار العثمانى (١) وقاومه برغم التحايل عليه باستار الخلافة الاسلامية »

« ثم قاوم شعبنا الغزو الفرنسى حتى ارغم المغامر الذى دوخ أوربا كلها على أن يرحل بالليل عبر البحر الأبيض الى فرنسا ..»
فقد وجدت الحملة الفرنسية على مصر فى منتصف القرن التاسع عشر ان « الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة .

كما وجدت « مقاومة عنيفة لسيطرة المماليك وتمردا مستمرا على محاولاتهم لفرض الظلم على الشعب المصرى ، وبرغم أن هذه المقاومة العنيفة والتمرد المستمر قد كلفا شعب مصر غاليا فى ثروته الوطنية وفى حيويته ، فان الشعب المصرى كان صامدا ثابت الايمان (٢) »

« ثم صمد لمؤامرات الاستعمار العالمى واحتكاراته الدولية التى استغلت أسرة محمد على »

(١ ، ٢) الميثاق .

ولقد كانت مصر تعيش فى يقظة شعبية ، واثقة بنفسها ، تتحفز لامال المستقبل بعد فرار الحملة الفرنسية حتى جاء محمد على ليستغل الارادة الشعبية ويلويها لتحقق مطامعه الفردية .. ويتجاهل مصالح الشعب .. « فلن المأساة فى هذا العهد هى أن محمد على لم يؤمن بالحركة الشعبية التى مهدت له حكم مصر بوصفها نقطة وثوب الى مطامعه .. ولقد ساق مصر وراءه الى مغامرات عقيمة استهدفت مصالح الفرد متجاهلة مصالح الشعب »

« ان اليابان الحديثة بدأت تقدمها فى نفس هذا الوقت الذى بدأت فيه حركة اليقظة المصرية ، وبينما استطاع التقدم اليابانى لن يمضى ثابت الخطى ، فان المغامرات الفردية عرقلت حركةاليقظة المصرية ،وأصابتها بنكسة الحقت بها افدح الأضرار »

« ان هذه النكسة فتحت الباب للتدخل الأجنبى فى مصر على مصراعيه بينما كان الشعب قبلها قد رد بتصميم ونجاح محاولات غزو متوالية ، كان أقربها فى ذلك الوقت حملة فريزر ضد رشيد »

« ومن سوء الحظ أن النكسة قد وقعت فى مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار ، فان الاستعمار كان قد تطور فى ذلك الوقت من مجرد احتلال المستعمرات ، واستنزاف مواردها الى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رؤوس الأموال المنهوبة من المستعمرات (١) »

« وكانت النكسة فى مصر بابا مفتوحا لقوى السيطرة العالمية » .

« وبدأت الاحتكارات المالية الدولية دورها الخطير فى مصر ، وركزت نشاطها فى اتجاهين واضحين ، هما حفر قناة السويس ، وتحويل أرض مصر الى حقل كبير لزراعة القطن لتعويض الصناعة البريطانية عن أقطان أمريكا التى قل ورودها الى بريطانيا بسبب انتهاء سيطرتها على أمريكا ، ثم انقطع وصولها تماما بسبب ظروف الحرب الأهلية الأمريكية » .

---

١ ـ الميثاق .

« ولقد عاشت مصر فى هذه الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح القوى الأجنبية ولمصلحة عدد من المغامرين الاجانب الذين تمكنوا من السيطرة على أمراء أسرة محمد على وساعدهم على ذلك فداحة النكسة التى أصيبت بها حركة اليقظة المصرية » .

« على أن روح هذا الشعب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة أن تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة » .

« وكانت هذه الطاقة هى العلم الذى حصل عليه آلاف من شباب مصر الرواد ممن أرسلوا ــ أيام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم محمد على ــ الى أوربا ليتمكنوا من العلم الحديث فان هؤلاء استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن أن يجلبوا معهم بذورا صالحة ما لبثت التربة الثورية الخصبة لمصر ان احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر ألوانا رائعة من الأزهار على ضفاف النيل الخالد » .

« وليس صدفة أن هذه الزهور المتفتحة على ضفاف وادى النيل كانت بمثابة الومضات اللامعة التى لفتت أنظار العناصر المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها نحو مصر ، وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كله ومسرحا لفنونه وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة والموهومة » .

« ولقد احسنت الاحتكارات الاستعمارية الطامعة فى المنطقة بالأمل الجديد يستجمع قواه ويتحفز ، وكانت بريطانيا بالذات لا تحول أنظارها عن مصر بحكم اهتمامها . بالطريق الى الهند . ومن ثم ألقت بثقلها كله فى المعركة الثورية التى لاحت مقدماتها بين القوى الشعبية وبين اسرة محمد على الدخيلة المغامرة » .

« وكانت ثورة عرابى هى قمة رد الفعل الثورى ضد النكسة وكان الاحتلال البريطانى العسكرى لمصر سنة ١٨٨٢ ضمانا لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية وتأييدا لسلطة الخديوى ضد الشعب وهو التعبير عن ارادة الاستعمار فى استمرار بقاء النكسة ومواصلة القهر والاستغلال ضد شعب مصر » .

« ان قوة الاحتلال البريطانى العسكرى ومؤامراة المصالح الاحتكارية الاستعمارية والاقطاع الذى أقامته أسرة محمد على باحتكارها للأرض أو اقتسام جزء منهـا بين أصدقائها أو أصدقاء المستغلين الأجانب . ذلك كله لم يستطع أن يطفىء شعلة الثورة على الأرض المصرية » .

« أن وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » .

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهـذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصاعب » .

« لقد سكت أحمد عرابى ولكن صوت مصطفى كامل بدا يجلجل فى آفاق مصر » .

« ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه انها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى أعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد » .

« لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى » .

« وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين »

« وارتفع صوت قاسم أمين ينادى بتحرير المرأة . وكانت تلك كلها مقدمة موجة ، ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وبعد خيبة الأمل فى الوعود البراقة التى قطعها الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب وفى مقدمتهـا وعد ويلسون الذى ما لبث هو نفسه أن تنكر لها واعترف بالحماية البريطانية على مصر » .

« وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة يقود النضال الشعبى العنيد الذى وجهت اليه الضربات المتلاحقة أكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم أو ينهزم » .

« ان القيادات الثورية لم تستطع أن تلائم بين أساليب نضالها وبين الأساليب التى واجه الاستعمار بها ثورات الشعوب فى ذلك الوقت أن الاستعمار اكتشف أن القوة العسكرية تزيد ثورات الشعوب اشتعالا . ومن ثم انتقل من السيف الى الخديعة وقدم تنازلات شكلية لم تلبث القيادات الثورية أن خلطت بينها وبين الجوهر الحقيقى . وكان منطق الأوضاع الطبقية يزين لها هذا الخلط » .

« ان الاستعمار فى هذه الفترة أعطى من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ومنح من الحرية شعارها واغتصب حقيقتها وهكذا انتهت الثورة باعلان استقلال لا مضمون له وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال وزادت المضاعفات خطورة بسبب الحكم الذاتى الذى منحه الاستعمار والذى أوقع الوطن باسم الدستور فى محنة الخلاف على الغنائم دون نصر » .

« وكانت النتيجة أن أصبح الصراع الحزبى فى مصر ملهاة تشغل الناس وتحرق الطاقة الثورة فى هباء لا نتيجة له » .

« وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ التى عقدت بين مصر وبريطانيا ، والتى اشتركت فى توقيعها طبقة وطنية تضم كل الأحزاب السياسية

العاملة فى ذلك الوقت بمثابة ، صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة سنة ١٩١٩ فقد كانت مقدمتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكل معنى » .

« ان الشعب المصرى بدا يتأهب لاستئناف دوره التاريخى حتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية ، وقبل أن تنزاح الأشباح الكئيبة لدبابات الاحتلال عن مدنه الكبرى » .

« ولقد عبر الشعب المصرى عن نفسه ، برفضه العنيد أن يشترك فى الحرب ، التى لم تكن فى نظره الا صراعا على المستعمرات والأسواق بين العنصرية النازية وبين الاستعمار البريطانى الفرنسى الذى جر على البشرية كلها ويلات لا حدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل » .

« لقد رفض الشعب المصرى كل الشعارات التى رفعها المتحاربون اعلاما فوق رءوسهم ليخدعوا بها الشعوب » .

« وسحب الشعب المصرى كله البقايا الباقية من تأييده للذين تعاونوا مع سلطة الاحتلال طمعا فى مكاسب السوق السوداء التى فرضتها الحرب وظلالها القاتمة »

« وعمت الشباب المصرى موجة من السخط والغضب على كل الذين مدوا أيديهم للاحتلال وقبلوا وجوده ، ولقد ترددت فى مصر فى ذلك الوقت أصداء طلقات الرصاص ، وتجاوبت أصداء انفجارات القنابل ، وكثرت التنظيمات السرية بمختلف اتجاهاتها وأساليبها (١)

* * *

فى اكتوبر ١٩٥١ وقف مصطفى النحاس فى البرلمان ووراءه مد شعبى كبير وقال للأعضاء انه « باسم مصر

---

١ - الميثاق .

وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، وباسم مصر اطالبكم اليـوم بالغائها » .

كانت حكومة الوفد مضطرة لاتخاذ هذا القرار استجابة للضغط الشعبى المتزايد ، وبعـد أن حملت هى بنفسها القضـية وراحت تعرضها على الأمم .. ثم عادت لتستأنف المفاوضات من جديد ، ولكنها لم تصل الى تسوية ..

وبدأت المقاومة المسلحة فى منطقة القناة ... جموع الشباب والعمال يطالبون بأن يحملوا السـلاح ، ليحيلوا حيـاة المستعمر بجنوده الذين بلغ عددهم ٨٠٠ ألف فى منطقة القناة الى جحيم .

ولكن حكومة الوفد كانت مترددة ، ذلك انها لم تقطع الأمل فى الوصول الى اتفـاق عن طريق التفاوض ، يحقق لها الابقـاء على علاقتها بالانجليز ، والابقـاء على « علاقتها » بالأمة المصرية ، باعتبارها حكومة شـعبية ، وباعتبـار أن الشعب المصرى يرفض الاحتلال ، وان كان لا يرفض اى اسلوب جاد يؤدى الى الجلاء ..

وعاشت مصر فترة مليئة بفورات الحماس ، والعمل النضالى الذى تنظمه وتقوده الجماهير ، وتستاء منه السلطات فى الدولة ، وعلى رأسها السراى الملكية والحكومة الوفدية ذاتها .

وتاريخ هذه الفترة من حياة الشعب المصرى جديرة بالدراسة .. التحليلية وخاصة الدور الذى لعبـه الاستعمار متعاونا مع السراى الملكية ، والذى انتهى بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

وللحقيقة « فان شرار الغضب أشـعل من الحرائق فى القاهرة اكثر مما اشعلت يد التدبير الخفيفة التى بدأت عملية الحريق » (١)

وكان الحريق فرصة مخططة لضرب الكفـاح المسلح ولفرض

---

١ ـ الميثـاق .

الاحكام العرفية .. وجاءت وزارة أثر وزارة .. ترفع شعارات التطهير قبل التحرير والتخويف من خطر الشيوعية ..

« فقد توالت مؤامرات الاستعمار الأنجلو امريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ، وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال الى مشاكل داخلية فى القاهرة » .

« وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدبير سابق .. وقد جاء الهلالى واعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وان مهمتها الرئيسية هى التطهير والقضاء على الفساد ، وقد تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وانه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى الا اذا قضى على أسبابه ومصادره » (١) .

* * *

وقفة صغيرة يمكن ان نرصد فيها ومن خلالها رؤية عبد الناصر الأوضاع الداخلية فى مصر قبل ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وفى تلك الفترة الحافلة بالنضال من تاريخ الشعب المصرى .

● لقد كان الغزاة الأجانب يحتلون ، على ارضه ، وبالقرب منه ، القواعد المدججة بالسلاح ترهب الوطن المصرى ، وتحطم مقاومته .

● وكانت الأسرة المالكة الدخيلة تحكم بالمصلحة والهوى ، وتفرض المذلة والخنوع .

● وكان الاقطاع يملك حقوله ويحتكر لنفسه خيراتها ولا يترك لملايين الفلاحين العاملين عليها غير الهشيم الجاف المتخلف بعد الحصاد .

---

(١) من أحد منشورات الضباط الاحرار عقب تأليف وزارة نجيب الهلالى الاولى .

● وكان راس المال يمارس الوانا من الاستغلال للثروة المصرية بعد ما استطاع السيطرة على الحكم وترويضه لخدمته .

● وكانت القيادات السياسية المنظمة لنضال الجماهير قد استسلمت واحدة بعد واحدة واجتذبتها الامتيازات الطبقية وامتصت منها كل قدرة على الصمود ، بل واستعملتها بعد ذلك فى خداع جماهير الشعب تحت وهم الديمقراطية المزيفة .

● وحدث نفس الشيء مع الجيش الذى حاولت القوى المسيطرة المعادية لمصالح الشعب أن تضعفه من ناحية وأن تصرفه من ناحية أخرى عن تأييد النضال الوطنى بل وكادت تصل الى استخدامه فى تهديد هذا النضال وقمعه .

* * *

ليلة ٢٣ يوليو كانت بداية لحياة جديدة مختلفة لهذا الشعب ، وكانت بداية وضع الخطوط الأولى للفكر الناصرى فى مجال التطبيق .. فقد خرجت طليعة من القوات المسلحة لتكون اداة شعبية لتنفيذ ثورة الشعب .. وتحقيق آماله ..

بدات الثورة بطرد الملك فاروق « ٢٦ يوليو ١٩٥٢ » وقانون الاصلاح الزراعى « ٩ سبتمبر ١٩٥٢ » ثم حل الأحزاب « ١٨ يناير ١٩٥٣ » واعلان الجمهورية « ١٨ يونيو ١٩٥٣ » ...

وبدأ العمل من أجل التحرير منذ اللحظة الأولى . ويوضح جمال عبد الناصر الموقف من قضية التحرير فى « أن مصر لا تتردد فى المفاوضات مع انجلترا » .

« ان مصر لن تتردد فى بدء المحادثات غدا مع بريطانيا فى سبيل الوصول الى حل عادل عملى لمسألة قناة السويس ، ولكن يجب التسليم مقدما بأننا لن نبحث فى اتفاق يشمل الشرق الأوسط ، واننا نعنى بقبولنا « نريد بلوغ حل عادل » الجلاء عن منطقة القناة » (١)

---

١ - تصريح لمراسل جريدة الاوبزرفر فى القاهرة فى ١٢ ابريل ١٩٥٣ م

« واحب أن اصارحكم القول باننا لم نعد نؤمن بأن بريطانيـــا راغبة حقا فى المفاوضة على حل عادل يقوم على أساس الجلاء ، فقد انقضت الأسابيع تلو الأسابيع على اتفاق السودان ، ولم نتلق الى اليوم شيئا من جانبها ، غير محاولة المفاوضة على مسالة الدفاع عن الشرق الأوسط جنبا الى جنب مع مســألة القنـــاة . وان كنا فى احاديثنا الخاصة لم نكف يوما عن القول فى وضوح ، اننا لن نتناقش فى ذلك ولن نبحثه » .

« وقد رايت البريطانيين يسألوننى لماذا ادلى ببيانات مريرة ، واكثر من النذر ، واطيل الوعيد ، ولكن الجلى لكل انسان هو أننـا حين نعتقد أن بريطانيا لا تنتوى حل هذه المشـــكلة مضطرون الى تهيئة شـــعبنا للنتائج ، وتوطين قومنـــا على مواجهـــة العواقب والتضحيات » .

« فبينما نحن نطالب بما يؤمن به كل مصرى بانه حقه الطبيعى بل الحق الذى نؤمن به نحن معشر رجال الجيش بانه الحق الذى لا مراء فيه ولا نزاع ، فلكل بلد استقلاله التام ، وان كل ما نقــوله هو أننا سنناضل بكل ما أوتينا من قوة حتى وان اقتضى النضـــال اراقة الدماء اذا ما أرغمتمونا عليه ارغاما ، والجأتمونا اليه الجاء » .

« وما ترددنا يوما فى مصارحة قومنـــا باننا ســنعانى كثيرا اذا ما حملنا على هذا المحمل ، وستكون تضحياتنا بالغة اذا ما ارغمتمونا على هذا النضال ، ونحن نعرف أننـــا لن نستطيع ان ندمر الجيش البريطانى ، ولكننا نعرف أيضا آن فى امكاننا أن نجعل مركز بريطانيا فى مصر معدوم الفائدة لها ولحلفائها على السواء » .

« لســـنا نريد أن يحدث هذا أو يقع ، لأنه ســـيدمر خططنا الداخلية ، ومشروعاتنا الاصلاحية ولكنه اذا حدث فلن يكون حدوثه باختيارنا ، ولا برغبتنا ومشيئتنا ، وانما مرجعه الى اننا قد وجدنا اليوم ، كما وجدنا طيلة سبعين عاما خلت ، ان بريطانيـــا ترفض الاعتراف بحقنا فى حل عادل ، وتأبى علينا حقوقنا القومية » .

« وفى الحق أن كل ما نبغيه هو قيام علاقات ودية مع بريطانيا حتى يتسنى لمصر أن تتطلع الى عهد تقدم ورفاهية ، وتتخلص الى الأبد عن هذا الجرح الذى لا يندمل ، ونعنى به هذا النزاع القائم بيننا وبين بريطانيا » .

« أما اذا هى اعترفت بعدالة قضيتنا ، ولم تتشبث بمحاولتها اكراهنا على ميثاق اقليمى آخر ، يعـــده الشعب صورة أخرى من صور الاحتلال ، فيومئذ نستطيع أن نبحث معها فى المسائل الأخرى ويومئذ نستطيع أن نتداول معها فيما بقى من الشئون » .

« فلتدرك الحكومة البريطانية أن الموقف يزداد كل شهر سوء من وجهة نظرها ، فقد تعاقبت الأحداث وتكاثرت التطورات ، كما أن مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط كانت تحمل من الغضاضة والامتهان ما يجعلنا نأبى الحديث عنها أو عن شيء مثلها » .

« ولعلك سـائلى : ماذا تريدون اذن ؟ وما هى سـيـاستكم ؟ وجوابى . **انـنـا نريد الجلاء ، ونبغى الاسـتقلال التـام** ، ولكننا أيضا نريد أن تبقى منطقة القناة مؤدية عملها محتفظة بقوتها وكفايتها ولسنا نمانع فى البحث فى الوسائل الكفيلة ببقائها ، والاحتفاظ بهـا كقاعدة مصرية لا شأن لأحد آخر بها » .

« نحن جنود ، بل نحن واقعيون ، ولا يخفى علينا أن لا قبل لنا بالحرص على بقاء هذه القاعدة المترامية المدى كما هى الآن ، واننا سنحتاج الى الفنيين » .

« **ولكن يجب أن تكون القاعدة مصرية** ، ويجب بالتالى أن يكون لنا الحق فى التماس العون الفنى **من أى طريق** وان كان هذا أمرا لا أهمية له اذا تعاونت بريطانيا معنا بصدق واخلاص » .

« أما اذا كانت بريطانيا تظن أنها مستطيعة ابقاء الاحتلال تحت ستار المعونة الفنية والخـبراء الفنيين ، فليس فى بحث هـذا الأمر خير بالطبع ، ولا فائدة ترجى منه ، ولكن اذا كانت تريد أن تنظر الى

هذه المسالة من ناحية مصلحتها ومصلحتنا سواء بسواء ، وأن نتبين من البحث ما هو حقا المطلوب ، وما هو فعـلا اللازم ، فلا مفر من الحديث اليها ولا بأس من الكلام معها ، وقد لا نصل الى اتفـاق ، ولكن لنحاول ، فلا ضرر ولا ضرار » .

« وقد راينا البريطانيين أيضا يسألوننا رأينـــا فى الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن الدفاع الاقليمى من ناحية طريقتنا فى التفكير وأسلوبنا فى بحث المسائل ، ليس شيئا مكتوبا على الورق ، ولا هو بالمدون المسطور ، واعتقادى أن الأقطار العربية كلها تريد فعلا بناء دفاعها وضمان مناعتها ولكنها فى اللحظة الراهنـــة ضعيفة . فاذا ظفرنا جميعا بالمعـونة استطعنا أن نبنى دفاعنـا ، ونعـزز قوانا ، ويومئذ تتوافر الأوضاع ، والمواقع الاستراتيجية التى يفيد منهـا أصدقاؤنا وينتفعون ، اذ لن يتسنى لنا بنـــاء خطوط دفاعنـــا واستحكاماتنا الا بعون أصدقائنا الذين يقدمون المعونة لنـــا بدون قيود تسمى مصالح بلادنا » .

« وهذه هى النتيجة التى سنصل اليها فى النهاية ، اذ هم الذين ســـيكونون أصدقاءنا . لقـــد دلل التاريخ على أن مصر فى الحرب الماضية قدمت من المعونات قدرا يفوق ما كانت المعاهدة تقتضيه ، ويتجاوز ما كنا ملزمين به » .

« أما اذا لم تتم التسوية ، فلا تعتمدوا على تعـــاون كهذا مرة أخرى ، وكل ما نقوله ، انه اذا كانت بريطانيا لا تنوى الوصول الى تسوية عادلة ، فلا تعتمد علينا فى حرب ولا فى سلام بل الواقع انكم ستجدوننا يومئذ أعداء الداء » .

« ونحن نحاول أن نكون أصدقاء ، ولكن لا يصح أن تنتظروا منا أن نمد لكم أيدينا مستجدين حقنـــا الطبيعى ، ولا أن نقف منكم موقف المكتوفين » .

ويرد جمال عبد الناصر على الحملة التى شنها **اللورد كيلرن السفير البريطانى الأسبق** على مصر لكى يضلل الشعب البريطانى « ويستهين بالحركات الوطنية » فيقول جمال عبد الناصر (١) :

ان « كيلرن يحذر الشعب البريطانى من جمال عبد الناصر ويدعى أننا نضمر الشر لبريطانيا ، فليعلم أن المصريين جميعا ، ونحن قادة حركة الثورة من بينهم لا نضمر شرا مطلقا كما يزعم كيلرن ، لا لبريطانيا ، ولا للشعب البريطانى ولا لغيره من الشعوب ، ولكننا على العكس من ذلك قوم سئمنا ضروب الشر واحلال الخير محله » .

« انى أود أن أوجه الخطاب الى الشعب البريطانى نفسه .. لا لأضلله كما يفعل أمثال اللورد كيلرن ، وانما لأنى فقط ابغى الكشف عن الحقائق حتى يكون على بينة من أمرها فأتساءل :

« هل يقبل الشعب البريطانى لو كان مكاننا احتلال وطنه ضد ارادته ..؟ ؟ »

« وهل كان يقنع بأية حجة أيا كان مظهرها تفرض عليه دوام احتلال أجنبى ؟ لو أنهم تعرضوا له مدى سبعين عاما فقدمت اليهم خلالها الوعود تلو الوعود بالجلاء والانسحاب من أرض الوطن ؟ » .

« ما من شك أن أى شعب يرفض مثل هذا الأمر حرصا على حقه المقدس فى الحرية الكاملة . لقد تحملت بريطانيا الكثير للدفاع عن حريتها خلال الحروب الماضية ولن تكون أقل استعدادا للبذل والتضحية ، بل لعل طاقتنا على ذلك أكبر بعد الذى عانيناه من استعباد دام أكثر من سبعين عاما » .

« اننا حريصون كل الحرص على الوصول الى تسوية سلمية ، ولكننا فى نفس الوقت نصر اصرارا أكيدا على حقوقنا المستمدة من حق الشعوب الطبيعى فى الحرية والاستقلال ، والمستمدة من ميثاق

---

(١) ٥ ابريل ١٩٥٣ م .

الأمم المتحدة ، فاذا ما تبددت آمالنا فاننا لن نتردد كأى شعب يشعر بكرامته وحقه المقدس فى الحرية والاستقلال فى أن نسلك أى طريقة توصلنا الى الحصول على حقوقنا مهما كانت التضحيات التى نتحملها لنفوز بالحرية ، ولنخلف لأبنائنا من بعدنا اغلى ما يتمتع بلد به : الاستقلال والحرية » .

« انى اقولها كلمة قصيرة ، ولكنها سريحة ، وفى هذا ما أنا الا اللسان الذى يعبر عما فى نفوس المصريين جميعا . هدف لن يتحولوا عنه مهما كانت الأحوال والاعتبارات : أن تجلوا القوات الأجنبية عن أراضينا جلاء كاملا وبدون أى قيد أو شرط . فاذا ما أصبحت سيادتنا كاملة . وحريتنا تامة . **فان مصر فى هذه الحالة** ستعرف كيف تتصرف لدفع أى عدوان يهدد سلامتها » .

وتبدأ المفاوضات ولكنها فى هذه المرة والكفاح المنظم للشعب المصرى يؤرق الاستعمار ..

تكونت كتائب الفدائيين .. بدأ التدريب العملى والجهاد .. المدربون هم رجال الجيش ... أفراد من القوات المسلحة يعدون الخطط ... اتجاه السلطة فى الدولة يتغير ليساند الكفاح المسلح .. يذكر سلوين لويد فى مجلس العموم البريطانى انه « فى ستة اشهر بلغت « الحوادث » فى القاعدة ١٥٠٠ حادثة » . وبدا واضحا أن قوات الاحتلال لن تتمكن من أن تعيش حياة مستقرة .. بعد أن شغلت نصف القوات الموجودة فى منطقة القنال بتأمين والدفاع عن النصف الآخر ..

ورأت انجلترا فى تلك الظروف ان وجودها فى مصر أصبح مستحيلا ..

* * *

نبذ الفكر الناصرى الأسلوب التقليدى فى المفاوضة فلم يعد ممكنا ان نتصور ان الانجليز سيرحلون عن طريق التفاوض بنفس الأسلوب القديم ..

التفاوض فى هذه المرة يسنده كفاح مسلح منظم تدعمه قوات الجيش وتسنده الحكومة الثورية . لأنه « اذا اعتقدنا ان الاستعمار سيتخلى عنا بسهولة فنحن مخطئون ، فالطريق شاق وصعب ، وسنستمر فى الكفاح مهما يكن الطريق حتى نصل الى اهدافنا .. وسنصل الى نهاية الطريق ان شاء الله بفضل اتحادنا(١) » .

والوحدة الوطنية فى مواجهة الاستعمار الجاثم على أرض الوطن أمر تفرضه الضرورة لمواجهة المحتل ، فالأرض المحتلة هى ارض الوطن كله ، وعلى كل من تظله سماؤه أن يدافعوا عنها « وليذكر الانجليز أن جيش مصر يضم ٢٠ مليونا مصريا (٢) » و « أننا نكون جيشا كبيرا يضم ٢٢ مليونا من المصريين وهو قادر على اخراج المستعمر من البلاد ولن **نعتمد على فئة قليلة ولكننا نعتمد على المواطنين جميعا** ، اننا نكون فى جميع أنحاء مصر جيوشا متفرقة .. واننا نوزع السلاح فى جميع انحاء البلاد .. اننا نعمل على تدريب جميع أبناء مصر ولن يستطيع المستعمر ان يبقى فى بلادنا الا بعد القضاء علينا .. ولن يستطيع الانجليز أن يقضوا على ٢٢ مليونا(٣) » .

الوحدة الوطنية اذن ضرورة فى مرحلة التحرر الوطنى بعد أن تعزل العناصر المتعاونة مع الاستعمار ، والتى تفسد الحياة السياسية ، والتى تربط مصالحها ببقائه ووجوده .. على أن هناك فئات أخرى من المجتمع قد ترتبط مصالحها الاقتصادية مع الاستعمار ، ولكنها ترى فى الاجهاز عليه فائدة لها ، اذ تتصور فى تلك المرحلة انها يمكن أن تكون الوريث لرأس المال الأجنبى ، ويمكن أن تنمو اذا خلا لها الجو وأصبح لا ينازعها المستعمر برؤوس أمواله ، وبحمايته للشركات والمصانع والأشخاص المتعاونين

---

١ ـ ١٨ ابريل ١٩٥٣ فى حى المنتزة بالاسكندرية .
٢ ـ سرادق هيئة التحرير بدمياط .
٣ ـ ١٤ يونيو ١٩٥٣ الاسكندرية بمناسبة عيد الفطر .

معه وقد أبرز عبد النــاصر هذا الموقف فى المؤتمر الأول للاتحاد القومى :

« بعدين لما أعلنا تمصير الشركات البريطانية والفرنسية ، على طول اتلموا على بعض ، واتقدموا . . وكل واحــد فيهم عاوز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات الممصرة سواء اللى أصلها فرنســية أو اللى أصلها انجليزية . . وأنا فى هذا اليوم قلت ان جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، لن نستطيع بأى حال ان احنا نخلى الرأسماليين يزيدوا من تحكمهم بأنهم ياخدوا أيضا ممتلكات فرنسا ، وممتلكات انجلترا » .

فمرحلة القضاء على الاستعمار تستلزم توحيــد كل الجهود الوطنية ومن أجل ذلك قام أول تنظيم سياسى للثورة هو هيئــة التحرير وكان واضحا من الاسم الذى أطلق على هذا التنظيم انه يضم جميع المواطنين بهدف التحرير « فقد قامت هيئة التحرير لتؤكد المعنى المقدس وهو أن الناس قد ولدوا احرارا ليعيشــوا احرارا (١) » « وهدفنا وشعارنا هو تحرير مصر وجلاء الغــاصب المحتل(٢) » .

« واننى أفتتح اليوم مقر هيئــة التحرير ، ونحن نعتمــد على رسالتها فى تشجيع الحركة ودعم كلمتها والعمل بشعارها ، واذا كنتم تريدون سلاحا تتدربون عليه فعليكم باقامة معسكر ، وعلينا أن نزودكم على الفور بما تحتاجون اليه من السلاح (٣) » والتاريخ لم يعرف أن دولة تكبت باحتــلال أجنبى ونجحت فى اجــلائه وهى متفرقة تسودها الاختلافات ، فنقطة الابتداء فى معركة التحرير هى ان نتحد وان يرانا العدو صفا واحدا لا تتخلله ثغرة (٤) » .

* * *

---

١ – فى افتتاح هيئة التحرير بشبين الكوم ٢٣ فبراير ١٩٥٣ م .
٢ – افتتاح هيئة التحرير بأجا ١٩ ابريل ١٩٥٣ .
٣ – افتتح هيئة التحرير بفارسكور ١٠ ابريل ١٩٥٣ م .
٤ – ٢٢ يوليــو ١٩٥٤ م .

ولسنا نريد ان نسترسل فى سرد تفاصيل هذه الفترة الحاسمة من نضال شعبنا والتى انتهت بالوصول الى الخطوط الرئيسية لاتفاقية الجلاء فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ووقعت رسميا فى ١٩ أكتوبر ، وتم فيها الاتفاق على أن ترحل القوات المحتلة عن مصر خلال عشرين شهرا .. فهذه الدراسة لا تهدف الى سرد الأحداث والتاريخ الا بالقدر الذى يكشف عن الفكر الناصرى أو يبين جذوره الأولى ..

فى خلال معركة التفاوض الأولى التى دخلتها الثورة كان الشعب فى وحدة وطنية مكونا لهيئة التحرير .. وكان الفكر الناصرى بقدر ما تكشف له عن فكرة الوحدة الوطنية والترابط بين التفاوض والكفاح المسلح ، فانه اكتشف وحدة الاستعمار وايضا اخذ موقفا واضحا منذ البداية ضد الأحلاف العسكرية وهذا ما أكده القائد عندما قال :

« اننا كنا نهدف الى هدفين أولهما الجلاء الكامل لجميع القوات الأجنبية حتى لا تتواجد فى هذه البلاد سوى البدلة العسكرية المصرية ، والهدف الآخر هو **عدم الارتباط باى حلف او معاهدة للدفاع المشترك** ، وانا أقول اننا نجحنا فى تحقيق هذين الهدفين(١) » .

ويرى الزعيم وحدة القوى الاستعمارية الغربية وترابطها ، وكيف ينهب الاستعمار خيرات الشعب ، وخيراتها ويحولها الى سوق لمنتجاتها ، يسرق جهد أبنائها ، ويقدمه لشعوب أوربا وامريكا ، فامريكا ترتبط بانجلترا .. كما أن انجلترا ترتبط بامريكا .. والاستعمار يحاول دائما أن يجسد أمام الشعوب أخطارا لا وجود

---

(١) ٢٦ يوليو ١٩٥٤ *

لها ، وان يوقعها فى الوهم والخوف حتى تظل له السيطرة .. وليبقى هو المنقذ والحامى ..

ولقد تكونت هذه الرؤية من خلال تجربة الاستعمار الانجليزى فى مصر ..

امريكا ساندته .. امريكا حاولت تحذير الشعب منذ البداية .. امريكا تعاونت مع الانجليز .. وهذا شىء بديهى وطبيعى أن تكون القوى الاستعمارية مترابطة ، وأن تحاول أن تقسم العالم الى مناطق للنفوذ ، فاذا اخذت دولة استعمارية موقفا من دولة استعمارية اخرى ، فانما تفعل ذلك لا عطفا على الشعب ، ولا رغبة فى تحريره ، بل لكى تدخل نفوذها هى فى هذه الدولة ، وتحل مكان زميلتها ..

فعندما فشلت انجلترا فى البقاء وتأكد ان وجودها أصبح مستحيلا ، حاولت هى وأمريكا أن يلعبا بورقة التخويف .. حتى يفرضا « نوعا » من الوجود ..

« العالم الحر » كله مترابط له أهداف محددة وواضحة ، يحاول ان يربط ويجر الشعوب المستبعد اليه .. بالقوة .. أو التخويف .. أو العطف .. المهم الا يترك الشعب وحده بلا احتلال أجنبى . لانه فى هذه الحالة سيعانى « فراغا » عليهم أن يملئوه ..

وفكر عبد الناصر كشف كل هذه الأساليب منذ البداية ورفض أن يدخل ضمن مناطق النفوذ .. أو يرتبط بالذين استعمروا الوطن فهو يقول :

« ان الانجليز يعرفون تماما ان تقوية المواطن المصرى فيها اضعاف لقوتهم ونفوذهم فى هذا البلد . انهم يدعون أمام العالم بأنهم يعملون على رفع مستوى الحياة فى الأمم التى يحتلون أرضها« وهذا منطق يستحيل فهمه ولا يمكن ان يتفق مع العقل فى قليل أو كثير » .

« ـ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٣ فى منيا القمح »

« وهذا هو العالم الحر ايضا يعلن بأبواقه انه يساعد الشعوب الصغيرة على تقرير مصيرها واختيار الحكم الذى تراه ، وانه يساعد الأمم المتخلفة على أن تنهض » .

« هذا كلام اعتبره المادة المعروفة ب ((**الافيون**)) **يصدره عالم الغرب لتخدير الشعوب المستعبدة لكى تنام** ، ويظل هذا العالم الحر مسيطرا عليها حتى لا تقوى ، وحتى لا تقف فى وجهه وحتى لا تسعى الى التخلص منه » .

((**انهى يعتبروننا اسواقا لترويج منتجاتهم .. وانهم لينهبون خاماتنا ويسرقون جهدنا ويقدمون كل ذلك لأهليهم ولابنائهم .** ويعطوننا بدلا منها وعودا خلابة ، وكلاما كله ضلال وتضليل .

واليكم امريكا مثلا : ان كل الصحف تقول انها ستعطينا قروضا . ستساعدنا على تنفيذ مشروعاتنا الانتاجية » .

« انها تعمل على رفع المستوى الصحى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى فى الأمم التى تحتاج الى ذلك » .

« وها نحن أولاء بعد اربعة عشر شهرا من قيام الثورة لم نر شيئا ، ولم نصدق شيئا ، فانها كلها وعود وكلها خداع وكلها بهتان » .

« فلابد من الاعتماد على انفسنا ، ولا يجوز أن يتسرب الى افهامنا أن عدونا سيساعدنا وهو يعمل دائما على اضعافنا » .

((**والسبب فى ذلك واضح ، فان أمريكا مرتبطة تمام الارتباط بحليفتها انجلترا** . وللاثنين عدو مشترك هو روسيا .

((**وان امريكا ايها المواطنون لن ترضينا لتغضب انجلترا . فلا تصدقوا ابدا ان امريكا ستساعدنا** ، فانها وحليفتها انجلترا خطتهما واحدة وسياستهما مرسومة . فاذا كنا نريد بناء وطن قوى ، ونريد ان يكون لنا ابناء احرار فلا بد من الثقة بأنفسنا والاعتماد عليها كل الاعتماد » ..

ويأتى ايدن الى القاهرة وقد بدأ فعلا جلاء الانجليز وتحرير الوطن ، ويعرض صراحة على عبد الناصر أن تدخل مصر حلفا عسكريا مع انجلترا ولكن عبد الناصر يرفض ويقــول له لماذا الحلف وفى مواجهــة من .. فى مواجهة الاتحاد السوفيتى ..

ولكن من اين يأتى العــدوان علينــا ، ومن من .. هل نحن نتوقعـــه ، من الانجليز الذين يعيشون فى ارضنا أم من الاتحـــاد السوفيتى الذى يبعد عنا بثلاثة آلاف ميل .. ويسأل الرئيس جمال عبد الناصر ايدن (١) :

هل تنوى بريطانيا فى يوم من الأيام أن تقوم بهجوم عسكرى ضدنا .

●● ويرد مستر ايدن :

بريطانيا ؟ تهجم عليكم عسكريا ؟ هل هذا معقول ؟ ذلك شيء غير متصور !.

●● ويقول الرئيس جمال :

اذن ملماذا ترفضون رأينا فى الدفاع عن الشرق الأوسط ؟ اننا نريد ان يدافع الشرق الأوسط عن نفسه ضد اى اعتــداء ، واكرر لك ضـــد اى اعتداء ، وأنتم ــ ولقد اكدت لى هذا بنفسك الآن ــ لا تنوون الاعتداء علينا ، بل وترون ذلك امرا غير معقول وغير متصـــور ، واذن فما الذى يضـــيركم من أن يدافع الشرق الأوسط عن نفسه ضد اى اعتداء !

ليس فى نيتكم أن تعتدوا ، فاذا جاء اعتداء فسوف يكون من غيركم ، واذا جاء علينا الاعتداء من غيركم فسوف نكون نحن الذين نطلب منكم العون ، ونرجو المساعدة فما هو اصراركم اذن على ان يكون الدفاع عن الشرق الأوسط بأحلاف عسكرية تشتركون فيها معنا ؟

---

(١) مجلة آخر ساعة ٢٠ فبراير ١٩٥٥ .

ان الناس ينظرون الى هذه الاحلاف على انها استعمار جديد .

قد تقول لى : وماذا يهم ما يقوله الناس ؟

وانا اقول لك ان الذى يقوله الناس اهم الف مرة من التوقيعات التى قد تستطيعون الحصول عليها من بعض الحكام فى المنطقة . هل تتصور توقيــع أى حاكم على أى حلف عســكرى يسـاوى شيئا اذا كان شعب هذا الحاكم نفســه لا يقر ولا يرضى بهــذا الحلف العسكرى .

ما أسهل أن يوقع الحكام بامضائهم ؟ ولكن الصعوبة ســاعة التنفيذ ـ انك فى ساعة الأزمة ـ ستكون فى حاجة الى أن يتعاون معك شعب بأكمله وليس حاكما بمفرده . . هب أن أى حاكم أعطاك فى بلاده قاعدة فما قيمة هذه القــاعدة اذا كانت وسط شعب لا يريدها ان تكون ؟ انها قاعدة بلا فائدة بل أكثر من ذلك ، ستكون هذه القاعدة عبئا يتطلب الحماية لنفسه ، ولن تكون سلاحا يبسط الحماية على غيره !

والأخطر من ذلك انه فى مقابل كل قاعدة على الأرض يمنحك اياها توقيع حاكم من الحكام بالرغم من ارادة شعبه ، ستكون هناك عشرات القواعد تحت الأرض تعمل لصــالح عدوك ! وعلى الاقل تعمل ضدك .

أين هى روسيا ؟

لو قلت للناس الآن تعالوا نوقع حلفا عسكريا مع بريطانيا ضد روسيا ، لنظر الى الناس بذهول وقالوا :

أين هى روسيا ، ان روسيا على بعد ثلاثة آلاف ميل من هنا !

وسوف يقول لى الناس أيضا :

ان بريطانيا هى التى استعمرتنا ، وبريطانيا هى التى احتلت مصر وما زالت تحتل الأردن والعراق وليبيا ، فهل تريد منا أن ننسى

الخطر القائم على ارضنا فعلا ، ونتطلع الى خطر محتمل على بعد ثلاثة آلاف ميل منا ؟

وسوف يكون الناس على حق ان هم قالوا لى ذلك ولن اجد ردا اتمكن به من اقناعهم . ولكنى سأتمكن من اقناعهم اذا قلت لهم :

« ان بريطانيا خرجت من بلادكم ، ونحن الآن احرار ، لقد حققنا استقلالنا بعد كفاح طويل ، وهذا الاستقلال الآن امانة فى رقابنا ويجب أن نحميه ، نحميه ضد اى اعتداء من اى معتد » .

« وسوف يقتنع الناس بهذا الكلام ، وانا واثق ان الشرق الأوسط كله سيهب كرجل واحد لينظم الدفاع عن نفسه ضد اى عدوان » .

« ولقد قلت لى فى بداية حديثنا : « ان بريطانيا لن تعتدى على الشرق الأوسط واذن فان هذا الدفاع لن يكون ضدكم ، وانما سيكون ضد غيركم ممن تسول له نفسه الاعتداء علينا » .

« انت تؤكد لى ان نية الاعتداء علينا مبيتة عند الروس . ليكن .. واذن فسوف يكون دفاعنا عن انفسنا ضدهم اذا هم هجموا علينا » .

* * *

فى هذه الفترة كان عبد الناصر يقود اولى معاركه لتاكيد الاستقلال الذى حصل عليه وضد قيام احلاف عسكرية وضد حلف بغداد الذى بدا يتكون فى عام ١٩٥٤ .. باتفاقيات بين بعض الدول العربية ..

فقد كان ما يهدف اليه الغرب هو تطويق المنطقة بسلسلة من الاتفاقيات والمعاهدات تربطها به دائما ، مستخدما ومركزا على ما يسمى « بالخطر الشيوعى » وكان عبد الناصر واضحا .. فالخطر الشيوعى لا يحيق بنا ، بل اننا نحن على استعداد لأن

نتحالف مع الشـيطان لرد أى عدوان يقع علينا فيقول « ليفهمـوا أيضا ان الدفاع عن الشرق الأوسـط يعنى دول هـذه المنطقة أكثر من غيرهم ، ولن يستطيع شعب يرزح تحت نير الاستعمار أن يدافع عن استمرار هـذا الاستعمار فى وطنـه بحجة تخويفه من اعتداء آخر قد يتعرض له هذا الشعب ، وقد لا يتعرض له » .

« اننـا نريد جلاء ناجزا كاملا غير مشروط ، ومتى استأصلنا شأفة الاستعمار من بلادنا ، فليطمئن الغرب الى أننا سنكون أحرص منهم مئات المرات بل آلافها على حريتنا واستقلالنا ، فاذا تعرضنا لاعتداء أيا كان مصدره فسنقف جميعا وقفة رجل واحد للذود عن حريتنا ..

((وفى هذه الحالة لن نتردد فى محالفة الشيطان نفسه ـ كما قال زعيمهم تشرشل فى الحرب الماضية ـ لرد هذا العدوان)) (١) .

ويخصص عبد الناصر خطابه كاملا فى افتتاح الموسم الثقافى للقـوات المسـحلة ـ لشرح موقفه كاملا من الأحلاف العسـكرية الاسـتعمارية بشكل واضح ومفصل . ويروى قصة الأحـلاف ، والاجتماعات واللقاءات التى تمت بشأنها فيقول المعلم (٢) .

« بعد أن نعرف ما يجرى فى العالم يجب أن نعرف ما يجرى فى منطقة الشرق الأوسط . وسنجد فى هذه المنطقة روحا تحريرية ، نجد هذه الروح فى الشعوب وان لم توجد فى بعض الحكومات » .

« وعندما نرجع الى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ نجد أن الدول الغربية حاولت أن تسد هذه الثغرة بايجاد طريقة لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن لم تستطع أية حكومة من الحكومات الموجودة فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت أن تقبل هذا العمل ، أى اتفاق الدفاع المشترك لسبب واحد هو أن الكراهيـة التى كانت شديدة بعـد

---

١ ـ ١٧ مارس ١٩٥٣

٢ ـ ٢١ مارس ١٩٥٥

فلسطين ونكبة فلسطين ، كانت تؤثر على العرب ، فقد اعتبروا أن الغرب وقد تعاونوا معه دائما ، لكنه لم يوف بعهده ، كما تعاونوا معه فى الحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب العالمية الأولى والدعوة التى أعطاها الغرب للشريف حسين وللعرب الذين عملوا مع الغرب وساعدوه ، كل وعود الغرب نقضها ، وكانت النتيجة أن المنطقة العربية لم تحصل على استقلالها ، ولكنها أصبحت مستعمرات قسمت بين انجلترا ، وبين فرنسا » .

« وبعد الحرب العالمية الثانية ، بقيت الحالة على ما هى عليه ، وكل ما حدث من جديد هو تحرير سوريا ولبنان ولعلكم قرأتم كيف تحررتا ، فقد أراد الغرب اخراج فرنسا من النفوذ الدولى ، فوجد الجماعة الكبار أنها فرصة مناسبة فكان الاستقلال ، ولم يكن الغرض هو تحرير البلدين ، ولكن الغرض هو تقلص النفوذ الفرنسى واعتبار فرنسا دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة » .

« وبعد أن تحررت لبنان وتحررت سوريا .. »

« جاء ضياع فلسطين واعطاؤها لاسرائيل .. ومن أجل ذلك لم يتمكن الغرب من تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة » .

« كانوا يعتبرون أن مصر هى العامل الاساسى فى هذا الموضوع ، وان مصر اذا وافقت على الدفاع المشترك الذى وضعوه ، قد ينظم الدفاع عن هذه المنطقة .. فى صالح الغرب » .

« انهم يرون وجوب تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، وقد أوضحنا لهم وجهة نظرنا فى أثناء المفاوضات ، وقلنا اننا لا نستطيع أن نقبل ميثاق الدفاع عن الشرق الاوسط مرة أخرى .. والحقيقة أن المسألة ليست كلاما يقال ولكنها كانت أساس أكبر من هذا ، فهذا الدفاع كله موجه ضد الشيوعية » .

« وقد اعتبروا أن الشيوعية خطر ، ولكنى لا زلت اعتقد أن الاستعمار أو السيطرة علينا من الجانب الآخر يمثل خطرا أكبر » .

« ونحن دولة عاشت تحت نير الاستعمار لمدة ٧٥ سنة فى احتلال بريطانى ، وقبل الاحتلال البريطانى كان الاستعمار التركى لمدة ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة ، وتخلصنا من الاحتلال البريطانى باتفاقية لاحتلال القاعدة لمدة سبع سنوات ، يعنى أن هناك التزاما علينا ، فاذا حدثت حرب فانهم سيأتون لاحتلال القاعدة . ولكن هذا الالتزام نعتبره التزاما بسيطا ، أما فى حالة التحالف او تنظيم الدفاع عن الشرق سنرتبط بالتزامات أخرى . لست أدرى هل موقفى اليوم يمكننى من استقباء السيادة اذا قبلت القيام بهذا الالتزام أم لا ؟ »

« اننى أعتبر أن مصر فى وقتها الحالى ، وهى تبدأ مرحلة من مراحل التحرير ، **يجب أن تتخلص من كل نفوذ اجنبى تخلصا كاملا** حتى تستطيع أن تقف على أقدامها . لا تدخل أبدا نتيجة الضغط . لا تدخل وهى شاعرة أنها ليست قوية .. فنحن من الناحية الاقتصادية لسنا أقوياء » .

((هناك أناس يقولون انه من الناحية الاقتصادية علينا أن نعتمد على نواح خارجية ، وأنا أرد على هذا قائلا اننا اذا اردنا ان نبنى اقتصادنا القومي على أساس سليم ، يجب أن يعتمد علينا اعتمادا كليا)) .

« ان المعونة الأمريكية التى حصلنا عليها فى العام الماضى وهى ٤٠ مليون دولار ، وقد وجهناها **لا على أنها أساس من أسس الاقتصاد** ، بل الى نواحى الخدمات ولشق الطرق واصلاح الموانى ، وجهناها الى تقصير المدة اللازمة لتوصيل المياه النقية الى القرى ، فنحن لم نبن عليها ابدا اقتصادنا القومى » .

« نحن اليوم وضعنا يختلف ، لأننا نمر بفترة حاسمة من تاريخنا ، ونعتبر أن هذه الفترة الحاسمة اذا لم توجه التوجيه السليم ، فلن نستطيع تحقيق هدف الثورة الخاص بالوصول الى

مجتمع اشتراكى يرتفع فيـــه مستوى المعيشة ويقوى فيه الوطن اقتصاديا وانتاجيا » .

« **قلنا فى حديثنا أثناء المفاوضات اننا مستعدون للدفاع عن الشرق الأوسط . ولكن على أى أساس ؟.. قلنا لهم انه يجب أن ينبثق الدفاع عن المنطقة . يجب ان يكون الدفاع عن هذه المنطقة بسواعد ابنائها** . لدينا ميثاق الضمان الجماعى . هـذا الميثاق تشترك فيه الدول العربية ، ونحن مستعدون لتقوية هذا الميثاق ، اعطونا اسلحة فقط ، فاذا حصل اعتـــداء علينا فنحن ندافع ، وستجدون فى هذه المنطقة قوات عربية جديرة بهذه المهمة . **بدون أى تحالف مع الغرب وبدون أى ضغط من الغرب** ، وبهذا تطمئنون من مواجهة الخطر الآخر اذا كنتم تريدون دفاعا ضـــد الخطر الشيوعى ، فنحن أيضا لا نرضى بالخطر الشيوعى . ولكننا نخشى السيطرة الغربية كما نخشى الخطر الشيوعى ، وعلى هذا الأساس يجب أن ينبثق الدفاع عن هذه المنطقة من دولها وبسواعد ابنائها، بدون أى تدخل أجنبى » .

« **اذا** وجدتم فى التسليح تحقيقـــا لاية مصالح من مصالحكم فيسروا لنا ذلك » .

« فى ابريل سنة ١٩٥٣ ، جاء الى هنا وزير خارجية أمريكا ، وتكلمنا معه فى هذا الشأن » .

« **وقلنا اننا مستعدون للسير خلف قيادة مشتركة منا، وجيش موحد منا** ، لاننى عندما أدخل فى قيـــادة مشتركة مع انجلترا وأمريكا فسأكون بينهما فى صـــورة أناس يتقـــاضون مرتبات فى القيادة ، ولكن الأساس الذى سيبنى عليه العمل فى القيادة المشتركة سيقوم على كلامهم النافذ ، وبعدها يصبحون هم كل شىء ، ويعيدون من جديد حكاية البعثة ، العسكرية البريطانية ، وأنتم تعلمون ماذا كانت تصنع هذه البعثة فى الجيش المصرى »

« سيكون لهم كل النفوذ : انهم يأتون بالمال ويأتون بالسلاح ، ويضعون الخطة ، وسيقول الباقون « حاضر يافندم » وبهـــذه الطريقة سنفقد شخصيتنا فقداناً كاملا . »

« من أجل ذلك رفضنا الدفاع المشترك . »

« قالوا ان ميثاق الضمان الجماعى حبر على ورق . قلنـا نحن على أتم استعداد لتقويته اذا كنتم ستعطوننا أسلحة يدافع بها الميثاق عن المنطقة . لا تحاولوا أن تجرفوا دول هذه المنطقة فى طريقكم ؛ فاننى شخصيا اعتقد انه لو ان دول المنطقة او بعضهـا مشى فى هذا التيار ، سيؤثر على قوة المنطقة كلها . »

« ولكن كل ما يهمهم فى هذه الناحية هو سد ثغرة . الثغرة الموجودة من باكستان وتركيا وهى أصلا أفغانستان وايران . وانهم يعتبرون منطقة ايران غير عميقة اذا لم تنضم اليها العراق . »

« اذن فهم يهتمون بالدفاع ، ونحن نهتم بحريتنـا . لقـد استعمرنا المستعمرون واحتلوا أراضينا ، وكل ما نريده اليوم هو أن نخلق لنا شخصية مستقلة وقوية . ليست تابعة ، حرة ، توجه سياستها الداخليـة كيف تريد وكذلك توجه سـياستها الخارجية تحقيقاً لصالحها . »

« انا لا أريد ان أسأل غيرى ماذا أصنع فى أى موضوع ؟ . .

« اننى أعطى مندوبى فى هيئة الأمم مبادىء اساسـية ، واقول له اعمل على هذه المبـادىء ولا أخاف ولا أتردد فى أن اقول رايى بحرية .

فمبادئنا فى هيئة الأمم ، كما أعطينـاها للدكتور محمود عزمى هى كما يلى :

ـــ نحن ضد الاستعمار والسيطرة الأجنبية .
ـــ نحن مع تقرير المصير .
ـــ نحن مع حرية الشعوب

« وهذا هو طريقنا الذى نستطيع السير فيه ، ونحن لا نستطيع السير فيه ما دامت هناك سيطرة علينا . »

« اننا ــ الآن ــ نستطيع أن نقول رأينا بحرية فى مشـــاكل العالم ، فمثلا عندما عرضت مشكلة قبرص ، قلنا رأينا فيها بحرية ، قلنا اننا مع مبدأ تقرير المصير ، فلو كنت تحت السيطرة والارتباط لا بد أن أذهب فأسأل السفير الانجليزى وأقول له : ان مصالحنا متفقة مع بعضها وسـياستنا الخارجية مرتبطة ببعضها ، فماذا أقول ؟ فيقول هو : ان قبرص نريدها أن تبقى فى وضعها الحالى تحت الســـيطرة البريطـــانية فأذهب هنـــاك لأعطى صوتى مع بريطانيا » .

« هكذا تسير تركيا اليوم . »

« اننا نرى أننا بهذا الوضع . ندخل فى معركة كبرى ، وهدفنا هو أن تكون لنا شخصية حرة مستقلة . »

« تيتو فى يوغوسلافيا حاول أن يصل بالطريق الاخر . فظل سائرا مع روسيا حتى عام ١٩٤٨ ، وفعلا استطاع أن يحصـــل لبلاده على انعاش اقتصادى ، ثم أراد مخالفة السياسة التى كانت تأتيه من روسيا . فلم يسمحوا له . فخالفهم ، وانقطعت بذلك جميع الارتباطات التى عقدتها يوغسلافيا مع روسيا وحدث انهيار فى يوغسلافيا واستطـــاعت يوغسلافيا أن تخرج من تلك الأزمة بصعوبة وبدأ تيتو يوازن الأمور فى بلاده . »

« ونحن فى هذه المنطقة ، ننظر الى المسألة من ناحيتين :
١ ـ مصر ، وهى تريد أن تقى نفسها ضد اى غدر .

٢ ـ ان نحافظ على كياننا وعلى شخصيتنا وعلى استقلالها وعلى حريتها ، ولا اسمح بوضع بلادى تحت أى نوع من أنواع السيطرة . »

« كنا نعتقد أننا نستطيع تحقيق الغرضين معا بمعنى أن أنظم دفاعى كمصرى مع ميثاق الضمان الجماعى العربى ، واذا كان الغرب يجد فى ذلك مصلحة له ييسر تسلحنا ، وأحافظ على استقلالى وشخصيتى فى جميع النواحى الداخلية والخارجية بدون اية سيطرة أجنبية . »

« فاعتبر الغرب أن هذا التصرف لا يحقق هدفهم ، وهو تكملة الحلقة حول روسيا »

« اتصلنا بالدول العربية ، ذهب صلاح سالم الى العراق ، وقابل ملك العراق ، وقابل ولى عهد العراق ، وقابل رئيس وزراء العراق ، وتحدث اليه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى والكتلة العربية واتحاد الأخوة الخ .. »

« وبحكم العادة والمجاملات قالوا له كلاما جميلا واقيمت المآدب والاستقبالات اللطيفة ، ونعم وحاضر ، حقيقة أننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . »

« وجاء صلاح من العراق على أساس ان العراق موافق على تقوية ميثاق الضمان الجماعى واعتبرنا هذا نصرا باهرا اذ كيف وصلت العراق الى هذا المستوى وهى تحت حكم نورى السعيد . »

« وجاء نورى السعيد الى مصر ، وبدأنا نتكلم معه فى تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فقال : نعم هذه خطوة عظيمة ، ولا بد ان نخطوها ولا بد أن تسيروا فيها ونحن معكم يدا بيد . »

● **قلنا له : وكيف يقوى ميثاق الضمان الجماعى ؟ . »**

« **قال** : ارى ان نستدعى سفيرى بريطانيا وأمريكا ونقول لهما اننا نريد تقوية ميثاق الضمان الجماعى . فما هى الوسائل وما هى اقتراحاتكم ؟.

« ● **قلت له** : انا اعرف وسائلهم ومقترحاتهم فقد مضى على عامان وانا أتكلم معهم فى هذا الموضوع ، واذا سألتهم اليوم فان ذلك يعتبر بداية للمفاوضات والمباحثات الجديدة الخاصة به ، وكل الذى أريده الآن هو معرفة وجهة نظرك . »

« **وبعد حيرة ومراوغة قال** : تقوية ميثاق الضمان الجماعى هى ان نوسع هذا الميثاق ، كمجموعة من الدول العربية . »

« ● **قلت له** : وكيف نوسع هذا الميثاق ؟ »

« **قال** : نضم الباكستان . »

« ● **قلت** : وماذا نستفيد من الباكستان ؟ »

« **قال** : ضدنا الخطر الشيوعى ونحن نريد الوقوف فى وجه الخطر الشيوعى . »

« ● **قلت** : وماذا تفيد الباكستان وعندها خمس فرق عسكرية والمفروض أن الجبهة الخلفية هى التى تنقذ الأمامية ، وليس الوراء هو الذى ينقذ الصدر »

« **قال** : بلاش الباكستان . نضم تركيا . »

« ● **قلت** : فرضا أنه حدث هجوم شيوعى . وأنت تريد ضم تركيا . فهل تعتقد أن تركيا بالخمس عشرة فرقة التى عندها يمكن أن تستغنى عن عسكرى واحد وتبعث به اليك أم أن تركيا ستحتاج اليك لانك خلفها ؟ »

« **قال** : بلاش تركيا .. »

« ● **فلما قلت له** ان الباكستان وتركيا لا تستطيعان نجدتك »

« **قال** بلاش تركيا .. احنا نعمل تحالف مع من ينجدوننا لنتحالف مع امريكا وانجلترا وبلاش فرنسا نعمل تحالف مع أمريكا

وانجلترا وايران وباكستان ، معهم جميعا ونوسع ميثاق الضمان الجماعي وبهذا نضمن التسليح ونكون عمليين و .. و .. وأن فكرة القومية العربية التي تتكلم فيها هذا الكلام الكثير ، ايش الأردن وايش سوريا ، وايش العرب .. وهذا كلام لا أومن به . »

« ● **فقلت له :** ان هذا الطريق لا نستطيع السير فيه ، **وانما نعتبر أن اشتراك اية دولة من الدول الكبرى فى هذا الدفاع ، قد يحد من موجة التحرر التي نسير فيها** اننا نريد أن ناخذ وضعنا ، نريد تقوية شخصيتنا ، نريد دفاعا ينبثق من هذه المنطقة . »

« ثم كتب بلاغا ذكر فيه اننا اتفقنا على جميع النقط .

« ● **فقلت له :** لا يمكن أن يصدر بلاغ باتفاقنا . وأصدرنا البلاغ الغامض الذى لا معنى له وقد نشر وقرأتموه . »

« وسافر نورى السعيد .. وذهب يتباحث هنا وهنا ، ولنورى السعيد فى هذه العملية تاريخ طويل ، تاريخ وليد فلسفة خاصة عبر عنها فى كتاب أرسله لمستر كايزى وزير الدولة البريطانى سنة ١٩٤٢ ، وفيه يعتبر دول الهلال الخصيب وهى الاردن وسوريا والعراق ، هى الدول التى يمكن أن تتكون فيها وحدة ، تتألف منها الجامعة العربية ومصر لا تدخل فى نطاق العرب . »

« بقينا نحن فى مصر على نظريتنا وعلى فلسفتنا فى الدفاع ، وحاولنا بكل الطرق أن نقنع ، ولكن الآخرين ــ الغرب ــ حاولوا بكل الطرق تكملة الدرع الشمالى الذى يرونه ناقصا . »

« تحدثوا معنا فى المساعدات العسكرية والمساعدات الاقتصادية وقالوا : اننا سنعطيكم كل هذا .

« اننا نقبل المساعدات العسكرية ، ولكن لا تملى علينا شروط .. »

« اننا غير مستعدين للتوقيع على الشروط التى تربطون بها

الدول . تساعدوننا عسكريا ونحن طبعا لن نستخدمها الا فى الدفاع الشرعى ، قالوا سنعطيكم أسلحة امريكيــة بدون توقيع الشروط

« ● **قلنا لهم** : نريد سلاحا بالثمن اذا كنتم تريدون مساعدتنا فانتم قد وضعتم أسعارا مختلفة للاسلحة . فقــالوا سنعطيكم أسلحة بعشرين مليون دولار فى عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ » « وحتى الآن تمخضت العملية الطويلة العريضة عن كلام حلو . »

« ● **قلنا لهم** : مستعدين نشترى .

« ولكننا لم نصــل معهم الى نتيجة سوى أن هنــاك أسلحة ستأتى ، وقد قلت لكم هذا منذ عامين ، ذهبنا الى هناك ، وطالت المفاوضة ، ولكنا لم نصل الى شىء . »

« ان النفوذ اليهودى والنفوذ الصهيونى له هناك تأثير كبير جــدا ، واننى كنت أعتقد أنهــا ستكون معجزة من المعجزات أن نحصل على أى شىء . »

« قلنا ومازلنا نقول ان تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، لن يتم مطلقا الا اذا أعطيت الدول العربية كمنطقة دفاعية الفرصة الكاملة للتسليح والفرصة الكاملة لاقامة جيش عربى خالص يدافع عنها طبقا لميثاق الضمان الجماعى . »

« ثم فوجئنا بالبيان العراقى الصادر فى ١٢ يناير ١٩٥٥ » .

« وكان هناك اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية فى ديسمبر الماضى ، وتقابلت معهم واحدا واحــدا ، **وتحدثت معهم فى انشــاء جيش عربى يدافع عن العرب ويكون جيشنا ونحن الذين نسيره** فوافقوا جميعا على هذا الرأى ، وكان اكثرهم حماسة له شهبندر وزير خارجية العراق وطلب منا أن تعقد العراق اتفاقية جلاء مع بريطانيا على غرار الاتفاقية المصرية وان تشمل ايران وتركيا بدلا من تركيا ، يعنى فى حالة وقوع اعتداء على تركيا أو ايران ، تعود القوات البريطانية الى احتلال مطارى الحبانية وشيبة بالعراق . »

« ○ قلنا له اننا لا نمانع »

قال : وبعد ذلك نقوى ميثاق الضمان الجماعى ، أن نورى السعيد مؤمن برأيكم وبفكرتكم ، وانه لن يتحالف مع باكستان ولا مع ايران ولا مع أحد ، وكل أمله الآن تقوية الميثاق العربي ، وكان ذلك يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ واتخذنا قرارات توصي الدول العربية جميعها بعدم عقد اى تحالف والاعتماد على الميثاق العربي ووقع عليها جميع الوزراء . »

« وبعد ذلك أعلن الحلف التركى العراقى فى ١٢ يناير ١٩٥٥ فى بغداد ، ووجهت الدعوة الى الدول العربية الاخرى .. »

« الحقيقة ان هذا الموضوع نعتبره الحل الوحيد لمشكلات العرب جميعا فى هذه المنطقة ، وخصوصا أن مشكلات العرب معلقة ولكن ارتماؤنا فى الاحضان على هذه الصورة . سيجعلنا نفقد شخصيتنا وتفقد استقلالنا الا فى نواح معينة محددة داخلية ومحلية وسيجعل بلادنا ميدانا من ميادين القتال لندافع عن انفسنا . »

« ان الغرب سيحارب هنا بالقنابل الذرية وأنا القاطن هنا ، وانا الموجود بهذه المنطقة كيف أستطيع أن ادافع عن نفسى ؟ وكيف احمى نفسى عندما تأتينى الطائرات بالهيدروجينية أو بالقنابل الذرية وانا المقيم فى هذه المنطقة فماذا أصنع ؟ . »

« كل هذه مسائل لا بد أن نفكر فيها ، كل هذه مسائل تكلمنا فيها قلنا لهم انكم ستدافعون عن هذه المنطقة بالطائرات والقنابل الذرية ، افرضوا انكم لم تنجحوا هل تتركونا هكذا فى الميدان ، » قلنا لهم ان الحل الوحيد لهذا إن توجد منظمة للدفاع عن هذه المنطقة منظمة عربية خالصة قوية وليس لها اى ارتباط بالغرب » وبهذا يفكر المعتدو بدل المرة عشر مرات قبل أن يهاجم هذه المنطقة . لان هذه اذا تركت فراغا « ستغرى بالهجوم . اما لذا

كانت هذه المنطقة فيها قوة من ابنائها قد تجعل المهاجم يتردد في الهجوم . »

« نحن هنا كعرب نستطيع أن ننشيء ١٥ فرقة ولكن هـــذه النظرية لم تقبل . »

« ودخلت العراق فى الحلف التركى ، واعتبرت أن التحالف قد يكون ضمانا لها ضد اى غزو وعندما جلست اتناقش مع **باش اعيان** وافقنى على راى مصر ، ثم قال الحق انهم ضغطوا علينا . »

« ● **قلت له** : ولماذا رضختم واستجبتم وانت كنت رجلا من المستقلين وكانت لك جبهة قومية قبل أن تكون وزيرا ولكن الان لــماذا تغيرت الدنيا ؟ . »

« **قال** : نحن واقعيون .. كنــا قوميين واصبحنا واقعيين ، والحق اننا تحت ضغط . »

« وبهذا **يعمل الغرب على ايجاد سياسة انفصالية** ، فى هــذه المنطقة أو سياسة تباعد لأنهم يدركون أن وجود المصريين هنــاك سيكون عاملا من عوامل اضعاف النفوذ . »

« فقد رحبنا باستقبال البعوث ، وارسلنا مدرسين هناك ، ولكن هذا طبعا يجد مقاومة .

« فاذا ما وجهنا النظر الى جنوب مصر .. الى السودان .. نجد ان هناك حربا كسبنا فيها الجولة الأولى ولكن جميع هــذه القوى الاستعمارية المتنافرة تعمل ضدنا فى السودان لسبب من الاسباب هو انه معروف جيدا أن مصر اذا وصلت الى الملاكال والى جنوب السودان فاتحاد افريقيا الوسطى والمستعمرات الموجودة ستتأثر فعلا بالروح المصرية التحررية يعنى بعبارة أوضح بالنسبة **لافريقيا يعتبر الاستعمار وصول المصريين الى جنوب السودان ودخولهم اواسط افريقيا ، سيكون خطرا** . »

« وما زالت حتى الآن الحرب مريرة بيننا وبين جميع القوى فى السودان وكل مساعداتهم وكل مقـــاومتهم تهـدف الى تقوية الانفصاليين على أساس أن السودان يكون مستقلا والحقيقة ان السودان لم يستقل بهذه الطريقة لان الانفصاليين ارتبطوا دائما بالانجليز واذا استقل السودان بواسطتهم فسيكون هناك النفوذ البريطانى . »

« اننا نخوض معارك مريرة فى الجنوب ومعارك مريرة فى الغرب وفى الشرق تقوم اسرائيل ونحن لا نخوض هـذه المعـارك حبا فى الهجوم ، ولكنها جميعا بالنسبة الينا معارك دفاعية . »

« وسرنا على طريقنا ، نعنى بمبدأ الدفاع عن العـرب بسواعد العرب ما دامت العراق قد خرجت فليكن تحالف جديد من بقية الدول العربية ، ليستمر المبدأ فى طريقه وتوجد قوة عربية لهـا كيانها تعمل طبقا لهذا المبدأ . »

« اذا كنا والله نريد أن تكون لنا شخصية مستقلة ، ونبينها فى الفترة العصيبة التى نعيش فيها ، فلا بد أن يكون عودنا صلبا قويا . اذا كنا قد قمنا بثورة تدعو الى التحرر وتدعو الى الاستقلال فالمقصود هو أن نتحرر داخليا وخارجيا ، ويكون لنا كيان ويكون لنا تأثير على المحيط الموجود حولنا . اذا اردنا ان نصل الى هذا فلا بد أن نصمد ونصمد .

« اما اذا أردنا أن نخضع للسيطرة ونسير وراء الأوهام والكلام الجميل البراق ، فسنفقد شخصيتنا وقوميتنا ونسير الى ما لا نحبه وما لا نرضاه . »

« ولكن ثورتنا لا ترضى بهذا ، ولهذا فنحن نحارب فى المحيط العربى ، وفى المحيط الافريقى وفى هذه المنطقة كلها ، وبكل اسف اننا لا نحارب القوى الأجنبية فقط ، بل على بالعكس فنحن نحارب لاعوان الاستعمار الموجودين فى هذه المناطق ، فطالما هناك اعوان

استعمار فهم يعتقدون أن نفوذهم مستمد من النفوذ الأجنبى ، ودائما هذا الصنف من الناس له نفوذ كما كانوا هناك ولذلك سنجد قوى كبيرة جدا تقاومنـــا . وعلينا نحن أن تؤدى الواجب فى كل الميادين .. الا نتهاون ولا نستكين ولكننا فى نفس الوقت علينا أن تبنى لنا الشخصية القوية . »

« ان الغرب يشعر الآن بأنه حقق جزء من الهدف وهو الرباط الشمالى لكنهم يعلمون أن العمق وهو الجزء الأهم بالنسبة لهذا الرباط لم يتحقق فى النقطة التالية وهى القاعدة . القاعدة الموجودة فى السويس وهى نقطة الارتكاز فى حالة حدوث أعتداء على احـدى الدول العربية أو تركيا .. كيف ستعمل هـــذه القاعدة وهناك اسرائيل وهناك حالة الحرب القائمة بين العرب وبين أسرائيل ؟ . »

« اذن لا بد من انهاء هذا الوضع حتى تصبح لهـذه القاعدة فائدة او تنقل القاعدة من هذا المكان اذا استمر الوضع على ما هو عليه هذا هو ما يفكرون فيه . »

« وكل هذه مشكلات لا بد من أن نجابهها ، وغرضنا الأساسى أن تكون لنـــا شخصية وكيان ونحقق فى داخل الوطن اســـتقلاله الداخلى ، وسياستنا الخارجية تكون سياسة وطنية متحررة . »

« ويجوز أن يكون المرء فى هذه النواحى عنده مركب نقص ، فيخاف ، لأن الظروف الماضية تدعو الانســـان الى الخوف من السيطرة ، وخاصة عندما يذكر أن السفير البريطانى فى القاهرة كان يعطى التعليمات واننا لا نريد أبدا أن يعود هذا التاريخ . »

((نقوى جيشنا ، نقضي علي الاقطاع ، نقضى على الاحتكار ، نقوى اقتصادنا ، نقضى علي سيطرة راس المال علي الحكم ، نقضى على النفوذ الأجنبى . وبهذا نستطيع أن نقول اننا حققنا أهداف هذه الثورة .))

لا احتكار في السلاح

معركة عبد الناصر مع الاستعمار ، اتخذت عدة اشكال ، بدات بالجلاء ، وبمقاومة الاحلاف العسكرية ، ثم بكسر احتكار السلاح واعلان سياسة الحياد الايجابي ، وعدم الانحياز ..

وبعد ذلك اتخذ عبد الناصر موقفا آخر ، أكثر تشددا وتصلبا عندما امم قناة السويس .. ورفض صيغة أخرى للارتباط بالغرب في صورة مشروع ايزنهاور .. والغرب في مواجهة كل ذلك يمارس ضغوطه الاقتصادية لاجباره على التسليم ، ويفرض عليه حصارا اقتصاديا خانقا ..

رفض عبد الناصر الضغوط ولم يستسلم للحصار ، وظل اكثر صلابة .. وأكثر تحديا ، يسير في خطوط السياسة المتحررة من كل قيود ، والتي ترفض التبعية ..

ومضى هذا الفكر يشق طريقه ، عملا ، وقولا .. ونضالا وقتالا حتى تأكد بخطوط بارزة في صورة موقف كامل للسياسة الخارجية مع السلم العالمي ، « فالحرية لا تتجزأ ، والسلام لا يتجزأ » مع استقلال الشعوب .. والتعاون الدولي بين الشعوب من أجل الرخاء المشترك هو امتداد طبيعي للحرب ضد الاستعمار والاستغلال ..

ومن هذا الموقف يرفض الفكر الناصري التمييز العنصري .. لأنه اكتشف حقيقة مغزاه « فالاستعمار في واقع امره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الاجنبي بقصد تمكينه من استغلال ثرواتها وجهدها ، وليس التمييز العنصري الا لونا من الوان استغلال ثروات

الشعوب وجهدها ، فان التمييز بين النـاس على اساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين قيمة جهودهم » .

« أن الرق كان الصورة الأولى من صور الاستعمار والذين ما زالوا يباشرون اساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر اثرها على ضحاياهم ، وانما يلحقون الأذى بالضمير الانسانى كله ، وبما احرزه من انتصارات » (١) .

ويرفض الفكر الناصرى ايضا الحرب .. يؤمن بالسلام وبانه ضرورة حيوية ، لا يتوانى للعمل من اجلها .

« لقد رفع شعبنا فى احلك ظروف المعارك القاسية التى ارغم على خوضها شعاره الخالد (السلام لا الاستسلام) ايماءة واضحة الى انه يقبل التعاون الدولى ولكنه يقاوم السيطرة » .

« والسلام لا يمكن أن يستقر فى عالم تتفاوت فيه مستويات الشعوب تفاوتا مخيفا .. ان السلام لا يمكن أن يستقر على حافة الهوة السحيقة التى تفصل بين الامم المتقدمة والأمم التى فرض عليها التخلف .

« ولكن الصدام المحقق بين التخلف والتقدم هو الخطر الثانى الذى يهدد السـلام العالمى بعد الخطر الاول الذى يكمن فى نشوب حرب ذرية مفاجئة » ...

« فالتعاون الدولى من اجل الرخاء هو الأمل الوحيد فى تطور سلمى يقرب ما بين مستويات الامم ويزرع المحبة بينها بدلا من سموم الكراهية » .

« أن التعاون الدولى من اجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين من العصر الاستعمارى » .

« انه يشمل فتح الأسرار العلمية للجميع فان احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية » .

(١) الميثاق

« كذلك هو يشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتضيء جوانب التخلف المظلم » .

« كذلك هو يشمل التبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة التى توجه الى صنع الأسلحة النووية لتخدم الحياة بدلا من أن تترصد لها وتتربص بها » .

« كذلك هو يشمل الدعوة الى مواجهة التكتلات الاقتصادية الدولية بحيث لا تستخدم بواسطة الأقوياء لتحطيم محاولات غيرهم من أجل التقدم » (١) .

والعمل من أجل السلام هو الذى قاد عبد الناصر الى رفض التجارب الذرية .. والى المشاركة فى مؤتمرات نزع السلاح ..
وهو يرى « أن شعبنا يعرف قيمة الحياة لأنه يحاول بناءها على ارضه ، وأن صدق دعوته للسلام تنبع من حاجته الماسة اليه ، وأن السلام هو الضمان الأكيد لقدرته على الاستمرار فى معركته المقدسة من اجل التطوير .. وأن العمل من أجل السلام هو الذى سلح شعبنا بشعار عدم الانحياز والحياد الايجابى » .

* * *

فى ابريل عام ١٩٥٥ ذهب عبد اناصر الى باندونج .. وهو يحمل بيده غصن زيتون يلوح به للسلام العالمى ، ويرفعه فى وجه المستعمرين ، وأعداء الشعوب ..

ولعب عبد الناصر دورا هاما ، فى مؤتمر باندونج وكان قيادة ناجحة وبارزة ومؤثرة فيه ..

وفى باندونج كان هدف المؤتمر ان يدرس القضايا التى تهم شعوب آسيا وافريقيا وخاصة القضايا السياسية والاجتماعية ،

---

(١) الميثاق

ويبحث المصالح المشتركة ، ويدعم تعاونها ثم يبحث ماذا تستطيع هذه الدول أن تقدم من اجل السلام العالمى . .

ولاول مرة يخرج عبد الناصر الى مؤتمر عالمى ، ولكنه فى هذا المؤتمر الأول كان واضحا وحاسما . .

شرح عبد الناصر دور شعب بلاده فى مقاومة النفوذ الاجنبى فى الشئون الاقتصادية والسياسية . . والمعارك التى خاضها على مدى اقل من ثلاث سنوات من أجل الحصول على الاستقلال وتأكيده . .

واجاب بعد ذلك على تساؤل هام هو :

لماذا تتعدى مصر خارج حدودها لكى تساهم فى حل مشكلات غيرها . .

« فنحن فى عالم . . لا يستطيع أن يعيش احد فيه بمفرده ، فى عزلة عن غيره . . قوى العدوان أيها الاخوة ، تتقاسم فيما بينها الأدوار والغنائم . . قوى السلام لا بد أن تتضامن فيما بينها ، لكى لا تتحول واحدة بعد واحدة فرادى ومعزولة ، لتصبح بعض غنائم قوى العدوان (١) » .

« وفى تلخيص بسيط وسريع . . فان سياستنا كما يلى . . »

« صداقة مع الكل . . واذا وقع الخلاف ، فهو على اساس من المبادىء . .

« وايجابية فى الحركة تنبذ التوقف . . عن ايمان بأن السلام لا يتجزأ ، والحرية لا تتجزأ ، والرخاء لا يتجزأ . .

« ثم ادراك لحقيقة أن مجتمع الدول . . كما حدث من قبل لمجتمع الأفراد يحتاج فيه الكل الى الواحد ، بقدر ما يحتاج الواحد الى الكل (٢)

١ - عيد النصر ببور سعيد ١٩٦٦
٢ - مجلس الامة نوفمبر ١٩٦٥

« ان المسافات تلاشت بفضل ثورية وسائل المواصلات ، ويكاد العالم كله أن يصبح كيانا واحدا ، لا تنعزل بعض أجزائه عن الأخرى . وبالتالى فلم يعد ممكنا احتكار الرخاء لبعض سكانه ، وترك البقية منه لتحصد الشقاء .

« ان شعوب الأرض جميعا ساهمت فى صنع حضارة الانسان واذا كان النور قد خبا فى بعض النواحى ، فان شعلته لم تنطفىء .. وانما انتقلت من مكان الى مكان .. ولقد حدث نهب لثروات الشعوب .. بل لقد حدث انتقال الثروات بطرق لا تحتاج منا الى مزيد شرح أو تفصيل .. واذا كنا نريد أن نقيم الآن سوقا للحساب .. نتبين فيها من أعطى ومن أخذ .. وكيف ؟ .. فلنذكر جميعا وليذكر الأغنياء بالذات أن مصادر غناهم لا تنبع من داخل حدودهم السياسية وحدها » .

« واذن فلقد شاركت شعوب الأرض كلها وتشارك فى صنع الرخاء .. وبالتالى فان احتكار هذا الرخاء لا يقيم سلاما .. لا يمكن أن يقوم أو يدوم سلام على الأرض ، مع التباين المروع فى مستويات المعيشة بين الشعوب » (١) .

« أشير .. الى المصاعب التى تواجهها الدول النامية من جانب الاحتكارات الاقتصادية ، حيث الرغبة دائما فى ابقاء هذه الدول مصدرا للمواد الخام بأرخص الأسعار ، وسوقا للمصنوعات الجاهزة بأغلى الأسعار ، الأمر الذى يحدث تناقضا اقتصاديا واجتماعيا خطيرا ، خصوصا اذا ما أضيف امتياز التقدم العلمى فى خدمة الاحتكارات ، وبذلك يصبح الفقراء أكثر فقرا والأغنياء أكثر غنى (٢) .

« ان الفوارق المؤلمة فى مستويات معيشة الشعوب لن يكون من شأنها الا وضع العالم على فوهة بركان لا يهدأ ولا يستقر .. ولا ينام » (٣)

---

١ - مؤتمر عدم الانحياز ١٩٦٤
٢ - الكرملين أغسطس ١٩٦٥

« ان هناك فوارق مروعة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة .. وبضاعف من الاحساس بهذه الفوارق ان شعوب الدول المتخلفة ترى - وهى على حق فيما تراه ـ ان رخاء غيرها قد أخذ منها بوسائل النهب الاستعمارى المروعة .. »

« نحن هنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وكثيرون منكم .. اذا لم نقل معظمكم .. نواجه هذه المأساة .. التى تعرضنا لها قرونا طويلة .. نزحت فيها ثرواتنا الوطنية المدخرة ، واستنزفت ببشاعة منظمة .. واذا كنا نرتفع بمشاعرنا وآمالنا عن الحقد .. فاننا نرى ان ابسط مقتضيات العدل تحتم ان يلقى الساعون الى التقدم ، تعاونا أصيلا من جانب السابقين الى هذا التقدم . »

« ان مطلب العدل الاجتماعى هو القوة المحركة للحوادث الآن فى كل وطن واحد .. وهذا المطلب ، مطلب العدل ، يوشك أن يؤدى نفس الدور فى مجتمع الدول .. فى عالم يتحول برغم اتساعه الى كيان واحد ، تلاشت منه المسافات بفضل التقدم الثورى فى وسائل المواصلات .. »

« ولا نريد أن ينتهى تقسيم العالم الى كتلة غربية وكتلة شرقية .. لتقوم تقسيمات أخرى اكبر واخطر .. »

« كتلة من الفقراء .. وكتلة من الأغنياء .. كتلة من المتقدمين .. وكتلة من المتخلفين .. »

« كتلة فى الشمال من الكرة الأرضية من حقها الرخاء .. وكتلة فى الجنوب ليس لها غير الحرمان .. كتلة من البيض .. وكتلة من الملونين .. »

« لا يستطيع الفقر والغنى أن يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. ولا يستطيع التقدم أو التخلف ان يعيشا بسلام جنبا الى جنب ..

ولا يمكن للرخاء والحرمان أن يعيشا بسلام جنبا الى جنب .. »

« نحن فى عالم واحد .. ونحن جنس بشرى واحد .. مهما اختلفت الألوان .. » (١) .

ان عبد الناصر يرفض السيطرة الأجنبية .. والمبادىء عنده كل لا تتجزأ ، كما أن السلام كل لا يتجزأ .. وايجاد كتلة ثالثة بين الكتلتين الكبيرتين يمكن أن يرفع من شأن هذه الدول الصغيرة ..

ومن خلال معاناته فى ظل حياته فى وطن مستعبد .. اتخذ موقفا فى مناصرة كل المستعبدين على الأرض .

من أجل السلام العالمى اذن تحرك عبد الناصر الى مؤتمر باندونج ولكن السلم العالمى فى رأيه لا يتحقق الا بشروط خمسة حددها فى خطابه فى المؤتمر هى :

● الشرط الأول :

« نجاح الجهود التى كانت هيئة الأمم تبذلها ـ ما زالت تبذلها لتنظيم وتحديد وتخفيض القوات المسلحة والتسليح . وكذلك القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل . »

« ان مصر ، وكافة الدول الممثلة فى هذا المؤتمر وغير الممثلة سواء . لتدرك تمام الادراك ، ويؤلمها أشد الألم ما تتكلفه أعباء التسليح من نفقات وجهود توشك أن تقصم ظهر الاقتصاد العالمى ويعوق النهوض الاجتماعى ، وتأمل بحماسة وحرارة وقف هذا التسلح فورا ، حتى يفيق العالم من كابوس الفزع المريع الذى يقض مضجعه من جراء هذا التسليح . »

---

١ ـ مؤتمر عدم الانحياز ١٩٦٤



« وثمة علاقة وثيقة بين رفع مستوى معيشة الشعوب وخفض نفقات التسليح . ولا شك فى أن العلوم والخبرة الفنية الحديثة ، اذا استخدمت لاغراض سلمية ، سوف تتيح للجنس البشرى من الرفاهية قدرا لا يعادله اى قدر توفر فى اى زمان ومكان . فالطاقة الذرية مثلا اذا استخدمت فى اغراض سليمة تهىء للشعوب ـ ولا سيما فى البلاد المتخلفة حيث يعيش السواد الأعظم فى فاقة وعوز فرصا لا نظير لها للرخاء الاقتصادى .

● الشرط الثاني

« لتحقيق السلم العالمى هو تمسك هيئة الأمم المتحدة بالميثاق ومبادئه ، فيجب أن تكون كافة القرارات والاجراءات التى تتخذها هذه المنظمة العالمية أساسها الميثاق ولو روعى هذا لما نزل بشعب فلسطين ذلك الظلم البين ولما وقع عليه هذا الاعتداء الذى لم يسبق له مثيل .

« اسمحوا لى أن أبدى بعض الملاحظات مع موضوع يثير فى نفسى الحزن والأسى ، ذلك ان شعب فلسطين طرد من وطنه وشرد ليحل مكانه شعب دخيل فرض عليه فرضا وكل هذا يحدث على مرأى من هيئة الأمم المتحدة ، بل بمساعدتها وموافقتها .

« لست أعرف فى تاريخ الشعوب حدث من قبل هـذا الخرق الوحشي الاثيم للمبادىء الانسانية ، هل من ضمان يكفل للشعوب الصغيرة ان الدول الكبيرة التى ساهمت فى تلك المساساة ، لا تسمح لنفسها بتكرار حدوث مثل هذا الاعتداء على شعب آخر برىء وادع لا حول له ولا قوة ؟ »

« واقسم أنه لا يستطيع انسان ان يتصور أن ظلما بينا كهذا يمكن حدوثه فى القرن العشرين ، عصر النظام والعدالة العالمية على مرأى من هيئة الأمم المتحدة ، جامعة القانون الدولى والعدالة الدولية » (٥)

« ● هناك شرط آخر لقيام السلم العالمى لا يقل عن سابقه الا وهو احترام الدول لالتزاماتها الدولية ، فبمقتضى ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان لم تعد معاونة الدول لبعض الأفراد أو لجماعة تتضمن مبدأ معينا سواء أكان هذا تفرقة عنصرية أم سموا مستندا على انتماء الى أصل عريق مسألة داخلية ، كما تذهب بعض الدول فى ادعائها ، بل أصبحت مسألة دولية تهم العالم أجمع . والتمييز فى أية صورة من صوره لا يعد اخلالا بالالتزام الدولى انما هو أمر يخل بالعلاقات الودية بين الدول . »

« ومما يؤسف له ان التفرقة العنصرية ما زالت قائمة فى جنوب افريقيا ، وقد وصفت هذا الموضوع لجنة الأمم المتحدة بشأن مسألة الأجناس فى اتحاد جنوب أفريقيا بالفقرة الآتية :

« ان نظرية التفريق العنصرى والسياسية التى قامت استنادا اليها ، نظرية باطلة علميا وتهدد السلم والأمن العالمى بالخطر كما أنها تتنافى مع عزة الانسان وكرامته . »

« ● هناك شرط آخر أحب أن اشير اليه فكثيرا ما تفعله الدول ولا سيما الكبيرة منها الا وهى الاعيب الضغط السياسى التى بها تعمل الدول الكبيرة على استخدام الدول الصغيرة كأداة لتحقيق أغراض الأولى ، هذا يجب وقفه فورا ، اذا أردنا أن نضع حدا للتوتر الدولى الموجود فى الوقت الحاضر » .

« ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة له أثره الضار على الدول الصغيرة فهو يعزلها ويفرق فيما بينها . كما يضعف الروابط والتعاون الذى قد يكون قائما بينها ، وبذا تقع السيطرة الأجنبية فان على الدول الصغيرة أن تقوم بدورها الانشائى فى سبيل تحسين العلاقات الدولية وتخفيف حدة التوتر الدولى »

● « وثمة شيء آخر ولكن ليس بأخير ، ذلك هو موضوع تصفية الاستعمار الذى طالما كان سببا فى الاحتكاك بين الدول وما يستتبعه من قلق فانه منذ أن اتسعت رقعة الاستعمار اتسعت معه مشكلة نظام الحكم الاستعمارى الأجنبى الذى كان دائما مثار الحروب . »

« ولقد شاهدنا منذ سنين وما زلنا نشاهد ارتفاع موجة القومية لا فى بلادنا والمناطق المجاورة لها فحسب ، بل فى عدة أقطار آسيوية وافريقية ولقد علمتنا تجارب الحياة ان القومية اذا احبطت ترتبت عليها عواقب وخيمة ونشأت عنها مشاكل عويصة ، وان الدول اذا تناولتها فى حكمة وهوادة وواقعية ، أثمرت ثمرا طيبا ، من الصداقة والتفاهم والمحبة ، وانا لنرجو أن نضع ذلك دائما نصب أعيننا بشأن بقية بلاد العالم التى ما زالت شعوبها متعطشة الى ارواء قوميتها ، ولكنها لم ترتو بعد ولم تشبع رغبتها فى هذا الصدد . »

« وارانى فى غير حاجة الى القول بأننا نعيش الآن فى عصر جديد يختلف عن العصور الماضية فلقد استيقظ فى الشعوب وعى جديد ، لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض . »

« على اى أساس يستطيع انسان أن يستسيغ ان اقطار شمال أفريقية التى ظلت قرونا مستقلة ومقرا للعلم والعرفان والحضارة العريقة تنحط مرتبتها الى حد أن تصبح مناطق لا تتمتع بالحكم الذاتى ؟! »

« هل تتفق هذه السياسة مع السلم والتعاون بين الشعوب ؟ »

« ان اكثر الحروب وما جرته من ويلات للبشرية كانت تعزى فى الغالب الى أن القرارات التى اتخذت وان كانت فى ذاتها صحيحة سليمة الا أنه لم يختر لها الوقت المناسب . »

« الا أن التباطؤ والاحداث تسير واغفال الحاجة الملحة الى تكييف الأمور منذ العهد الجديد الذى ترجع بدايته الى سنة ١٩٤٥ ، وتجاهل التقدم الانسانى لا للشعوب التى ترتكب الخطأ فحسب بل

للانسانية جمعاء ، وهذا احد اسباب القلق الذى يسود العالم فى عصرنا الحالى . »

« ان التعاون بين الشعوب الآسيوية والافريقية ليس عاملا على تخفيف حدة التوتر الدولى القائم فحسب ، بل هو تعاون تلك الدول ــ التى تمثل اكبر قارتين وسكانهما أكثر من نصف سكان العالم ــ على التقدم وتحقيق مستوى معيشة ارفع ، وتحقيق هذا الغرض كما لا يخفى ، لازم لهدف تال هو السلم العالمى فليس معنى السلم مجرد : لا حرب بل انه يستوجب جهودا متضافرة متواصلة لتهيئة جو من الاستقرار السياسى والنمو الاقتصادى . والعدالة الاجتماعية ، وكليهما مقومات لا غنى عنها لانشاء مجتمع عالمى سليم

« ان التعاون الذى اجتمع مؤتمر باندونج من أجل تنميته لن يحقق هدفه ويأتى بالنتائج التى تطلبها الشعوب منه الا اذا تحقق مبدأين :

« ● أولا ــ يجب على كل دولة أن تحترم الاستقلال السياسى لأية دولة أخرى ، وان ترعى العدالة الاقليمية فيها ، وألا تتدخل فى شئونها . »

« ● ثانيا ــ لكل دولة الحق أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية . »

« ويقينى أنه ما دامت هذه الأغراض والمبادىء رائدنا فسوف يحقق لنا هذا المؤتمر الوصول الى اتفاق على ما يعرض فيه من مقترحات وخطوات عملية من شأنها ايجاد التعاون المنشود بين بلادنا ثقافيا واقتصاديا ، واجتماعية . » (١)

---

١ ــ مؤتمر باندونج ابريل ١٩٥٥

مهام لكل الناس .. من أجل السلام

يعود عبد الناصر من باندونج ليؤكد موقفه هناك باخطر اجراء قام به فى تلك السنوات من عمر الثورة، وهو الاجراء الذى وصفه دلاس وزير خارجية امريكا فى ذلك الوقت بانه ((اخطر حدث دولي منذ حرب كوريا بل منذ الحرب العالمية الثانية)) .

هذا الاجراء هو كسر احتكار السلاح ..

كان لابد للثورة أن تقيم الجيش القوى ، الجيش القادر على الحرب ، والمزود باحدث الأسلحة ..

ومنذ سنة ١٩٥٢ بدأت مصر تطالب امريكا بان تمدها بالسلاح ...

ووضعت أمريكا شروطا لذلك .. طالبت بما اسماه الزعيم حق التفتيش . ووضعت شروطا أخرى غريبة منها :

- بعثة عسكرية تقيم .. لتسيطر ، وتتحكم ..
- السلاح لا يستخدم ضد الغرب .. ولا ضد اسرائيل ...
- الدفع بالدولار ..

كان كسر احتكار السلاح من أخطر الاجراءات التى قام بها عبد الناصر والتى تؤكد فكره فى رفضه أن ندخل ضمن مناطق النفوذ باصرار .. وكان هذا الاجراء فى نفس الوقت خطوة كبير نحو التقارب مع الكتلة الشرقية ...

وبهذا يسطر الفكر الناصرى خطا بارزا ظل ايضا يتأكد فى الممارسة ويشير الى أن موقف الاستعمار واحد ، وانه مترابط ، ومتعاطف ، وضد الشعوب ..

« طلبنا السلاح من انجلترا .. فرفضت ، طلبناه من امريكا فرفضت .. طلبناه من فرنسا فرفضت . »

دول الغرب كلها تسير فى خط واحد ، تحركها مصالحها .. لا يحركها افراد .. قد يوجد أفراد يتعاطفون مع دول أخرى ، ويرفضون بفكرهم منطق الاستعمار ، ويتطلعون الى العدل .. ولكن هؤلاء الاشخاص سيظلون داخل هذه الدول ضعاف وتضيع أصواتهم فى زحام المصالح .. فما يحرك الاستعمار هو مصالحه .. ومصالحه المباشرة هو أن يستغل الدول ويستنزفها ..

وقصتنا مع السلاح قصة طويلة .. يشرحها عبد الناصر ، ويشرح الأسباب التى أدت اليها فى الخطاب الذى أعلن فيه كسر احتكار السلاح .. وأننا تعاقدنا فعلا مع تشيكوسلوفاكيا لتوريد أسلحة حديثة الى جيشنا (١) .

« لقد اعلنا سياسة مصر فى مناسبات عدة .. اعلنا أن مصر بعد ان قامت بثورتها فى ٢٣ يوليو ستسير فى سياستها المستقلة قدما الى الامام وقد تخلصت من السيطرة ، ستسير قدما الى الامام وقد تخلصت من السيطرة ، ستسير قدما الى الامام وقد تخلصت من النفوذ الأجنبى .. هذه كانت آمالنا وكانت آمالكم .. اننا عملنا ما فى وسعنا أيها الاخوان حتى نحافظ على هذه الآمال .. اننا عملنا كل ما نستطيع حتى نحافظ على هذه الأهداف .. ولقد قابلنا فى سبيل ذلك مصاعب ، مصاعب كثيرة .. ومصاعب كبيرة » ..

« فانكم تعلمون أن الأسلحة الثقيلة تتحكم فيها الدول الكبرى .. وانكم تعلمون أن الدول الكبرى لن ترضى ابدا أن تمول الجيش بالاسلحة الثقيلة الا بشروط ، والا باشتراطات .. وانكم تعلمون أننا رفضنا هذه الشروط ورفضنا هذه الاشتراطات لأننا نحرص على الحرية الحقيقية ، ونحرص على السياسة المستقلة ، ونحرص على

---

(١) معرض القوات المسلحة ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥

ان تكون لمصر سياسة مستقلة قوية حتى نخلق من مصر شخصية جديدة مستقلة تخلصت فعلا من الاستعمار ، وتخلصت فعلا من الاحتلال تخلصت فعلا من السيطرة .. السيطرة الأجنبية بكل معانيها » ..

« كنا نسعى فى هذا السبيل .. واليوم يا اخوانى نسمع ضجة من لندن .. ونسمع ضجة من واشنطن على تسليح الجيش المصرى وانا احب أن أقول لكم اننا حاولنا طوال السنين الثلاث الماضية أن نسلح الجيش بأسلحة ثقيلة بكل وسيلة من الوسائل .. لا بغرض العدوان ، ولا بغرض الاعتداء ، ولا بغرض الحرب .. ولكن بغرض الدفاع ، بغرض الأمن .. بغرض السلام » ..

« اننا أردنا أن نقوى جيشنا حتى نؤمن انفسنا وحتى نؤمن قوميتنا .. وحتى نؤمن عروبتنا .. اننا أردنا أن نسلح جيشنا حتى نشعر دائما بالأمن والسلام وبالطمانينة ، ولم نكن نقصد ابدا أن نقوى هذا الجيش للعدوان .. أو أن نقوى هذا الجيش للحروب ، ولكن الجيش الذى هو سياج هذا الوطن ، ولكن الجيش الذى هو حامى هذا الوطن يقف دائما على أهبة الاستعداد ليدافع عن شرف الوطن هذا هو غرضنا ، وهذا هو هدفنا ، وقد كنا ننادى بذلك دائما طوال السنين الثلاث الماضية » ..

« اننا لا نريد سلاحا للعدوان .. اننا نريد سلاحا حتى نطمئن وحتى نشعر بالسلام ، وحتى لا نشعر بالتهديد » ..

«انى يا اخوانى اشعر بالضجة من هنا ، واشعر بالضجة من هناك ، اشعر بهذه الضجة حينما استطعنا ان نحصل للجيش على حاجته من الأسلحة .. بدون شرط وبدون قيد .. حتى نحقق الهدف الذى قامت هذه الثورة من اجله .. ان يكون لمصر جيش وطنى قوى يحمى الاستقلال الحقيقى ويحمى الحرية الحقيقية » .

« وانى أحب يا اخوانى أن أقول لكم فى هذه المناسبة قصة

تسليح الجيش .. فحينما قامت الثورة التجـأنا الى كل الدول والتجأنا الى كل ميدان من اجل تسليح هذا الجيش » ..

« التجأنا الى انجلترا ، والتجـأنا الى فرنسـا ، والتجـأنا الى امريكا ، والتجـأنا الى باقى الدول من اجل تسليح الجيش .. من اجل السلام ومن اجل الدفاع ، فماذا اخذنا ؟ الحقيقة اننا لم ناخذ الا مطالبات ، فقد ارادوا ان يسلح الجيش بعد ان نوقع على وثيقة ، وبعد ان نوقع على مواثيق .. وأننا أعلنا اننا اذا اردنا أو صممنا أن نسلح جيشنا من اجل حريتنا ، ومن اجل شخصيتنا المستقلة .. من أجل حياة ثورتنا .. ومن اجل عزة وطننا .. ومن اجل كرامة مصر .. وأعلنا أننا لن نسلح الجيش على حساب استقلالنا .. اننا لن نسلح الجيش على حساب حريتنا » ..

« وطلبنا السـلاح ، فماذا كانت النتيجـة ؟ كانت النتيجـة يا اخوانى قصة طويلة .. قصة مريرة .. وأننى أذكر فى هذا الوقت .. اذكر وأنا اتحدث اليكم اننا فى بعض الأحيـان قد أرقنـا ماء وجوهنا .. ولكننا لم نتخل أبدا عن مبادئنا .. اننا أرقنا ماء الوجوه .. ونحن نطلب السلاح ، ونحن نستجدى السلاح ، ولكننا فى نفس الوقت صممنا على المحافظة على المبادىء .. وصممنا على أن نحافظ على مثلنا العليا وماذا كانت النتيجة ؟ لم نستطع أبدا يا اخوانى أن نحقق هذا الهدف الأكبر الذى قامت هذه الثورة من أجل تحقيقه وهو اقامة جيش وطنى قوى » ..

« فلن فرنسا كانت تساومنا دائما ، تساومنا على شمال افريقيا .. وتقول لنا دائما اننا نعطيكم السلاح على شرط ألا تنتقدوا موقفنا فى شمال افريقيا .. على شرط أن تتخلوا عن عروبتكم ، على شرط أن تتخلوا عن انسانيتكم .. على شرط أن نرى المذابح التى تحدث فى شمال افريقيا ونسكت عليها ، ونغمض العين عن عروبتنا ، وكيف نتخلى عن انسانيتنا ؟ اننا لا يمكن أبدا أن ننفصل عن عروبتنا ، وأننا لا يمكن أن ننفصل عن انسانيتنا » ..

« ولكن امداد فرنسا لنا بالسلاح كان دائما سيفا فوق رقابنا ، وكنت دائما يا اخوانى اهدد بقطع السلاح ، وكنت دائما يا اخوانى اهدد بتموين اسرائيل بالسلاح مع قطع السلاح عن مصر » ..

● **« هذه هى قصة فرنسا . واقول لكم الآن قصة امريكا ..**

منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح .. ونحن نوعد بالسلاح وماذا كانت النتيجة ؟ كانت الوعود ، وعودا مرتبطة بشروط ، نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على ميثاق أمن متبادل ، نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على حلف من الأحلاف ، ورفضنا ان نوقع وثيقة الأمن المتبادل ، ورفضنا أن نوقع على حلف من الأحلاف ، ولم نستطع أبدا يا اخوانى أن نأخذ من أمريكا قطعة من السلاح » ..

● **« وماذا كانت قصة انجلترا ؟** كانت انجلترا تقول لنا انها مستعده لتموينا بالسلاح وكنا نقول لها اننا نقبل هذا شاكرين ، وماذا كانت النتيجة .. لقد موتتنا انجلترا بمقادير من السلاح لا تحقق هدفنا الذى قامت هذه الثورة من أجله ، وماذا كانت النتيجة أيها الاخوان ، كان الجيش المناوىء لنا يمون بالأسلحة من دول متعددة من العالم .

« ان جيش اسرائيل قد استطاع ان يأخذ اسلحة من انجلترا ، ومن فرنسا ، ومن بلجيكا ، ومن كندا ، ومن ايطاليا ، ومن دول اخرى متعددة ، وكان هذا الجيش يستطيع أن يجد دائما من يمونه بالسلاح .. وكنا نحن نقرأ فى الصحف الأجنبية ، سواء فى الصحف الأمريكية أو الصحف الفرنسية أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة .. وقد قرأت فى الشهر الماضى يا اخوانى كثيرا من المقالات تحمل هذا المعنى : ان جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم مصر . ان جيش اسرائيل يستطيع ان يهزم العرب .. ان جيش اسرائيل متفوق فى السلاح .. ان جيش اسرائيل متفوق فى العتاد !

« هذا ما كانوا يقولونه فى صحفهم فنقول لهم اذا كنتم تشعرون بهذا فلماذا تمنعون عنا السلاح .. كنت أقول لهم هذا فماذا كانت النتيجة ؟ لقد تذرعت فرنسا بشعورنا نحو شمال افريقيا .. ومنعت عنا السلاح وحينما رأينا هذا ، حينما رأينا هذا التحكم .. وحينما رأينا هذا النفوذ الذى يتحكم فينا ، وفى رقابنا قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح بلا قيد ولا شرط ، وقدمت هذا وأنا أؤكد لهم أن هذه الأسلحة لن تستخدم فى العدوان ، أن هذه الأسلحة ستستخدم فى الدفاع ، اننا ليست لنا أية نوايا عدوانية .. ولكن نوايانا نوايا سلمية .. اننا نريد أن يكون لنا جيش حر قوى مستقل ، يسند هذا الوطن فى أهدافه الحرة المستقلة .. اننا نريد أن يكون لنا جيش قوى ، لا للعدوان ولكن للدفاع .

« قدمت هـذا يا اخوانى باسم مصر الى امريكا ، الى انجلترا .. الى فرنسا ، الى روسيا ، الى تشيكوسلوفاكيا ، الى باقى الدول وانتظرت الرد فماذا كانت النتيجة .

« وصلتنى ردود من بعض هـذه الدول بأننى يمكن ان اسلح الجيش بالأسلحة ولكن بشروط ورفضت هذه الشروط .. فهذا هدف من أهدافنا ، وقد قلت لكم اننا قد نستجدى السلاح ، وقد نطلب السلاح .. وقد نريق ماء وجهنا من أجل السلاح .. ولكننا لن نتخلى أبدا عن مبادئنا ..

« وانتظرنا حينما وصلنا رد على هذا الخطاب من حكومة تشيكوسلوفاكيا تقول انها مستعدة ان تموننا بالسلاح حسب حاجتنا وحسب حاجة الجيش المصرى على اساس تجارى بحت ، وان هذا التعامل يعتبر كأى تعامل تجارى آخر ، فقبلنا فى الحال هذا الاتفاق .

« ووقعت مصر فى الأسبوع الماضى اتفاقية تجارية مع تشيكوسلوفاكيا من أجل تموينا بالسلاح .. وهذه الاتفاقية تسمح

لمصر بأن تدفع الثمن منتجات مصرية مثل القطن ومثل الارز وقبلنا هذا العرض شاكرين ..

« **واننا بهذا يا اخواني نحقق هدفا من اهداف هذه الثورة وهو اقامة جيش وطني قوى** ، وانا اليوم يا اخواني وانا اتكلم اليكم اشعر بالضجة التي قامت هنا وهناك .. قامت ضجة في لندن ، وقامت ضجة في واشنطن ، قامت هذه الضجة من اجل استمرار التحكم .. ومن أجل استمرار النفوذ .

« **اننا سنكافح من اجل القضاء على هذا التحكم** ، وسنكافح من اجل القضاء على هذا النفوذ .. اننا سنكافح من اجل تحقيق اهداف هذه الثورة .. واننا سنكافح من اجل اقامة جيش وطني قوى يستطيع أن يحقق لهذه الثورة الأهداف الكبرى التي قامت من أجلها .. ويستطيع أن يحقق أواصر الســــلام .. نعم يا اخواني السلام ، السلام الذى نادينا به في باندونج .. السلام الذى نادينا به في مناسبات عدة ..

« اننا حينما نبني هذا الجيش انما نبنيه من اجل السلام وانما نبنيه حتى نطمئن على مصائرنا ، نبنيه حتى لا تكون مصر دولة من اللاجئين .. اننا نبنيه ضد العدوان .. اننا ضد اى أطماع في ارض هذا الوطن ..

« هذا هو يا اخواني هدفنا الاكبر .. هذا يا اخواني هدفنا الأعظم وانني حينما اسمع متحدثا يقول ان هذا فتح للنفوذ الروسى أو فتح للنفوذ الأجنبي في الشرق الاوسط او في مصر .. انني حينما اسمع هذا انظر الى الماضي البعيد .. واقول **ان هــذه الاتفاقيــة** التجارية التي وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذ الروسى **التجارية التي وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذ الروسى ولا للنفوذ الأجنبي .. ولكنها يا اخواني تعتبر قضاء على النفوذ الطويل الذى** تحكم فينا وعلى النفوذ الطويل الذى سيطر علينا .

« اننا يا اخوانى حينما نستطيع ان نسلح جيشنا بلا قيد ولا شرط نقضى على التحكم .. التحكم الذى كنت أشعر به ركنتم تشعرون به تحت اسم التسليح .. وتحت اسم الامداد بالسلاح .. فهؤلاء الذين يتكلمون عن النفوذ الأجنبى يعرفون اننا نقصد القضاء على النفو النفوذ الأجنبى ..

« ان مصر .. مصر المستقلة .. مصر الثائرة . مصر القوية . لن تمكن لنفوذ اجنبى فى بلادنا ، وانهم يعلمون اننا لم نقبل نفوذهم وانهم يعلمون اننا لم نقبل سيطرتهم ، وانهم يعلمون أن مصر اليوم .. مصر الثائرة التى ثارت فى ٢٣ يوليو قد آلت على نفسها ان تقضى على النفوذ الأجنبى قضاء مبرما .. وانها قد آلت على نفسها أن تقضى على الاستبداد الأجنبى وعلى التحكم الاجنبى .. انها قد آلت على نفسها أن تسير قدما الى الأمام حرة حرية حقيقية لها سياسة خارجية تنبعث من نفسها وتنبعث من ضميرها لا تنبعث من معسكر من المعسكرات ..

« انهم يعلمون هذا .. وانهم حينما يتكلمون عن النفوذ انما يتذكرون نفوذهم . هذا النفوذ الذى انتهى .. وهذا النفوذ الذى مضى .. ونحن سندافع عن حريتنا .. سندافع عن استقلالنا .. وسنكافح من أجل استقلالنا ، والله يوفقكم ».

* * *

كسر احتكار السلاح كان السبيل الوحيد لايجاد جيش وطنى قوى بعيدا عن مناطق النفوذ .. جيش يستطيع ان يحمى الاستقلال . وهو احد المبادىء التى قامت من اجلها الثورة ووضعته ضمن اهدافها الستة الاولى ولكن الاستعمار لم يكن يريد ان تحمى مصر استقلالها . ولا ان تقيم الجيش الوطنى القوى »

الاستعمار يريد دائما أن تبقى البـــلاد التى استعمرها فى حالة من الضعف ، لا تمكنها الا من الاعتماد عليه هو نفسه ، ليحميها .. ويحل مشاكلها ، ليطعمها ، ويمولها ، ويضع برامج لتنميتها .. برامج هى غالبا لا تزيد عن رصف طرق .. وعلاج أمراض ، ومراكز أبحاث يعمل فيها خبراؤه يستكشفون ، ويدرسون ، ويكون أبنـاء هذه الشعوب هم الفئران التى تجرى عليها التجارب ليستفيد العلم وينمو فى الدول الكبرى التى تستعمر .

ولقـد رأينـا ذلك فى المعونات الامريكية ، رايناه فى النقطة الرابعة ، ورايناه فى برنامج فولبرايت ، وفى غيرها من المشروعات التى قامت براسمال غربى امريكى ، واحيانا ضمن اطار بعض ما تقوم به الامم المتحدة من برامج للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعوب . وكان ابرزها واشـدها وضوحا موقف البنك الدولى للانشاء والتعمير من قضية تمويل بناء السد العالى .

* * *

هل كان يمكن أن يسلح الغـرب مصر ، او الدول العربية حتى تقوى ، وتدافع عن نفسها ، وترفع الظلم الواقع على شعب عربى طرد من بيـوته وقراه ومدنه ، وتحول الى شعب من اللاجئين ، والعائدين والنازحين .. هو الشعب الفلسطينى .

ان السـلاح الذى كانت تريده مصر لخلق جيش قوى يحمى استقلالها . ويحمى بناءها ضد اعدائه . ابرز اعداء البناء الجديد هو الاستعمار ذاته ..

كان تسليح مصر فى نظر الغرب يعنى انها ستواجه بالسـلاح القاعدة الاستعمارية التى زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى ..

هل يمكن أن يمد الغرب الدول المتحررة بالسلاح الذى يمكنها من مواجهة قواعده .. ذلك أن فوق طاقة التصور ..

ففى الوقت الذى كان الغرب فيه يرفض أن يعطى مصر سلاحا بالثمن ، وكان يضع عقبات ومعوقات عـديدة تحول دون تسـليح الجيش المصرى ، وتقويته ، وهو من أهم ما قامت من أجله الثـورة المصرية ، ومما قوى تنظيم الضباط الأحرار وزاده تماسكا بعـد الهزيمة العسكرية فى حرب ١٩٤٨ ، أن أحس الضباط بالذات أن من أبرز أسباب النكبة قلة السلاح ، فضلا عن فساده ، وهو أمر اتفق عليه الأستعمار ، واعوانه وكان بينهما لقاء حوله .

ان يوجد حكم متحرر الى جانب قاعدة اسـتعمارية يعنى أمرا واحدا ، هو أن يظل كل منهمـا متربص بالآخر .. الحـكم الوطنى المتحرر يحس بالقاعدة كشوكة فى جانبـه والقاعدة الاسـتعمارية ـ اسرائيل ـ تعرف أن الحـكم الوطنى لن يهدأ حتى يواجهها مواجهة سافرة لكى يؤمن نفسه ، وينطلق يحقق أهداف شعبه ..

والقاعدة الاستعمارية التى زرعها الغرب فى قلب الأمة العربية هى بطبيعتها ذات أهداف ، وخطط ، وأبعاد .. هى نفسها تريد أن تتسع ، وفى خطتها تستولى على ما حولها من الدول .. كلها .. كلهـا ...

اذن فسوف يظل الموقف مشدودا ...

الدولة الجديدة فى مصر .. تريد أن تخلق جيشا قويا .

الجيش القوى يعنى مواجهة لهذه القاعدة التى خلقت لا لتوجد فقط ، بل لتنمو وتتدعم .. وتكبر .. وتبتلع ما حولها .. أرضا ، واقتصادا .. بشرا ، وانتاجا ولتمارس مخططا استعماريا رسم لها تنفذه عندما يلزم الأمر .

وبرغم أن الأستعمار فرض على المنطقة تخلفا جعلها متأخرة عن ملاحقة التطور الحـديث فى العالم ، فانه فعل العكس فى قاعدته فهو يعاونها ويدعمها ، ليدعى أنهـا البؤرة الحضارية وسط هـذا المحيط المتخلف ، ولتخفيف من حولها بهذا التقدم الذى يمكن لها من تحقيق أغراضها بالحرب مرة ، وبالسلم مرات عديدة ..

كان من المنطقى اذن ، وفى ظل كل هـذه الظروف ، ان لا يمد الاستعمار مصر بالســلاح الذى يمكنهـا من خلق القوة الدفاعية والرادعة .. فى الوقت الذى تنهال فيه الاسلحة على اسرائيل .. بالثمن وبغير الثمن وبالنقد من المعونات التى تصلها من نفس دول الغرب ، وبالتقسيط من هذه الدول ايضا ..

ولكن المنطق الاستعمارى يثير هنا مسـألة جديدة هى التوازن .. التوازن فى التسليح من أجل الحفاظ على السلام .. والحفاظ على السلام هنا يعنى الحفاظ على حالة الاستعداد للحرب .. ويعنى الحفاظ على بقـاء النفوذ الأجنبى .. والارتباط به فى التسليح

كل ذلك باسم أسطورة ميزان القوى ، والرغبة فى السلام (١) ، « أما اسطورة ميزان القوى ، وأما اسطورة السلام فلها قصة غريبة .. وهى تعنى قبل كل شىء .. الابقاء على القـاعدة الاستعمارية، والحفاظ عليها ..

« وهذه قصة طويلة .. لها قصة مريرة .. انها خدعة كبرى يريدون أن يموهوا بها على الرأى العام العالمى » .

« وانى احب اليوم ان أعلن باسم مصر للراى العـام العـالمى حقيقة هذا القول ، حقيقة هذه الخـدعة الكبرى ، لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير الماضى ، والاعتداء اليهـودى المدبر الذى وصـفه مجلس الأمن بانه اعتداء وحشى على جنود آمنين مطمئنين . لقد كان هـذا الاعتداء نقطة تحول أيضا ، لقـد كان هـذا الاعتـداء الذى دبره بن جوريون والذى شـكر من اجـله أفرادا من الجيش الاسرائيلى لتنفيذهم هذا الاعتداء الوحشى » .

« لقد كان هذا الاعتداء هو ناقوس الخطر وانا احمد الله على هذه المصيبة التى حلت بنا فانها تمكننا من ان نستطيع أن نتلافى مصائب اكبر .

---

(١) ٢ اكتوبر فى الكلية الحربية ١٩٥٥

« لقد كان هذا ناقوس الخطر ومنذ ذلك اليوم بدأنا نتنبه ومنذ هذا اليوم بدأنا نبحث ومنذ هذا اليوم بدأنا ندقق فى تعرف السلام وفى معنى السلام .. وبدأنا ندقق فى معنى توازن القوى فى هـذه المنطقة فماذا وجدنا أيها الاخوان ؟ لقد وجـدنا أن هنـاك تحيزا لعدوكم ، تحيزا لاسرائيل واننـا استطعنا أن نحصل على معلومات إكيدة تثبت أن من يقولون انهم يريدون فى هـذه المنطقـة توازنا فى القوى ويريدون فى هذه المنطقة السلام .. يعملون على منع السلاح عنا ، ويعملون فى نفس الوقت على تموين اسرائيل بالسـلاح ، وقد استطاعت المخابرات المصرية أن تحصل على وثيقة رسمية فرنسية تقول ان أمريكا وان انجلترا تمـدان اسرائيل بالسـلاح وتقول هذه الوثيقة الفرنسية ان أهم معـدات القوات العسـكرية الاسرائيلية الثقيلة مصدرها أمريكى بريطانى وها هى على سبيل المثـال بعض المعدات التى حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا :

« ٢٠ طائرة متيور ، ٥٠ طائرة موستانج ، ٢٠ طائرة موسيكيتو ، ٧ طائرات نقـل ، ١٠٠ عربة مصفحة شرمان ، ١٥ عربة مصفحـة تشرشل ، ١٠٠ مدفع عربة فاج هاون ، ٧٠ مدفع ميدان .

« وقالت أيضا هذه الوثيقة الرسمية الفرنسية أن هناك صفقات تعقد بين بريطانيا واسرائيل لبيعها طائرات متيور ودبابات من طراز سنيتوريون . وقالت أيضا أن أمريكا سلمت من جانبها الى اسرائيل ١٢ طائرة ب.ت ١٧ ، هذا ما حوته الوثيقة الفرنسية وهى طبعا لم تحو ما سلمته فرنسا نفسها الى اسرائيل ، وقد قرانا فى الأسبوع الماضى فى احـدى جرائد اسرائيل وهى جريدة دافار على وجـه التحديد أن فرنسا تعاقدت مع اسرائيل على أن تسلمها ١٠٠ دبابة وتعاقدت أيضا على أن تسلمها عددا من طائرات المستير النفاثة .

« هذا يا أخوانى هو التوازن كما يفهمونه ، وهذا هو السلام كما يفهمونه .. التوازن هو أن تسلح اسرائيل ويمنع السلاح عن مصر وعن العـرب .. التـوازن هو أن تقول صحفهم ان جيش اسرائيل

يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة .. التوازن هو أن تقول صحفهم سواء فى أمريكا أو فى انجلترا أن اسرائيل تستطيع أن تحشد فى الميدان ٢٥٠ الف جندى أكثر مما تستطيع الجيوش العربية جميعا أن تحشد .. التوازن هو أن تقول صحف أمريكا وهى تشعر بهذا بالافتخار وبالزهو ان جيش اسرائيل عنده الكثير من العدد وعنده الكثير من العتاد وعنده الكثير من السلاح .

« هذا هو التوازن الذى يموهون علينا به اليوم ، وهذه يا اخوانى هى الخديعة الكبرى التى يحاولون اليوم أن يخدعوا الرأى العام العالمى بها .

« وانى أريد أن أقول لكم ان هذا لن ينطلى علينا أبدا .. لقد سلحوا اسرائيل ومنعوا عنا السلاح لماذا ؟.. لأنهم يريدون أن نكون ضعفاء تحت رحمتهم ونطلب اليهم دائما أن ينجدونا وأن يدافعوا عنا .. وان يجعلونا تحت حمايتهم وتحت تصريحهم الثلاثى »

* * *

الحياد الايجابى وعدم انحياز موقف الزم ما يكون لدول آسيا ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية .. لدول العالم الثالث كله ..

واذا كانت معظم دول أمريكا اللاتينية لا تزال تقع تحت الضغوط أو السيطرة أو النفوذ الأمريكى واذا كانت معظم دول آسيا موزعة بين دول تدخل ضمن الكتلة الشرقية ، واخرى خاضعة للنفوذ الامريكى ..

واذا كانت بعض دول أفريقيا استقلت ، وبعضها الأخر مازال يواصل كفاحه من اجل الاستقلال ...

فان سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز هى سياسة المستقبل بالنسبة لهذه الدول كلها ، وان كان المناخ السياسى فى العالم يجعل دول أفريقيا بالذات أقرب الدول التى عليها تتبع سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز »

ان عدم الانحياز ليس موقفا سلبيا فمعنى عدم الانحياز والحياد الايجابى هو أن سياستنا تقرر وفق مصلحتنا وفق ما يمليه عليه ضميرنا .. هذا هو الفرق بين الحياد الايجابى ، وبين الحياد السلبى ، وهو يبنى أساسا على أن أى دولة ليست منفصلة عما يدور فى العالم ، وان كل مشكلة تؤثر فيها لذلك فانه يجب أن يكون لها راى وموقف فى مشكلات العالم المعاصرة ، وابرزها الاستعمار والتحرر ، وحق تقرير المصير ، ونزع السلاح ، والتفرقة العنصرية وغيرها ، وذلك باعتبار ان الدولة تدرك انها لا يمكن أن تعيش فى عزلة وأن ما يدور فى العالم ينعكس عليها ، لأن أى كسب السلام هو كسب لشعوب العالم جميعا لذلك لا بد أن تتفاعل الدولة مع الأحداث التى تدور من حولها .. ومعنى ذلك أن دول الحياد عليها ان تعمل باستمرار لتأكيد هذه المبادىء متفاعلة مع بعضها .. وأن يكون لها دور فى توجيه سياسة العالم فى السلم نحو التعاون المشترك .. وتجنيبه ويلات الحروب ، وابعاد شبحه ، وتخفيف حدة التوتر الدولى ..

ولقد ادى الى هذا الموقف الذى لعب عبد الناصر دورا أساسيا فيه ظروف العالم ، والتقدم الهائل الذى حققه بحيث اصبح من العسير حصر أى نزاع فى منطقة معينة ، وفى داخل حدوده ، وفى نفس الوقت اصبح من العسير ايضا ان يقف تأثير أى نزاع فى منطقة ولا يتعداها الى غيرها ..

ان الحرب العالمية أدت الى انقسام العالم الى معسكرين اكبيرين مختلفين فى الاتجاهات والافكار والاهداف يتربص كل منهما بالآخر ويقف امامه ، لذلك كان لا بد من بزوغ قوة ثالثة تقف بينهما تسهم فى تسيير امور العالم ، وتساند قضايا التحرر وتعمل للتخلص من بقايا الاستعمار والتبعية ، قوة مصلحتها الاساسية فى أن تتحرر ، وأن تدعم السلام وان تواجه الاستعمار الذى كان طبيعيا بعد الثورة الصناعية الهائلة ان يحشد مزيدا من طاقاته لكى يمتص المواد الخام اللازمة لتشغيل مصانعه الضخمة من الدول

الصغيرة ، والمستعمرة ، والحديثة الاستقلال .. وأصبح واضحا ان الغزو الاستعماري لم يعد يقف عند حدود الدول الكبرى . امريكا وانجلترا ، وفرنسا ، بل لقد راينا دولا أوربية اخرى تبذل جهدها لكي يستمر استعمارها ، أو غزوها .. والصورة البارزة لذلك هي البرتغال ، وبلجيكا ، وغيرها .

لذلك كان موقف الناصرية واضحا « فنحن نؤمن بحتمية انتصار الحرية ، ونؤمن بوحدة انتصار الحرية ، ونؤمن بأن الحرية غير قابلة للتجزئة ، بمعنى اننا لانستطيع أن نؤيد الحرية في مكان ولا نؤيدها في مكان آخر .. واجبي أن أؤيد الحرية ، في كل مكان ، وواجبنا كشعب قاسى من الاستعمار وقاسى من العدوان أن نستنكر العدوان في أى مكان » (١) .

ومن اجل ذلك يأخذ عبد الناصر مبدأ الحياد الايجابي ..

ويشرحه عبد الناصر ، ويفرق بينه وبين الحياد السلبي التقليدي الذي عاشه العالم من قبل مؤتمر باندونج ، وخروج الكتلة الثالثة الى العالم تحمل مبدأ جديدا .

يقول عبد الناصر « ان الحياد السلبي لا يهمه بأى حال من الاحوال ما يحدث في أى جزء من اجزاء العالم » .

« أما الحياد الايجابي فهو يعني اننا لا ننحاز ولا نتحيز في سياستنا او في احكامنا وانما تكون سياستنا مبنية على مقتضيات الامور . ثم على ما يمليه علينا ضميرنا وبهذا نستطيع أن نعلن رأينا مؤيدا لحرية الشعوب ولحق الشعوب في تقرير المصير . وايضا سياستنا مبنية على مبدأ آخر وهو اننا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا ولكن من مصلحتنا أن تكون في سلام وصداقة مع جميع الدول واننا في هذا ليست لنا اى أهداف أو نوايا في معاداة أى دولة وهذه كانت سياستنا دائما مع الولايات المتحدة الامريكية كما نسعى الى صداقة جميع الدول على أساس من المساواة ومعاملة

(١) عبد الناصر يبور سعيد ١٩٦٤ .

الند للند . ولكنا حينما قابلنا الضغط من أجـل أن نشترك فى منظمات للدفاع عن الشرق الأوسط على غير رغبتنا . كان علينا أن نجابه هذه الضغوط وكان علينا ان ندافع عن حقنا فى اختـيار السياسة التى تلائمنا . وحينما سحب تمويل السد العالى بطريقة اعتبرت طريقة مهينة لنا جابهنا هذا كعمل موجه الى كرامتنا وموجه من أجل تقويض الأوضـاع فى داخل بلدنا . . جابهنـا هـذا بالعمل الذى يحفظ علينا كرامتنا . هـذه كانت سياستنا دائما بالنسبة للولايات المتحدة كما هى بالنسبة لجميع الدول » .

* * *

ولكن اذا كانت هـذه هي مبادؤنا ، فماذا يكون الموقف اذا اعتدى علينـا .. فماذا يكون موقفنـا من المعتدى ، وهل معاداته تعني كسرا لمبدأ الحياة الايجابى الذى اختارته الناصرية منهاجا لها ..

الفكر الناصرى يرى انه اذا اعتدى على اية دولة ، فلهـا ان تدافع عن نفسها ، وأن تحمل السلاح لتأكيد حريتها فى مواجهة خصمها ، والمعسكر الذى ينتمى اليه ..

وهذا لا يعنى خرقا لمبدأ الحياد الايجابى ، ولكنه قد يكون من الأفضل أن يسمى ذلك بأنه تأكيد لمبدأ الحياد الايجابى ذاته

« ما هو التعايش السلمى ؟ ! (١) »

« التعايش السلمى هو الا يعتدى احد علينا لأن اى واحـد يعتـدى علينا لا نستطيع أن نتعايش سلميا معه ولابد أن نرد العدوان .

« التعايش السلمى شيء يقال كهدف واذا اعتدى أحد علينا كما اعتدت علينا بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٥٦ فكيف أقول اننا لن نحاربهم ؟ . »

« التعايش السلمى معناه جهود من جميع الناس من أجل أن يعيشوا فى سلام على أن يكون هذا السلام قائما على العدل طبعا . »

(١) فى المؤتمر الصحفى الدولى أكتوبر ١٩٦٢ م

« سياسة الحياد الايجابي سياسة قائمة على احترام حيادنا ولكن نفرض ان معسكرا هاجمنا هل نقول لن نحاربه لاننا حياد ايجابي ؟ »

« ينتهي فورا بالنسبة للدول التي تهاجمنا . سياستنا تجاهها كحياد ايجابي ويصبح علينا ان نرد العدوان ونستخدم حقنا المشروع في الدفاع عن بلدنا .

« اذا سياسة التعايش السلمي هي سياسة ننادي بها ونعمل من اجلها على اساس الا نتعرض للعدوان واذا تعرضنا للعدوان لا يمكن ان يكون بيننا وبين من اعتدى علينا تعايش سلمي » .

* * *

معركة بناء السد العالي طويلة ومريرة ، وهي احد معارك الناصرية ضد الاستعمار ..

وكانت المواجهة الصريحة بتاميم قناة السويس .

« قدم لنا مشروع السد العالي في ١٩٥٢ ووضعناه موضع الدراسة وقابلتنا عقبة التمويل وتبين أن المشروع صالح وينتهي بعد عشرة سنوات . واتصلنا بالبنك الدولي وطلبنا منه ، ونحن المشتركين فيه ، المساهمة في التمويل . وقال أن فيه عقبات فهناك الانجليز واسرائيل فعندما تنهون خلافكم معهما نستطيع تمويل المشروع . وليس عندكم نظام برلماني فنطلب منكم عمل استفتاء على هذا المشروع »

« بعد مفاوضات من اجل السد العالي سحبوا تمويل السد العالي وردينا عليهم بعد ٣ أيام من سحب تمويل السد العالي أو أربعة (١) »

« ثم بعد هذا حينما اجمعنا على بناء السد العالي لم نتردد في تأميم قناة السويس لنسترد اموالنا ونبني السد العالي ... والسد العالي الذي أراد له الاستعمار الا يظهر الى الوجود ... انه اليوم

(١) مارس ١٩٦٥ .

حقيقة واقعة . (١) »

« السد العالى علشان يتبنى خضنا معارك .. تأميم قنال .. التهديد .. الحصار الاقتصادى ، تجميد أموالنا .. العـــدوان الثلاثى .. الحرب النفسية .. المؤامرات . (٢) »

وبدأت معركة ثانية مع الاستعمار .. فى هـذه المرة معركة حربية مسلحة .. ولكن القائد ، كان مستعدا لها ومن خلفه جموع الشعب كله .

« حينما أممنا قناة السويس ، كنت أعلم أن تأميم القنـــاة يدخلنا فى حرب مع بريطانيا وفرنسا ، ولكن كان علينا أن نستخلص حقنا المغتصب وكنا نعتقد أننا قد نتعرض للعدوان ورغم هذا كنت على ثقة من أن هذا الشعب سيقاتل فى سبيل الحرية والكرامة وفى سبيل المبادىء التى آمن بها .. والشعب لم يتوان ولم يتأخر .. حينما واجهنا الانذار البريطانى والفرنسى بأنهـم يطلبون تسليم بور سعيد والاسماعيلية والسويس فى ١٢ ساعة والا فسيتدخلوا فى الحرب اللى كانت بقالها ٢٤ ساعة ما بينا وبين اسرائيل .. رفضنا هذا الانذار .. بعد كده بدأ العدوان علينا فى اليوم التالى ، وكنا نواجه معركة مع اسرائيل ، وفى نفس الوقت فى انتظار عدوان .. أما فى بور سعيد أو فى الاسكندرية أو عن طريق ليبيا لأن القوات البريطانية موجودة فى ليبيا ولم نشعر أبدا بأننا قد نخسر هـذه المعركة أمام دولتين من الدول الكبرى هى فرنسا وبريطانيا ومعهما اسرائيل .. (٣) »

وكانت حرب السويس معركة أخرى من معارك دول العـالم كله التى ترفض التبعية ، وتصر على حريتها .

ولعل أبرز ما اسفرت عنه حرب السويس أن الشعوب الصغيرة التى تصر على نيل حقوقها كاملة ، وتواجـه اكثر الدول شراسة يمكن لها أن تحقق هدفها وأن تنتصر ، ولقد كان ذلك واضحا من

---

(١) ٢٣ يوليو ١٩٦٥ .
(٢) مؤتمر الاتحاد الاشتراكى مارس ١٩٦٥ .
(٣) مارس ١٩٦٥ .

خلال التجربة التى اثبتت قدرة قوى التحرر الوطنى على الصمود والنصر : فلقد كان صمود الشعب المصرى ، وكفاحه وتماسكه عاملا اساسيا فى المعركة ضد الاستعمار المسلح الذى غزا بلادنا وكان وقوف الدول الصديقة الى جوارنا عاملا ثانيا ..

ولقد ادى الانتصار العظيم فى السويس الى الكشف الواضح امام العالم لدور اسرائيل كدولة عميلة للاستعمار ، وقاعدة للامبريالية العالمية ، يمكن أن تحركها لضرب قوى التحرر فى المنطقة كما ارادت لها ذلك .. واثبتت تجربة السويس أن الكفاح المسلح هو الوسيلة الأولى للتحرير ، ولتحقيق الحرية ولصيانة الاستقلال .

وفى نفس الوقت فان التجربة المصرية قد ازدادت عمقا من خلال المعركة ، وهذا العمق ، هو الذى جعلها بعد ذلك تشق طريقها نحو التحول الاجتماعى بخطى ثابتة ..

على أن انتصار الشعب المصرى فى السويس كان النهاية الفعلية والحتمية لعصر القرصنة الاستعمارية ، والغزو الاستعمارى ، بعد أن تيقظ ضمير العالم .. فلم يترك هذا الشعب يقف وحده ..

ولقد نبه هذا الموقف كثيرا من شعوب العالم الى اهمية الدور الذى يلعبه عبد الناصر وشعبه فى مواجهة الاستعمار وكانت التجربة نموذجا لدول أخرى اعطاها املا ، ووضع امامها عملا يمكن أن تقوم به ..

وخرجت الناصرية من هذه المعركة وقد اصبحت نداء عالميا يعرفه الجميع ، ويتردد صداه فى انحاء العالم ، ويصوغ عبد الناصر تجربة شعبنا المجيدة فى ابان محنة السويس والنتائج التى استخلصها منها فى الميثاق الناصرى فيقول :

« ان شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

« أن الاستعمار الذى جلا عن ارضنا ، طبقا لاتفاق تم تنفيذه فى يونية سنة ١٩٥٦ ، ما لبث أن عاد فى اكتوبر من نفس العام متصورا أنه قادر على اخضاع ارادة شعبنا واذلاله واجباره على

الركوع خضوعا لارادة المستعمرين » .

« ان شعبنا الذى عقد العزم على حماية استقلاله ، ورفض كل الحيل الاستعمارية التى حاولت ان تجره الى مناطق النفوذ ، وقاد مقاومة هائلة فى الشرق الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى اسقط .
لم يتردد فى مواجهة العدوان المسلح الثلاثى الذى اقدمت عليه اثنتان من دول العالم الكبرى زحفتا عليه من القاعدة الاستعمارية التى خلقتها المؤامرات الرامية الى ارهاب الأمة العربية وتمزيقها وهى اسرائيل »

« ان الاستعمار فى معركة السويس كشف نفسه وكشف قواعده وكشف أعوانه . »

« ان الاستعمار انقض على شعب مصر بالسلاح لأن الشعب المصرى حاول ان يحقق استقلاله ويبنى تقدمه من أحد موارده الوطنية الذى طال استغلال الاستعمار له واحتكاره لكل عائده وقيمته » .

« ان الشعب المصرى باسترداد قناة السويس ضرب الاستعمار واحتكاراته فى الصميم » .

«واثبت صلابته بتحمله العنيد لتبعات اصراره ، الى حد قبول المعركة المسلحة فى وجه قوى زاحفة جرارة » .

« ان الشعب المصرى بثباته الرائع وبقتاله المرير ضد الغزو استطاع أن يهز الضمير العالمى ويحركه بصورة لم يسبق لها مثيل فى التطور الدولى » .

« ولقد كان التحول الرائع فى المعركة نقطة فاصلة فى حركات التحرير » .

« ان الشعب المناضل الذى كان يواجه الطغاة الكبار وحده ، لم يعد وحيدا » .

« وانما انقلب الموقف رأسا على عقب نتيجة للمقاومة الوطنية الباسلة » .

« ان الذين تجمعوا ضد شعبنا ليعزلوه وجدوا انفسهم فى عزلة

من الدنيا كلها ، بينما وقفت شعوب العالم كلها مع شعبنا تشد أزره وتلوح له بأيديها تحية له وتضامنا معه » .

((ان الهزيمة المريرة التى مني بها الاستعمار فى حرب السويس انهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة)) .

« ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا » .

« أن الاستعمار الذى ما زال متمسكا بأهدافه غير اسلوبه » .

« ان شعبنا كان بالمرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى وواصل مطاردته لها وتجميع قوى الشعب ضدها » .

« ان الشعب المصرى استطاع وسط مهرجان النصر العظيم ان يدرك انه لم يحصل على الحرية فى معركة السويس ، وانما هو فى معركة السويس استخلص ارادته لكى يصنع بها الحرية ثوريا » .

« ان المعركة المجيدة مكنته من أن يكتشف قدراته وامكانياته ، وبالتالى أن يوجه هذه القدرات والامكانيات ثوريا لتحقيق الحرية » .

((ان النصر ضد الاستعمار ، بالنسبة لهذا الشعب العظيم ، لم يكن نهاية المطاف وانما كان بداية العمل الحقيقى ، وكان مجرد مركز أكثر ملاءمة لمواصلة الحرب من اجل الحرية الحقيقية وضمانها مزدهرة على أرضه الى الأبد)) .

« ان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم فى السويس هو :

« لمن هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب المصرى من قلب المعركة الرهيبة ؟ » .

« وكان الرد التاريخى الذى لا رد غيره هو أن هذه الارادة لا يمكن أن تكون لغير الشعب ، ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه » .

« ان الشعوب لا تستخلص ارادتها من قبضة الغاصب لكى تضعها فى متاحف التاريخ ، وانما تستخلص الشعوب ارادتها وتدعمها بكل طاقاتها الوطنية لتجعل منها السلطة القادرة على تحقيق مطالبها .

ضمانات للنصر على الاستعمار

ضمانات ستة تضعها الناصرية كحل لمشاكل الدول المتخلفة فى مواجهة الكتلة الاستعمارية ، وعلى هذه الدول أن تسعى جادة لكى تحققها (١) .

● **أولا — انه من المحتم الآن أن تخف قعقعة السلاح ، وان تترك فرصه للمفاوضات الهادئة على أعلى المستويات فانه لا خيار الآن بين امرين . اما المفاوضات واما الحرب ،** وانه يبدو لنا من الضرورى الآن أن يتم اجتماع للأقطاب فى أسرع وقت ولا ينبغى أن يؤثر فينا أن محاولتنا فى نيويورك لم تستطع تحقيق اجتماع على مستوى القمة فى ذلك الوقت بين الرئيس الأمريكى والرئيس السوفييتى .

« فان المفاوضات هى الطريق الوحيد المامون فى مثل هذا الجو الملبد بالغيوم الآن .

« بل ان المفاوضات هى الطريق الوحيد للسلام القائم على العدل ولا يمكن أن يقوم السلام على قواعد الصواريخ ذات الرءوس الذرية .

● **ثانيا** — انه من المحتم الآن أن تبذل كل الجهود لتمكين الامم المتحدة من أداء رسالتها .

« وبعد كل التغييرات التى طرات على العالم منذ انشاء هذه المنظمة الدولية فى سنة ١٩٤٥ فانه لا بد لهذه المنظمة أن تلائم ما بين طبيعتها وما بين طبيعة العالم المتحرر . وفى هذا الصدد لا بد أن يمتد التغيير البناء الى الجهاز الادارى للأمم المتحدة ذاتها

---

(١) مؤتمر بلغراد سبتمبر ١٩٦١ .

باعتباره اداة تنفيذ ارادتها . كذلك لا بد أن يمتد التغيير الى توزيع القوة فى مراكزها المختلفة ولست أتصور ان تبقى مناطق فى العالم دون تمثيل فى مجلس الامن كما لا أتصور أن يبقى بلد كالصين الشعبية بعيدا عن نطاق الأمم المتحدة فى حين أن ربع سكان الأرض يعيشون داخل حدوده . ولا بد للأمم المتحدة بعد ذلك من أن تمارس دورها الذى كانت تحكم به الشعوب التى اقامتها وأن تكون مجالا للعمل من أجل السلام ومن اجل التقدم .

« وانه لمن المؤسف أن نرى هذه المنظمة الدولية التى كانت تمثل املا عريضا للبشرية تتحول احيانا الى ميدان للصراع بين الكتل أو تجرى المحاولة لاستعمالها كأداة فى يد الاستعمار ثم يصل الأمر بها الى حد أن قراراتها لا تصبح لها فى بعض الظروف من فرص الحياة الا بقدر ما توفره لها سياسة القوى الكبرى » .

« وليس ادل على ذلك من أن قرارات الامم المتحدة بشأن حقوق شعب فلسطين ما زالت بعد سنوات طويلة من الزمان حبرا على ورق لأن سياسة بعض القوى الكبرى فى منطقتنا ارادت أن تفرض اسرائيل تحديا لكل قانون ولكل عدل . بل ان المأساة تبدو فى ابعادها الحقيقية اذا ما ذكرنا الواقع التاريخى لما حدث سنة ١٩٤٨ وهو أن الامم المتحدة والهدنة التى فرضتها فى فلسطين كانت بالذات الستار الذى تسلل العدوان تحته وفى حماه الى تحقيق أغراضه والى احتلال الأرض التى اغتصبها من أصحابها الشرعيين » .

● ثالثا ـ أنه من المحتم الآن اتاحة أكبر فرصة للتقدم امام الشعوب التى لم تستكمل نموها الاقتصادى والاجتماعى .

« وينبغى لنا ان نذكر أنه لا يمكن أن يكون هناك استقرار فى عالم تتفاوت فيه مستويات الحياة بين الشعوب على هذا النحو الفاضح الذى نراه الآن . ان العالم الذى نعيش فيه عالم واحد ومصيره فى السلام أو الحرب مصير واحد ، ولقد شاركنا جميعا

فى صنع حضارات الانسان وانتقلت عناصر النور من قارة الى قارة الى مدى التاريخ ومن هنـــا فان لكل منا نصيبا فيما انتهت اليه الحضـارة الانسانية كلها من التقدم كذلك ساهمنا جميعا فى صنع الرخاء لدى الذين تتاح لهم فرصته اليوم . ومع أنى لا أريد أن أثير احقادا قديمة فان التقدم الصناعى على سبيل المثال فى عدد كبير من بلدان أوربا كان قائما على الثروات التى جرى نزحها بطريقة منظمة من آسيا وافريقا وما من جدال أن احتمالات الأمم فى التقدم سوف تزداد اذا ما توقف الاندفاع نحو التسلح خصوصا فى المجال الذرى منه واذا اتجهت الطاقات الهائلة فى هذا المجال الى خدمة مشاكل التطوير كذلك ما من جدال الى أن احتمالات هـــذه الأمم تزداد اذا ما تحقق أن الجهود الرائعة فى أجواء الفضاء الآن سوف تصرف لخدمة السلام لتساعد بكل امكانياتها على توفير الرخاء .

« ولا بد فى هذا السبيل من تنظيم عملية المساعدة على التطور بعيدا عن اعتبارات الحرب البـــاردة وبعيدا عن نوازع الاستعمار الجديد .

« ولعلنا هنا نستطيع أن نجد الوسائل الكفيلة بدعم هذه العملية التى نراها أمرا حيويا .

● **رابعا ـ أنه من المحتم الآن وقد تصدت الدول غير المنحازة لمسئولية العمل من أجل السلام أن تواصل هذه الدول ما بدأت وأن تضع من الجهود المنسقة وراء أهدافها ما يكفل تحقيق هذه الأهداف** وذلك عن طريق التعـــاون المستمر والتشاور المتصـــل وتنسيق الجهود داخل الأمم المتحدة وخارجها وليس يكفى أن نبدأ وانما المهم أن نستمر حتى نصل الى هدفنا الذى هو فى نفس الوقت هدف الانسان طوال التاريخ وعلى امتداد الأرض . »

« وعلينا أن نبقى حركتنا من أجل السلام طليقة قادرة ، وعلينا أن نبقيها على أوسع الجبهات وفيما عدا الاتصال المستمر بيننا فان

علينا أن نشجع دائما وأن نمنح تأييدنا القلبى لكل المحاولات الجماعية البناءة الرامية الى تدعيم السلام عن طريق حماية الحرية ودفع التطور .

كذلك علينا ان تكون دائما على اتصال بالمعسكرين المتصارعين فان عدم الانحياز ليس معناه أن نعتزل المشاكل وانما عدم الانحياز أن نساهم ايجابيا فى دعم التفاهم ، وأن نقيم جسورا مفتوحة لمرور الأفكار والآراء عبر الاخاديد السحيقة التى تصنعها الأزمات .

● **خامسا ـ انه من المحتم علينا أن تكون جهودنا مباشرة ومركزة فيما يتعلق بكل الأهداف التى نستطيع فيها بقوانا الذاتية أن نتحرر** . وفى هذا المجال فانى أعنى بالذات تصفية الاستعمار باعتباره أصلا من أصول الشر وسببا من أسباب التوتر والقلق المخيف فى عصرنا .

« واننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها أن نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة تساعد الشعوب التى ما زالت تعانى من قبضته عليها ، أن تخلص نفسها وأن تخلص الانسانية كلها منه ومن آثاره » .

« وفى هذا الصدد فانه يخيل الى أننا نستطيع أن نقوم بما هو أكثر من المجهود الأدبى ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية التى نملك أن نواجهها كما هو أكثر من الاحتجاج » .

● **سادسا ـ انه من المحتم علينا فى حركتنا نحو اهدافنا أن نحرك معنا كل القوى المستعدة للخير فى العالم** وأن نذكر دائما أن الهدف الذى نسعى اليه يجمعنا مع كل ذوى النوايا الطيبة فى العالم على سعته .

إسرائيل - قاعدة استعمارية - وعنصرية

الفكر الناصرى يقاوم اسرائيل على أساسين من المبادىء العامة ، التى استخلصهما من محصلة نضـال الشعب . ورؤيته لما حوله .. وتحليله لما يدور فى العالم ..

● ان اسرائيل قاعدة عنصرية .

● واسرائيل قاعدة استعمارية دخيلة زرعها الاستعمار فى قلب الوطن العربى لخدمة أهدافه .

« ففى الواقع فان اسرائيل الى جانب ما تحتويه من عدوان عنصرى ، فهى أيضا عدوان استعمارى ، بل انه لولا العـدوان الاستعمارى ، ما تمكن العـدوان العنصرى من الاعتداء الذى اغتصب به ما اغتصب من الأرض الفلسطينية العربية (١) » وأن ما حدث فى فلسطين خطير ، يوازى فى خطورته ما يحدث أمامنـا الآن فى روديسيا الجنوبية ، أن لم يزد عنه خطورة فالاسـتعمار اغتصب متخفيا وراء الحركة الصهيونية المتحالفة معه ، قطعة من قلب الأمة العربية وطرد شعبها ، وأقام عليها وسط الأرض العربية قاعدة عدوانية مسلحة ، تهدد مطالب الحرية العربية . مطالب الوحدة العربية .. مطلب التقدم العربى (٢)

واذا كانت مواقف عبد الناصر بالنسبة لاسرائيل ، والصهيونية

---

(١) مؤتمر القمة العربى الثالث

(٢) مؤتمر عدم الانحياز أكتوبر ١٩٦٤ م

العالمية معروفة ، ومدعمة بكل الاسانيد التى لا تسمح بالافاضة فيها ، الا أنه لا بد للدارس لفكر عبد الناصر ان يتعرض لاسرائيل باعتبار أنها القاعدة الاستعمارية التى غرست فى قلب الأمة العربية واستخدمت بصفة مستمرة ضد كل مد تحررى فى المنطقة لاعتراض طريقه والقضاء عليه ، أو على الأقل تعطيله .

ولما كانت الجمهورية العربية هى قلب الامة العربية وقلعة نضالها الاولى ، فان اسرائيل قد استخدمت لمواجهة كل مد ثورى فيها ..

حدث ذلك سنة ١٩٥٦ عقب تأميم القناة .. لم تكن اسرائيل فى هذه المعركة سوى أداة لتنفيذ مؤامرة لعرقلة البناء الاجتماعى .

وفى سنة ١٩٦٧ كانت أداة مرة ثانية لمواجهة المد الثورى التحررى فى المنطقة العربية ، والذى ينطلق من القاهرة ..

واسرائيل فى الفكر الناصرى جزء من الحركة الصهيونيةالعالمية التى تسعى الى أن تسيطر على العالم على أساس عنصرى ، فاليهود هم شعب الله المختار ، وعليهم أن يخلفوه على الأرض .. والحركة الصهيونية تحولت الى حركة سياسية منذ القرن التاسع عشر ، ولقد ساعد على تحقيق هذا الحلم مؤثرات وعوامل دولية عديدة ، منها ما سمى باضطهاد اليهود فى العالم ، ونمو الراسمالية العالمية التى جعلت اليهود يتطلعون الى مزيد من الاستثمارات فى بلاد اخرى ، ومنها أيضا ظهور المد القومى ، وبروز فكرة القوميات ، فاستغل اليهود كل هذه العوامل من اجل انشاء وطن قومى لهم ، وساعدهم فى نهاية المطاف الوعود التى حصلوا عليها من الدول الاستعمارية قديما ، وهى التى مكنتهم من الأرض ، ثم الدعم المادى والعسكرى الذى ظلوا يحصلون عليه باستمرار من الدول الاستعمارية حديثا فهو الذى يدعم وجودهم ، ويعطيهم مقومات الحياة ويبقى على دولتهم ويحافظ عليها .

ولم يكن غريبا أن تنشأ الحركة الصهيونية فى احضان الاستعمار الذى التقت مصالحه مع مصالحها ، لذلك رأينا كيف

تحمست الدول الاستعمارية لمطالب الصهيونية العالمية التى تتلخص فى ثلاثة أهداف .

انشاء وطن قومى لليهود ، تكوين صندوق لجمع الأموال التى تساعد على الهجرة الى فلسطين ، وجعل اللغة العبرية لغة دولية لليهود فى كل انحاء العالم .

فالمصالح مشتركة ، ووجود قاعدة متقدمة للغرب المستعمر فى هذه المنطقة الحساسة من العالم امر حيوى بالنسبة له .

وتاريخ اسرائيل منذ كانت فكرة خيالية عقد لها مؤتمر فى « بال » بسويسرا سنة ١٨٩٧ حتى يومنا هذا يحكى قصة الترابط الوثيق بينها وبين الاستعمار .

فتصريح « بلفور » مثلا فى راى تشرشل « ينبغى الا ينظر اليه كوعد اعطى لدوافع عاطفية **بل كاجراء عملي اتخـــذ فى مصلحة مشتركة** ، وذلك فى آونة لم تكن هذه القضية تحتمل اغفال اى عنصر لمساعدة مادية أو معنوية »

ويوضح هــذه الحقيقة بن جوريون فى دراســة له عن بعث اسرائيل ومصيرها فيقول : ان دولة اسرائيل هى جزء من الشرق الأوسط من **حيث العامل الجغرافى فقط وهو فى جوهره عامل جامد اما من حيث العوامل المصيرية الحاسمة ، مثل الطائفية والحركية والابداعية والانمائية فان اسرائيل جزء من اليهودية العالمية »**

والمساعدات التى حصلت عليها اسرائيل من الولايات المتحدة وحدها لدعمها تزيد هذه الحقائق تاكيــدا فقد بلغت المنح التى قدمتها الولايات المتحدة لاسرائيل من سنة ١٩٥٠ حتى ١٩٥٩ حوالى ٤٠٣٫٥ مليون دولار ، وعنــدما تقرر بعــد ذلك تحويل المنح الى مساعدات منحت سنة ١٩٥٩ فائض اغذية قيمته ٢٠٠ مليون دولار ، وقروضا قدرها ٣٦٩ مليون دولار ومساعدات فنية قدرها ٣٫٥ مليون دولار واجهزة علمية قيمتها ١٠ مليون دولار ، واستثمارات أمريكية قدرها ٩٥ مليون دولار ، وحصيلة بيع السندات الاسرائيلية قدرها ٣٫٤٧٫٦٤١٫٥٠٠ دولار عدا الاعفاءات من الضرائب والرسوم

التى تمنحها الحكومة الامريكية على ما يحصل من اليهود .

ويوضح عبد الناصر هذه الحقيقة فى عيد الوحدة ١٩٦٧ فيقول: « ان اقتصاد اسرائيل يعتمد على الأموال اللى بتيجى من أمريكا ومن المانيا ومن بريطانيا ، السلاح اللى عند اسرائيل بييجى من أمريكا، مجانا ، أو بثمن رمزى ، لتسلح اسرائيل كل هذا لكى تكون قاعدة للاستعمار فى قلب الوطن العربى ، وحاجز يمنع تحقيق الوحدة فى العالم العربى .

* * *

ان المنظمة الصـــهيونية العالمية ، تمثل احـــد الاحتكارات العالمية بما تملكه .. وما تملكه فى اسرائيل وحدها يمثل نسبة كبيرة فهى تملك ٨٦٪ من الاراضى الزراعية ، وترعى المنظمة ٤٨٠ قرية زراعيــة ، وكانت تملك حتى سنة ١٩٦٨ حوالى ٦٠ مؤسسة اسرائيلية كما تملك أكبر شركات البناء فى اسرائيل ((امسكو)) وهى مساهمة فى أكبر شركة اسرائيلية لبناء منشئات الرى ((ميكوروث)) وشركة العال للنقل الجوى ، وشركة البواخرا الكبيرة لاسرائيل .

والقـــروض الامريكيـــة لاسرائيل تمثل ١٦٫٥٪ من رؤوس الاموال الاجنبية وتقدم المانيا الغربية ٢١٫٤٪ من مجموعها ..

ولقد تضاعف حجم المســاعدات الامريكية لاسرائيل بعــد حرب يونيو ١٩٦٧ ..

كل ذلك بينما يبلغ عدد ســـكان اسرائيل ٢٫٩ مليون نسمة ومساحة الحدود الغير شرعية لها من عام ١٩٤٨ تبلغ ٢٠٫٠ الف كيلو متر مربع

فالاقتصاد الاسرائيلى يخضع أولا للحركة الصهيونية العالمية المرتبطة بالاستعمار الغربى ..

والتمييز العنصرى فى اسرائيل حقيقة ... ليس فقط لانها دولة

تقوم إساسـا على العنصرية فانها تميز بين العرب واليهـود ، بل بين اليهود الشرقيين والغربيين .

« ان الكثير من اليهـود الشرقيين مفعمون حقـدا ضد اليهود الاوربيين (١) .

ودور الولايات المتحدة بالنسبة لاسرائيل لا ينحصر فقط فى المعونات التى تقدمها ، ولكنه يتمثل أيضا فى الدعم المادى ليس عن طريق القروض والاعانات بل باستثمار رأس المال فى تنمية القطاع الرأسمالى عن طريق المشروعات وتملك الولايات المتحدة ٣٧٫٥٪ من المؤسسات التى تنتج ٤٣٫٥٪

● الراسماليون الأجانب الغربيون يتمتعون فى اسرائيل بمزايا عديده بموجب القانون الخاص بتشجيع رأس المال الأجنبى الذى صـدر فى سـنة ١٩٥٠ والذى يعفيهم من الضرائب والرسوم الجمركية .

● هناك شركات أمريكية كاملة وضخمة تسيطر على الاقتصاد الاسرائيلى .

× أما الدعم المعنوى فقد بدأ منذ وضع حجر الأساس لدولة اسرائيل فقد ظهر أن السياسة الأمريكية تستعد لوضع قدمها فى الشرق الأوسط عن طريق اسرائيـل وخاصـة فى فترة التنافس الانجلو أمريكى . . لذلك أيدت الولايات المتحدة على الفور وعـد بلفور سنة ١٩١٧ .»

وقد أسهمت الولايات المتحدة بعد ذلك فى تجريد انجلترا من انتدابها على فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد سارت سياسة الدعم المعنوى وتأييد الوجود الاسرائيلى والدفاع عنه بعد ذلك الى حد أصبح واضحا ومكشوفا وبارزا بعـد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ .»

---

(١) مجلة نيوزويك

× **الدعم العسكرى :** وهى قضية لم تعد تقبل المناقشة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ايضا فقد وصلت الى حد ان ضمنت لها التفوق العسكرى على كل الدول العربية لحمايتها . والى حد عدم المبالاة بالتضحية بالمصالح الامريكية فى المنطقة حفاظا على القاعدة العدوانية ، بما تحمله من أهداف استعمارية ، وأيضا بما تحتويه من اموال امريكية ، وغربية عموما .

ويشرح الدكتور جمال حمدان التزاوج بين اسرائيل والاستعمار فيقول (١)

« لقد كان من المستحيل منذ البداية ان يتحقق الحلم (الصهيونى) الا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالمية ومن هنا التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاء تاريخيا على طريق واحد هو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة فيكون الوطن اليهودى قاعدة تابعة وحليفا مضمونا ابدا يخدم مصالح الاستعمار وذلك ثمنا لخلقه اياه وضمانه لبقائه وعلى طريق هو المصلحة الاستعمارية المشتركة تحرك ارتباط الصهيونية بالامبريالية بحسب تحرك مركز الثقل فى زعامة الامبريالية ، فكانت بريطانيا هى التى خلقت الوطن القومى منذ الحرب العالمية الاولى . كما خلقت الولايات المتحدة الدولة اليهودية منذ الحرب العالمية الثانية » .

ثم يحدد الدكتور حمدان على وجه التفصيل الدقيق سمات الكيان الاستعمارى الصهيونى المجسم لاسرائيل فى الأبعاد التالية :

اولا — ان اسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرفة قامت على اغتصاب غزاة أجانب لارض لا علاقة لهم بها دينيا أو تاريخيا أو جنسيا (عرقيا) .. وبهذا فعودة اليهود الى فلسطين بالاغتصاب هو غزو وعدوان غرباء لا عودة ابناء قدامى أى استعمار لا شبهة فيه بالمعنى العلمى الصارم .واسرائيل التى تمثل جسما غريبا ودخيلا مفروضا على الوجود العربى ، وابدا غير قابل للامتصاص

---

١ — البرنامج التثقيفى الاول للاتحاد الاشتراكى العربى

ولكنه حتى الآن غير ممكن اللفظ وبين هذا وذاك ــ يبقى عنصر اضطراب وتهيج مضاعفات سياسية ، وبتعبير آخر يبقى بؤرة حرب كامنة ومنفجر صدام استعمارى مسلح .

ولعل الأحداث المتتالية والمتواصلة منذ انتفاضات القدس ويافا وصفد والخليل وغيرها فى أوائل العشرينيات حتى حرب سنة ١٩٤٨ ثم ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ وما اتصل بينها من صدمات لم المعونة المحتملة والتى لا يعرف مداها ولا يحسب امدها .. لعلها كلها تؤكد غرابة هذا الجسم الاستعمارى عن الوجود العربى بشكل عام .

ثانيا ــ اسرائيل استعمار طائفى بحت والدولة دولة دينيـة صرفة اذ تقوم على تجميع اليهود : واليهود فقط فى جيتو (حارة يهود) سياسية واحدة ويرتبط التجمع الدينى لليهود بتجمع لهم أيضا على أساس عنصرى خالص ورغم ان اليهود ليسوا عنصرا جنسيا فى أى معنى بل جماع ومتحف حى لكل اخلاط الاجناس فى العالم كما يدرك اى انثربولوجى فان فرضـهم لأنفسهم كأمة مزعومة مدعية فى دولة مصطنعة مقتطعة يجعل منهم ومن الصهيونية حركة عنصرية اساسا وذلك بكل معنى العنصرية من اسـتعلاء وتعصب واضطهاد ودونية .

ثالثا ــ اسرائيل قطعة من الاسـتعمار الأوربى عبر البحار ، جزيرة أوربيـة وحضارية على السواء وككل دعاوى الاسـتعمار الأوربى عبر البحار وتبريرا لاغتصابها لم تتورع اسرائيل عن أن تدعى رسالة الحضارة والتطور فزعمت نفسها واحة التقدم فى صحراء الرجعية العربية وجزيرة الصناعة فى بحر التخلف الشرقى

هذا الزعم فضلا عن فائدته الدعائية بالنسبة لصورة اسرائيل امام العالم هو أيضا يقوم على تطلع راسمالى استعمارى يتصور اسرائيل على مدى اطول وبفضل المزيد من التوسع الاقليمى مصنعا للانتاج وترسانة للسلاح بينما الأرض العربية من حولها والأرض الافريقية على أرباضها سوقا مفتوحة مستهلكة لثمار التقـدم

الصناعى مبهورة بانجازات التكنولوجيا التى تجسدها وتستثمرها اسرائيل .

وهذا الزعم أيضا يتهدده وقد تهدده فعلا قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانطلاقتها نحو بناء مجتمع صناعى يستفيد بانجازات العصر رغم كل ما شاب المسيرة من سلبيات ويطرح نفسه خاصة على مستوى العالم الثالث فى صورة مد تحريرى وتقدمى راسخ الجذور على أرضه منفتح الفكر على عالمه وعصره ومن هنا كان تركيز اسرائيل ومن ورائها قوى الامبريالية العالمية على محاولة تحطيم هذا النظام بكل وسائل التحطيم بمحاولة احتوائه أو التخريب عليه من الداخل أو اشغاله والاثقال عليه وأخيرا بالمواجهة المسلحة ضده للقضاء عليه فى ضربة خاطفة مركزة واحدة ظلت اسرائيل تعد لها وتدعم من اجلها على مدى عشر سنين .

رابعا ـ اسرائيل استعمار سكنى فى الدرجة الاولى .. لكنها جمعت اسوأ ما فى النماذج المعروفة والكلاسيكية لهذا النمط من أنماط الاستعمار كما أنها اضافت الى هذا ما هو أسوأ منه : هى كاستراليا والولايات المتحدة انتظمت قدرا محققا من ابادة الجنس (مناحم بجين مثلا يصف مذابح الأسر العربية على يد عصابات الارهاب الصهيونى بأنها عمل رائع من أعمال الاستراتيجية العسكرية) وهى كجنوب أفريقيا تعرف قدرا محققا من العزل الجنسى ، ولكنها تختلف عن الجميع من حيث أنها طردت كل السكان الأصليين خارجها تماما ليتحولوا الى لاجئين معلقين على حدودها .

هذا الالتقاء والتداخل العميق بين مصالح الصهيونية والامبريالية العالميتين هو مفتاح الوجود ـ والمصير الاسرائيلى برمته وهو الذى يفسر كثيرا من مظاهر الغرابة والتفرد فيه ، فالاستعمار العالمى هو الذى خلق اسرائيل بالسياسة والحرب وهو الذى يمدها بكل وسائل الحياة من اسلحة واموال ثم هو الذى يضمن بقائها ويحميها علميا .

اسرائيل اذن استعمار من الدرجة الثانية صنو استعمار من الدرجة الاولى وهى الآن اقتصـــاديا مؤسســة للاحتكارات والاستثمارات الغربية والامريكية بدرجة دولة كما انها استراتيجيا قاعدة عسكرية وترسانة مسلحة للغرب وحاملة طائرات أمريكية ثابتة والأسطول السادس الأمريكى وجد لحمايتها كأنه اسرائيل العائمة والمصالح هنا متبادلة خاصة على نطاق العلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحد كما ان اسرائيل تقوم بدور (كلب الحراسة) بالنسبة لمصالح أمريكا فى المنطقة العربية ولاستمرار هذه المصالح بين الاجتكارات الأمريكية بعيدا عن قدرة العرب على تاميمها أو حتى استثمارها لصالح شعوبهم وتقوم ايضـا بدور وكيل الاستعمار المتلصص على أسواق العالم الثالث وموارده خاصة فى القارة الافريقية كذلك فان الصهيونية العـــالمية تمارس على الولايات المتحدة والمعسكر الغربى من ثم شتى الضغوط لحساب اسرائيل .

وبمثل ما ظل هيوبرت همفرى مســاعد الرئيس الامريكى السابق لندن جونسون يتملق اسرائيل واصفا اياها بقلعة الحضارة ومنارة التقدم فى الشرق الأوسط بمثل ما نجد (اشكول) رئيس وزراء اسرائيل السابق يقول : اننـا فى ســاعات الخطر نتطلع باطمئنان الى الولايات المتحدة .

وهنا علينا أن نتذكر قول (وايزمان) انه كان قد اتفق مع دوائر الاستعمار الاوربى على تسليم اليهود فلسطين « خالية من العرب » .

كما أن علينـا أن نلمـح السلوكية الصهيونية داخل الأرض المحتلة بعد سنة ١٩٦٧ وهى التى تسير باستمرار بالتجاه نسف البيوت بدعوى الأشتباه فى ايوائها لعناصر المقاومة الفدائية وهى أيضا ومنذ انشاء اسرائيل لا تنفك عن محو وتغيير معالم الأرض المحتلة واطلاق أسماء عبرية مستمدة أو منحوتة من تراث التعصب الصهيونى وادبياته على معالم اسلامية ومسيحية وكأنما لم يكفها

هذه العملية من الفرد الجنسي شبه الكامل بل هى تعمد الى اعادة حرث الأرض . لتجتث منها جذور الوجود العربى من أساسه . »

خامسا : ان اسرائيل تجسيم للاستعمار المتعدد الأغراض من استعمار سكنى ومن استعمار استراتيجى عسكرى ومن استعمار استغلالى اقتصادى ومن استعمار توسعى يعلن أطماعه الاقليمية بلا اى مواربة تحقيقا لامبراطورية صهيون الموعودة من النيل الى الفرات وهنا ـ كما يبين الدكتور فايز صايغ ـ ترتبط الدعائم الثلاث التى تقوم عليها دولة اسرائيل وهى العنصرية ـ التوسع ـ العدوان .. فالكيان عنصرى يهدف الى التوسع ووسيلة التوسع منطقا هى العدوان والارهاب . »

« ان اسرائيل من البداية الى النهاية استعمار من الدرجة الاولى والثانية معا : استعمار بالاصالة والوكالة فى نفس الوقت ونقصد بذلك ان اسرائيل قامت وأقيمت بفعل ولحساب نفسها والصهيونية العالمية ، وكذلك قامت واقيمت بفعل ولحساب الاستعمار العالمى .. فهى بالنسبة للاستعمار العالمى قاعدة متكاملة آمنة عسكريا .. ورأس جسر ثابت استراتيجيا ووكيل عام اقتصاديا او عميل خاص احتكاريا . »

* * *

كل هذه الحقائق تنبه اليها الفكر الناصرى ..

لذلك يقول عبد الناصر :

ان اسرائيل بالنسبة لنا مسألتين : الأولى العدوان الذى تم على حقوق شعب فلسطين ، وأرضه .

والثانية : هى تهديدها مباشر وخطرها التوسعى .. ولسنا فى حاجة الى اثبات ذلك ، فان أحداث ١٩٥٦ تتولى عنا كل الاثبات (١) . »

« وصلة الاستعمار باسرائيل لا تحتاج الى اجتهاد او استنتاج .. أمريكا وانجلترا .. اقاما اسرائيل ، وحميا اسرائيل »

(١) حديث لجريدة الاوبزيرفر ٥ يوليو ١٩٦٤ .

ويشرح عبد الناصر بعد ذلك ما تمثله اسرائيل كقاعدة للانقضاض على عمليات البناء فى العالم العربى ، وفى نفس الوقت يشرح قصتها كاملة منذ سنة ١٩٤٨ من الأحداث الواقعية ومن واقع كلمات زعماء اسرائيل أنفسهم ..

فاسرائيل كقاعدة استعمارية ، لا تقنع بأن تكون مجرد رأس جسر للاستعمار فى المنطقة على حد التعبير الذى أطلقه عبد الناصر عليها ، بل انها تسعى الى التوسع واحتلال أرض جديدة ، وما حدث فى يونيو ١٩٦٧ لم يكن نهاية اهداف اسرائيل التوسعية .. وهذا ما حاول عبد الناصر توضيحه خلال عام ١٩٧٠ بالذات فى خطابين طويلين أحدهما فى عيد العمال والاخر فى آخر **مؤتمر قومى حضره ، وقد يكون من المفيد فى هذه الدراسة** أن ننقل أجزاء كبيرة من خطابه فى عيد العمال بمدينة شبرا الخيمة حيث يشرح عبد الناصر قصة اسرائيل بما تمثله من عدوان منذ بداية التفكير فى انشائها حتى العدوان الأخير وتدبيرها لمؤامرة العدوان فى كل مرة لايقاف تيار التحرر وزحف البناء والتقدم .

ويشرح أيضا مساعدة الغرب وعلى رأسه أمريكا لها ، والمعاونات المتكررة التى تحصل عليها أمريكا بالذات **فيقول عبد الناصر :**

« المصنع وما يمثله من طاقة البناء هو ما نمثله نحن وما تمثلونه أنتم الشعب الطيب الذى عمل دائما من أجل السلام ومن أجل البناء .. والصواريخ والنابالم والقنابل الزمنية الموقوتة هو ما يمثله العدو ومن هم وراء العدو ، ومن يمدون العدو بأسلحة الدمار ، قنابل الدمار .. هذا هو موقفنا وذلك موقفه ..

« نحن نبنى طاقة الحياة والأمل والحرية والعدو يفجر القوى المدمرة للقتل والحريق والخراب ... هذه هى معركتنا مع عدونا ومع من هم وراء عدونا ..

« هذه هى حقيقة الصراع بيننا وبين العدو وليس ذلك جديدا على صراع أمتنا مع العدو ... ليس جديد طرأ بعد معارك ٥ يونيو

حتى نقول ان هذه هى الحرب بمصاعبها وويلاتها .. ولكنها شخصية العدو وطابع العدو ومنطق العدو .. والقانون الذى يحكم كل تصرفات العدو .

« ومنذ وقت طويل كان ذلك كله شخصية وطابع ومنطق العدو والقانون الذى يحكم تصرفه من قبل سنة ٤٨ وفى سنة ٤٨ من مذبحة دير ياسين وقبل مذبحة دير ياسين كلنا نعلم فى مذبحة دير ياسين قتلوا الأطفال وبقروا بطون الحوامل وقطعوا رؤوس الرجال لكى يبثوا الذعر فى نفوس الشعب الفلسطينى حتى يخرج هذا الشعب من أرضه ولكى يهرب من بيوته ومزارعه طلبا للنجاة حتى تخلو الأرض والبيوت للذين لا تربطهم بفلسطين صلة الا صلة الخرافة المدعاة .. تبحث عما كان لفترة قصيرة من الزمان قبل أكثر من الفى سنة وتنسى ما كان حقيقة واقعة لآلاف السنين فى فلسطين .. كنا نحن العرب نريد أرضنا ونريد السلام عليها والحرية من حولها وكانوا يريدون أرضنا ولا سبيل لهم الى ذلك حتى يستولوا على الأرض الا القتل .. ولم يكونوا يخفون رغبتهم فى القتل حتى تخلو الارض الطيبة الطاهرة لمطامعهم وأحقادهم ».

« ان زعماء اسرائيل لم يخفوا ذلك الكلام اللى انا باقوله الآن .. مش باقوله من عندى . مش باقوله استنتاج . مش باقوله عبارة عن نقط متفرقة . ولكن قادة اسرائيل وزعماء اسرائيل قالوا هذا الكلام فى سنة ١٩٤٨ وقبل ٤٨ وبعد ٤٨ . وفى سنة ٦٧ وبعد سنة ١٩٦٧ . أكثر من واحد من زعماء اسرائيل وقف وقال علينا قدام الرأى العام العالمى كله .. نحن نريد أرض العرب . فكيف نأخذ أرض العرب . هل نقنع العرب بأنهم يتركوا لينا ارضهم بالمنطق والحجة ذلك لا يصلح . والسبيل الوحيد اذن هو أن نقتل وأن نثير الرعب والخوف وليس فى ذلك ما ينبغى أن نخجل منه أو نداريه تحت الشعور بوخز الضمير ، هذا هو طريقنا — طريق زعماء اسرائيل الى ما نريده اذا كنا نريده ونحن نريده ».

« هذه أيها الإخوة بالحرف الواحد أقوال أكثر من زعيم من

زعماء اسرائيل ـ الى ما نريده اذا كنا نريده ونحن نريده .
زعيم احد الاحزاب قال هذا الكلام فى اسرائيل . موسى ديان قال هذا الكلام فى اسرائيل . وايزمان أخيرا قال هذا الكلام فى اسرائيل. قال .. احنا يجب علينا أن نخجل حينما يقال ان هـذه الأرض محتلة ويجب علينا الا نقبل أن نقول ان هذه الأرض العربية يقصد بهذا الضفة الغربية وسيناء والجولان وكل الأرض التى احتلتها اسرائيل فى سنة ٦٧ هى أرض محتلة ..
« قال هذه ليست أرض محتلة . لأن هذه الأرض هى أرضنا ويجب الا نشعر بتوبيخ الضمير . حينما نقول هذا وقال أكثر من هـذا .. ان اسرائيل هى التى حددها هرتزل فى مشروعه اى اسرائيل بين النيل والفرات . هذا الكلام ليس بالكلام الجديد ولكنه كلام قديم قيل فى مناسبات . وهذه الاقوال لم تقتصر على الاقوال بل اقتصرت على الافعـال . فى سنة ١٩٤٨ كانت دير باسين . فى سنة ١٩٥٦ كانت كفر قاسم والمذابح التى حصلت فى كفر قاسم .. وكانت مذابح خان يونس والمذابح التى حدثت فى قطاع غزة . سنة ١٩٦٧ .. المذابح التى حدثت فى قطاع غزة . والمذابح التى حدثت أيضا فى خان يونس والمذابح التى حصلت فى جميع المناطق المحتلة من الارض العربية .
« هذا هو الدرس الذى يجب علينا أن نتعلمه والذى يجب علينا الا ننساه . منطق العدو أقوال العدو . أفعال العدو .. وسوف نواصل معا الدرس الذى يعطيه لنا . دائما تطور الصراع لاننا أيها الاخوة اليوم واكثر من أى يوم آخر . يجب ان نكون على بينة وعلى نور . فذلك وحده سوف يثبت ايماننا وسوف يعطينـا اليقين الذين يشـد عزمنـا ويقوى ايماننا ويقوى ارادتنـا ويستحق تضحياتنا » قد كانت كثيرة وسوف تكون فى المستقبل أكثر ... التضحيات التى مرت على طول السنين الماضية قبل سنة ٤٨ فى فلسطين وبعد سنة ٤٨ فى فلسطين وهنا فى مصر على الجبهة . وفى كل مكان ... سنة ١٩٤٨ من الذى بدأ الهجوم . كانت بريطانيا

تحتل فلسطين . وكانت بريطانيا هى الدولة المنتدبة . وسعت بريطانيا وسعت أمريكا . وسعت الدول الاستعمارية كلها الى الحصول على قرار من الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وصدر القرار فى سنة ٤٧ . وفى سنة ١٩٤٨ وقبل ١٥ مايو قبل أن تخرج القوات البريطانية من فلسطين وقبل أن تنتهى مسئولية بريطانيا كدولة عينتها الامم المتحدة للانتداب على فلسطين قامت العصابات الاسرائيلية التى كانت مجهزة فى هذا الوقت بالسلاح والعتاد .. والتى كانت تحصن مستعمراتها تحت نظر الانجليز وبموافقة الانجليز قامت بالاعتداء على العرب وطردهم من منازلهم . بل اكثر من هذا قامت هذه العصابات الاسرائيلية بمهاجمة المدن التى كانت تدخل ضمن القطاع العربى فى مشروع التقسيم الذى اقرته الامم المتحدة .

« قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ قامت العصابات الاسرائيلية بالهجوم على يافا وعلى عكا وعلى مناطق أخرى من المناطق التى كانت تدخل ضمن الجزء العربى بعد تقسيم فلسطين . وقامت بعمليات ارهاب كبيرة وذلك بمهاجمة المدن وبمهاجمة القرى التى يسكنها العرب بمدافع الهاون والمدافع الرشاشة حتى يثيروا الرعب والذعر فى نفوس الفلسطينيين فيتركوا بيوتهم وأرضهم ويتركوا بلادهم . وقد خرج كثير من اهل فلسطين نتيجة هذه الغارات الوحشية التى كانت مخططة ومنظمة من قادة اسرائيل وزعماء اسرائيل واصبحوا بعد هذا لاجئين .. وفى هذه الايام وفى سنة ٤٨ أيضا هاجموا القدس واحتلوا اجزاء من القدس .، ولم تكن القدس فى هذه الايام تدخل ضمن الجزء الذى قررته الامم المتحدة لاسرائيل .

« اذن من الذى بدأ الهجوم فى سنة ٤٨ ، لقد بدأت العصابات الاسرائيلية الهجوم على الشعب الفلسطينى وتدخلت الدول العربية لانقاذ الشعب الفلسطينى من عدوان العصابات الاسرائيلية ولكن اسرائيل اليوم تغالط العالم كله وتقول ان الدول العربية هى التى

بدأت العدوان سنة ١٩٤٨ .. وتقول أن الدول العربية التى طلبت من شعب فلسطين أن يترك فلسطين ويخرج ليكون شعبا من اللاجئين وتحاول بكل الوسائل وقد استطاعت بمساعدة قوى الاستعمار ومساعدة الصحافة التى تسيطر عليها الصهيونيةالعالمية وبمساعدة الصحافة التي تسيطر عليها الدول الاستعمارية أن تجعل جزءا كبيرا من الراى العام العالمى يصدق ما تقوله اسرائيل .. استطاعت بأموالها ونفوذها وبكل وسيلة من وسائلها أن تفهم الناس بل تقنع الراى العام العالمى او جزء كبيرا منه ان اسرائيل كانت ضحية للعدوان العربى واستطاعت أن تمحو فى هذه الايام كل ما قامت به العصابات الاسرائيلية قبل ٤٨ وفى سنة ٤٨ ..

« وأنا اقول هنا أيضا وأذكر الجميع أنه بعد الهدنة وبعد انتهاء الحرب احتلت اسرائيل منطقة ايلات وكانت فى هذا الوقت تسمى منطقة أم الرشراش بعد اتفاقية الهدنة سنة ٤٩ . هذا هو منطق العدو وهذا هو أسلوب العدو وفعلا وحقا لم تكن اسرائيل لتستطيع أن تفعل اى شىء من هذه الاشياء وما كانت تقدر أن تعمل اى عمل الا بالمساعدة الوثيقة والمساعدة الغير مشروطة من الولايات المتحدة الامريكية ومن حكام الولايات المتحدة الامريكية .

« بعد سنة ٤٩ وبعد اتفاقية الهدنة ماذا حدث .. كانت هناك لجنة من الامم المتحدة تسمى لجنة المصالحة تتكون من امريكا وتركيا وفرنسا كأمناء وكانت هذه اللجنة موكول اليها تنفيذ قرارات الامم المتحدة التي صدرت فى سنة ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ ولكن هذه اللجنة اجتمعت مرة واحدة .. اجتمعت فى لوزان وحضرت اسرائيل وحضر العرب ولكن اسرائيل رفضت أمام هذه اللجنة أن تنفذ اى قرار من قرارات الامم المتحدة واستطاعت اسرائيل أن تنفذ كلمتها بأنها انسحبت من الاجتماعات .. ومنذ هذا اليوم هذه اللجنة التي سميت لجنة التوفيق لم تجتمع أبدا .. ولو كانت الولايات المتحدة الأمريكية التى تمثل العضو الاساسي فى هذه اللجنة تريد لحقوق شعب فلسطين التى نصت عليها قرارات الامم

المتحدة أن تنفذ لكانت هذه اللجنة قد اجتمعت مرات ومرات طوال العشرين عاما الماضية .

« ولكن أمريكا لم تكن تريد لحقوق شعب فلسطين أن تتحقق ولكنها كانت تريد دائما لاسرائيل أن تثبت وجودها وأن تتوسع على حساب الامة العربية وعلى هذا لم تجتمع هذه اللجنة أبدا ولكنها موجودة فقط فى سجلات الامم المتحدة .

« وعلينا أن نتذكر أيضا ونحن نتكلم عن موقف العدو وعن اسلوب العدو وعن القوى التى تساند هذا العدو الذى يحاربنا ويحتل جزء من اراضينا ، يجب أن نتذكر كيف استطاعت اسرائيل ان تستولى على المناطق المنزوعة السلاح ، والتى تقرر ان تكون منزوعة السلاح فى اتفاقيات الهدنة سنة ٤٩ .. وافقت اسرائيل ووافقت الدول العربية على بعض مناطق منزوعة السلاح فى سنة ٤٩ وكانت هذه الاتفاقة بموافقة ووجود الأمم المتحدة .. ولكن بعد ٤٩ وحتى ١٩٥٥ استمرت اسرائيل تحتل هذه المناطق وتحولها من مناطق منزوعة السلاح الى مناطق بها قوات عسكرية من أجل تهديد الدول العربية المحيطة باسرائيل . واذا انتقلنا بعد هذا الى سنة ٥٦ تقول اسرائيل ويقول قادة اسرائيل اننا قمنا باستفزازات سنة ٦٧ حينما أغلقنا خليج العقبة فلنترك مؤقتا سنة ٦٧ ولنقف قليلا عند اعتمادات القوات المسلحة وكان همنا بعد قيام الثورة أن نبنى بلدنا وأن نحول بلدنا من بلد متأخر وبلد متخلف الى دولة متقدمة فى الصناعة وفى الزراعة كنا نريد أن نكرس كل شىء من أجل أعمال البناء وكنا نريد أن نوجد عملا لكل فرد من أبناء هذا الوطن وعلى هذا الاساس سرنا نعمل لنصفى الاستعمار البريطانى ولنبنى الوطن الحر العزيز الكريم الذى نريده ، ولكن فجأة فى سنة ١٩٥٥ فوجئنا بغارة اسرائيلية على مدينة غزة فى فبراير سنة ١٩٥٥ وكان الغرض من هذه الغارة أن تفرض علينا اسرائيل التسليم . وكان غرض هذه الغارة والغارات التى تلت هذه الغارة ، نفكر جميعا بعد سنة ٥٥ ومن أول فبراير سنة ١٩٥٥ بدأت الغارة على غزة ثم

استمرت الغارات الاسرائيلية على قطاع غزة وعلى القوات المصرية المرابطة على الحدود وكانت اسرائيل تعلن استراتيجيتها واضحة ولم تكن تنكر انها تريد أن تفرض التسوية التى تريدها .

« ومعنى فرض التســـوية هو فرض الاستسلام أو فرض التسوية بالسلاح اى ان تفرض اسرائيل آراءها وما تريده على الأمة العربية جميعا .

« وبعد هذا اردنا ان نحصل على السلاح من بريطانيا واردنا أن نحصل على الســلاح من امريكا ولكن لم ترض بريطانيا أن تبيعنا السلاح الذى اردناه ورفضت أمريكا رغم وعودها فى هذه الايام أن تمدنا بأى نوع من أنواع السلاح الذى طلبناه . طلبنا دبابات اعداد قليلة ، وطلبنا طيارات أعداد قليلة ولكن لم نتمكن فى ســنة ١٩٥٥ وكانت اسرائيل فى هــذه الايام تحصل على السلاح أساسا من بريطانيا ومن فرنسا وكانت النتيجة الطبيعية لندافع عن نفسنا أن نعقد صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٥٥ وكان لابد لنا ان نقوى قواتنا المسلحة من أجل الدفاع عن بلادنا وكان من الواضح فى سنة ١٩٥٥ أن اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل يعملون عــلى التخطيط وعلى الترتيب لكسر القــوة العربية من اقوال زعمــاء اسرائيل ومن مذكرات زعماء اسرائيل التى نشرت بعد سنة ١٩٥٦ وبعد ســنة ١٩٦٧ كانت اسرائيل تخطط دائما للحرب الوقائيــة وكانت خطــة اسرائيل التى تمكنها من أن تحافظ على ارادتها ». وقال ديان فى مذكراته بعــد حرب ١٩٥٦ أنهم قرروا فى سنة ٥٥ أن يهاجمونا مهما كان الأمر ولكن كانت هناك مشاكل كثيرة وكانت هناك مشاكل صــعبة وكانوا يريدون أن يعتمــدوا على احــدى الدول الكبرى حتى تساندهم وتمدهم بالسلاح حيث يقومون بشن الهجوم .

« وكانوا يبحثون من من الدول الكبرى تساعدهم وتساندهم ... ويتفقوا مع فرنســا فى هذا الوقت ... وكانت فرنسا تشعر انها لابد ان تقوم بعمل ضدنا فى مصر لان مصر فى هذه الايام كانت

تساعد الثورة الجزائرية وكان الاستعمار يلفظ أنفاسه الاخيرة فى المنطقة واحس الاستعمار أن الوقت قد جاء لتخدمه الاداة التى كان قد صنعها لتخدمه اسرائيل .

« وفى سنة ١٩٥٦ كانت هناك أحداث سياسية كبيرة كبيرة نريد ان نبنى .. نبنى السد العالى حتى نحصل على فائض من المياه لنزيد الرقعة المزروعة فى بلادنا .. كنا نريد أن نبنى السد العالى حتى نحصل على عشرة مليارات كيلووات ساعة من الكهرباء لنتمكن من تصنيع بلادنا ونحول هذا الوطن من بلد متخلف الى بلد متقدم .

« وقالت أمريكا وبريطانيا وكلنا نعلم فى هذه الأيام أنهما على استعداد لتمويل مشروع السد العالى ولكن فجأة أعلنت أمريكا .. كما أعلنت بريطانيا .. كما أعلن البنك الدولى سحب تمويل السد العالى .

« وهنا بدأت الأحداث السياسية تتوالى فى سنة ٥٦ كان قرار تأميم قناة السويس من أجل تمويل بناء السد العالى ومن أجل تمويل بناء الصناعات .

« وبعد هذا أيها الاخوة بدأ التآمر .. بدأ التآمر سنة ١٩٥٦ بدأ التآمر .. انجلترا كان عندها ما يبرر العمل ضدنا .. انجلترا قد تقول وتبرر للعالم أنها تدخلت فى سنة ٥٦ قامت بالعدوان على مصر لأن مصر أممت قنال السويس .. وكانت لانجلترا مصالح كبيرة فى قنال السويس .. وكانت انجلترا تملك الجزء الاكبر من اسهم قنال السويس .

« وفرنسا دخلت .. وقد تقول فرنسا وتبرر أنها دخلت الحرب واعتدت علينا فى سنة ١٩٥٦ بسبب مساندتنا لحرب التحرير الجزائرية .

« أما اسرائيل فبماذا تبرر دخولها الحرب سنة ١٩٥٦ .. لقد كشفت كل هذه القصص الآن مافيش حاجة بقت سر .. كل حاجة مكتوبة دلوقت فى الكتب ... اتقال انه تم اجتماعات سرية بين

فرنسا وبين اسرائيل .. حضر هذه الاجتماعات بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل .. وحضر هذه الاجتماعات مندوب عن الحكومة البريطانية وان بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل طلب من فرنسا في هذه الايام أن تعمل له مظلة جوية فوق اسرائيل أثناء العدوان الاسرائيلي على مصر ، وحتى تحمى اسرائيل من أى عمل مضاد من القوات الجوية المصرية .. وأن فرنسا تعهدت بان تعطيه قوات جوية يدافع بها عن اسرائيل وتعطيه ايضا قطع بحرية ليدافع بها عن الشواطيء الاسرائيلية .

« دخلت اسرائيل .. دخول اسرائيل في هذه الحرب .. ما الذي كان يبرره .. ليه دخلت اسرائيل هذه الحرب .. ايه اللي حصل سنة ٥٦ ؟

« لما دخلت اسرائيل الحرب ارسلنا الجيش الى سينا سنة ٥٦ لمواجهة العدوان ووقفت القوات الاسرائيلية على الحدود امام المقاومة في أبو عجيلة والمناطق الاخرى .

« ولكن بعد ٣ أيام الحرب بدأ العدوان الانجليزي الفرنسي على بلادنا وبدات الغارات الجوية .. قررنا سحب القوات من سيناء وسحبنا القوات من سيناء الى غرب قنال السويس حينما انسحبنا من سيناء لنواجه القوات الانجليزية والفرنسية التي بدات العدوان علينا وحينما دخل الجيش الاسرائيلي الى سيناء هذه البقعة الطاهرة من ارض وطننا .

« كان اول ما فعله بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت هو اعلان ضم شبه جزيرة سيناء الى اسرائيل ولكن لم يتمكن بن جوريون أن يحافظ على هذا القرار لقد خرجوا وانسحبوا من الأرض المحتلة واضطروا للخروج ولكنهم في هذه الايام كشفوا عن نواياهم .. خرجوا لأن الحملة البريطانية الفرنسية عجزت عن قهر ارادة الشعب المصري ولان الانذار السوفيتي خلق موقفا دوليا خطيرا ولان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن قد استشيرت في العملية ووجدت نفسها على غير استعداد أمام مسئوليات قد تكون وخيمة العواقب .

« خرجت اسرائيل .. وانسحبت اسرائيل فى سنة ١٩٥٧ ولكن اسرائيل وقادة اسرائيل من يومها كانوا يستعدون لمعركة أخرى .

« من اقوال زعماء اسرائيل وقادة اسرائيل ومذكرات اسرائيل المنشورة والتى صدرت بعد سنة ٦٧ قالت انهم كانوا يريدون هذه المعركة فى المدة ما بين ٦٦ و ٧٠ ليه ..

« كانوا يريدون هذه المعركة قبل ان تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة .. قبل ان تدخل مصر فى مرحلة الانطلاق .. قبل ان يتم بناء السد العالى .. قبل أن تتم خطط التصنيع .. قبل أن تتم خطط تطوير الصناعة واستصلاح الاراضى الجديدة .

« كانت اسرائيل تريد المعركة قبل أن نكون قد أتممنا ما نريد من أجل تقوية بنائنا الداخلى وبنائنا الصناعى وبنائنا العسكرى .

« وعلى هذا الأساس نستطيع ان نقول ان ٥ يونيو والهجوم الاسرائيلى فى ٥ يونيو ٦٧ كان مؤامرة مرتبة لم تكن المسألة مسألة خليج العقبة .. ولكن كان الهدف الاصلى الاساسى هو الهدف الذى لا يصنعه العدو ولا يحققه له الا القتل والخراب .. الا الصواريخ والنابالم والقنابل الموقوتة تحملها طائرات الفانتوم الامريكية ..

« قبل ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ استطاعت اسرائيل أن تحصل من الولايات المتحدة الامريكية على كل المعدات اللازمة للحرب الالكترونية كل المعدات التى استطاعت الولايات المتحدة الامريكية أن تنتجها استطاعت اسرائيل ان تحصل عليها وأن تبقى هذا سرا لا يعرفه أحد ..

« وكان من الواضح أن هذه الأسرار التى تشملها الحرب الالكترونية وهى أساليب جديدة فى الحرب لا تعرفها الكثير من الدول عدد قليل قوى من الدول .. دولتين أو ثلاثة بس تستطيع ان تلم بأسرار معدات الحرب الالكترونية »

« واستطاعت اسرائيل أن تحصل من امريكا قبل ٥ يونيو على كل معدات الحرب الالكترونية التى تساعدها لا فى الدفاع فقط ولكن فى الهجوم على الدول العربية .

((اذن ٥ يونيو كان مؤامرة مرتبة وكانت اسرائيل فى هذا تستعين بالأسلحة من الدول الغربية وتستعين بالمعدات الالكترونية من امريكا .. والوقائع بين ١٤ مايو سنة ٦٧ و ٨ يونيو ٦٧ قد تختلف فيها التفسيرات وقد تختلف فيها الاجتهادات .. ولكن ما حدث بعد ٨ يونيو سنة ٦٧ يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية ويبين بحقيقة ساطعة يبين بالصدق ولا يبين بالاجتهادات أو التفسيرات)) .

وبهذا ينتهى عبد الناصر من توضيح فكره كاملا بالنسبة لاسرائيل وأسباب العدوان الأخير الذى قامت به اسرائيل على البلاد العربية ، واستطاعت بمعاونة قوى الاستعمار والامبريالية العالمية وعلى راسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تستولى بالقوة على أراض عربية فى مصر وسوريا الى جانب الجزء الباقى من فلسطين ..

وكان موقف عبد الناصر بالنسبة لهذا الامر واضحا ، فنحن لا نترك بابا للسلام الا طرقناه ، ونحن لا نريد الحرب ولكن الحرب قريبة منا .. ولعل الكلمات القليلة التى اطلقها عبد الناصر فى عام ١٩٦٧ وبعد العدوان مباشرة تلخص كل موقفه بالنسبة لهذه القضية ، فهو يبلور القضية فى **((ان ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة))** ويعلن أن ذلك ايمانه ، وقضيته ، وأنه حق وعدل أن تسترد الأرض المحتلة ، وأن الحق والعدل لن يتحققا فى هذا العالم ما لم تدعمهما القوة .

كان نضال عبد الناصر من اجل الحرية منذ بداية ثورته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ **يؤكد هذه الكلمات التى أعلنها بعد الهزيمة** العسكرية مباشرة ، والتى كررها لآخر مرة فى آخر خطاب ألقاه أمام المؤتمر القومى فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ .

حتى تحقق الحرية السياسية

استخلص عبد الناصر من خلال مسيرة الثورة عدة اسس ظل يسير الفكر الناصرى عليها ينميها ، ويدعمها ، وكانت الممارسة تكشف صدقها وواقعيتها ، ويمكن أن تتحدد هذه الأسس التى تشكل موقف الناصرية من الاستعمار بأنواعه .. وتحدد ايضا موقفها بالنسبة للسياسة الخارجية عموما التى هى ((انعكاس صادق وامين للسياسة الداخلية)) فى عدة مبادىء هى :

■ **ان الاستعمار هو العدو الأول للشعوب** ، وانه يمارس ضغوطه السياسية والاقتصادية والاجتماعية عليها مستعينا بنفر من أعوانه ، يحكمون ، ويسيطرون على الاقتصاد ، على السياسة .

والشعوب التى تريد أن تتحرر عليها أن تحارب الاستعمار واعوان الاستعمار الذين يستمدون نفوذهم من وجوده ، ويكونون خطرا على الشعب الذى يريد أن يتحرر لأنهم عادة يكونون الفئة المسيطرة على كل مقدرات البلاد ، ويعتمدون فى استمرار سيطرتهم على استمرار نفوذ الاستعمار ، وهم قادرون على خداع الشعوب، وتمويه الحقائق وتزييفها حتى لا يعرف الشعب حقيقتهم ويكشفهم ويلفظهم ..

لقد كان قرار عبد الناصر الأول هو تجريد الاقطاع من سلاحه ، وهو الأرض التى يملكها .. ليس فقط لأن هذا القرار ينصف الفلاح ، ويحقق نوعا من العدالة الاجتماعية ، ويقضى على الاقطاع ، وهى المبادىء التى رفعتها الثورة كبرنامج منذ يومها الأول . فلم يكن الغرض من قانون الاصلاح الزراعى الاول هو تحقيق أهداف

الثورة وتنفيذ مبادئها فقط ، بل ان البدء به أولا وقبل المواجهة الصريحة للاستعمار كان يعنى ان على الثورة بمثل ما واجهت الملك وطردته ، وبمثل ما أبعدت عن الحياة السياسية الذين أفسدوها فان عليها ان تواجه أعوان الاستعمار قبـــل الاستعمار ذاته ، وتجردهم من ملكياتهم الزراعية الواسعة التى تمثل نفـوذا كبيرا ، وأداة رئيسية للسيطرة على الريف حيث تعيش الغالبية العظمى من افراد الشعب المصرى ..

ونظرة الى تاريخ الملكية الزراعيـــة فى مصر طوال الســنوات السابقة على الثورة يعطينا أبرز دليل على التلازم بين الاقطاع ، وبين الاستعمار (١) .

والعائلات التى طبق عليها قانون الاصلاح الزراعى الأول الذى يحدد ملكيتها بمائتى فدان ، هى فى معظمها العائلات التى تعاونت مع الاستعمار ، أو حصلت على الأرض منه أو عن طريقه .

ويكفى ما قاله عنهم الجنرال « اللنبى » ونقله « ويفل » فى كتابه **« انه من الممكن أن يجلو الانجليز عن مصر ، وهم مطمئنون الى أنهم خلقوا طبقة من الكبراء يمكن لانجلترا أن تستأمنهم على سياستها فى هذه البــلاد فهم فى نظر الانجليز درع يدافع عن سياستهم كما يدافع عنها الأسطول البريطانى »** .

فقانون الاصـــلاح الزراعى الأول ــ وان كان يعتبر خطـــوة اصلاحية ، وطريقا لتحقيق بعض من الاهداف التى قامت من أجلها الثورة . وتنفيذا لمبادئها ، الا أن اصدار هذا القانون بهذه السرعة ، وفى الأيام الأولى للثـورة ، يعنى ، أنه بالاضـــافة الى ذلك خطوة أساسية نحو القضاء على الاستعمار مبتدئا بالقضاء على نفوذه ، وعلى أعوانه من الاقطاعيين .

« وبعد النصر الثورى العظيم صـباح ٢٣ يوليو ، وفى طريق

---

(١) انظر قصة الملكية الزراعية فى مصر فى الفصل الخاص بالملكية من هذا الكتاب .

الشعب الى التقدم الثورى داست الجموع المنتصرة باقدامها بقايا العهد الملكى الدخيل . ودكت حصون الاقطاع ، واجتثت جذور الرجعية » .

« لقد كانت تلك كلها هى الركائز التى يثبت الاستعمار عليها وجوده فوق أرضنا ، وبانقضاض شعبنا عليها وتدميرها فان الوجود الاستعمارى فقد حلقات اتصاله بأرض الوطن الطاهرة ومن ثم كانت الخطوة الباقية هى ارغام قواته على الرحيل وراء البحر بعد ان طوت اعلامها وابتلعت كبرياءها » (١)

■ **ان الخطر الحقيقى الذى يواجه الشعوب المحتلة بقوات الاستعمار** ، أو تخضع لنفوذه السياسى أو الاقتصادى ، هو **خطر الاستعمار** نفسه .. ويمتد هذا الخطر ليكون أيضا خطر الكتلة المتحالفة معه والمرتبطة به .

ولكن الاستعمار يخفى هذه الحقيقة عن الشعوب ويوقعهم تحت وهم الخوف من أخطار تهددهم ، وبالذات من الخطر الشيوعى الذى يصوره الاستعمار بانه شبح يخيف به الشعوب التى تريد الحرية ..

أخطار بعيدة عنهم . ولا وجود لها .. وهو بخلقه هذه الحالة ، يحاول خداع الشعوب ، واخفاء حقيقة مطامعه وآماله .. ليبدو فى صورة الحمل البرىء الذى يعمل على انقاذ الشعوب من أوهام يجسدها الى حد التلويح بشبح الحرب العالمية التى توشك على الوقوع .

والشعوب فى تطلعها نحو حريتها ، ونضالها من أجل الحصول عليها ، فانها ينبغى أن تعى جيدا ، أن أشد ما يهددها هو الاستعمار الجاثم على ارض بلادها ، والا تخشى خطرا ((**ليس لها تجربة مريرة معه مثل الاستعمار الغربى**)) وتقدم من أجل ذلك تنازلات ، تجرها الى أن تظل محكومة بالاستعمار ، فى عزلة عن الكتلة الشرقية اما خوفا منها بتأثير الدعايات الاستعمارية المضادة .. التى ظلت

١ ـ الميثاق .

تلح بحربها النفسية ضد هذه الكتلة ، وتغرس مفاهيم خاطئة عنها .. أو حتى خوفا من الاستعمار المتربص الذى يشك فى كل اتصالات ، وفى كل لقاء مع دول لا ترتبط مصالحها بمصالحه ، أو حتى مع الدول التى ترتبط به ، ما لم يكن هذا الاتصال عن طريقه وبموافقته .

وفى نفس الوقت فانه يسعى بالوقيعة بين هذه الشعوب الصغيرة المضطهدة والتى تتطلع الى التحرر ، والاستقلال .. وبين الكتلة الشرقية .. كما يسعى بالوقيعة بينها وبين جيرانها .. حتى ولو كانوا يرتبطون به .. فهدفه ، وغاياته أن ينفرد بكل دولة على حدة ، لكى تنسى الشعوب الخطر الحقيقى الذى يواجهها ، وهو خطر الاستعمار نفسه ..

■■ الاستعمار اذا خرج من الباب ، فانه يحاول دائما أن يعود من الشباك ..

يحاول أن يعود اما بواسطة أعوانه الذين يتآمرون — من الداخل — سعيا الى اعادته ليستردوا نفوذهم وسطوتهم أو يعود فى صورة شركات ومشروعات تعطى عائدها ليس للوطن ، ولكن لأصحابها من المستعمرين ، وتعمل على امتصاص خيرات البلاد لحساب هذه الشركات ، أنه يلجأ عادة لهذه الوسائل بعد أن يفشل فى الغزو من الداخل والخارج وبعد أن يستنفد محاولاته لربط الشعوب التى ارغمته على الخروج منها ... بأحلاف معه ..

والدول الصغيرة عندما تدخل فى أحلاف مع دول كبرى ، فانها بذلك توقع صك تبعيتها ، فالدول الكبرى هى التى ستقرر ، وهى التى سترسم وتخطط ، ولا رأى للشعوب الصغيرة سوى أن تجر الى معارك ترفضها مصالحها، وربط الشعوب بالأحلاف الاستعمارية يعنى تمزيق وحدتها ، وغرس قواعد فى قلبها تضرب منها القوى التحررية فى الداخل ، وتستخدمها ضد الشعوب الأخرى التى تريد أن تتحرر ..»

« ولقد كانت الأحلاف فى هذه المنطقة بالنسبة لنا هى الباب الذى حاولوا ان يفرضوا علينا السير فيه ، وأن ندخل منه الى مناطق النفوذ ، ولكننا رفضنا .. ولناخذ مثلا لذلك ما قاله ايدن فى ابريل ١٩٥٥ فى مجلس العموم البريطانى ، لقد قال : اننا متأكدون الآن بعد عقد حلف بغداد ، أن لنا صوتا قويا فى الشرق الأوسط .. وكانت هذه فى مفهومنا فكرة خاطئة ، ولقد قلت لمستر ايدن عندما قابلته .. انه سيكون حلفا يعتمد على الرجعية ولكنه سيعتبر فى نظر جميع شعوب المنطقة نوعا جديدا من السيطرة ، نوعا جديدا من الاستعمار ، وأن جميع أبناء الشعب العربى سيكافحون للقضاء على هذا النوع الجديد من الاستعمار والسيطرة (١) » .

الاحلاف هى سجن كبير يحيل الشعوب الى ادوات فى يد الغرب ومع ذلك فهى الصيغة الاستعمارية التى تتلاءم مع روح العصر ، اذ تحقق أهداف السيطرة ، والتحكم بوسائل تبدو فى مظهرها بالنسبة للشعوب أقل حساسية اذا قيسنت بالاستعمار القديم الذى يعتمد على القوات العسكرية فى احتلال الأرض .. ولكن هذه الصيغة فى نفس الوقت أكثر فاعلية بالنسبة للاستعمار ..

■■ **يعمد الاستعمار الى خلق كيانات دخيلة فى مناطق متفرقة من العالم** ، لتكون عونا له ، وصونا لمصالحه ، ومدافعة عن مشروعاته ، وتسند أهدافه التوسعية ، فضلا عن هدفها الأكبر وهو وجودها كقواعد دائمة وركائز متينة للاستعمار .

« خطر القواعد العسكرية ما زال قائما ، وماثلا ، أقربها .. القاعدة العدوانية الرئيسية لتهديد العالم العربى كله .. اسرائيل (٢) »

---

(١) ٢١ مارس ١٩٦٠ فى حديث مع الصحفيين الامريكيين .

(٢) ٢٧ ابريل ١٩٦٥ فى حفل تكريم الرئيس تيتو .

« واللى بيحصل النهارده فى فلسطين ، هو نفس اللى بيحصل فى جنوب افريقيا ، هو نفس اللى بيحصل فى مناطق افريقية ، يريد المستوطنون انهم يستولوا على كل شيء .. ثم يتخلصوا من المواطنين الأصليين الافريقيين بالقتل . اسرائيل قاعدة الاستعمار ، أوجدها الاستعمار فى هذه المنطقة لتكون دائما ركيزة له .. » (١)

■■ **لم تعد صيغة الاستعمار المعروفة والتقليدية بالجيوش التي تغزو وتحتل** هى الصورة الشائعة للاستعمار « فان الهزيمة المريرة التى منى بها الاستعمار فى السويس انهت عصر المغامرات المسلحة بالنسبة لكل شعوب العالم .. ولكن الاستعمار ما زال متمسكا بأهدافه ، وان كان قد غير أسلوبه » (٢)

لقد بدأ يتنكر .. ويتخفى ، بعد أن غير مكانه ، ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، وأصبح مخبؤه **الطبيعي بحكم** الظروف داخل قصور الرجعية ..

فالاستعمار بأسلوبه الجديد يعطى استقلالا نظريا للدولة المستعمرة ، ويصنع لها برنامجا ، وبرلمانا ، وحكومة ، ولكنه يفرض عليها الحماية .. ويحولها الى سوق لمنتجاته ، ويمنع عنها منتجات الدول المنافسة له أو ينقل خامتها اليه .

وهو مستعد فى سبيل ذلك الى أن « يمول » الدولة وأجهزتها .. ويستخدم راس المال الأجنبى ، لتوسيع الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة . وهو أيضا يسعى لتصدير الفكر ، والحياة ، والاقتصاد الراسمالى وتفتيت البلاد المستعمرة الى دويلات متناحرة ، منقسمة مختلفة .. ذلك أن الشكل العسكرى للاستعمار أصبح قرصنة يرفضها ضمير العالم ، ومنظماته ، ولكن ضمير العالم الحر لم يرفض بعد أساليب الاستعمار الجديد لانها تتم مستترة

---

(١) ٢٢ يوليو ١٩٦٤ »
(٢) الميثاق

وراء شعارات عديدة ، هى رفع مستوى الدول ، أو ملء الفراغ بها ، أو المعونات الاقتصادية ، التى تصاحبها سيطرة .

ومن الأسس الهامة فى الفكر الناصرى أنه يحارب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، ويكشف عنه جميع اقنعته ويحاربه فى جميع أوكاره . ولكنه يرى أن راس المال الأجنبى تحيط به فى نظر الدول المتخلفة خصوصا تلك التى كانت مستعمرات فيما مضى ، سحب من الشكوك والريب المظلمة (١) .

« ولكن سيادة الشعب على أرضه واستعادته لمقدرات أموره تمكنه من أن يضع الحدود التى يستطيع فى ظلالها أن يسمح لراس المال الاجنبى بالعمل فى بلاده .

« ان الأمر يتطلب وضع أولويات هى فى الواقع خلاصة التجربة الوطنية كما أنها تأخذ فى الاعتبار طبيعة راس المال العالمى الذى يفضل دائما أن يجرى وراء الموارد الخام البكر فى مناطق لم تتهيأ للنهوض الاقتصادى والاجتماعى حيث يستطيع فى ظروفها أن يحصل على أعلى نسبة من الفائدة . .

« ومن هنا فان التطوير الوطنى — فى الدرجة الأولى — يقبل كل المعونات الأجنبية غير المشروطة التى تساعده على تحقيق أهدافه ، يقبلها بكل العرفان الصادق لقدميها مهما كانت ألوان أعلامهم » .

« وفى الدرجة الثانية فان التطوير الوطنى يقبل كل القروض غير المشروطة التى يستطيع أن يفى بها دون عنت أو ارهاق والقروض التجارية طريقة واضحة فى حدودها فان مشكلتها تنتهى تماما بعد سدادها وبعد سداد الفوائد المستحقة عليها . . »

« والتطوير الوطنى فى الدرجة الثالثة — مستعد لقبول اشتراك راس المال الاجنبى فى أوجه نشاطه الوطنى كمستثمر على أن يكون

(١) الميثاق

ذلك فى العمليات الضرورية خصوصا تلك التى تقتضى خبرات جديدة يصعب توفرها فى المجال الوطنى » .

« أن قبول استثمارات أجنبية معناه القبول باشتراك أجنبى فى ادارتها ، ومعناه القبول بتحويل جزء من أرباحها سنويا الى غير حد الى المستثمرين ، وذلك أمر يجب الا يترك على اطلاقه » .

« ان الأولوية الأولى للمعونات غير المشروطة » .

« والمكانة الثانية للقروض غير المشروطة » .

« ثم يأتى دور القبول بالاستثمارات الأجنبية فى الأحوال التى لا مفر فيها من قبولها ، وفى النواحى التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة » .

« ان شعبنا فى نظرته الثورية الواعية يعتبر ان المساعدات الأجنبية واجب على الدول السابقة فى التقدم نحو تلك التى ما زالت تناضل للوصول » .

« بل ان شعبنا فى ادراكه لعبرة التاريخ يرى أن الدول ذات الماضى الاستعمارى ملزمة أكثر بأن تقدم للدول المتطلعة الى النمو بعض ما نزحته من ثروتها الوطنية أيام كانت هذه الثروة نهبا مباحا للطامعين » .

« ان تقديم المساعدات واجب اختيارى على الدول المتقدمة »

« وهو أقرب ما يكون الى الضريبة الواجبة السداد على الدول ذات الماضى الاستعمارى تعوض فيه الذين استغلتهم عن طول استغلالها لهم » (1)

« لعصور القرصنة الاستعمارية التى يجرى فيها نهب ثروات الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون او الاخلاق قد انتهى

[illegible] الميثاق

مهدها وينبغى القضاء على ما تبقى من ذكريات لها . ما زالت فيها بقية من الحياة » ..

■■ **ان الاستعمار لا يترك الأرض التى يحتلها الا مرغمـــا ،** وبقوة السلاح ، فاصرار الشعوب اذا لم تســنده القوة وان كان يؤرق الاستعمار ولكنه لا يجعله يتخلى عن الارض التى يحتلها .

« فالاستعمار لن يرحل عن أجزاء ما زال يحتلها من قارتنـــا الافريقية لمجرد اننـــا نصرخ فى وجهـــه وأن استمرار وجوده اهانة لنا » .

« لقد صرخنا فى وجه الاستعمار فى بلادنا ٧٠ سنة آملين أن منطق التفاوض سوف يقنعه بالرحيل ، وقد اضطررنا فى النهاية الى حمل السلاح » (١) .

وتجربة الناصرية مع الاستعمار أنها فاوضته ، وهى تعبىء الشعب ، وتدربه ، وكتائب المقاومة المسلحة تخوض معاركها ضد بقايا القوات المستعمرة فى منطقة القناة ..

وازاء اصرار الجماهير ، وكفاحها المسلح ، وقيادتها الثـــورية التى لا ترتبط بالاستعمار والتى ترفض انصاف الحلول ، وتصر على الاستقلال ، اضطر الانجليز الى الجلاء ، ولكنهم بعـــد فترة قليلة عادوا مرة ثانية يحاولون أن يفرضوا بالقوة احتلالا جديدا .. فالاستعمار لا يستسلم بسهولة ، بل يقاوم مقاومة عنيفة ويستخدم كل الطرق ابتداء من الحرب المسلحة حتى حرب التجويع ..

فشعبنا « بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

---

(١) ٤ مايو ١٩٦٣ فى الجزائر .

■ ان مرحلة القضاء على الاستعمار والاستقلال الوطني تحتاج الى جميع جهود أفراد الشعب جميعا ، ليدافعوا عن الأرض التى تظلهم ، ويعيشون عليها .. فبعد أن يستبعد الشعب أعوان الاستعمار وأذنابه ، فان على جميع قوى الشعب أن تتحد ، وتتناسى ما بينها من تناقضات تبدو فى واقع الأمر تناقضات ثانوية ، الى جانب التناقض الكبير بينها وبين الاستعمار ، على أن قوى الثورة تختلف بعد ذلك عندما تتخذ الثورة خطوات أبعد ، وتتجه نحو الثورة الاجتماعية . فان القوى المؤيدة لها تختلف ، كما أن حجم التناقضات بين أفراد الشعب يختلف أيضا باختلاف الظروف الاجتماعية ، وباختلاف كل مرحلة .

■ ان ارادة الشعوب واصرارها اقوى من الاستعمار « فالتجارب تؤكد كل يوم أمامنا عبرة التطور الانسانى ، قوة الانسان .. الانسان أقوى من الجيوش .. الايمان أقوى من الطغيان .. الحق أقوى من الباطل .. العدل أقوى من الظلم .. الثورة أقوى من الجلادين » (١)

« ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية .. انه طريق بعيد المدى .. مداه مدى الحياة نفسها .. كلما بلغ منه الشعب مرحلة لاحت امامه فى المتى مراحل » .

« ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد النصر ولا تتراخى .. انها فى ذروة شعورها بالقوة تدرك أن النصر الذى حققته انما هو مرحلة على الطريق وليس هو بحال من الأحوال خاتمة المطاف (٢) » .

■ سياسة التفرقة العنصرية هى استمرار وتأكيد لسياسة استغلال الانسان للانسان ■

---

(١) عيد الثورة ١٩٦٤ .
(٢) ١٨ يوليو ١٩٥٦ .

« والواقع ان منطق التمييز العنصرى هو ذاته منطق الاستعمار فليست التفرقة بين البشر فى اللون الا تفرقة بينهم فى الحقوق ، وما من شك فى تقديرنا أن نفس اليوم الذى سيشهد نهاية الاستعمار ، وسوف يشهد فى الوقت ذاته نهاية التفرقة العنصرية »

■ **الاستعمار الجديد يحاول أن يحقق نفس أهداف الاستعمار القديم ، ولكن بوسائل تبدو فى مظهرها أكثر مسايرة للعصر ..**

منها الاحلاف العسكرية واستغلال المعونات والتجارة والتكتلات الاقتصادية والاحتكارية هى وسائل للضغط على الشعوب والسيطرة على مواردها واستنزافها ففى الدول المستقلة حديثا يحاول الاستعمار « تحت أعلام الاستقلال الملونة التى ارتفعت فوق عدد من البلدان أن يسلب الحرية مضمونها الحقيقى وان يجعل من الاستقلال الوليد مجرد مظهر وشكل خارجى لا يعكس أى حقيقة ، أصيلة » .

الاستعمار ليس فقط ، الاحتلال العسكرى .. وليس فقط الارتباط بأحلاف .. وليس .. السيطرة الاقتصادية فقط .. انه يضم كل ذلك .. وما هو أكثر .

فتحت عنوان الاستعمار نضع فروعا كثيرة : « نضع سياسات القمع المسلح كما نرى فى المستعمرات البرتغالية .. وفى الجنوب العربى المحتل وفى عدن وعمان » .

« نضع سياسة الاحلاف والقواعد العسكرية كما نرى فى معظم قارات العالم »

« نضع سياسات الاستيلاء على أرض الشعوب وطردها بالقوة وبتأييد الاستعمار كما نرى فى فلسطين » .

« وينبغى أن تترك للشعوب فرصة اعادة صنع حياتها من جديد على أساس من التجربة والخطأ باعتبار أن ذلك هو الطريق الوحيد والمأمون لبلوغ التقدم » .

« نضـع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية ، كمـا ترى في جنوب افريقية .. ان أكثر الوســائل وأحدثها امعـانا في التخفي والتســتر ، لم تعد قادرة على أن ترغم الشــعوب على الرضــا بالسيطرة الأجنبية ، سياسية كانت أو عسكرية أو اقتصـادية أو ثقافية » (١) .

« أننا نشـهد ظواهر خطيرة من حولنا تتفاقم بغير علاج » .

« ان الحروب الصغيرة تشتعل في أكثر من مكان في آسيا ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية » .

« وانقلابات الداخل الموجهة والمدبرة من جانب الاجهزة الخفية للقوى الكبرى تتكرر أمامنا كل يوم » .

« ومحاولات التسلل بالأدوات الاستعمارية يجرى التمهيد لها على قدم وساق ، بل ونجد كيانات لها شكل الدول وهى في حقيقتها مجرد قناع ، وستار » .

« وتجارة الجنود المرتزقة الاجانب تمارس الآن بغير شرف ، وبغير خجل ، وفي ظروف يمكن أن تنجم عنها أوخم العواقب » .

« ومحاولات التأثير النفسية على الشعوب ، تملأ أجواء قارات العالم بشكل سافر ، وعلنى ، ينثر بذور القــلاقل فوق ارض الوطن » (٢) .

« ان الاستعمار بجميع أشكاله وانواعه ، القديم والحديث ، الظاهر والخفى ، يجب أن يزول » . ان الاستعمار كما نفهمه . وباعتباره ســيطرة بلد على آخر ، واستغلاله بارهاب القــوة ، أو بالمعاهدات والامتيازات التي لا تستطيع أن تعيش بغير الارهاب ،

---

(١) مؤتمر عدم الانحياز ١٥ أكتوبر ١٩٦٤
(٢) الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الدول في المنحازة سبتمبر ١٩٦٤

اصبح مهينا لعصرنا ومسببا لانفجارات خطيرة ، لا يمكن وقفها او تقليل تأثيرها بأية عمليات صناعية لا تقتلع الشر من جذوره » .

■■ ان الشعوب النامية والحديثة الاستقلال يجب ان تتوقع خطر الاستعمار فى اى وقت ، وان تكون مستعدة له .

« فاننا يجب أن نتوقع الخطر الاستعمارى ، فهو بينما يسعى فى بعض المواقع ، بالتستر وراء اشكال والوان واساليب جديدة الى التسلل تحت رايات الاستقلال التى ارتفعت على البعض من بلداننا ، محاولا أن يجعل منها مجرد شارات ملونة تحمل شعار الاستقلال دون مضمونه بينما الحكم له والتصرف له والكسب له من دون الشعوب المغلوبة على أمرها .

« هذا سلوكه فى بعض المواقع بينما نجده فى مواقع اخرى قد كشف عن حقيقة سافرة وكشف من ورائه عن عملائه وأعوانه الذين يخفون وراء وجوههم التى هى منا ـ صلة بالاستعمار تعدم صلتهم بنا ، وانطلق الاستعمار معتمدا عليهم يظهر ضراوته وشراسته وطبيعته الغادرة ومعاداته لكل القيم الانسانية التى عملت من أجلها الأجيال .

« ان روح الشهيد لومومبا التى تظلل مؤتمركم هذا . مع ارواح الشهداء الأبطال العديدين الذين ذبحهم الاستعمار ارضاء لشهواته ومطامعه فى افريقية وآسيا كل هذه الارواح لكل منها قصة كفاح خالدة تكشف لكم بما لا يقبل الشك والجدل اين يكمن الاستعمار وأين يكمن أعوانه وكيف تعمل الاعيبه وخططه على الايقاع بيننا وبذر بذور الشقاق والفتنة حتى يرتفع سلاح الأخ فى وجه أخيه وينشغل بالمعارك الفرعية عن المستعمر الدخيل الذى يسعى بكافة الطرق والوسائل لاستنزاف مواردنا والتغلغل فى اقتصادياتنا والسيطرة على امكانياتنا واخضاعها لارادته .

« ولقد سلك الاستعمار فى سبيل ذلك كل الوسائل الخبيثة والخبيثة ، فهو لم يكتف بأن يكون له عمـلاء يتسترون بالوجوه الوطنية ليكونوا اكثر فاعلية فى خدمته وانما اقام لنفسه بين الدول دولة عميلة تتكلم باسمه وتسير على نهجه ، وتكون رأس جسر لأغراضه وحربة فى قلب قارتنا تسعى بما تقدمه فى البداية من قروض واستثمارات لتسيطر على اقتصادياتها وتربطها بالاحتكارات الاستعمارية ، لتنفذ من ذلك الى السيطرة على سياستها بنفس الاسلوب الذى كانت تسلكه شركات الاحتكار فى بداية عهد بلادنا بالاستعمار .

« ولكننا أيها الاخوة لن نسمح بأن يعيد التاريخ نفسه . ولن نكون من السذاجة لكى ينفذ السهم فينا مرتين . ان عيننا مفتوحة واذهاننا واعية لطبـائع الاستعمار وأغراضه وخططه وأهدافه ، وسنستجمع ارادتنا من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى لنقف فى صراحة وفى عنف وفى وضوح فى مواجهة الاستغلال والتفرقة العنصرية والتدخل الخارجى أيا كان مصدره والاستعمار بكافة صوره وألوانه .

« انمعركتنا مع الاستعمار عاجلة ولننتصر عليه الا بتضامننا ، وعلينا أن نفرغ منه لنتفرغ الى معركة البناء فنزيح عن أرضنا كل ما زرعه الاستعمار على فكرنا من أكاذيب ومفاهيم فاسدة لنلحق بركب الحضارة ولنقوى بدورنا فى خدمة الانسانية واثراء التراث الحضارى بثقافتنا الأصيلة » (١) ...

■■ **ان أمريكا تقود الثورة المضادة فى العالم ، باعتبارها زعيمة العالم الرأسمالى ، كما انها قائدة الاستعمار الجديد ...**

« اعداؤنا هم أعداء التحرر فى أى مكان ، هم دعاة الثـورة المضادة ضد كل تطلع للحرية ، للتقدم ، للرخاء فى أمتنا ، **بل فى العالم الثالث كله** ، يريدون أن يحكموا قيد التخلف على بلدانه ، ليفرضوا

---

(١) فى اكرا ٢١ مايو ١٩٦٥ .

عليها سيطرتهم ولينهبوا منها ثرواتهـا ، وليجعلوها سوقا تعيش على استهلاك مبيعاتهم ، ولقد آن لنا أن نواجه الحقيقة ، فنكشف قيادة هذه الثـورة المضادة ، وقيادة هذا التـآمر ، تكشف دور الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تضع الخطط للتآمر ، وتموله ، وتشترى العملاء لتنفيذ مخططها .

« ان الولايات المتحدة الأمريكية ، تسـعى لوراثة الاستعمار البريطانى المنـهار فى منطقتنا ، وهى التى غرست اسرائيل فوق أرضنا ، وتساند الرجعية ، وتفرض علينا التخلف ، وتضع العراقيل أمام تقدمنا ، وأمام رفاهيتنا .

« ان أمريكا هى قيادة الثورة المضادة ، أما أعداؤنا الآخرون فما هم الا توابع لها يسيرون فى فلكها ويستهدون بخطاها ، وهم ضعاف بدونها ، مسلوبو الحول والقوة بدون قيادتها » (١) .

« ان بريطانيا لا تستطيع أن تبقى ساعة على الأرض العربية بدون المساندة الأمريكية ، واسرائيل لا تستطيع أن تعيش يوما بدون المعونات الأمريكية لها اقتصادية وعسكرية .

« وباقى العملاء لا يستطيعون مواجهة شعوبهم اذا ما تخلت الحماية الأمريكية المسبوغة عليهم .»

« الخطة الأمريكانى بالنسبة لنا مبنية على نقطتين : الضغط الاقتصادى والضغط النفسى ، والدعاية ضدنا فى البلاد العربية » (٢).

« ٥ يونيو كان مؤامرة مرتبة ، وكانت اسرائيل فى هذا تستعين بالأسلحة من الدول الغربية ، وتستعين بالمعـدات الالكترونية من أمريكا . والواقع بين ١٤ مايو ٦٧ و ٨ يونيو سنة ٦٧ تختلف فيها

---

(١) ١٥ مايو ١٩٦٧ المؤتمر الفلسطينى بالمنشية

(٢) لأعضاء مجلس الأمة ١٩ مايو ١٩٦٧

التفسيرات .. وقد تختلف فيها الاجتهادات .. ولكن ما حدث بعد ٨ يونيو ٦٧ يكشف حقيقة النوايا الاسرائيلية ، ويبين فى حقيقة قاطعة .. يبين بالصدق ولا يبين بالاجتهادات والتفسيرات .. بعد ٨ يونيو ، كان هناك قرار الأمم المتحدة فى مجلس الأمن بوقف القتال والانسحاب . وتقدمت الدول الصديقة .. الدول الآسيوية الافريقية بهذا القرار ، ولكن اعترضت أمريكا على الجزء الثانى من القرار ، وصممت على أن يكون قرار مجلس الأمن بايقاف القتال فقط ، وان يشطب منه كل شىء ينص على انسحاب القوات المعتدية ، الى الأماكن التى كانت فيها قبل العدوان . » (١)

■ **ان قوى التحرر فى العالم عليها أن تتلاحم** فان مسئوليتها كبيرة وعليها أن توحد جهودها وتنظمها حتى تستطيع أن تحقق أهدافها فى التحرر . وحتى يمكن أن تكون دعما للدول التى ترفض الاستعمار وتناضل من أجل القضاء عليه ، فهذه القوى هى التى تستطيع ان تساند الشعوب حديثة الاستقلال والمناضلة ضد الاستعمار بأنواعه مساندة حقيقية دون أن تكون لها أهداف أو غايات كما انها أكثر احساسا بمشاكل غيرها حيث غالبا تكون قد مرت بهذه المشاكل وعانت منها ..

ان عليها واجب ان تساندها ، وتعطيها الخبرة ، وتتعاون معها ..

« ومهما يكن من هذه الأسباب وغيرها ، فان المسئولية التاريخية ، تفرض علينا الآن ان لا نكتفى بتحليل الأسباب وتفصيلها ، وانما هى تطرح علينا السؤال الهام : ما الذى يجب علينا أن نفعله ، لكى نهزم هذا المد الرجعى والاستعمارى .. ونستعيد لحركات التحرير السياسية والاجتماعية زمام المبادأة . »

« ومهما كانت الأسباب التى يمكن أن نرد اليها ما نشهده من ظواهر خطيرة ، فانه لا شىء يسبق فى الأهمية ضرورة العمل الايجابى . »

---

(١) عيد العمال ١٩٧٠م

وفى الحقيقة ، ان قسطاً هاما يقــع الآن على الشعوب ، التى اختارت لنفسها موقف الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وتمكنت بهما من ممارسة دور دولى أثبت بعــدم الانحياز تأثيره الفعــال الايجابى ، واستقطب الأحلام الجياشة لدى شــعوب كثيرة تطلب السلام القائم على العدل ، ثم صنع من ذلك تيارا دافقا غلابا حقق اهدافه برغم المصاعب ، فى عديد من الظروف .

« انه من المحتم علينا أن تكون جهودنا مباشرة ومركزة ، فيما يتعلق بكل الأهداف التى نستطيع فيها بقوانا الذاتية أن نتحرك . وفى المجال فانى اعنى بالذات بتصفية الاستعمار ، باعتباره أصلا من اصــول الشر ، وسببا من أســباب التوتر والقــلق المخيف فى عصرنا (١) »

« واننا نستطيع بتوحيد جهودنا وتنظيمها ، أن نوجه الى هذا الخطر ضربات ساحقة ، تساعد الشعوب التى ما زالت تعانى من قبضته عليها ، أن تخلص نفسها ، وأن تخلص الانسانية كلها منه ومن آثاره » .

« وفى هذا الصدد ، يخيل الى أننا نستطيع ان نقوم بما هو أكثر من المجهود الأدبى وكذلك الحال فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية تلك التى نملك أن نواجهها بما هو أكثر من الاحتجاج » (٢) .

■ ان الدعوة الى السلام اصبحت مطلب الشعوب فى العالم ، فالسلام هو السبيل الوحيد لاعادة بناء البلاد ، وتعويض ما فاتها من تخلف ، ولكن « السلام يجب أن يكون قائما على العدل ، لأن

---

(١) بلجراد ٦ سبتمبر ١٩٦٤
(٢) الاسكندرية ٢ مايو ١٩٦٦

السلام الذى لا يقوم على العدل يصبح معناه التهديد باستخدام القوة (١)

و « ان سلام عهد الامبراطوريات الكبيرة قد اندثر فقد قام على القوة وحدها تقمع بغير تردد كل محاولة تتصدى لها ناسية أنها فى حقيقة الأمر تقاوم ارادة التطور والارتقاء ، كذلك فان سلام توازن القوى قد فشل ولقد قامت حربان عالميتان ثمنا لهذا الفشل الذى لم يكن منه مفر ، فان الأرض لا يمكن أن تتحول الى غنيمة يتقاسم شرائحها الأقوياء بسيوفهم .

« ثم رأينا فى زماننا توازنا آخر ، يراد له أن يقوم على موازين الرعب النووى ، ولكن اخطار مثل هذا التوازن فادحة ، تنادينا جميعا بأن نتحرك لانقاذ السلام من القوة النووية الرهيبة التى يجب أن تخدم السلام ، ولا تستخدمه وتحرره ، ولا تستعبده .. »

« ان تجارب الماضى ، وتجارب الحاضر تنطق امامنا بالعبرة الأولى للتاريخ ، وهى أنه لا يقوم سلام الا على العدل ، لا بالقوة ، ولا بتوازن القوى ، ولا بموازين الرعب .. وانما بالعدل وحده يقوم ويدوم السلام (٢)

والسلام فى فكر عبد الناصر « ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وانما هو أيضا كنص المادة ٥٥ من ميثاق الأمم المتحدة (تهيئة دواعى الاستقرار والرفاهية والسلام لقيام علاقات سليمة ودية بين الأمم مبنية على احترام القاعدة التى تقضى بالتسوية فى الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها) .. ان تحقيق الشروط والأحوال اللازمة للسلام هو أمر يهم جميع الدول ، ويعززه اشتراكها جميعا فى المسئولية »

---

(١) حديث للتليفزيون الالمانى

(٢) مؤتمر عدم الانحياز اكتوبر ١٩٦٤.

« ان السعى الى تلافى استخدام القوة فى العلاقات الدولية ، لا يتحقق بمجرد الالتزام بايجاد حل لكل مشكلة من المشاكل على حدة ، وبمعزل عن غيرها وانما يتحقق بوجوده مفهوم حقيقى للسلام ، يقيم بنيانه على العدل ».

« ان العدل وحده يصنع السلام الدائم ، واما القوة فقد تستطيع أن تفرض لبعض الوقت على موقف معين ، ولكنها حتى فى الأمر الواقع الذى تقيمه أبعد ما تكون عن معنى السلام واستمراره »

« ان السلام لا يستقر اذا استند الى تجميد الأوضاع الظالمة ، وان احترام الدول لالتزاماتها التعاهدية ، معناه احترام المعاهدات الصحيحة ، التى عقدت بحرية واختيار ، والتى لا تخالف ميثاق الأمم المتحدة ، ومن ثم يجب أن يكون التزام الدول بتنفيذ تعهداتها مرتبطا بما ورد فى المادة ١٠٣ من الميثاق التى تنص على انه « اذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها اعضاء الأمم المتحدة ، وفقا لاحكام هذا الميثاق ، ومع أى التزام دولى آخر يرتبطون به ، فالعبرة بالتزماتهم المترتبة على الميثاق » (١)

---

(١) مؤتمر عدم الانحياز ١٥ اكتوبر ١٩٦٤



الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ..

هكذا يقرر عبد الناصر ، فليست الثورة فى رأيه هى الاستيلاء على السلطة ولكنهـا ((حركة شعب بأسره يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيـد لكل العوائق والموانع التي تعترض طريق حياته كما يتصورها ، وكما يراها)) والثورة عمل ايجابي يستهدف اقامة اوضاع جديدة .. لذلك فهو يقول ((ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ولكن الطريق اليها قد فتح على مصراعيه تلك الليلة العظيمة))

و .. « الباب الذى انفتح على مصراعيه ليلة ٢٣ يوليو ظل مفتوحا لفترة طويلة قبل أن يدخل منه التغيير الحتمى » .

ان الثـورة فى فكر عبد النـاصر ليست فورانا عاطفيـا انما الثورة فى أصالتها هى علم تغيير المجتمع ، ولا يتغير المجتمع بالغضب على ما كان فيه ، وعدم الرضا بالواقع وبالاوضاع التى سادته وانما يتغير المجتمع بتحليل علاقات القوى الاقتصادية والاجتماعية فيه ؛ واعادة تشكيلها على أسس جديدة لصالح أوسع الجماهير ، ولو كانت الثورة مجرد فوران عاطفى لاستطاع البطش ان يطفىء نارها ولكن النار فى الثورة الحقيقية تبقى مشتعلة لان هناك أسـبابا حقيقية وعلمية تمنحها وقودها الذى لا يفرغ « فان الثـورة هى الفهم العلمى للعلاقات الاجتماعية ، والاصرار على تغييرها (١) » .

(١) عيد العلم ١٤ ديسمبر ١٩٦٤

وعبد الناصر يرى أن هنـاك فرق كبير بين الثورة والانقلاب
« فالثورة هى الحصول على السلطة من أجل التغيير الواسع .. تغيير المجتمع من الواقع الذى يثور عليه ، الى المستقبل الذى يطالب به .. قد تبدأ الثورة بالقلة ، وان كانت أهدافها تعبر عن أهداف الكثرة .. ولكن الثورة بالعمل والممارسة من أجل تحقيق أهدافها .. تصل الى حد التعبير عن الكثرة وتصل من الاســتثناء الى الكثرة .. عمل الثورة يتسع ويكبر وتزداد المشاركة فيه كل يوم وكل ساعة وكل سنة »

وهو يفرق بينها وبين الانقلاب اذ الانقلاب هو « جماعة من الناس تتآمر وبالمؤامرة أو المغامرة يصلون الى السلطة والسلطة هدفهم » (١)

« ولقد كان يمكن ان يتحول الحدث الكبير الذى جرى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الى مجرد تغيير للوزارة أو تغيير لنظام الحكم .. وكان يمكن أن يتحول الى ديكتاتورية عسكرية تضيف الى التجارب الفاشلة تجربة أخرى فاشلة .. لكن أصالة الوعى الثورى وقوته .. قررت أن يكون الحدث الكبير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ خطوة على طريق تغيير جديد كامل يعيد الأمانى الوطنيـة الى مجراها الثورى السليم »

« الثورة ليست فرد .. اذا تخلصوا منه تنحل كل مشاكلهم ولا عدة أفراد اذا كانوا يتخلصوا منهم تنحل مشاكلهم »

« الثورة شعب .. الثورة تغيير مستمر بالشعب وبآمال هذا الشعب . »

« أن مصدر القوة العظيمة للثورة هنـا لن الشعب قد تحرر وسوف يقدم الرجال واحدا بعد واحد ويصنع المعجزات معجزة بعد معجزة فى ثبات وفى عزم وفى دوام . » (٢)

---

(١) ٢٦ اكتوبر ١٩٦١

(٢) العيد الثالث عشر للثورة ٢٦ يوليو ١٩٦٥ م

« وكل ثورة فى الدنيا تستولى على السلطة تقابلها مشكلة المحافظة على هذه السلطة وتوجيهها لتحقيق الهدف الشعبى كيف تستطيع اى ثورة استولت على السلطة أن تحافظ على هذه السلطة ؟ »

« لو درسنا تاريخ حركات ثورية كثيرة نجد أنها حصلت على السلطة ولكنها لم تستطع أن تحافظ على السلطة أبدا .. ليه ـ فى رايى فيه مفاتيح كثيرة ضرورية لفهم المشكلة وفيه أسئلة كثيرة مثلا : »

« ما هو الخلاف الاجتماعى ؟

« ما هو التناقض الطبقى ؟

« ما هو التمزق الذى يمكن أن ينتج عن تدخل الدول الاستعمارية فى البلاد التى تشابه بلادنا ؟

« السلطة فى النهاية هى الهدف التى تريد هذه الخلافات الاجتماعية والتناقضات الطبقية والتدخل الخارجى أن تحصل عليه لكى تضمن توجيه الأمور لصالحها . (١)

« وبعد قيام الثورة والاستيلاء على السلطة يجب على كل ثورة ان تبحث وتدرس كيف تحافظ على هذه السلطة .. ان أى ثورة تستولى على السلطة لا يمكن لها ان تحافظ عليها الا اذا طبقت شعاراتها تطبيقا واضحا .

« والرجعية أقوى من الثورة خصوصا فى ايامها الأولى . لأن الرجعية لها جذور والرجعية لها اسلحة والرجعية عندها اساليب .

والفكر الناصرى يرى ان هناك نقطتين بارزتين فى كل ثورة :

١ ـ ان الثورة فى منطقها مهما ذهب الفلاسفة فى تحديد

(١) مباحثات الوحدة الثلاثية ٧ ابريل ١٩٦٣ »

الدوافع هى ارتفاع شعب من الشعوب فوق الأثقال والأغلال التى تقيده . وتصميمه بالحزم والعنف على أن يقفز فوقهما الى وضع يمكن جماهيره الحرة من أن تعمل بغير عوائق وتجند طاقاتها الكاملة لبناء مجتمع جديد .

٢ ـ ان الثورة فى هدفها مهما تنوعت الاجتهادات : هى حياة أفضل بالنسبة للجماهير العاملة وليست الشعارات هى الهدف وانما الهدف هو تطوير لمستويات الاقتصادية والثقافية للشعوب وتأمينها ضد كل الضواغط ..

فالثورة اذن هى تغيير المجتمع ..

لذلك عندما يقول عبد الناصر أن الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ، فهو يعنى أن المجتمع لم يتغير فى تلك الليلة ، وانما وضع على أبواب التغيير ..

فالحقيقة أن عبد الناصر قام بثورتين معا .

ولقد كان يمكن أن يتحول ما حدث ليلة ٢٣ يوليو الى مغامرة أو انقلاب . ولكن ذلك لم يكن الهدف فى فكر عبد الناصر ، وهو ما تأكد من خلال مسيرة الثورة ورؤيتها لامال الجماهير ..

فقد مضى عبد الناصر يدرس .. ويجيب على الاسئلة التى طرحها ، وحدد أن عدم الاجابة عليها ، وتغافلها عمليا كان السبب فى فشل ثورات كثيرة ..

الاسئلة التى طرحها . . ما هو الخلاف الاجتماعى داخل الوطن ، وما هو التناقض الطبقى ، وذلك بعد أن حدد أوجه التمزق التى يمكن أن تنشأ عن تدخل الدول الاستعمارية .. وبعد أن أجاب على هذه الاسئلة ، أعتبر انه قام بثورته الحقيقية التى كان يأمل ويفكر فيها والتى تتسم كما رسم فى فكره لأبعاد العمل الثورى انه لا يمكن أن يكمل بغير صفتين اساسيتين **شعبيته وتقدميته** ..

« فالعمل الثورى هو تقدم بالطبيعة ، وهو أيضا العمل الذى

يستوعب آمال الشعب ، ويحتضنها ويعايشها .. وينبع منها يعبر تعبيرا صادقا وأكيدا عن الفئات الواسعة والعريضة من الجماهير .

والحقيقة ان عبد الناصر قام بثورتين معا .

ثورة سياسية .. ثم ثورة اجتماعية ، وهى التى استكملت ملامحها بقوانين يوليو الاشتراكية بعد احراز النصر فى المعركة الاولى معركة الاستقلال « فالاستقلال هو الضمان الوحيد لتثبيت كل انتصارات معركة الحرية السياسية وتدعيمها وكان لا بد أن ينطلق الزحف نحو معركة الحرية الاجتماعيـة بجنـاحيه من الكفاية والعدل (١) .

ان واقع التخلف والظلم الاجتماعى الذى فرض ظلاله القاتمة على المجتمع المصرى القديم هو الذى حكم الطبيعة المزدوجة والشاملة لثورة ٢٣ يوليو ، يقول عبد الناصر فى فلسفة الثورة التى كتبها فى السنوات الاولى للثورة « استطيع أن اقول اننا نعيش فى ثورتين وليس فى ثورة واحدة .. ولكل شعب من شعوب الارض ثورتان : ثورة سياسية ليسترد بها حقه فى حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرض عليه أو من جيش معتد أقام فى أرضه دون رضاه ، وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ، ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشرى » .

وهذا الواقع هو أيضا الذى فرض تداخل المرحلتين معا مرحلة الثورة السياسية ، ومرحلة الثورة الاجتماعية فقد كان على شعبنا وبلادنا أن تواجه مرحلتين من مراحل كفـاحها ، مرحلة التحرر السياسى ومرحلة التحرر الاجتماعى . وكانت متطلبات كل مرحلة تختلف عن الاخرى . وربما كانت المشـكلة التى واجهنـاها هى تداخل المرحلتين وتشابكهما . مرحلة التحرر السياسى ، الثورة

---

(١) نوفمبر ١٩٦٥ .

السياسية يكون العدو فيها واضحا وهو القوى الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ اما مرحلة التحرر الاجتماعى ، الثورة الاجتماعية يكون العدو فيها هو كل مستغل كل محتكر كل من لا يعمل عملا منتجا فى خدمة الأمة ، كل من يحتفظ بالمركز الممتاز على حساب شقاء شقاء الجماهير وحرمانها . « كانت هذه هى المراحل التى آلينا على انفسنا بأن نحققها .. لقد سمعت بعضهم يقول اننا قد تسرعنا فى الثورة الاجتماعية ولكنى أقول اننا تأخرنا ويجب أن نسرع لنعوض ، لقد تخلفنا طويلا عن العالم ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل الثورة الاجتماعية عن الثورة السياسية فبدون الثورة الاجتماعية تصبح الرجعية ويصبح الاقطاع والاحتكار وتصبح سيطرة رأس المال يصبحون جميعا ديكتاتورية تتحكم فى الشعب وفى رقاب ابناء الشعب . بدون العدالة الاجتماعية وبدون الثورة الاجتماعية يفقد الفلاح قدرته على العمل ويفقد العامل قدرته على العمل ويفقد كل فرد قدرته على العمل .. لقد تخلفنا طويلا عن العالم . الفارق بيننا وبين غيرنا من الامم يتسع كل يوم وما لم نتحرك بأقصى سرعة فسوف نقع فريسة لأعنف استعمار عرفه التاريخ وهو استعمار التخلف . ان التخلف هو الشيء الوحيد الذى يضمن البقاء لاسرائيل على أرضنا الى الابد ، والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة ، اذا تمكنت الامة العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها والذى تحاول الرجعية أن تفرضه الآن .. »

***

الثورة الشاملة اذن .. التى أحدثت التغيير الجذرى فى المجتمع تضم الثورتين معا .. الثورة السياسية .. الحرية .. ثم الثورة الاجتماعية وطريقها الاشتراكية ..

ومنهج عبد الناصر ، وفكره يرى ان الحل الاشتراكى لمشكلة

التخلف هو حل حتمى ، وليس هناك مجال للاختيار بينه وبين اى حل آخر .. فهو الوسيلة الوحيدة لمواجهة التأخر مواجهة ثورية حقيقية والقضاء عليه .

ليس هناك اكثر من وسيلة للتقدم فى الفكر الناصرى يمكن أن من خلالها تحققه .. فالوسيلة الوحيدة ، وهى الوسيلة الحتمية ايضا .. هو ان يتجه المجتمع لبناء الاشتراكية ..

والاشتراكية حل حتمى فى الفكر الناصرى لأن حركة التاريخ تنظمها قوانين اجتماعية .. ولا يحركها افراد أو أشخاص لتحقيق رغباتهم .. وان الصراع الذى يدور فى المجتمع يعتبر نتيجة حتمية للنظام الرأسمالى الذى يحمل داخله تناقضات كفيلة بالقضاء عليه ..

الاشتراكية فى الفكر الناصرى حل حتمى تفرضه أيضا حركة الجماهير وآمالها ..

والحل الحتمى لا يأتى من تلقاء نفسه . انه الطريق الثورى للوصول الى التقدم تفرضه القوى صاحبة المصلحة فى اجراء التغيير فى اتجاه مسيرة الاغلبية العظمى من الجماهير فى الدول النامية عموما ..

وقد لا يكون الطريق الى الاشتراكية ممهدا ، ولكن صراع الجماهير فى مواجهتها اليومية لعديد من المشاكل تضعها امام الطريق الى الحل .. ومن هنا فان حركة الجماهير هى التى تدفع التاريخ وتحركه وتغيره ، وتصنعه ..

لذلك فان هذه الحركة ــ حركة الجماهير ــ هى التى تغير النظام الاقتصادى .. واذا تغير الأساس الاقتصادى للمجتمع ، فانه تبعا لذلك يتغير النظام السياسى والاجتماعى ..

« فمن الحقائق التى لا تقبل الجدل أن النظام السياسى فى اى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه ، وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة فى هذه الاوضاع

فاذا كان الاقطاع هو القوة الاقتصادية التى تسود بلدا من البلدان فمن المحقق أن الحرية السياسية فى هذا البلد لا يمكن أن تكون غير حرية الاقطاع .

« انه يتحكم فى المصالح الاقتصادية ويملى الشكل السياسى للدولة ، ويفرضه خدمة لمصالحه ، وكذلك الحال عندما تكون القوة الاقتصادية لرأس المال المستغل »

وليس أمام الدول التى تتحرر الا أن تأخذ بالطريق الاشتراكى لا على اعتبار أنه الحل الوحيد لمشاكل التخلف فحسب ، بل وأيضا باعتباره الوسيلة الوحيدة لتوسيع قاعدة الثروة الوطنية التى تمكنها من الوفاء العادل بالحقوق المشروعة للجماهير .

والحل الاشتراكى فى فكر عبد الناصر بالإضافة الى ذلك تفرضه الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .

القرن الذى انحسر فيه المد الاستعمارى ، المرتبط بالنظام الراسمالى .

« (١) **فالتجارب الراسمالية فى التقدم تلازمت تلازما كاملا مع الاستعمار** . فلقد وصلت بلدان العالم الراسمالى الى مرحلة الانطلاق الاقتصادى على أساس الاستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها وكانت ثروة الهند التى نزح الاستعمار البريطانى النصيب الأكبر منها . هى بداية تكوين المدخرات البريطانية التى استعملت فى تطوير الزراعة والصناعة فى بريطانيا ».

« واذا كانت بريطانيا قد وصلت الى مرحلة الانطلاق اعتمادا على صناعة النسيج فى لانكشير فان تحويل مصر الى حقل كبير لزراعة القطن كان شريانا متصلا ينقل الدم الى قلب الاقتصاد البريطانى على حساب جوع الفلاح المصرى »

« ان عصور القرصنة الاستعمارية التى جرى فيها نهب ثروات

---

(١) الميثاق

الشعوب لصالح غيرها بلا وازع من القانون أو الأخلاق قد مضى عهدها . وينبغي القضاء على ما تبقى من ذكريات لها ما زالت فيها بعية من الحياة خصوصا فى افريقيا »

« كذلك فان هناك تجارب أخرى للتقدم حققت أهدافها على حساب زيادة شقاء الشعب العامل واستغلاله . اما لصالح راس المال أو تحت ضغط تطبيقات مذهبية مضت الى حد التضحية الكاملة باجيال حية فى سبيل أجيال لم تطرق بعد أبواب الحياة »

« ان طبيعة العصر لم تعد تسمح بشيء من ذلك .

« ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة »

« ان هذه القيم الانسانية أسقطت الاستعمار كما ان هـــذه القيم اسقطت السخرة »

« ولم تكتف هذه القيم الانسانية باسقاط هذين المنهجين وانما كانت ايجابية فى تعبيرها عن روح العصر ومثله العليا حين فتحت بالعلم مناهج أخرى للعمل من أجل التقدم » .

« ان **الاشتراكية العلمية** هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم »

« ان اى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع ان يحقق التقــدم المنشود »

« والذين ينادون بترك الحرية لراس المال ويتصورون ان ذلك طريق الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » .

« ان راس المال فى تطوره الطبيعي فى البلاد التي ارغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى فى زمن نمت فيه الاحتكارات الراسمالية الكبرى فى البلدان المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد الثروة فى المستعمرات » .

« ان نمو الاحتكارات العالمية الضخم لم يترك الا سبيلين للراسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم » .

« اولهما — انها لم تعد تقدر على المنافسة الا من وراء اسوار الحمايات الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير » .

« وثانيهما — ان الأمل الوحيد لها فى النمو هو ان تربط نفسها وتجر اوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .

« ومن ناحية اخرى فان اتساع مسافة التخلف فى العالم بين السابقين وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بان يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التى لا يحركها غير دافع الربح وتجر أوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .

يحركه الاحتكارات العالمية وتقتفى اثرها وتتحول الى ذيل لها »

ان هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدى

ان مواجهة التحدى لا يمكن ان تتم الا بثلاثة شروط .

١ - تجميع المدخرات الوطنية .

٢ - وضع كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات .

٣ - وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج .

« ومن الناحية الاخرى المقابلة لجانب زيادة الانتاج وهى ناحية عدالة التوزيع فان الامر يقتضى وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعى تعود بخيرات العمل الاقتصادى ونتائجه على الجموع الشعبية العاملة وتصنع لها مجتمع الرفاهية الذى تتطلع اليه وتكافح لكى يقترب يومه » .

« ان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لا يمكن ان يترك لعفوية راس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة » .

« كذلك فان اعادة توزيع فائض العمل الوطني على أساس من العدل لا يمكن ان يتم بالتطوع القائم على حسن النية مهمـا صدقت » .

« ان ذلك يضع نتيجة محققة أمام ارادة الثورة الوطنية لا يمكن بغير الوصول اليها أن تحقق اهدافها وهذه النتيجة هي ضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة » .

« ان هـذا الحـل الاشتراكي هو المخرج الوحيد الى التقدم الاقتصادى والاجتماعي وهـو طـريق الديموقراطية بكل اشكالها السياسية والاجتماعية » (١) .

* * *

ويضيف عبد الناصر فى اجتماعات الوحدة تكلمة هامة على هذه الأسس فيقول :

« بعدين النقطة الثانية اللى هى بتكمل الاشتراكية ـ اللى أنا احب اقولها هي تحديد الاجور .. ايه تحديد الاجور ؟ احنا طلعنا قانون ان خمسة آلاف جنيه حد اقصى .. خمس آلاف جنيه حد اقصى للمرتب .. مفيش حد ياخد أكثر من خمس آلاف جنيه .. بعد كده .. اذن الباقى كله أرباح ..

« بعدين حددنا بالنسبة للعمال حد أدنى للأجور .. كان العامل هنا ياخد ١٥ قرش .. بقى النهاردة الحد الادنى ٢٥ قرش .. ثم حددنا علاوات وعمليات بالنسبة لتنظيم العلاقات الاجتماعية بالمصانع .. بحيث ان فيه عمال النهاردة بياخدوا ماهيات ضخمة وحددنا علاوات تشجيعية .. وحددنا مكافآت أنتاج .. كل ده .. معناه ايه ؟ معناه ان الناس كلهم يشتركوا فى ناتج العمل .. فالتجربة اللى هنا .. الحقيقة غير تجربة يوغسلافيا فيه ناس

(١) الميثاق

بيقولوا هنا زى يوغسلافيا .. غلط .. يعنى احنا دارسين تجربة يوغوسلافيا .. ودارسين تجربة روسيا .. ودارسين الصين .. ودارسين الهند وبعدين بنجيب خبراء .. فى الاقتصاد الاشتراكى نناقشهم . يعنى آخر واحد كان عندنا من اسبوعين . قعدت معاه اللى هو بتلهايم عارفينه طبعا .. هو استاذ التخطيط فى السربون .. الروس يستشيروه واليوغسلاف يستشيروه . فى الهند والجزائر أيضا يستشيروه ..

« بنقعد نناقش التجربة كلها بنفسنا مع هؤلاء الخبراء .. بيقولوا لنا ايه اللى شافوه هنا وايه اللى شافوه هناك . بتلهايم . مثلا كان رأيه ان التجربة اللى عندنا تجربة فريدة وانها متقدمة بمراحل .. يظهر ان الصورة عندكم بالنسبة للتجربة فى مصر ناقصة حدا .. حد منكم قال أول امبارح انها تجربة نستطيع أن نسميها اشتراكية .. لا يا اخى مهياش تجربة نستطيع أن نسميها اشتراكية .. دى اشتراكية حقيقية وقائمة على ثورة .. قضت على نظام مبنى على تحالف الاقطاع مع راس المال ..

« واعطت الحكم للشعب العامل .. ثم .. اعادت صياغة العلاقات الاجتماعية وغيرتها تغييرا كاملا .. وتخلصت من كل الاستثمارات الاجنبية بالتأميم .. يعنى هنا كل البنوك كانت فرنساوى وانجليزى وبعدين موش بس خرجنا الانجليز وعربنا اقتصادنا .. لا اممنا وسيطرنا عليه سيطرة كاملة .. والعلاقات الاجتماعية هنا اتغيرت .. فى ١٠ سنين .. ما كانش ممكن تحصل عملية تحويل اشتراكى بهذا الشكل .. خصوصا احنا بدأنا فى هذه العمليات من سنة ٥٦ بس ، لأن طلعنا فى ٥٢ كنا عسكريين لا نعرف الا القطعة ١٨ على حد تعبير الاخ فهد .. وكنا نقعد مع جماعة اقتصاديين من الطراز التقليدى يعقدوا المشاكل ولا يجدوا لها حل .. لكن بعد كده مشينا فى العملية .. ودرسنا وحاولنا نتعلم بجد واخلاص وبعدين فيه شعار انتم النهاردة بتقولوا انه

لا اشتراكية بلا اشتراكيين .. من فضلكم ماتنسوش ان احنا اول ناس قالوا هذا الكلام ـ سنة ٦١ ـ وانتم النهاردة جايين ترددوا الشعار اللى احنا اطلقناه سنة ١٩٦١ قبل قرارات يوليو الاشتراكية (١) .

* * *

درس عبد الناصر اولا الواقع الذى عاشه المجتمع وادى الى تخلفه واستخلص منه أن الحل الاشتراكي هو السبيل الامثل ، والذى لا سبيل غيره لما يعترض هذا المجتمع من مشاكل .. كان لا بد على الثورة ان تواجهها وتبدأ بها مرحلة جديدة من مسيرتها مع الجماهير .

يأتى فى مقدمة دراسة واقع المجتمع المصرى .. انه ـ فى ذلك الوقت ـ مجتمع اقطاعى راسمالى .. الاقطاع فيه يرتبط بالراسمالية وليس بينهما حد فاصل كامل فى كثير من الأحيان ، وفى نفس الوقت فهو مجتمع ينمو ببطء ، تقدمه غير محسوس .. لأن الذين يحتكرون المساحات الكبيرة من الارض ، ومن المصانع ، لا ينشئون جديدا من المصانع ، لا يستصلحون أرضا الا فى حدود ما يرونه هم ، لا ما يحتاجه المجتمع ، الذى كان يزرع ليصدر ، ويستورد ليأكل ، ويلبس ، فكل شىء فى بلادنا كان مستوردا . كل شىء على الاطلاق فيما عدا بعض المنسوجات القطنية .. حتى المنسوجات الصوفية فكانت مستوردة والانواع الجيدة من المنسوجات القطنية كنا نستوردها بعد أن نصدر قطننا يعود الينا منسوجات ..

« كان مجتمعنا بطىء النمو ، بل انه طبقا للاحصائيات الثابتة وصل الى حالة كاملة من الركود خلال اربعين سنة ، ما بين ١٩١٣ و ١٩٤٣ ففى هذه الفترة كانت نسبة النمو فيه أعلى متوسط قدره

---

(١) مباحثات الوحدة .

١/٢ ١ ٪ سنويا ، وهى نسبة نمو كانت الزيادة فى عدد السكان تستوعبها ، وعلى ذلك فانه خلال هذه السنوات الأربعين لم يطرأ اى تغيير يذكر على حالة المجتمع المصرى » (١) .

« وفى سنة ١٩٥٢ كان الدخل القومى للاقليم المصرى لا يكاد يصل الى ٧٠٠ مليون جنيه ، اى متوسط ثلاثة جنيهات فى الشهر الواحد لكل فرد من أبناء هذا الشعب ، وفى نفس الوقت كان هناك ظلم فادح فى توزيع هذا الدخل القومى الضئيل .. فقد انفردت بالجزء الأكبر منه أقلية من ابناء هذا الشعب » .

« وكانت النتيجة ، أن الغالبية الساحقة أرغمت على الحياة تحت حد متوسط الدخل القومى بكثير ، فقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن القلة التى تنزف معظم الثروة الوطنية هى التى حكمت وهى التى امسكت بزمام القوة » (٢) .

« كان متوسط الدخل القومى منخفضا بالنسبة للفرد الواحد ومع ذلك فان هذا الدخل لم يكن يوزع على المواطنين ، بل كان يرتكز فى يد قلة من الناس هم الذين يسيطرون على الاقتصاد وبالتالى على السياسة ، بينما الغالبية الساحقة للشعب المصرى تعيش حياة دون الكفاف .. فقد كانت سلطة الدولة كلها فى يد تحالف رأس المال والاقطاع ، كان فيه ١٠٠ عائلة تملك معظم الأراضى الزراعية ، ١٦ عيلة قدمت لمصر كل رؤساء الوزارات والوزراء ، وكل من تسلط على المناصب السياسية القائدة فى البلاد » .

« كان ١/٢ ٪ من السكان يملكون وحدهم ٥٠ ٪ من الدخل القومى وتبعا لذلك يمسكون بزمام السلطة ، يضمنون بها مصالحهم ويفرضون بها الأمر الواقع » (٣) .

---

(١) مؤتمر الانتاج مارس ١٩٦٧ .
(٢) مؤتمر الاتحاد القومى يونيو ١٩٦٠ .
(٣) عيد الثورة ١٩٦٤ .

رأس المال فى هذه الفترة كان يتراكم فى يد قلة من الأفراد تسيطر على كل شىء .

وبالتالى فان الدخل القومى لا يوزع توزيعا عادلا على أفـراد الشعب « الدخل القومى فى الصناعة ٣٢٪ منه أجور للعمال ، و ٦٨٪ أرباح لأصحاب العمل ، طبعا ان دل هذا على شىء فانما يدل على تناقض اجتماعى »

« وقد رأيت بنفسى سنة ١٩٥٢ ، وأنا فى زيارتى لكوم امبو كيف ان كل العمال فى كوم أمبو كل واحد بيتغدى رغيف اسود ، وحتة بصل » (١) .

والدخل القومى فى الزراعة كذلك . . فاذا نظرنا مثلا الى محافظة واحدة مثل محافظة البحيرة وجدنا هـــذه الصـــورة الرهيبة (٢) .

« الملكية فى هذه المحافظة ، كما تثبت الوثائق . . كانت مقسمة بين بعض أفراد الأسرة المالكة وبين ثلاث شركات مسجلة فى لندن » وكان الخديوى اللى اباح لهذه الشركات ظلم السخرة هو الذى تقاسم معها نتيجة هذه السخرة . وكانت احدى هذه الشركات ، وهى شركة البحيرة . . قد حصلت من اسـلاب الدائرة السنية بعد الاحتلال البريطانى على أكثر من ١٢٠ الف فدان »

« ايضا بنعرف ان التطورات اللى حصلت بعد كده فى الملكية جرت كلها لصالح عدد من كبار الملاك المتعاونين مع الأسرة المالكة ومع الاحتلال البريطانى ومع المصالح المالية الأجنبية .

« وأما فيما يتعلق بمكانة ملكية صغار الفلاحين من الاراضى

---

(١) عيد الثورة ١٩٦١

(٢) خطاب دمنهور ١٩٦٦

فان الوثائق تظهر أن بنكا أجنبيا واحـــدا هو بنك « الكريدى فرانسيه » استطاع ان ينزع ملكية أكثر من ۱۰۰ ألف فدان فى ظروف الرهونات والقروض المرهقة وان يعيد بيعها بالطبع الى كبار الملاك » .

● واقع المجتمع اذن أنه مجتمع الـ ½ ٪ ، الاقلية التى تملك الثروة القومية وتحتكرها .. وبالتالى تسيطر ايضا على السياسة ولقد راينا « كيف ان الوزراء كانوا يشتغلون عند الرأسماليين ، وازاى الوزراء بيقبضوا ، وازاى الوزير كان فى الحكم ، وكان ياخد ماهية من فلان أو فلان ، امثلة بهذا الشكل كانت معروفة ، وانقالت فى محكمة الثورة .. اذن ديكتاتورية رأس المال تحكم .. سـواء كانت فى الحكم او تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها ، وهى تبقى خارج الحكم ، ولكنها تدير الحكم لمنفعتها ، ولمصلحتها من أجل استغلال الشعب ، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح » (۱) .

● ان المجتمع كان مجتمعا طبقيا ، تتصارع طبقاته « فلا نستطيع أن نقول اننا كنا نعيش فى مجتمع بدون طبقات ، كان فيه طبقة مستغلة ، وطبقة مسيطرة .. كان فيه طبقة متحكمة ، وكان فيه طبقة تعمل ، وتبذل كل جهدها .. لتستفيد تلك الطبقة التى تمثل اقلية هذا الشعب » (۲) .

وهذه الطبقات كانت تتصارع « ومن أجل لقمة العيش كانت هناك معركة دائمة بين الفلاح وصاحب الارض التى اغتصبها بغير حق . وقد تطورت هذه المعركة فانهزم فيها الفلاحون وانهزم فيها آباؤنا وأجدادنا ، ولكنهم لم ينهزموا أمام هذه الهزائم لأنهم اعتقدوا أن لهم حقوقا لابد أن يحصلوا عليها ، ولهذا استمرت المعركة سنين طويلة فى جهاد مرير ، ومات من مات من آبائنا وأجدادنا » (۳) .

---

(۱) عيد الثورة يوليو ۱۹٦۱

(۲) نفس الخطاب

(۳) ۱۹ ابريل ۱۹٥٤ م

كان المجتمع اذن ينقسم الى طبقتين تتصارعان « طبقة السادة طبقة الحكام ، وطبقة العمال .. طبقة الفلاحين ، طبقة الاجراء .. التى كان الواحد فيها لابد أن يعمل ليأكل ، الطبقة اللى الواحد فيها لازم يوفر لابنه العمل ليأكل ، لأن ابنه لا يستطيع بأى حال أن يكون عاطلا بالوراثة ، كما كان أبناء الطبقة الاخرى عاطلين بالوراثة » (١)

« لقد كان واضحا أن الشعب قد ضاق صدره بهذه الأوضاع وكان واضحا أن الشعور الشعبى يضج بالحاجة الى علاج ثورى لهذه الحال ، ولقد كانت النظم من قبل الثورة واضحة لمن يريد أن يدرس بواطن الأمور ، ولا يكتفى فيها بالشكل العارض لصدام بين الفلاحين والاقطاعيين من كبار الملاك » .

« وانكم لتذكرون حريق القاهرة الشهير فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ولقد كان منظر العاصمة العظيمة وهى تحترق من أبشع المناظر فى كفاحها .. ولكن الواجهة البشعة ، لم تكن الا الشعار الخارجى ، وكانت الحقيقة أن الجماهير التى اشتركت فى هذا المشهد البشع ، انمـــا عبرت من غير وعى عما يعتمل فى نفسـها من الغضب والحقد » (٢) .

● ان المجتمع كان يعاني من سوء توزيع الدخل القومي بين هذه الطبقات « ولست أعد الأرقام فى بيان ما كان عليه الحال ولكنى لا أتصور ولا أظن أحدا يتصور أن المجتمع الذى نعيش فيه كان يمكن أن يتحمل وجود مائة أسرة مصرية واجنبية وصل ما تملكه وما أسترد منها بالتأميم والحراسة والأصلاح الزراعى ما تصـل قيمته دون مبالغة الى ١٠٠٠ مليون جنيه » (٣) .

---

(١) عيد الثورة ١٩٦١ .
(٢) مؤتمر الاتحاد القومى .
(٣) افتتاح مجلس الامة ١٩٦٤ .

« كان الفائض الذى يتبقى فى البلاد من فتات ما ترك الاستعمار لا يترك للشعب ، وانما يترك معظمه للذين يخدمون الاستعمار من غير ابناء البلاد ، أو الذين خانوا شعبهم من أبناء البلاد وباعوا أمانيه الوطنية لعدوه مقابل اقتسام الجزء التافه من الغنائم » (١).

« كانت مئات الالوف من الأفدنة ، ملك لأفراد معدودين .. بل ملايين الافدنة ملك لافراد معدودين . وكان فيه أفراد بيملكوا عشرات الالوف من الأفدنة أو مئات الالوف من الافدنة .. كان راس المال المستغل يتحكم ، وكانت العملية سهلة جداً .. الرأسمالى المستغل بيستطيع انه يرشى الحكام ، وبهــذا يقــدر يستغل العمال » (٢).

● **هذا المجتمع لا ينشىء المصانع ، ولا يستصلح من الارض الا بالقــدر الذى لا يتعــارض مع مصــالح الفئــات المسيطرة .. ويحقق لها هى نفسها المصلحة ..**

فالصناعة لا تخطط ، واذا انشئت فهى صناعة استهلاكية غ ليست شاملة ، ولكنها تكفى لاشباع حاجات البعض ، وتكفى لملء جيوب البعض الآخر من أصحاب المصانع ..

« طيب له مازودوش الأرض الزراعية ؟ لأن حيزودوا الأرض الزراعية لمين ؟ هما كانوا بيزودوا الأرض الزراعية فعلا . ولكن مثلا

---

(١) ٢٨ ابريل ١٩٦٧

(٢) عيد السد ١٩٦٤

فى بلبيس زادت الأرض الزراعية ، وصلحوا أراضى بور .. لكن ملكها فلان باشا .. فهم خدوا كفايتهم من الاصلاح ليس فيه داعى ان يصلحوا علشان الناس » (١) .

« كانت المصانع القليلة اللى بتتبنى ، ما بتتبنيش لخدمة الشعب كشعب ، ولا لعدد العمال .. لأن الراسمال كان يهمه أن يحقق الربح الكبير ، وتكون العمالة قليلة . واحنا النهارده بنبص للعمالة وبنبص لبناء البلد كبلد . والراسمالى ما كنش يهمه الانتاج القومى .. كل همه غناه الفردى ..

« كانت المشروعات قبل كده تتجه للمشروعات الاستهلاكية .. الناس اللى بيستهلكوا فعلا . وما كانش الراسمالى بيحس بمشكلة البطالة او بمشكلة التطوير يمكن احنا مشكلتنا كانت ايه ؟ » ..

« احنا مشكلتنا : اللى ما بيقدروش يستهلكوا .. الناس اللى مابيدخلهمش دخل .. اللى ما بيقدروش يستهلكوا .. اللى ما بيقدروش يجدوا المال .. اللى يشتروا بيه حجاتهم » (٢) .

« سنة ٥٢ حصل ايه ؟ ايه الأموال اللى استثمرت من أجل التصنيع قبل الثورة سنة ٥١ كان اللى استثمر من أجل التصنيع مليون و ١٠٠ الف كمان أو ١٢٠ ألف كل الفلوس اللى صرفت على الصناعة من القطاع الخاص » .

« احنا تركنا رأس المال يعقد الاتفاقات فى الخارج ... رأس المال بنوفر له العملة الصعبة .. بنوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل .. وهو كل اللى يعمله كان بياخد أرباح المصانع .. ايه

---

(١) شبين الكوم مارس ١٩٦٥

(٢) ٢٥ نوفمبر ١٩٦١

المخاطرة اللى فى مقابلها رأس المال كان بياخد كل هذه الفوائد ؟ .. مفيش مخاطرة ، باى حال من الاحوال ، مشروعات طبعا تحولت الى أرباح شخصية ».

« مشروع كهربة خزان أسوان ، من سنة ٢٥ كانوا بيتكلموا فيه فى خطب العرش ، طيب ليه ما تنفذش مشروع كهربة خزان اسوان ؟ لأن مشروع كهربة خزان اسوان لما يتنفذ حتبنى مصانع والمصانع بتزيد فيها العمال . وبعدين يقولوا بعد كده لما العمال بيزيدوا فى المصانع حيحصل ايه ؟ .. حيطالبوا بحقوقهم ، ويعملوا تكتلات . .يبقى خطر عليهم .. وتبقى عمليات هدامة بالنسبة لحكم الطبقة المستغلة »(١) .

● بالاختصار صورة المجتمع انه مجتمع طبقى متنافر .. فرضت فيه الحماية الجمركية سنة ١٩٣٠ لمصلحة وحماية الراسمالية وتنميتها .. وكانت معاهدة منتريه سنة ١٩٣٧ بمثابة تشدين لهذا القرار اذ وضعت الراسمالية المصرية فى موقف معادل للراسمالية الاجنبية ..

واخذت الراسمالية المصرية تنمو ، وتتكتل . وكونت اتحادا للصناعات ، وبدأت تتحالف مع الرأسمالية الاجنبية .. وكانت تحرص على أن تضغط انتاجها وتقلله لتفرض الأسعار العالية ، ومن البديهى الا تلجأ الا الى الصناعات الاستهلاكية أو ذات العائد الكبير والسريع وانها لا تدخل مجال التصنيع الثقيل ...

فمثلا كان انتاج شركة السكر سنة ١٩٤٩ حوالى ٢٣٣ الف طن هبط انتاجها عام ١٩٥٣ الى ٢٠٦ الف طن ...

وكذلك شركة الاسمنت الذى هبط انتاجها من ٠٠٠ر٠٠٠ر١٣ر١ طنا سنة ١٩٥١ الى ٠٠٠ر٩٤٧ سنة ١٩٥٢ ..

---

(١) عيد العمل ١٩٦٢ .

وقد استلفتت هذه الظاهرة نظر البنك الأهلى ، فكتب رئيس البنك فى تقريره سنة ١٩٤٧ بالنص « ان حالة الاحتكار التى نشأت عن الحرب اغرت بالمبالغة فى رفع السعر » ..

بدات الرأسمالية المحلية اذن تتحول الى ما يشبه الاحتكار واوضاع الملكية الزراعية فيه لا تختلف كثيرا عن هذه الصورة .. وسوف نتعرض لجانب منها عند الحديث عن الملكية الفردية فى الفكر الاشتراكى الناصرى ..

وهذا المجتمع ايضا كان متخلفا .. نسبة النمو فيه بطيئة ، ونسب الانجاب فيه سريعة ، ونتيجة لتفاعل كل هذه الأوضاع فى المجتمع كان يشهد صراعات عنيفة تمزقه .. بين الذين يملكون كل شيء ... الأرض والمال .. وحرية الناس .. والذين لا يملكون شيئا على الاطلاق ..

الاشتراكية هى الحل الوحيد الحتمى

اذن فالتحليل لواقع المجتمع الذى عاشه عبد الناصر ، ولتاريخه اعطى الاصول للنتائج التى توصل اليها فى مجال التطبيق الاشتراكى .

ولا يختلف واقع المجتمع المصرى فى ذلك عن كثير من المجتمعات التى عاشت ـ أو تعيش ـ نفس الظروف ، فى ظل استعمار يعاونه اقطاع ، وراسمالية نامية متعاونة مع راس المال الأجنبى ، واقصى امانيها أن تكون هى الوريثة له ..

ماذا تعنى الحرية فى فكر عبد الناصر وهى القضية التى شغلته منذ بداية حياته السياسية ، انها لا تقف عند حد تأكيد حرية الوطن بعيدا عن اى قيود السيطرة ، وفى منأى عن مناطق النفوذ .. ان الاستقلال السياسى فى فكره هو ـ كما قلنا ـ وسيلة من أجل تأكيد حرية المواطن « وهى لا تتأكد الا بنصيب عادل من ثروة بلاده » ..

فهل يمكن أن يتحقق ذلك دون السير فى طريق الاشتراكية ..

الفكر الناصرى ينفى ذلك من واقع تجربته ، ويقدم الأسباب .. فالعالم قسمان .. قسم متقدم وصل الى أعلى المراحل التكنولوجية والآخر متخلف ما زال فى القاع .. التقدم الذى حققته دول المعسكر الراسمالى تم عن طريق الاستعمار وهذا هو السبب الذى أوجد التخلف فى نصف الكرة الآخر ... فالتقدم فى البلاد الراسمالية حدث عن طريق نهب واستغلال ثروات الشعوب والثروات التى كبرت فى العالم الراسمالى ووصلت الى حد تكوين احتكارات ضخمة لم تكن باعتصار عرق العمال الفلاحين فى

البلاد الراسمالية وحدهم ، بل واولا باستغلال الشعوب المستعمرة وتكوين مدخرات منها استخدمت فى تطوير الصناعة والزراعة ..

والتقدم فى تلك البلاد لم يتم الا بعد أن نهبت الثروات والمواد الخام من الشعوب الفقيرة والمستعبدة ، وفى أحيان أخرى تحولت هذه البلدان الفقيرة الى مزارع تخدم انتاج الدول الراسمالية .. أو متاجر توزع منتجاتها .. كل ذلك تم على حساب جوع هذه الشعوب ، وفقرها ، وبؤسها ..

فالمصـــانع التى اقيمت فى الدول الراسمالية الكبرى أدارت محركاتها بدماء الشعوب المستذلة والضعيفة .. وتحول أبنـــاؤها الى وقود فى أفران هذه المصانع لتزداد مداخنها ارتفاعا ونموا ..

وهذا الزمن قد انتهى ، ولا يمكن أن يعود ..

لم يعد ضمير العصر ، ومثله وقيمه وأخلاقياته تسمح بهذه القرصنة الاستعمارية .. ويبقى على الشعوب التى تخلصت من الاستعمار ان تناضل فى سبيل محو آثار هذه الصورة والشعوب التى ما زالت تعيش تحت وطأة الاستعمار حتى الآن عليها أن تقاتل لكى لا تستنزف بقية قطرات الدماء منها ..

وهذه الشعوب وتلك تقع فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ..

هذه واحدة والثانية هى افتراض جدلى يقول انه حتى اذا كان ضمير العصر لا يأبى هذه الصورة ولا يلفظها ، فان الشعوب النامية التى ذاقت مرارة الحرمان والاستعباد غير قادرة لا نفســـيا ولا ماديا على القيام بمثل هذه المغامرات الاستعمارية ..

فالشعوب التى عاشت مســـتذلة ، منهوبة ، لا يتطرق اليها فكرة أن تســـتذل غيرها وأن تنهبها .. على فرض أن لديهـــا من الامكانيات المادية والبشرية والنفسية ما يمكنها من ارتكاب هذه الجريمة ، وعلى فرض أن الدول الاســـتعمارية الاصيلة سوف تسمح لها بذلك ..

وهو أمر مستحيل اذن .. وفى نفس الوقت فان آمال الجماهير العريضة فى هذه الشعوب تريد أن تتنفس ، ولا تستطيع ان تفى باحتياجاتها .. الا التنمية الشاملة ، فالجماهير تريد نصيبها فى ثروة الوطن ..

وتريد فرصا جديدة للعمل ..

وتريد الا تعيش على منتجات غيرها ..

وتريد تطوير أساليب الحياة على أرضها ، لينعكس ذلك عليها لخدمات عادلة وحقوقا مشروعة ومقدسة تعليما ، وصحة ، وتأمينا، بالاختصار .. الجماهير تريد أن تعيش ، وأن تعوض سنوات التخلف التى عانت منها ..

ولعل ابرز ما يميز القرن العشرين ، أنه قرن انتفاضة الجماهير فقد اتاحت لها آفاق الحياة المتسقة والمتجددة فرصة أن تطالب بحق حياتها .. وأن تحس أنها شريكة فى الوطن .. لا تعيش على هامشه ولكن لها دور فيه .. وهى تريد ان تؤكد أن انتماءها الى الوطن حقيقة واقعة ..

فجماهير القرن العشرين هى التى لفظت الاستعمار ، وثارت ضده ، وهى التى لفظت الاستغلال ، وثارت ضده ، وما زالت نيران ثوراتها تنبعث بين آن وآخر فى كل منطقة من العالم ..

فهو عصر الشعوب ، وانحسار المد الاستعمارى ، بعد أن سقطت عنه أقنعته ، وظهر على صورته البشعة الحقيقية وظهرت حركات التحرر الوطنى واتضح التناقض بينها وبين الاستعمار الذى اصبح يدخل مرحلة التحدى .. وليس هناك وسيلة للانتصار فى هذا التحدى سوى التنمية الشاملة .

ان وسائل الاتصال المنتشرة والسريعة بين العالم كله كان لها الدور الأساسى والحاسم فى تنبيه الشعوب ، وتفتيح آفاق ابنائها نحو حياة جديدة بمتطلبات جديدة ، وزيادة احساسها بأوضاع الاستغلال التى عاشتها أو تعيشها .. لذلك كانت الثورة على

الاستعمار ، وكانت الثورة على أعوانه ، ولكن الجماهير لا تثور على الاستعمار لانها ترفض أن تنهب ثرواتها الى خارج وطنها فحسب ، فهى عندما ترفض النهب الاستعمارى فانها ترفض فى نفس الوقت النهب بكل أنواعه .. ترفض ان يكون خير البلاد حكرا لنفر معين .

كما أن ظهور المعسكر الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية ، ونموه ، واتساعه .. قد أدى الى وجود النموذج للتغيير الذى تصر عليه الجماهير كحقيقة واقعة ، وهو بمساندته ايضا لحركات التحرر ووقوفه فى وجه الاستعمار قد وضع تناقضا هاما امام الجماهير هو التناقض بين نظامين ، أحدهما يستغل ، ويحتكر ، ويستعمر ، والآخر يحقق آمال الشعوب فى الرفاهية ويحقق العدالة ويناصر قضايا التحرر والسلام .

ومن هنا فان الفكر الناصرى يحدد الطبيعة المتغيرة للنصف الثانى من القرن العشرين ، وخاصة فى الفترة التى طرأت على العالم منذ نهاية الحرب العالمية فى ثلاث أمور :

- تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، هذه القوة التى استطاعت أن تقود معارك منتصرة ضد القوى الاستعمارية ، وأصبح لهذه الحركات الوطنية تأثير فعال .
- ظهور المعسكر الاشتراكى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى .
- التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج ، واسلحة الحرب التى بلغت خطورتها الى ان اصبحت رادعا يحول دون الحرب ذاتها .. هذا فضلا عن التغيير الأساسى الذى حققه هذا التقدم العالى فى وسائل المواصلات لدرجة أن تلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل بين الأمم فعليا وفكريا .

ان متانة الاقتصاد هى التى تصون الاستقلال وتؤكده . وهى التى تبعد شبح الاستعمار ، وضعف الاقتصاد ، وضعفه وتفككه هو الذى يتيح الفرصة للاستعمار ليعود فى صورة مشروعات ومعونات أو جنود ..

فعندما يضعف الجسم ، فان قوة مناعته ومقاومته للامراض تقل .. ويصبح أكثر عرضة لتقبل الاوبئة بمختلف أنواعها ، ما لم يكن قويا صلبا يستطيع أن يطرد من طريقه شبح كل الجراثيم الحاملة للأمراض ، وكذلك الاقتصاد بالنسبة للشعوب ، فهو الأساس فى تكوينها .. وعليه يتوقف نموها .. كما يتوقف تحديد هويتها السياسية . والاقتصاد المتين هو الذى يقاوم الاستعمار ، ويناضل ضده ، ويقيم سدا منيعا أمام عودته بمختلف الصور ..

وحتى تقام القاعدة الاقتصادية المتينة التى تدعم الاستقلال لا بد أن يكون الاقتصاد قويا ، ولا بد له أن ينمو ولا بد من تطوير قوى الانتاج الداخلية بعيدا عن القوى الرأسمالية المحلية التى ليس عندها مانع من أن تتعاون مع الاستعمار والرأسمالية الاجنبية ولو على حساب البلد .

فهل تستطيع القوى الرأسمالية فى المجتمعات النامية ان تقوم بذلك حتى ولو لم تتعاون مع الاستعمار ..؟؟

الفكر الناصرى ــ وأمام تجربته يقول انها لا تستطيع .. لأسباب عديدة ، واذا استطاعت ذلك فى بعض الظروف فانه يتم فى اطار الاستغلال ، وفى اطار الاقتصاد الحر الذى يسعى وراء المشروعات الرابحة فقط ، ولا ينظر الى اى مشروع الا بمقدار ما يتيحه له من دخل ومن موارد .. وتجربة الناصرية من واقع المجتمع المصرى تقول ذلك كله ، فقد انطلق عبد الناصر من واقع المجتمع الذى عاشه ومن دراسته له كما قلنا .

ولقد كان المجتمع متخلفا يعتمد على الزراعة وزراعة القطن بالذات وهو أيضا أساس صادراته ، دخل الفرد منخفض ، الصناعة

فيه متخلفة ، الاستثمارات فيها قليلة ، البنوك وشركات التامين والاراضي مملوكة لراس المال الاجنبي ..

ويحدد جمال عبد الناصر من واقع المجتمع المصرى بأنه كان مجتمعا محكوم عليه بالتخلف :

« ان مجتمعنا كان مجتمعا محكوم عليه بضغطين » الضغط الأول : أنه كان مجتمعا بطيء النمو .. والضغط الثانى : ان هذا المجتمع ـ الى جانب ركوده ـ كان يعيش فى حالة خلل محزن بتأثير التفاوت بين الطبقات ويكفى أن نذكر أن نصف فى المائة من السكان فى هذا المجتمع كانوا يحصلون على نصف دخله القومى كله . ولقد قلت السكان ولم أقل المواطنين ، لان الواقع المر كان يشهد أن الطبقة الممتازة التى تقتطع لنفسها نصف الدخل الوطنى كله كانت خليطا من العناصر الأجنبية ، تسكن فى مصر بعض وقتها ولكنها لا تعيش الحياة المصرية » .

« من هذه الأوضـــاع ومن تفاعلها بظروف العصر فان الحل الاشتراكى بغير بديل هو الطريق للتقدم الاجتماعى والاقتصادى . كانت الاشارات لهذا الحل واضحة فى الضمير المصرى من قبـــل الثورة وعبرت عنها بطريقة أمينة مبادىء الثورة الستة ، والتى وضعت للتطبيق بعد انتقال سلطة الدولة الى يد ارادة الثورة ، وبدأت عملية التحقيق بقانون الاصلاح الزراعى الاول ، ثم اسقاط قمة تحالف الاقطاع وراس المال المتمثلة فى أسرة محمد على ، ثم استرداد قناة السويس وتمصير المصالح البريطانية والفرنسية ، ثم الاحتفاظ بها فى اطار الملكية العامة ، ثم تأميم البنك الأهلى وبنك مصر ، وتدعيمها بعـــد ذلك بقـــرارات اغسطس ١٩٦٣ وفى ذلك الوقت ، فان المسألة لم تكن مجرد استرداد وانما كانت الى جانب ذلك وبدرجة اكبر مسالة اضـــافة وتوســـيع ، ولقـــد اقيم مجلس الانتاج بعد شهور من الثـــورة ، وتولى اقامة عدد من المشروعات العامة ، ثم انشئت أول وزارة للصناعة فى سنة ١٩٥٦ ، وقامت

على الفور تحت ظروف الحصار الاقتصادى الذى أعقب حرب السويس ، بوضع خطة ثلاث سنوات للصناعة مهدت فى الحقيقة لخطة التنمية بعد ذلك » (١)

« لقد تكالبت ظروف عديدة ، بمرور أحقاب طويلة من الزمن ، على تبديد الثروة القومية لشعبنا » .

« لقد كان هناك استغلال المماليك على اختلاف دولهم . وكان هناك استغلال الملوك والأمراء والدخلاء ، الذين لم تكن بلادنا تعنى بالنسبة لهم ، الا كونها ملكا خاصا ينفقون خيراته حيث حلى لهم »

« وكان هناك استغلال الحكم العثمانى ، الذى تحمل السلب والنهب لحساب أمير المؤمنين .. كما كان السلاطين من آل عثمان يسمون أنفسهم » .

« وكان هنـاك الاستنزاف المروع الذى تعرضت بلادنا له ، خصوصا فى الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة .. ذلك الاستنزاف الذى قام به عدد من أصحاب البنوك فى أوربا .. هؤلاء الذين حولوا مصر وقتها الى حقل كبير للقطن يكدح فيه العبيد .. ثم ينتهى جهدهم الذى بذلوا فيه العرق بل الدم أيضا .. ذهب فى أيدى المستغلين » .

« كانت هناك أعباء الحروب الصليبية .. وكانت هناك أعباء غزوات محمد على ، الذى لم يستهدف الا الفتـح ، لتوسيع (امبراطوريته) لحساب آل عثمان ، آل محمد على » .

« وكانت اعباء حفر قناة السويس .. التى تحولت نقمة على الذين دفعوا ثمنها .. نعمة على الذين فازوا ، فى خاتمة المطاف ، حتى سنة ١٩٥٦ بكل ايرادها » (٢) .

« وفى القرن الماضى .. الاستعمار البريطانى والعيلة المالكة ، اتفقوا على استغلال هذا الشعب . الشركات الأجنبية المستغلة

---

(١) مؤتمر الانتاج ــ مارس ١٩٦٧ .

(٢) المؤتمر العام للاتحاد القومى يوليو ١٩٦٠ .

ايضا ، اتفقت مع العيلة المالكة ، على استغلال هذا الشعب .. كان فيه سخرة ، كان فيه استبداد ، كان فيه استغلال .. كان فيه ناس بتعمل وتموت .. تحفر الترع مجانا .. تسوى الأرض مجانا . وفيه ناس تملك الارض وتملك المال . تملك خيرات الأرض .. تزيد المال .. وعن طريق زيادة المال ، تستطيع ان تزيد ارض » (١) .

« وبهذا كان هناك المجتمع الطبقى ، الذى يتحكم فيه الاقطاع المتحالف مع راس المال » .

« وان اخطر ما نواجهه اليوم ، وما سوف نواجهه ، هو أن شعبنا تخلف اجيالا عن تقدمه ، بفعل ظروف مختلفة ، بعضها يرجع الى عوامل داخلية ، وبعضها الآخر يرجع الى عوامل فرضت عليه من الخارج فرضا » .

« اننا لا نملك أن نتخلف اطلاقا عن العالم الجديد .. ولقد بذلنا الكثير من التضحيات ودفعنا الكثير من الآلام .. اننا تخلفنا عن تطورين سابقين هما البخار والكهرباء .. »

« ولكن ذلك كله لا يقاس بما يمكن أن نتعرض له اذا فاتنا الفجر الجديد .. ان الذين يتخلون عن الفجر الجديد سوف يغامرون بحقهم فى الوجود » .

« هذه هى صورة المشكلة التى تواجهنا ، واحب أن أضيف اليها .. ان هناك نتائج سياسية كبرى سوف تترتب عليها ذلك أن الفوارق بين الدول التى تساير التطور الكبير القادم .. والدول التى تعجز عن مسايرته سوف تكون أكبر بكثير من الفارق بين دول الاستعمار والشعوب التى رضخت لطغيانه » .

« ولقد كان القضاء على الاستغلال مقدمة طبيعية لعدالة التوزيع .. ولقد وجهت الى الاستغلال ضربات متلاحقة ، بدأت بالاصلاح الزراعى ، الى تأميم قناة السويس ، الى التمصير ، الى

---

(١) دمنهور ١٥ يونيو ١٩٦٦

تأميم البنوك وشركات التأمين وتجارة القطن ، الى قرارات يوليو المجيدة وقرارات اغسطس ١٩٦٣ وقرارات مارس ١٩٦٤ التى أنهت مشكلة التعويضات على التأميم . وقامت بعملية تصفية للامتيازات القديمة لم يكن منها مفر » .

« ولم يكن توجيه الضربات الى الاستغلال موقفا سلبيا ، ولكن تحويل رأس المال الضخم اداة الاستغلال الرئيسية ، الى الانتاج العام والخدمة العامة ، كان من أبرز نقط الارتكاز للعمل الوطنى الايجابى » .

« ان تحويل المقادير الضخمة من راس المال الى ملكية الشعب العامل ، والى خدمته ، ساعدت الى حد كبير ، على تعزيز العمل من أجل الكفاية ، وخدمت الفرص المتكافئة للمواطنين سواء بالطريق المباشر ، أو بالطريق غير المباشر » .

« ان الأرض التى وزعها الاصلاح الزراعى من أملاك أى اقطاعى قديم ، حولت فلاحا معدما وأسرته ، الى مالك له حق الحياة .. ورأس المال الضخم ، الذى تحرر من الاحتكار ، شارك فى اقامة مصانع ، أتاحت عشرات الألوف من فرص العمل ، للذين كانوا يبحثون عن العمل ، وفوق ذلك فلقد فتحت أمام الألوف من الشباب المتعلم الذى كانت الحواجز تقف حائلا أمامه أبوابا الى مراكز القيادة فى وحدات الانتاج الضخمة » (١) .

« اننا رأينا قبل الثورة كيف أن الوزراء كانوا يشتغلوا عند الراسمالية .. ازاى الوزراء بيقبضوا ، ازاى الوزير كان فى الحكم ، وكان ياخد ماهية من فلان أو فلان .. أمثلة بهذا الشكل كانت معروفة واتقالت فى محكمة الثورة » ...

« اذن ديكتاتورية رأس المال تحكم ، سواء كانت هى فى الحكم ، أو تحكم بواسطة أعوانها أو عملائها وهى تبقى خارج الحكم » .

(١) مجلس الامة مارس ١٩٦٥

ولكنها تدير الحكم لمنفعتها ولمصلحتها من اجل استغلال الشعب ، ومن اجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح » ..

« ولا يمكن ان يخلق المجتمع الجديد ، بالشعارات وحدها بل بالعمل .. العمل هو الذى يخلق المجتمع الجديد .. العمل على انهاء سيطرة راس المال على الحكم .. والعمل على انهاء الاقطاع .. والعمل على زيادة الانتاج .. والعمل على عدالة التوزيع ..

سيطرة راس المال على الحكم ، معناه ديكتاتورية راس المال ، وبقاء البناء الاجتماعى والاقتصادى لخدمة مصالح فئة قليلة وطبقة محدودة .. لخدمة الطبقة الراسمالية (١)

واذا سيطرت الطبقة الراسمالية على البناء الاجتماعى والاقتصادى ، فان معناه السيطرة على الحكم بطريق مباشر أو غير مباشر .. ومعنى هذا ديكتاتورية الاقطاع وديكتاتورية رأس المال التى تحاول ان تخضع المجتمع كله للاستغلال والسيطرة ..

هذا الجيل هو الذى اختار قدره بالثورة . وهو الذى رسم لنفسه الطريق ، وحدد الهدف .

كانت الآمال طموحة ، وكان طموحها هو نفسه مسافة الرحلة اليها ، هو نفسه سبب التعرض الطويل للأخطار ..

ولكن هذا الجيل ، عقد عزمه منذ صنع الثورة ، على انه لابد من اللحاق بالأحلام الضائعة ، ولا بد من الوصول الى مستوى التقدم المقبول عالميا وانسانيا .

« انه بات محتما ان نسرع خطانا على طريق التنمية بأكثر من هذا القدر . ولقد طلبت الى الأجهزة المسئولة عن التنمية أن تدرس امكانية مضاعفة الدخل القومى فى اقل من عشر سنوات ولابد لنا أن نسير وأن نبنى .. وما من جدال ان الاطار الاشتراكى للمجتمع

---

(١) عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦١

الآن يساعدنا على دفع عجلة الانتاج بسرعة أكبر مما قدرنا ونحن نضع الخطة .

« وعلينا واجب كبير من اجل بناء هذه الأمة ، ومن اجل ان ننجز فى ٣٠ سنة ، ما أنجزته اوربا فى ٣٠٠ سنة .. اذا كنا عايزين نعيش عيشة سعيدة (١) » .

((لقد ادركنا بوضوح ، ان التنمية لابد ان تقترن بالتوزيع ، كذلك أدركنا ، ان سلامة الاقتصاد الوطنى ، لا تقاس بسعر القطع بالنسبة لعملتنا فى اسواق المضاربة الدولية)) .

« ان السلامة الحقيقية للاقتصاد ، تقاس بقدرته على الانتاج ، وليس يهمنا ان يظل النقد المصرى محتفظا بشكل قيمته ، متحررا من اعباء التنمية ، متسكعا فى أسواق المضاربة الدولية عاطلا مستهترا ، لكنه براق المظهر يتحرك فى جو من الترف .. لم يكن ذلك ما نريده للنقد المصرى وما كان أسهل أن نوفر له الشكل الخارجى ، ونوفره عن العمل ، ونتركه للتسكع الطليق . لكننا نطلب من كل قيمة فى وطننا ، كما نطلب من كل انسان فرد ، أن يتحمل طاقته اداء للواجب .. ونهوضا بأمانيه (٢) » .

هل كان يمكن أن يلجأ عبد الناصر الى رءوس الأموال الأجنبية ؟!.. الفكر الناصرى راى فى ذلك امتدادا للاستعمار .. لذلك فهو يتحدث عنها بصراحة .

« فنحن لم نشجع هذه الاموال التى أرادت أن تستغل، وفضلنا عليها القروض ، لان رأس المال الأجنبى الذى يصل الى الجمهورية العربية المتحدة ، الى مصر ، يستخدم فى الاستثمار بالنسبة للصناعات الخفيفة والمتوسطة ، سيحقق كل عام ارباحا ، وستصير المطالبة بتحويل هذه الأرباح الى الخارج » .

---

(١) ٢٤ يوليو ١٩٦٢

(٢) مجلس الامة ١٩٦٤.

« ومعنى ذلك اننا سندفع كل سنة فائدة محدودة لرأس المال تحول بالعملة الصعبة الى الخارج ، ولهذا فنحن فى مرحلة نفضل فيها ان ناخذ القروض ، ونسددها على سبع سنوات او عشرين سنة او ١٢ سنة او أكثر . ولهذا عندما ناخذ راس المال الأجنبى ننتهى منه بعد عشر سنوات او أكثر » .

« وهناك استثناء واحد لهذه القاعدة .. بالنسبة للصناعات التى تحتاج الى استمرار البحث العلمى وأساس راسخ للبحث العلمى كالأدوية مثلا او المبيدات الحشرية ، وهذا طبق فى السنوات الماضية فى رؤوس اموال اجنبية استثمرت بالنسبة لشركات الأدوية .. ولكن اشترطنا أن يكون نصف رأس المال اجنبى ، ونصف راس المال وطنى » .

« والمثل الآخر ، هو بالنسبة للبترول ، ونحن لدينا مناطق واسعة ولم نبحث فيها عن البترول أبدا ، وهذا خارج عن قدرتنا ، ولدينا اليوم شركات ١٠٠٪ رأس مال وطنى عندها ٦١ منطقة نبحث فيها عن البترول ولدينا شركات اخرى ٥٠٪ رأس مال وطنى ، وقدرتنا لا يمكن أن تحقق امكان البحث عن البترول فى جميع انحاء البلاد .. ولهذا فى الأيام الأخيرة ، اعطينا لرأس المال الأجنبى الحق فى الاستثمار على أن يكون شريكا لرأس المال الوطنى ، اى راس المال من القطاع العام .. وبهذا تكون الشركات مختلطة ٥٠٪ رأسمال اجنبى و ٥٠٪ رأسمال وطنى (١) » .

« ان المصالح الرأسمالية المتحكمة فى الوطن ، ادركت منذ اليوم الأول ، انها لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الحكم الذى وضعته الجماهير الثورية ، فى قيادة التغيير الذى بدأ مع ٢٣ يوليو ٥٢ لكن الرأسمالية المتحكمة ، تصورت انها تستطيع تعزيز مواقعها الفعلية ، وزيادة تركيز احتكارها للثروة ، من احساسها برغبة الثورة فى توسيع قاعدة الانتاج » .

---

(١) - المؤتمر الصحفى ١ اكتوبر ١٩٦٣م .

« ولم تترك هذه المصالح أن أية ثورة تستحق هذه الصفة المجيدة .. يتعين عليها ان تسأل نفسها دائما زيادة الانتاج لمن ؟ »

وقد بدأت الارادة الشعبية الثورية تجيب على هذا السؤال عمليا بالاتجاه الى اقامة وحدات انتاج قوية يملكها الشعب ، نواة لقطاع عام ما لبث أن عزز نفسه بالسيطرة الكاملة على المال ممثلا فى البنوك وشركات التأمين والتجارة الخارجية التى جرى تأميمها ونقلها الى الملكية العامة ، ثم اتباعها بقرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ التى ضمنت الملكية العامة للجزء الأكبر من وسائل الانتاج خصوصا فى المجال الصناعى ثم رسمت الحدود الواضحة للملكية العامة بحيث تشمل الهياكل الرئيسية للانتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة ووسائل النقل البرى والبحرى .. وبعد ذلك الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية وصناعات البناء .. الجزء المؤثر من الصناعات الاستهلاكية بما لا يسمح بالاستغلال » .

« وارتبط بذلك تحقيق اشراف الشعب الكامل على التجارة الخارجية وكسر اى احتكار فى التجارة الداخلية مع فتح مجالها واسعا فسيحا للنشاط الخاص » .

« وبذلك فان الاقطاع التقليدى ، الذى اراد أن يهرب الى المظهر العصرى للاستغلال الرأسمالى ، قد تهاوى من جميع أركانه وتداعى ، خصوصا بعد أن فقد سند المصالح الخارجية شريكته فى نهب ثروة الشعب وجهده » .. (١)

ويقول القائد « جربنا وسائل الاصلاح التقليدية ... جربنا التمصير قبل التأميم . ومصرنا وكالات ، ولكن وجدنا أن فيه أموال أيضا تتحول للخارج ، وفيه استغلال وكان هدفنا الأساسى أن نقضى على الاستغلال ، فكان لابد لنا من أن نتجه الى التأميم ، وأن نضع الأسس التى تمكننا من اقامة عدالة اجتماعية .. اقامة

---

(١) مجلس الأمة مارس ١٩٦٤

مجتمع متحرر من الاستغلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي(١) » .

وكان السبيل اذن الى تدعيم الاستقلال ، ليس الاعتماد على رأس المال الأجنبي وانما التنمية الاشتراكية .

« السبيل الى تحقيق تدعيم الاستقلال ومواجهة الاستعمار والسبيل الى العمل على تحقيق أهداف الأمة العربية في الوحدة هو ان نحقق اهداف الثورة .. أهداف الثورة ببساطة .. هي الكفاية والعدل .. اذا لم تحقق ذلك .. فاننا بهذا تكون قد تخلينا عن حاضرنا ، وفي نفس الوقت تخلينا عن مستقبلنا ، لأننا في وقت لا يستطيع فيه انسان أن يقف جامداً في مكانه ، من لا يتقدم يتأخر ، دي حكمة قديمة ، ولكن العصر الحديث احكامه وعلومه أكدتها » (٢)

« هل نستطيع مثلا ان نتوقف في التنمية ؟ هل نستطيع أن نتوقف في رفع مستوى الانتاج ؟ احنا بنزيد كل سنة حوالي ٣٪ ، اذا كان مستوى التنمية كل سنة ٣ ٪ معنى ده ايه ؟ معناه ان احنا ما عملناش حاجة ، اللي بنبنيه بنخلف ناس تاكله ، وماتخليش من اللي بنبنيه حاجة أبدا للجيل الحاضر ، واذا كنا بنخلف وبنزيد بنسبة ٣ ٪ يبقى هل يمكن ٤ ٪ معدل تنمية تكفي مجتمعنا هذا ؟ ان مستوى المعيشة كل سنة حيزيد ١ ٪ . احنا في تقييم الخطة الخمسية الأولى كان معدل الزيادة في الانتاج كل سنة حوالي ٧ر٢ ٪ . اذا حسبنا ٣ ٪ أصلا زيادة في السكان يبقى فعلا الزيادة الحقيقة في مستوى المعيشة حوالي ٤ر٢٪ . اذن هل نقدر في المستقبل ننزل التنمية عن ٧ر٢٪ ؟ احنا عاوزين طبعا معدل التنمية ٨ ٪ ومعدل الولادة ينزل من ٣ الى ٢ ٪ أو ٥ر٢ ٪ لأن البلاد اللي بتتقدم بيخف معدل الزيادة السكانية فيها كل سنة » .

« احنا قدامنا حل من اثنين ، يا اما نشتغل بكل سرعة وبكل قدرة وأكثر من قدرتنا ونوجد شغل لكل واحد في هذه البلد » .

---

(١) عيد الثورة ٢٢ يوليو ١٩٦٢.
(٢) ٢٥ يوليو ١٩٦٦.

يا اما نشتغل بالسرعة العادية وحيبقى عندى فى كل سنة عدد من العاطلين ومش حاقدر اوجد لهذا البلد الأكل ولا اللبن ولا اى حاجة . احنا بنزيد فى السنة ٧٠٠ الف والستة مليون فدان هما الستة مليون فدان من سنة ١٩٥٢ كانوا أيام محمد على ٤ مليون فدان وكنا حوالى ٥ أو ٦ مليون وفى سنة ٥٢ كانوا ستة مليون فدان وكنا ٢٢ مليون النهاردة سنة ٦٤ الستة مليون فدان واحنا ٣٠ مليون وكل سنة حنزيد ٧٠٠ الف .. طبعا علشان كده السد العالى كان بالنسبة لينا مسألة حياة أو موت ، السد العالي كمان مش كفاية ، حيدينا مليـون فدان حنزودهم لكى يكونوا مليـون ونص مليون ، الثروة المحدودة لا يمكن حتكفينا مع الزيادة فى السكان ، يبقى ليس أمامنا سبيل الا أن احنا نتحول الى دولة صناعية بأسرع وقت ممكن » (١)

قضية التنمية اذن قضية ملحة وضرورية ، وهى لن تتحقق فى ظل خطة تهدف القضاء على التخلف الا اذا كان الاقتصـاد مملوكا للشعب ، وتحت سيطرته ، ويدار لخدمة اهدافه ، وأمانيه فى التقدم والرخاء .

وهذا الامر لم يكن ليتحقق بعيدا عن قيام القطاع العام الذى يسيطر على الهياكل الرئيسية للانتاج ، وفى ظل مبدأ اشتراكى هو مركزية التخطيط ، وفى اطار خطة عامة تهدف الى رفع مستوى المعيشة ، والقضاء على التخلف بجميع أنواعه ومظـاهره ، بادئا بالتخلف الاقتصادى الذى هو الأساس ..

ولقد عكست كلمات عبد الناصر هذه المعانى ، وأيضا عكست كيف تطور هذا الفكر على طريق التجربة حتى اهتدى الى ان الحل الاشتراكى هو الحل الحتمى والوحيد لمشاكل التخلف .. فجرت التمصير ، وجرب تشجيع رأس المال الأجنبى . ووجد ان ذلك كله لن يحقق آمال الشعب وان الطريق الوحيد لتحقيقها هو التنمية الاشتراكية ..

---

١ - ١٢ نوفمبر ١٩٦١

نعم .. اشتراكية علمية

اهتدى الفكر الناصرى اذن الى الاشتراكية العلمية كحل ضرورى ، ووحيد للتقدم ..

والاشتراكية العلمية هو لفظ أطلقه للمرة الأولى انجلز على مجموعة القواعد ، والنظريات التى توصل اليها كارل ماركس لكى يميزها على ما سبقها من ارهاصات الفكر الاشتراكى ، فى صورة اشتراكية مثالية ، وخيالية ، وتعاونية وغيرها .. ولقد استمر هذا الاصطلاح يطلق على الماركسية وحدها لفترة طويلة . على اعتبار أنها تقوم على العلم ، وأنها تصل الى النتائج عن طريق دراسة حركة المجتمع . وصراع الطبقات فيه .

وقد وصل عبد الناصر بفكره الى الاشتراكية عن طريق دراسة حركة المجتمع الذى عاش فيه ..

ومن هنا فقد توصل الى **الحل العلمى** والحتمى لمشاكل التخلف هو الاشتراكى ..

واذا كانت الاشتراكية العلمية لفظ يرتبط بالماركسية ، فان عبد الناصر لم يأخذ بالماركسية ، وان كان قد التقى معها فى المنهج الذى درس من خلاله واقع المجتمع .. كما التقى معها فى كثير من الأصول النظرية الأخرى ، ولكنه انفرد عنها أيضا بعدد آخر من الافكار الجوهرية ..

والدارس للفكر الناصرى الاشتراكى يرى ان عبد الناصر قد أعطى اضافات الى الفكر الاشتراكى تحدث لاول مرة فى التاريخ ..

من هذه الاضافات وابرزها على الاطلاق ان سلطة الدولة ذاتها هى التى أحدثت التغيير نحو الاشتراكية ، وهى التى قادت التحول الاجتماعى ..

فقد كان من المتصور دائما حتى على المستوى النظرى ان احداث التحول الاشتراكى يتأتى باحداث ثورة دموية تتولى السلطة لتقوم بالتغيير ، ثورة قامت من اجل هذا التغيير ، يسندها تنظيم حزبى قوى يخوض معركة الانقلاب على السلطة ، ويواجه اجهزة القمع بها حتى يتمكن من الاستيلاء على السلطة التى تمكن قيادة هذا الحزب من اجراء الثورة الاجتماعية .

تجربة عبد الناصر فريدة ، لان جهاز الدولة أولا هو الذى انقلب على الدولة ، فالجيش هو الذى قام بالثورة ، وبعد أن استولى على السلطة دون تنظيم حزبى جماهيرى يسنده ، وبرؤية واضحة ودراسة علمية لواقع المجتمع ، قاد عبد الناصر الثورة الاجتماعية بعد ٧ سنوات من توليه السلطة .

وأحدث عبد الناصر اضافة أخرى وهامة هى انه يمكن أن تقوم ثورة اشتراكية فى دول العالم الثالث عموما دون أن تعتمد فى قيادتها على ديكتاتورية البلوريتاريا .

وأحدث جمال عبد الناصر اضافة ثالثة تقول ان الدين هو دافع للتقدم البشرى ، وليس معوقا لتقدم الشعوب وتنميتها .

وأحدث عبد الناصر اضافة رابعة تقول انه « ليست هناك بابوية فى الاشتراكية ومفيش نصوص جامدة ، ولا نصوص ناشفة » (١) فالمحظور الوحيد هو الاستغلال فقط ..

وقال الفكر الناصرى انه يمكن أن تكون هناك اشتراكية علمية، لا تؤمم كل وسائل الانتاج ، بل تترك المجال مفتوحا أمام القطاع الخاص ، وأمام الملكية الفردية .

وهو يرى مع ذلك أن ما ينبغى أن يأخذ به المجتمع كطريق لتقدمه هو الاشتراكية القائمة على العلم .. وحده ..

وانه ليس هناك نظاما وسطا بين الاشتراكية والرأسمالية .

ويقول (٢) « سمعت عمن يرى ان نظامنا نظام وسط بين الانظمة

---

(١) من حديث للشباب فى حلوان

(٢) حديث للاهرام

وبما أننا فى موقف وسط بين الشرق والغرب فكذلك يجب أن يكون نظامنا وسطا بين الشيوعية والراسمالية ، ثم سمعت عمن يرى انه نظام ابتكرناه ، واننا نؤمن به لاننا لا نقلد به أحدا »

« ولست اتصور ما هو أكثر بعــــدا عن الحقيقة من هذه التعليلات ، فالحياد الســـياسى ليس موقفـــا وسطا بين الشرق والغرب ، ثم ان اتخاذ موقف وسط فى مجال العقائد الاجتماعية أمر مستحيل ، كذلك ليس موقفا اخترعناه ننفرد به ، وانما هو التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة » .

ان جوهر الاشـــتراكية واحد ، وتطبيقها يهــدف فى النهاية للقضاء على استغلال الانسان للانسان ، بل لعل القـــائد يبسط النظرية الى حدودها الدنيا من التبسيط عندما يقول :

« بناخد الأمور بمنتهى البساطة ونبسط للناس ، نتكلم ما هى الاشتراكية ، احنا عاوزين ايه ، يعنى أنا نوبة قعدت ــ مع ناس ــ وبأقول لهم أنا عايز ايه اسألونى أنا عاوز ايه ؟ **أنا عاوز أشغل الاولاد ، واجوز البنات** زى أى عائلة .. أى عائلة عندها أولاد وبنـــات ، الراجل رب العائلة عايز أولاده يشتغلوا وبناته يتجوزوا » .

« طيب كيف نستطيع أن نحقق هذا يعنى نبسطها كده .. يبقى لازم نعمل تنمية ، لازم نعمل زراعة ، ولازم نعمل صناعة ، ولازم نعمل كذا . وبكده نبقى فعلا بنحقق الهدف أو بنقول عاوزين نمنع استغلال الانسان للانسان . » (١)

وقبل ذلك يبسط الزعيم والمعلم النظرية فى كلمات قليلة تدخل العقل والقلب معا فيقول : « ان الاشـــتراكية **ليست متـــاهات فلسفية** ، وليست شعارات ذات طنين .. انها فى النهاية بيت

---

١ ــ مؤتمر المبعوثين ١٦ مايو ١٩٧٠

سعيد لكل أسرة ، يقوم على عمل القادرين أو المهيئين للعمل رجالا ونساء .. بيت مفتوح للصحة ، وللعلم ، وللثقافة ، مظللا بالأمان الاجتماعى ضد المفاجآت .. متفاعلا مع غيره من البيوت السعيدة ، مشتركا معها فى أمر الاهتمام العام ، بأمر وطنه . وبأمور العالم الذى يعيش فيه » (١) ..

وبهذا التبسيط والايجاز ، يلخص الفكر الناصرى نظرية عميقة ، فهى التى تعطى للمواطن حق ، العمل ، والعلاج ، والتعليم ، وتؤمنه ، ولا تعيش الاشتراكية وحدها فى جزيرة منعزلة ، بل انه من المحتم عليها أن تأخذ وتعطى وتتعامل مع « النماذج » الاشتراكية الأخرى ، وأن تكون على وعى بما يدور فى وطنها وفى العالم كله ، وأن يكون لها موقف منه ، ورأى فيه ..

بهذا الجوهر الواحد للاشتراكية ، يرى عبد الناصر أنه ليس هناك اختلافات حول الاساس النظرى للاشتراكية العلمية .. ولكن قد يكون التطبيق متغيرا ...

ومن هنا كانت تجربة الناصرية فى التطبيق متميزة ...

وقبل التعرض لهذه السمات بشىء من التفصيل يمكن أن نلقى نظرة سريعة على الفكر الاشتراكى كما يراه عبد الناصر أسلوبا للتطبيق فى المجتمع وكنموذج جديد للتجربة الاشتراكية ..

● أولا — فى مجال الانتاج عموما :

تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج ، كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود

---

(١) مؤتمر الانتاج

ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة ، فى نطاق الملكية العامة للشعب .

● **ثانيا — فى مجال الصناعة :**

تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب .

واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله .

ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار . واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشعب .

● **ثالثا — فى مجال التجارة :**

تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب .

وفى هذا المجال فان تجارة الاستيراد تكون كلها فى اطار القطاع العام وان كان من واجب رأس المال الخاص أن يشارك فى تجارة الصادرات .

ويكون للقطاع العام الغالبية فى تجارة هذه الصادرات منعا لاحتمالات التلاعب ، واذا جاز تحديد نسب فى هذا النطاق فان القطاع العام لا بد له أن يتحمل عبء ثلاثة أرباع الصادرات مشجعا للقطاع الخاص على تحمل مسئولية الجزء الباقى منها .

يكون للقطاع العام دور فى التجارة الداخلية ، خدمة وتوزيعا مقابل ربح معقول لا يصل الى حد الاستغلال تحت اى ظرف من الظروف .

● رابعا ـ فى مجال المال :

المصارف تكون فى اطار الملكية العامة فان المال وظيفته وطنية لا تترك للمضاربة أو المغامرة ، كذلك فأن شركات التأمين تكون فى اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها .

● خامسا ـ فى المجال العقارى :

هنـاك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة : **ملكية مستغلة او تفتح الباب للاستغلال ، وملكية غير مستغلة** تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كما تؤديه فى خدمة أصحابها .

كذلك ففى مجال **ملكية المبانى** تتكفل قوانين الضرائب التصاعدية على المبانى وقوانين تخفيض الايجارات والقوانين المحددة لقـواعد ربطها بوضـع الملكية العقارية فى مكان يبتعد بها عن أوضـاع الاستغلال ، والزيادة فى الاسكان العـام والتعاونى تسهم بطريقة عملية فى مكافحة أى محاولة للاستغلال فى هذا المجال .»

● سادسا ـ فى مجال الزراعة :

التطبيق العربى للاشتراكية فى **مجال الزراعة** لا يؤمن بتأميم الارض وتحويلها الى مجال الملكية العامة ، وانما هو يؤمن ـ استنادا الى الدراسـة والى التجربة ـ بالملكيـة الفردية للأرض فى حدود لا تسمح بالاقطاع .

وهذه النتيجة ليست مجرد انسـياق مع حنين الفـلاحين العاطفى الطويل الى ملكية الأرض ، وانما الواقع أن هذه النتيجة نبعت من الظروف الواقعية للمشكلة الزراعية فى مصر ، التى أكدت قدرة الفلاح المصرى على العمل الخلاق اذا ما توافرت له الظروف الملائمة .»

ان كفاية الفلاح المصرى ، على امتداد تاريخ طويل عميق بالخبرات المكتسبة من التجربة ، قد وصلت فى قدرتها على استغلال الأرض الى حد متقدم ، خصوصا اذا ما أتيحت له الفرصة للاستفادة من نتائج التقدم العلمى .

يضاف الى ذلك أنه منذ عصور بعيدة فى التاريخ توصلت الزراعة المصرية الى حلول اشتراكية صحيحة لأعقد مشاكلها فى مقدمتها الرى والصرف ، وهما فى مصر الآن ومنذ زمان طويل فى اطار الخدمات العامة .

ومن هنا فان الحلول الصحيحة لمشكلة الزراعة لا تكمن فى تحويل الأرض الى الملكية العامة ، **وانما هى تستلزم وجود الملكية الفردية للأرض وتوسيع نطاق هذه الملكية باتاحة الحق فيها لأكبر عدد من الأجراء ، مع دعم هذه الملكية بالتعاون الزراعى على امتداد مراحل عملية الانتاج فى الزراعة من بدايتها الى نهايتها .**

ان التعاون الزراعى ليس هو مجرد الائتمان البسيط الذى لم يخرج التعاون الزراعى عن حدوده حتى عهد قريب ، وانما الآفاق التعاونية فى الزراعة تمتد على جبهة واسعة .

انها تبـدأ مع عملية **تجميع الاستغلال الزراعى** الذى أثبتت التجارب نجاحه الكبير ، وتسايره عملية التمويل التى تحمى الفلاح وتحرره من المرابين ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الأكبر من ناتج عمله وتصل به الى الحد الذى يمكنه من استعمال أحدث الآلات والوسائل العلمية لزيادة الانتاج ، ثم هى معه حتى التسويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل .

ان المواجهة الثورية لمشكلة الأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك .

لقد كان ذلك هو الهدف من قوانين الاصلاح الزراعى التى صدرت سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦١ .

كذلك فان هذا الهدف ، **فضلا عن أهداف زيادة الانتاج ، كان من القوى الدافعة وراء مشاريع الرى الكبرى** ، التى أصبح رمزها العتيد سد أسوان العالى الذى خاض الشعب فى مصر صنوف الحروب المسلحة والاقتصادية والنفسية لكى يبنيه .

ان هذا السد أصبح رمزا لارادة الشعب وتصميمه على صنع الحياة ، **كما أنه رمز لارادته فى اتاحة حق الملكية لجموع غفيرة من الفلاحين** لم تسنح لها هذه الفرصة عبر قرون طويلة ممتدة من الحكم الاقطاعى .

ان نجاح هذه المواجهة الثورية لمشكلة الزراعة ـ المواجهة القائمة على زيادة عدد الملاك ـ لا يمكن تعزيزه الا بالتعاون الزراعى والا بالتوسع فى مجالاته الى الحد الذى يكفل للملكيات الصغيرة للأرض اقتصادا قويا نشيطا .

ان هناك بعد ذلك كله ثلاثة آفاق ينبغى أن تنطلق اليها معركة الانتاج الجبارة من أجل تطوير الريف :

* الأول : الامتداد الأفقى فى الزراعة ، عن طريق قهر الصحراء والبوار . ان عمليات استصلاح الأرض الجديدة لا يجب أن تتوقف ثانية واحدة . ان الخضرة يجب أن تتسع مساحتها مع كل يوم على وادى النيل وينبغى الوصول الى الحد الذى تصبح فيه كل قطرة من ماء النيل قادرة على التحول فوق ضفافه الى حياة خلاقة لا تهدر هباء ولا تضيع .

ان هنـــاك كثيرين ينتظرون دورهم ليملكوا فى أرض وطنهم ، والمستقبل يحمل مع كل جيل جديد أفواجا من المتطلعين بحق الى ملكية الأرض .

* والثانى : هو الامتداد الراسى فى الزراعة ، عن طريق رفع انتاجية الأرض المزروعة . ان الكيمياء الحديثة قد درست طرق الزراعة واساليبها ، وذلك بواسـطة الأسمدة والمبيدات الحشرية واستنباط انواع جديدة من البذور .

كذلك فان هناك احتمالات هائلة عن طريق العلم المنظم تمكن من تنمية الثروة الحيوانية بما ينمح الاقتصاد الزراعى للفـلاح دعما محققا .

كذلك فان هناك احتمالات كبيرة وراء اعادة دراسة اقتصاديات المحاصيل الزراعية للأرض المصرية وتنويعها على أساس نتائج هذه الدراسة .

* والثالث : أن تصنيع الريف اتصالا بالزراعة يفتح فيه أبعادا هائلة لفرص العمل ، وينبغى أن نذكر دائما أن الصـناعة بالتقدم الآلى ليست فى مركز يسمح لها بامتصاص كل فائض الأيدى العاملة على الأرض الزراعية ، وذلك فى الوقت الذى لم يعد فيه جدال فى أن حق العمل ، فى حد ذاته هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعى لوجود الانسان وقيمته .

هذه هى الخطوط الاساسية للفكر الاشتراكى الناصرى .. فى مجال التطبيق .. قطاع عام ، والى جانبه قطاع خاص .. القيادة للقطاع العام ، مركزية التخطيط ولامركزية التنفيـذ ، الارض الزراعية تظل فى اطار الملكية الخاصة ، الانطلاق بالريف ، عن طريق التوسع فى الزراعة راسيا وافقيا وتصنيعه ، جعل المدينة مسئولة مسئولية ضمير ومصير عن الحياة الجديدة فى القرية .

الحـرية للشعب .. وليست لأعدائه

الديمقراطية السليمة لم تكن احد اهداف عبـد الناصر فحسب ، بل كانت احد الأسباب التى دعت الى قيام الثورة ، فقد كان تحقيقها ضمن المبادىء الستة التى اعلنتها الثورة فى بداية توليها السلطة عام ١٩٥٢

ومن اجل حياة ديمقراطية سليمة قاد الفكر الناصرى معارك عديدة ، سواء بتحرير الارض ، أو بالقضاء على الاقطاع والراسمالية المتحالفة معه .. أو بتوسيع قاعدة العمل السياسى حتى يسمح لجماهير المواطنين بممارسة حقهم الديمقراطى على اسس سليمة

وعبد النـاصر يرى أن الشعب المصرى كافح طويلا من اجل اقامة ديمقراطية سليمة ..

ثورة ١٩١٩ كانت فى فكره تأكيدا لارادة الشعب فى الحـرية ، والديمقراطية السليمة .

ويشرح القائد فى كل مجال قتال الشعب من أجل اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، والمراحل التى مر بها هذا القتال .

وهو فى شرحه لقتال الشعب من أجل الديمقراطية يربط دائما بين الديمقراطية السليمة وبين :

● حق الفرد فى نصيب عادل من ثروة بلاده وأن يتحرر من الاستغلال فى جميع صوره ، وان يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته .

● حق الوطن فى أن يعيش متحررا بعيــــدا عن الســيطرة الاستعمارية .

فالاستعمار ، والاقطاع ، والراسمالية ، بكل ما تحمله تمثــل عوائق ضد اقامة ديمقراطية سليمة لا يمكن أن تتحقق بعيــدا عن تحرير لقمة الخبز . ففى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ وفى خطابه فى ميدان الجمهورية يروى قصة قتال الشعب من أجل تحقيق حياة ديمقراطية سليمة فيقول (١)

« كافح الشعب المصرى طويلا ضد السيطرة المعتدية الأجنبية والسيطرة المستغلة الداخلية ، وفى أواخر القرن الثامن عشر قام الشعب المصرى يطالب بحريته وبحقه فى الحياة الحرة الكريمة .

« قام الشعب وطالب الأمراء والمماليك بأن يشـــترك فى حكم الوطن وفى تصريف أموره ، ولكنهم رفضوا ؛ لكن الشــعب أجبر الامراء على أن يطيعوا رغبته وأن يلبوا ارادته ، ووقع الامراء فى أواخر القرن الثامن عشر وثيقة بنــاء على رغبة الشعب ، قالوا فى هـــذه الوثيقـــة : ان الامراء تابوا ورجعــوا والتزموا بما شرطه الناس » .

« وانعقد الصلح على شروط منها : أن يكفوا ويكف أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال النــاس وأن يســيروا فى النــاس ســيرة حسنة » .

« واطمأن الشعب وأمن بعد أن وقع الأمراء هذه الوثيقة الى أنهم سيطبقونها والى أنهم سيكفون واتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس والى أنهم سيسيرون بالناس سيرة حسنة . ولكــن هــل اتبع الامراء هذه الوثيقة ؟ ... هل عملوا بما وقعوا عليه ؟ ... لقد اطمأن الشعب وخــدعه الأمراء ... فسارو سيرتهم الأولى مرة

(١) الأفكار التى وردت فى هذا الخطاب هى نفسها التى وردت فى الميثـــاق الناصرى بعد ذلك .

اخرى ليستبدوا بالشعب وبحقه فى الحياة وبحريته ويستبدوا بارادته فاستبدوا وسيطروا وتحكموا .

« فهل استكان الشعب واستسلم ؟.. لم يسلم ابدا .. ولكنه كافح كفاحا مريرا طويلا من أجل الحرية التى نادى بها ونادى بها آباؤه وأجداده واستمر فى الكفاح والنضال حتى كانت سنة ١٨٠٥ ، حينما كافح ضد سيطرة الوالى التركى وطالبه بأن يشترك الشعب فى حكم نفسه بنفسه وطالبه الشعب بأن يقيم دستورا ليدير به شئون البلاد .

« ولكن الوالى العثمانى قال : اننى هنا والى بأمر السلطان ولا يمكن أن البى رغبة الفلاحين .

« فاجتمع الشعب وعلماؤه وقرروا عزل الوالى وقال الوالى : انا لا يمكن ان اعزل الا بأمر من السلطان ولا يمكن أن أعزل بأمر من الفلاحين .

« فكتب ممثلو الشعب وثيقة بعزل الوالى التركى واثبتوا حقهم الدستورى فى هذا وكانت الوثيقة تقول : ان للشعوب طبقا لما جرى العرف به ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الاسلامية ، الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم اذا انحرفوا عن سنن العدل أو ساروا بالظلم لأن الحكام الظالمين خارجون عن الشريعة . وعزلوا الوالى ، وأقاموا « محمد على » ولقد أقام الشعب يومئذ « محمد على » كحاكم جمهورى .

« ولا بأس ولا ملامة على الشعب أن نكث محمد على بالعهد فليس هو أول من خان العهود المقطوعة ولم يكن آخر الخائنين .. لقد ولى الشعب « محمد على » الولاية بارادته ولكن « محمد على » استبد وطغى وصمم على أن يحكم سواء أكان حكمه من ارادة الشعب أم ضد ارادة الشعب فاستمر الشعب فى نضاله من أجل حقه فى الحياة والحرية ..

« وقام عرابى سنة ۱۸۸۱ وطالب الخديو بأن يحقق للشعب حريته وحقه فى الحياة الكريمة وبحقه فى أن يقر الضرائب والقوانين ولكن الخديو رفض واستعان بالقوة الاجنبية فكان الاحتلال البريطانى .

« ولكن الشعب لم يستسلم ولم يسلم .. انما كافح بعزم وايمان لا ضد السيطرة المستغلة الداخلية ولكن ضد العدوان الخارجى واستمر الشعب رغم المآسى ورغم العذاب وما قاسى من ضروب الأهوال والبطش .. استمر الشعب يحارب ويكافح ويناضل بعزم وصبر وايمان .

« فقامت الثورة الكبرى سنة ۱۹۱۹ بعد كفاح طويل ضد العدوان الخارجى وضد السيطرة الداخلية .. قامت هذه الثورة تطالب بدستور يقرر حق الشعب فى الحياة والحرية ويحقق للشعب ديمقراطية سليمة .

« وكافح الشعب واستشهد من أبنائه من استشهد وسجن من سجن وعذب من عذب .

« ثم أعلن دستور سنة ۱۹۲۳ وكان هذا الدستور منة أعطيت له ومنحة من الملك وحتى هذه الوثيقة نكثوا بها واستبدوا بالشعب وآماله .

« ولم تغن الشعب هذه الوثيقة المكتوبة شيئا فاستمر يكافح كفاحا طويلا فان الدستور الذى أعلن سنة ۱۹۲۳ كان دستورا استخدمت بواسطته كل الوسائل التى تتحكم فى هذا الشعب .

« لقد اعتبر القصر والأحزاب والاقطاعيون أن الدستور وثيقة شرعية يثبتون بها الاقطاع والرشوة والفساد والاستبداد السياسى والظلم الاجتماعى .. واتخذ الاستعمار من هذه الوثيقة أيضا وسيلة حتى يمكن لنفسه فى هذا الوطن فهل خدع المواطنون ؟ .

« ان المواطنين الذين وثقوا فى سنة ١٩٢٣ بالدستور اطمأنوا ، ولكنهم لم ينخدعوا ولم يسلموا ولم يستسلموا ، فكافحوا كفاحا طويلا مريرا من أجل حقهم فى الحياة والحرية حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لتحقق للوطن حقه فى الحرية وفى الحياة وقررت مبادئها الستة .. انهـا تهـدف الى : « اقامة حيـاة ديمقراطية سليمة » .

« كانت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ، تتويجا لكفاح المواطنين بنصر عظيم حتى يتولى أمره بنفسه وحتى يمسك زمام شانه بيده .. ولكن الشعب استلهم العظة من ماضيه فقرر الا يخدع كما خدع فى أيام ابراهيم بك ، وفى أيام محمد على ، فلم يطمئن الى الامراء او الى الحكام ، لم يطمئن ابدا كما اطمأن فى الماضى .. ولم يثق كما وثق فى الماضى ولكنه قرر أن يستمر فى كفاحه .

« وأعلنت الثورة فى أول يوم من ايامها .. انها تهدف الى اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، لينظم الشعب أمور هـذا الوطن بنفسه وبارادته ..

« ولم تكن الطريق سهلة ، بل لقد قابلت الثورة طريقا شاقة وصعبة ، لأنها قررت الا تخدع والا تطمئن ، فجابهت الحكام والأمراء واصـطدمت الثورة مع الحكام ومع الامراء لانها كانت تتسلح بالشك ولم تستكن الى الاطمئنان والى الثقة ..

« فأعلنت الثورة فى ١٦ من ينـاير سـنة ١٩٥٢ انهـا لاقت المصاعب والمشاق الكبيرة من الحكام السابقين ومن الحزبيين ومن الاحزاب وانها حتى يمكن أن تحقق الاهداف التى قامت من اجلها لا بد لها من فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ من يناير سنة ١٩٥٦ »

« وفى هذه الفترة تمهد الثورة الطريق وتقضى على المخادمين والمضللين ، واصدرت الثورة فى ١٦ من يناير سـنة ١٩٥٣ بيانا يقـول :

« لقد استمدت ثورة الجيش قوتها من ايمانها الكامل بحق جميع المواطنين فى حياة قوية شريفة وعدل تام مطلق وحرية كاملة شاملة فى ظل دستور سليم يعبر عن رغبات الشعب وينظم العلاقة بين الحاكمين والمحكومين ، ولما كان اول أهداف الثورة هو اجلاء الأجنبى عن ارض الوطن ولما كنا آخذين الآن فى تحقيق هذا الهدف الأكبر والسير به الى غايته مهما تكن الظروف والعقبات فاننا كنا ننتظر من الاحزاب ان تقدر مصلحة الوطن العليا فتقلع عن أساليب السياسة المخربة التى أودت بكيان البلاد وفرقت وحدتها، ومزقت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفى السياسة وأدعياء الوطنية .. ولكن على العكس من ذلك اتضح لنا أن الشهوات الشخصية والمصالح الحزبية التى أفسدت أهداف ثورة سنة ١٩١٩ تريد أن تسعى سعيها ثانية بالتفرقة فى هذا الوقت الخطير من تاريخ الوطن » .

« واذن فان الثورة حينما قامت سنة ١٩٥٢ لم تطمئن ولم تثق كما اطمأنت الثورات السابقة ، مثل ثورة سنة ١٩١٩ ، أو ثورة عرابى ، وثورة الشعب ضد الوالى التركى ، وثورة الشعب ضد ابراهيم بك ومراد بك أيام المماليك ولكنها اتخذت من الماضى عظة وعبرة وتسلحت حتى تقضى على جميع الاسباب التى يمكن أن تسير بهذه الثورة الى الانحراف .

« وسارت الثورة فى طريقها لتحقق للوطن أساسا متينا نظيفا ، وتخلص الوطن من الرجعية ومن الاستعمار وأعوانه .. وسارت الثورة وهى ترسى مبادىء الانسانية وهى تهدف الى اقامة مجتمع وطنى سليم تسوده الرفاهية والعدالة الاجتماعية لا مكان فيه لسادة ولا مكان فيه لعبيد بل كلنا احرار فى هذا الوطن ... كلنا نشعر بالحرية وبالمساواة .

« سارت الثورة وهى لا تثق ولا تطمئن ، لا تثق فى كتابة الوثائق ولا تطمئن لتوقيع العهود ، فقد خدعنا كثيرا فى الماضى ، ولا بد أن نأخذ من ماضينا عبرة لمستقبلنا » .

« سارت الثورة لتحقق الاهداف التى أعلنتها منذ ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وكانت هذه الأهداف هى تحقيق احلام الشعب وامانيه .. وأحلام من كافحوا واستشهدوا من ابنائه وأمانىآبائنا وآمال اجدادنا .

« قامت الثورةوهى تهدفالى اقامة مجتمع وطنى قوىتسوده العدالة وترفرف عليه الرفاهية وكان الهدف الاول هو القضاء على الاستعمار واعوانه .

« ولكنها اصطدمتباعوانالاستعمار .. وتبينت انهم خطر على الشعب بل اشد خطرا من الاستعمار .. فان الاستعمار لا يمكن ان يثبت اقدامه الا مستندا على أعوانه من أبناء هذا الوطن .. فاتجهت الثورة الى أعوان الاستعمار لتقتلعهم من جذورهم .. هؤلاء الذين باعوا بلدهم للشيطان لقاء دراهم معدودات .

« وحينما قضت عليهم استطاعت ان تقضى على الاستعمار .. فقد ترنح الاستعمار ولم يجد بين اراضى هذا الوطن من يسنده فاستسلم الاستعمار .

« واليوم ونحن نبدأ مرحلة جديدة من تاريخ وطننا لن ننسى الماضى ابدا بل سنأخذ من الماضى عظة وعبرة .

« وسنتسلح بتاريخ الماضى واحداثه .. لن نخدع ولن نضلل مرةأخرى ولكننا سنحمى ما حققناه من المكاسب والانتصارات ولن يخدعنا الاستعمار ولن يكون هناك ابدا أعوان بيننا للاستعمار لأن الشعب قد تولى امره بيده واصبح هو الذى يمثل السلطة العليا فى هذا الوطن .

« وكان لا بد أن نعمل على القضاء على الاقطاع .. الذى تحكم فينا والذى تحكم فى اراضينا والذى تحكم فى حريتنا . ولم يكن هدفنا من القضاء على الاقطاع ان تملك الناس وأن نملك الفلاحين فقط ، فان أرض مصر لا يمكن أن تملك لجميع ابنائها ، ولكننا كنا

تهدف فى الحقيقة الى الحرية والى التحرير .. حرية النفس وحرية الفرد ، اذ لا حرية فى بلد اذا لم يكن أبناؤه أحرارا .. ولا يمكن أن نشعر بالحرية اذا كان افراد هـذا الوطن يشعرون بالذل .. ويشعرون بالاستعباد .

« اتجهنا الى القضاء على الاقطاع واستطعنا بعد معركة طويلة شاقة أن نقضي على الاقطاع واستطاع أبناء هذا الوطن جميعا أن يشعروا بأنهم أحرار .. ليسوا ملكا لأحد .. ليسوا ملكا لاقطاعي أو ملكا لصاحب الارض أو ملكا لصاحب جاه .. لن يهددوا فى رزقهم .. أو فى قوت يومهم .. ولن يهددوا فى عيشهم .

« اننا بهذا نعمل على خلق مجتمع تسوده الحرية الحقيقية .. لا الحرية الزائفة .. الحرية التى يشعر بها الفلاح فى أرضـه ، والعامل فى مصنعه ، والموظف فى عمله ..

« هذه هى الحرية ، ولا يمكن أن نقول : ان هناك ديمقراطية سليمة وأن هناك برلمانا ، وأن هناك دستورا ، اذا كان الفرد لا يشعر بحريه واذا كان الفرد مهددا فى رزقه ، واذا كان الفرد مهددا فى عيشه واذا كان الفرد مهددا فى يومه أو غده .

* * *

والعمل الديمقراطى السليم عند عبد الناصر يرتبط تماما بالحرية الاجتماعية ..

ولا يمكن الفصل بين الديمقراطية التى هى الحرية السياسية وبين الاشتراكية التى هى الحرية الاجتماعية ، انهما جناحا الحرية الحقيقية . وبدونهما أو بدون اى منهما لا تستطيع الحرية أن تحلق الى آفاق الغد المرتقب .

ويحدد عبد الناصر انه بعد معركة السويس ، وبعد أن انتزع الشعب حريته . وكشفت المعركة عن قدراته كان السؤال الذى طرح نفسه تلقائيا غداة النصر العظيم .. لمن تكون هذه الارادة الحرة التى استخلصها الشعب من قلب المعركة الرهيبة .

وكان الرد التاريخي الذى لا رد غيره هو !

ان هذه الارادة لا يمكن ان تكون لغير الشعب ، ولا يمكن أن تعمل لغير تحقيق أهدافه .

والحرية السياسية ليست نقل واجهات دستورية شكلية .

ان جوهر الديمقراطية يعنى الممارسة .. والممارسة لا تتأكد الا بالتحرر الاجتماعي ..

وتاريخ مصر يعكس ذلك .

فقد كان الاقطاع وراس المال يملك القوة الاقتصادية ويملك تبعا لها القوة السياسية فهو يقرر فى الميثاق :

« ان سيادة الاقطاع المتحالف مع رأس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لا بد أن تمكن لهما طبيعيا وحتما من السيطرة على العمل السياسى فيه وعلى اشكاله وعلى ضمان توجيهها لخدمة التحالف بينهما على حساب الجماهير واخضاع هذه الجماهير بالخديعة أو بالارهاب حتى تقبل أو تستسلم .

« ان الديمقراطية على هذا الأساس لم تكن الا ديكتاتورية الرجعية .

« ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التى كانت قد تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة حتى لقد صدر دستور سنة ١٩٢٣ منحة من الملك ومنة منه وتفضلا . »

« ان البرلمان الذى أقامه هذا الدستور لم يكن حاميا لمصالح الشعب .. وانما كان بالطبيعة حارسا للمصالح التى منحت هذا الدستور .. »

« وليس من شك أن أصواتا كثيرة ارتفعت داخل البرلمان

تنادى بحقوق الشعب ، ولكن هذه النداءات تبددت هباء دون تأثير حقيقى .

« بل ان الرجعية لم يكن يضيرها أن تفتح متنفسا للسخط الشعبى ما دامت تملك جميع صمامات التوجيه وما دامت بيدها تحت كل الظروف أغلبيتها التى تمكن لديكتاتوريتها الطبقية وتحمى امتيازاتها .

« ولقد كانت القوة الاقتصادية فى مصر قبل الثورة فى يد تحالف بين الاقطاع وبين راس المال المستغل ، وكان محتما ان تكون الاشكال السياسية ـ بما فيها الاحزاب ـ تعبيرا عن هذه القوة وواجهة ظاهرة لهذا التحالف بين الاقطاع وبين راس المال المستغل .

« انه مما يلفت النظر ان بعض الاحزاب فى تلك الظروف لم تتورع عن أن ترفع من غير مواربة شعار أن الحكم يجب أن يكون لاصحاب المصالح الحقيقية . ولما كان الاقطاع ورأس المال المستغل هما اصحاب المصالح الحقيقية . فى البلاد وقتها فلقد كان هذا الشعار أكثر من اعتراف ضمنى بالمهزلة التى فرضتها القوى المسيطرة على الشعب المصرى باسم الديمقراطية .

« ان هذا الشعار على أى حال ـ مهما بلغت درجة الايلام فيه ـ كان اعترافا صريحا وصادقا بالحقيقة المرة .. »

وكانت النتيجة ان انعكس ذلك على :

× حق الانتخاب ..

× حرية الصحافة .

× العلم ومناهجه .

١ ـ فحق الانتخاب يرتبط بلقمة العيش .. فالجائع هو الذى

يبيع صوته .. ويجبر على انتخاب جلاديه ولا بد من أن يتحرر الانسان من الاستغلال فى جميع صوره ، وان تكون له الفرص المتكافئة فى نصيب عادل من الثروة الوطنية وان يتخلص من كل قلق يبدد امن المستقبل فى حياته حتى يستطيع أن يمارس حقه الانتخابى بحرية ودون ضغوط .

٢ - ويحدد الفكر الناصرى بالنسبة للصحافة عوامل عديدة منعتها من أن تكون أداة للحرية السليمة ليست فى القوانين التى تقيد النشر فحسب بل وأيضا فى التقدم الالى الذى جعل الصحافة صناعة ضخمة تحتاج الى تمويل كبير وهو أمر لا يتحقق الا اذا ساندتها الأحزاب .

٣ - انعكس ذلك كله على العلم ومناهجه بحيث كانت مناهج التعليم تعطى جرعات من الاستكانة والاستسلام وتمجد المستغلين والحكام ، وتغرس فى النفوس مفاهيم ضد التقدم.

ولقد شخص عبد الناصر هذه الأمراض فى المجتمع قبل أن المستغلين والحكام وتغرس فى النفوس مفاهيم ضد التقدم . يضع لها أساسيات العلاج .. فقال فى الميثاق الناصرى :

ان حق التصويت فقد قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق فى لقمة العيش .

ان حرية التصويت من غير حرية لقمة العيش وضمانها فقدت كل قيمة وأصبحت خديعة مضللة للشعب .

تحت هذه الظروف أصبح حق التصويت أمام ثلاثة احتمالات ليس لها بديل :

١ - فى الريف كان التصويت اجبارا للفلاح لا يقبل المناقشة .
فلم يكن يملك الا أن يعطى صوته للاقطاعى صاحب الأرض أو وفق مشيئته أو يواجه تبعات العصيان وأولها أن يطرد من الارض التى يعمل فيها بما لا يكاد أن يكفى لسد جوعه .

٢ - فى الريف والمدينة كان شراء الأصوات يمكن راس المال

٣ - فى الريف والمدينة لم تتورع المصالح الحاكمة فى عديد من الظروف ان تلجأ الى التزوير المكشوف اذا ما أحست بوجود تيارات متعارضة مع ارادتها . وكانت الشروط التى تجرى تحتها عمليــات الانتخابات ، وفى مقدمتها اشتراط تأمين نقدى باهظ ، تصد جماهير الشعب العامل حتى عن مجرد الاقتراب من لعبة الانتخابات ، ولم تكن الا لعبـة فى تلك الظروف . وفى نفس الوقت فان الجهل الذى فرض عـلى الأغلبية العظمى من الشعب - تحت ضغط الفقر - جعل من سرية الاقتراع ، وهى أول الضـمانات لحـريته ، أمرا مستحيلا أو شبه مستحيل .

● ان حرية التنظيم الشعبى التى تسند حرية التمثيل الشعبى فقدت هى الأخرى بتأثير هذه الظروف فاعليتهـا ، وعجزت عن التأثير ايجابيا على الاوضاع المفروضة داخل الوطن .

● ان ملايين الفـلاحين .. حتى من ملاك الارض الصغار ، طحنتهم الاقطاعيات الكبيرة لسادة الارض المتحكمين فى مصيرها ، ولم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم أنفسهم داخل تعاونيات تمكنهم من المحافظة على انتاجية أرضهم ، وبالتالى تعطيهم القـدرة على الصمود وعلى اسماع صوتهم للاجهزة المحلية فضلا عن قصـور الحكام فى العاصمة .

● كذلك فان الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الأجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع ، كما ان عملهم كان يجرى من غير أى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقتهم الا ان يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة .

● كذلك فان مئات الألوف من عمال الصناعة والتجارة لم تكن فى قدرتهم أية طاقة على تحدى ارادة الرأسمالية المتحكمة المتحالفة

مع الاقطاع والمسيطرة على جهاز الدولة وعلى سلطة التشريع ، وأصبح العمل سلعة من السلع فى عمليات الانتاج يشتريها رأس المال المستغل تحت أحسن الشروط موافقة لمصالحه . ولقد واجهت الحركة النقابية التى كان فى يدها قيادة هذه الطبقة المناضلة من العمال صعوبات شديدة حاولت عرقلة طريقها كما حاولت افسادها .

● ان حرية النقد ضاعت فى هذه الفترة ضياع حرية الصحافة

ولم يكن الامر هو مجرد القوانين الصارمة التى وقفت بالمرصاد لحرية النشر وفرضت بالتشريع محظورات ترتفع على النقد وتوسعت فى هذه المحظورات الى حد كاد ان يجعل الظلام دامسا وشاملا .

وانما طبيعة التقدم الآلى فى مهنة الصحافة نفسها أحدثت أثرا لا يقل فى صوره عما احدثته قوانين القمع والكبت .

لقد كان من أثر التقدم الآلى فى مهنة الصحافة واحتياجاتها المتزايدة الى الآلات الحديثة والى الكميات الهائلة من الورق أن تحولت هذه المهنة العظيمة من كونها عملية راى الى ان اصبحت عملية رأسمالية معقدة .

ان الصحافة فى هذه الفترة ، ومع هذا التطور ، لم تكن قادرة على الحياة الا اذا ساندتها الاحزاب الحاكمة الممثلة لمصالح الاقطاع ورأس المال أو اذا اعتمدت اعتمادا كليا على رأس المال المستغل الذى كان يملك الاعلان بحكم ملكيته للصناعة والتجارة .

ان سلطة الدولة والتشريع استعملت — أولا — فى اخضاع الصحافة للمصالح الحاكمة وذلك عن طريق قوانين النشر الظالمة وعن طريق الرقابة التي وقفت سدا حائلا دون الحقيقة .

كذلك تزايد الخطر على ما تبقى من حرية الصحافة ـ ثانيا ـ بتزايد احتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلى ، ولم يعد فى قدرتها الا أن تخضع لارادة راس المـال المستغل وأن تتلقى منه ـ وليس من جماهير الشعب ـ وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية .

ان حرية العلم التى كان فى مقدورها أن تفتح طاقات جديدة للامل تعرضت هى الأخرى لنفس العبث تحت حكم الديمقراطية الرجعية .«

فان الرجعية الحاكمة كان لا بد لها أن تطمئن الى سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها ، ومن ثم انعكست آثار ذلك على نظم العلم ، ومنـاهجه واصبحت لا تسمح الا بشعارات الاستسلام والخضوع .»«

* * *

«.. ماهو العلاج ..؟!

بالنسبة للحرية الاجتماعية كانت الاشتراكية

بالنسبة لحق العلم كانت مجانيته وتخليصه من ان يكون علما طبقيا محتكرا ، والمطالبة المستمرة باعادة صياغة مناهجه بحيث لا تكون غايته تخريج موظفين يعملون فى مكاتب الحكومة .

بالنسبة للقانون .. كان عبد الناصر هو الصوت الذى طالب **مرات ومرات بتقنين الثورة** . ووضع كل الاجراءات الثورية فى قوانين جديدة تستمد حيويتها من واقع المجتمع ومن التعبير عنه وهو الذى طالب بسيادة القانون . وجعل ذلك عاصما من جموح الفرد ، وضمانا لتحقيق العدالة الكاملة .

وعبد الناصر هو الذى راى فى العدل المتمثل فى القضاء حقـا

مقدسا لكل مواطن ولا يمكن أن يكون سلعة غالية عيدة المنال عن المواطن ..

وبالنسبة للصحافة رأى عبد الناصر ان الضمان المحقق لحريتها هو أن تكون الصحافة للشعب لتكون حريتها بدورها مستمدة من حريته وامتدادا لها ..

وحتى يمكن أن تتخلص الصحافة من تأثير الطبقة الواحدة نقل ملكيتها الى الاتحاد الاشتراكى العربى ..

وفكر عبد الناصر لم يقف بالصحافة عند اصدار القوانين .. فقد طالب لها بحرية الحركة .. وأن تنقد ، وتكون أكثر تعبيرا عن الطبقات الجديدة فى المجتمع . « فهذا المجتمع بالطبع مش مجتمع القاهرة ولا النادى الاهلى ولا نادى الزمالك ولا نادى الجزيرة ولا السهرات بتاع الليل ، ابدا مش هو ده احنا عاوزينه مش هى دى بلدنا بأى حال من الاحوال . (١)

« بلدنا هى كفر البطيخ ـ القرية اى قرية وأنا أقول كفر البطيخ كمثال لو تطلع على دمياط تلاقى بلد اسمها كفر البطيخ هى دى بلدنا هى دى نموذج بلدنا وهناك مشاكل بلدنا الحقيقية . »

« بلدنا هى كفر البطيخ ، اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش الارز طول النهار لكى يعيشوا دى بلدنا ..

« بلدنا ماهياش أبدا ان فلانة اطلقت أو فلانه اتجوزت أو فلانة بتجرى ورا فلان .. وسابت فلان ، ابدا أنا اتكلمت فى ٢٣ يوليو الماضى عن هذا الموضوع بالذات ويمكن كنت اريد ألفت نظر الجرائد ولكن مع الأسف محدش فهم .. »

« ما هياش دى بلدنا أنا مالى ان فلانه تجرى مع فلان أو علان

(١) لقائه بالصحفيين بعد تنظيم الصحافة ..

هذا الموضوع ما يهمنيش أنا بأى حال ولا يهم الرجال الموجودين فى القرية . »

وكنت أفضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات ان يكتب عن العاملات مثلا ، فيه عاملات طلعوا ياكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف . »

حرية الصحافة عند عبد الناصر هى ابرز مظاهر حرية الكلمة، وهو الذى طالب بتوفير الضمانات لكى تؤدى الصحافة دورها كاملا « فحرية النقد البناء والنقد الذاتى الشجاع ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطنى ولكن ضرورتها أوجب فى فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثورى » « واى محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم » .

وعندما يجتمع عبد الناصر بقيادات الانتاج ويضع امامهم نقاطا محددة للبحث يثير قضية النقد ، ويطلب اليهم أن يستمعوا الى كل رأى .. فالقطاع العام مملوك للشعب ومن واجب الجماهير عموما أن تناقش قضاياه بصوت مسموع فيقول :

« ولا بد أن نتذكر دائما ونحن نسمع النقد يوجه الى القطاع العام لبعض ما قد يلاحظ من جوانب القصور أو حالات الانحراف فى القطاع العام ــ ان السبب الرئيسى لذلك النقد ، سبب صحى فى معناه الأصيل ، اذ هو احساس بالملكية الشعبية للقطاع العام ، أن الجماهير لا توجه نقدا الى القطاع الخاص لأن ما يجرى فيه لا يعنيها مباشرة وليس موضع اهتمامها وحرصها »

ويثير أحد أعضاء المؤتمر موضوعا حساسا بالنسبة للصحافة لا يتعلق فقط بالنقد ولكنه أيضا يتعلق بحصول الصحف على بعض المعلومات التى يرى ضررا ــ على الأمن القومى ــ من نشرها .. فينصف عبد الناصر الصحافة ولكنه يطلب اليها أن تدرس واقعها

وأن تكون علمية وبناءة فيما توجهه للقطاع العام من نقد ، لم يفرض فى نهاية كلمته رقابة على الصحف ، ولكنه طالبها بالنشر ، وفى نفس الوقت قال ان ما ستنشره الصحف سيحقق فيه فورا لاثبات صحته فان لم يثبت صحته فان الصحفى يعاقب ، لأنه مسئول ويجب أن يكون أمينا ، وكان عبد الناصر يستطيع أن يفرض رقابة على الصحف تمنعها من النقد حتى غير الموضوعى على القطاع العام، ولكنه لم يشأ أن يتخذ من الرقابة على الصحافة الأسلوب الذى يفرض به نوعا من الحماية لاخطاء القطاع العام الاشتراكى ، فقد وجد أن فى نقده دائما ظاهرة صحية ، ولكنه كان يطالب دائما بالنقد العلمى والموضوعى ، وهذا شىء طبيعى فقد قال عبد الناصر :

بالنسبة للنشر فى الجرايد الحقيقة الجرايد وانا بدى اتكلم فى هذا الموضوع ـ احنا معندناش رقابة على الجرائد والمجلات ، وهذه الجرائد والمجلات لا تفرض على أحد من الدولة علشان يقول ايه اللى بيتنشر فيها وايه اللى ما بيتنشرش وعلى الأساس ده بيكون الموضوع هو موضوع توجيه ، والأمر يعود فى هـذا الى رؤساء مجالس ادارات المؤسسات الصحفية وهى ولو انها تابعة للاتحاد الاشتراكى ولكن لكل صحيفة ولكل مجلة مطلق الحرية فى العمل وفق الميثاق وفق الخط العام اللى احنا ماشيين عليه وبالنسبة

للاحصائيات أنا بأعتقـد انه من الصعب انهم يطلعوا مثل هـذه العمليـات ـ العمليات دى بتطلع فى كل الدنيـا بنيجى فى نفس الجرايد .. فى الفاينتشال تيمز بتلاقى فيها كل هذه العمليات .. فازاى احنا بنيجى نقول ان النشر بيضر بينا الى آخر هذا الكلام .. هو الحقيقة الغلط مننا لاننـا بنستورد فى الوقت اللى غير مناسب ، يعنى بنفضل قاعدين لغاية ما يشح عندنا الصنف المعين، الناس كلها بتعرف ، اظن ولو ان أنا بحسب من أول السنة ان أنا عندى كذا طن من الصنف المعين هيقضينى كذا شهر ، وعلى هذا الأساس يبقى لازم استورد كذا طن وهيكفينى كذا شهر ، يبقى

لازم انا استورد كذا طن ، ومن أول السـنة باستورد متحصلتش المشكلة ، ولكن سوء التوقيت ، سواء فى الاستيراد أو التصدير هو اللى بيسبب هذا الموضوع ، مش الجرايد هى أبدا اللى بتسبب هذا الموضوع ـ وبعدين الاحصائيات اللى بتطلع فى الجرائد ما هى موجودة عند السفارات لأن أول ما بتطلع احصائية وزارة الزراعة او احصـائية اى حاجة عن أنتاج وحتى الكلام اللى بيتداول فى الوزارات ماهواش كلام سر ، وهـذا الكلام معروف لكل الناس ومنقدرش نقول للجرايد ما تنشرش هذا الموضوع .

● الحقيقة النقطة الثانية اللى انت اتكلمت فيها يمكن أرى انلك حق فيها ، أنا بقرأ الجرايد والمجلات وبالذات فى المجلات فيه حملة تشهير بالقطاع العام لا يرضى عنها انسان وأى واحد يقرأ هذه المجلات يجد انه هناك تشهير ومش بس بالكتابة لكن حتى بالصور الكاريكاتيرية .. وحملة التشهير دى يعنى قد تكون عملية للفكاهة ، لكن هل المطلوب بأن احنا نحط فى عقول النـاس صورة القطـاع العـام تصوره وكأنه هو الغير أمين على مسئوليته وغير أمين على أملاك الشعب ، وهل صورة المدير هو الراجل اللى قاعد على مكتبه وجنبه عشر تليفونات وليه كرش وشـنبين ويبرم شنباته وما بيعملش حاجة ـ هل دى الحقيقة .. هل دى هى الصورة اللى احنا عايزين نديها للقطاع العـام ؟.. هل هى دى صورة المديرين ؟..

« الحقيقة زى ما قلت فى الكلمة اللى قلتها لكم ان اللى بيتكلموا عن القطاع العام حاسين ان الشعب مسئول فعلا عن هذا القطاع العام وله الحق انه ينتقده ، وبالنسبة للقطاع الخاص فمالوش حق انه ينتقده او لا يهتم ان ينتقده ، ولـكن أنا بدى أقول حاجة للكل يعنى حصـل كلام على انحرافات فى القطاع العام ، باقول انه على رغم هذا الكلام كله وعلى فرض أن العمليات دى حصلت فانه قبل ما تتأمم هذه الشركات وهى فى القطاع الخاص كانت الانحرافات

اللى فيها عشرات اضعاف الانحرافات اللى احنا بنلاقيها النهاردة على قلتها فى القطاع العام وان القطاع العام بعد ما اخذ مسئوليته بالنسبة لهذه الشركات وهذه المؤسسات المؤممة استطاع أن ينجح اضعاف النجاح اللى كان موجود فى القطاع الخاص فأنا بأطلب من اخواننا الصحفيين انهم يبصوا للقطاع العام على أنه قطاع وليد لسه ما بقى له خمس سنوات من العمر وعايز التوجيه ، ومش عايز التسفيه ، وعملية التشهير ، والا معنى هذا ان القطاع العام بقى شيء غير مرغوب فيه وشيء مكروه ..

● **النقطة الثالثة** ممكن يحصل نقد ويكون هذا النقد الحقيقة نقد بناء ..

● **والنقطة الرابعة** : اللى هى الكلام على الانحرافات قبل ثبوت التهمه هو الحقيقة ما قدرش ابدا اقول ان الصحافة متكتبش .. لازم الصحافة تكتب ، ولكن بأقول ان الصحيفة اللى تكتب حاجة ما تثبتش نؤاخذ المسئول عن الصحيفة والمسئول عن المجلة

بنتبع الطريقة دى من هنا ورايح اى جريدة أو مجلة تكتب عن انحرافات .. ح نجيب الجريدة أو المجلة وهاكتب عليها السيد رئيس اللجنة العليا لرقابة الدولة ويا اما الصحيفة صح ويبقى المسئول يؤاخذ .. يا المسئول صح والصحيفة غلط .. ويبقى المسئول فى الصحيفة نؤاخذه — وما أقدرش اقول ما نكتبش .. وما نتكلمش .. عايزين نكون صدرنا واسع ولكن تحدد هذه العملية بهذا الشكل ..

هو أنا الحقيقة اللى بيهمنى فى الكلام أكثر عن الانحرافات الصورة اللى بيحاولوا يبينوا بيها المديرين والقطاع العام وشكل المدير كراجل استغلالى ..

هل كل المديرين اللى عندنا استغلاليين !..

مش متصور العملية بهذا الشكل أو الراجل اللى راكب عربيته طولها كذا متر ، طب واذا كان منصب رئيس مجلس الادارة هو اقصى ما يصل اليه الانسان فى العمل المهنى ، طيب ما هو لازم يبقى عنده عربية ، واذا كان هيخدم طول حياته كلها حتى يصل لمنصب رئيس مجلس الادارة ، وما بيقاش عنده عربية طيب امتى هيبقى عنده عربية .. طيب وبعدين رئيس مجلس ادارة الجريدة اللى بتكتب الكلام ده عنده عربية ولا معندوش .. طبعا عنـده عربية اللى بيوصل لرئيس مجلس ادارة مؤسسة صحفية وصل الى اقصى ما يمكن أن يصل اليه صحفى فى جهاده وفى العمل فيقوم لازم يكون عنده عربية ولازم يكون عنده مكتب ولازم يأخذ أقصى حد بالنسبة للمرتبات .. وبأقول برضه احنا بنقلل المرتبات بتاعة الشركات بنزلها عن ٥٠٠٠ جنيه فى السنة ولسه ما نزلناش مرتبات رؤساء مجالس ادارات الصحف عن خمس آلاف ، فالعملية كلها لازم نحطها ولازم نشوف ايه الصالح العام ..

عملية التشهير بالقطاع العام اصلا عملية غير مقبولة عمليـة النقد البناء عملية مقبولة وانا بأقول اى واحد من الصحفيين بيقدر يكتب عن الانحرافات لكن لازم يكون فيه مؤاخذة ..

زمان لو واحد فى القطاع الخاص كتبوا عنه اشياء غير حقيقية بيرفع قضية فى المحكمة وبيطالب المجلة بتعويض ، احنا مش عايزين الحقيقة نقول النهاردة ان الشركات تروح ترفع قضايا كل يوم وكل يوم سايبين شغلهم وماسكين الصحفيين فى المحاكم ولكن أى كلام بهذا الشكل يبحث فى لجنة الرقابة العليا للدولة ، اعتقد ان ده كل الكلام ، والا فيه حاجة تانية ؟

وكانت قضية حرية الصحافة قد أثيرت قبل ذلك فى مؤتمر

المبعوثين بالاسكندرية واجاب عليها عبد الناصر بحسم . بانه ليست هناك رقابة على الكلمة المكتوبة .

« بالنسبة لموضوع الحرية ، صدقونى ومتصدقوش الكلام اللى بتسمعوه بره .. احنا معندناش رقابة على الصحف .. ورئيس تحرير الصحيفة هو المسئول .. الصحف بره معروف فيها ايه .. بعض البلاد النامية .. انجلترا لها جرايد .. أمريكا لها جرايد .. والراسمالية المحلية لها جرايد .. هل هذه هى الصحافة الحرة .. اما ان تعبر هذه الصحف عن رأى الدول الاستعمارية الامبريالية .. أو تعبر عن المصالح الراسمالية فى البلد النامية .. واحنا لم نؤمم الصحف ولكننا ملكناها للاتحاد الاشتراكى و ٥٠٪ من الارباح للعمال و ٥٠٪ منشئات جديدة وجريدة الاهرام عملت مبنى كبير ١٦ أو ١٧ دور من دخل الصحيفة ونحن لا نعين الصحف .. ولا نعين اى صحف .. والعمال بياخدوا الارباح .. والمرتبات اتصلحت .

« هل معنى حرية الصحافة ان تشتمنا .. فيه بره ناس كثير بتشتمنا وكان فيه وقت كان ١١ محطة سرية بتشتمنا .. راديو لندن ؛ وراديو فيصل ، وراديو بن جوريون بيشتمنا .. الشتيمة متوفرة والحمد لله واللى عايز يسمع .. »

« لكن الجرايد بتنقد .. والجرايد بتنقد القطاع العام .. ووصلت فى نقدها الى أكثر من اللازم .. مثلا روزاليوسف لها نقد مر جدا للقطاع العام . اى حاجة بتتنشر عن القطاع العام بيحصل فيها تحقيق ونتحرى لمعرفة هل هذا صحيح أم لا ..

« الصحافة حرة فى حدود الميثاق .. لكن لا يمكن اقبل صحيفة تقول عايزين مجتمع راسمالى .. هذا عمل مضاد للثورة .. وهذه صحيفة الثورة المضادة ، سمعت انكم زعلتم من آخر ساعة لانها جابت سيرتكم على خفيف .. »

* * *

ويضيف الفكر الناصرى ابعادا جديدا لضمان تحقيق

الديمقراطية لقوى الشعب العاملة في عدد من المجالات منها :

● **ديمقراطية الادارة** ، ولا تتمثل فقط في اشراك العاملين في ادارة المرافق ، ولكن الى جانبها لا بد من مناقشة الخطط على مستوى المشروعات .

فان وعى كل مواطن بمسئوليته المحددة في الخطة الشاملة ، وادراكه المحدد لحقوقه ، ومكاسبه من نجاحها ، فضلا عن أنه توزيعا للمسئولية على نطاق الأمة بما يقرر احتمالات الوصول للاهداف ، فهو أيضا عملية انتقال ثورية بمعنى العمل الوطني من العموميات الشائعة المبهمة والغامضة الى وضوح ذهني وعملي يربط الانسان الفرد في نضاله اليومي بحركة المجتمع كلها ويشده في اتجاه التاريخ كما انه يوجه به حركة التاريخ في نفس اللحظة .

● **الوضوح الفكري** : وهو أكبر ما يساعد التجربة على النجاح كما أن التجربة في الوقت نفسه تزيد في وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة .

● **تشجيع الكلمة المكتوبة** لتكون الصلة بين الجميع .

● **توافر الحرية في مراكز الانتاج جميعها** « لكي يتمكن جميع العاملين فيها من أن يعطوا جهدهم الفني والوطني من أجل اكمال العمل » .

● **رجوع القيادات الشعبية الى قواعدها** وتأكيد مسئوليتها أمام المنابع الأصلية لقوتها « ولا بد لنا أن نذكر دائما ان القواعد الشعبية مقدمة بالثورة الطبيعية وان ثورية القواعد والحاحها الدائم من أجل التقدم سوف تكون قوة دافعة لثورية القيادة » .

● **مواجهة المراهقة الفكرية** فهي خطر ينبغي التصدي له

والقضاء عليه .. وخطره فى مرحلة التحول يخلق نوعا من الارهاب المعنوى يعرقل التجربة والخطأ .

● **من حق الجماهير ان تعرف كل الحقـائق** « وانما الأمانة الثورية ان تكون لدى الجماهير صورة كاملة لمسئولياتهـا بلوغا لآمالها » .

● **عدم تكديس سلطات كبيرة فى أيد قليلة** فان ذلك « يؤدى بدون جدال الى انتقال السلطة الحقيقية الى غير المسئولين عنهـا بالفعل أمام الشعب » .

● **القيادات الجديدة** عليها ان تتصرف على أنها « لا تمثل طبقة جديدة حلت مكان الطبقة القديمة ، وانتقلت اليها امتيازاتها » .

● **العلم لا بد ان يصل الى الجماهير العريضة** « فالعلم وحـده هو الذى يجعل التجربة والخطأ فى العمل الوطنى تقـدما مأمون العواقب » والسلطات الشعبية بدون العلم « قد تستطيع ان تثير حماسة الجماهير ، ولكنها بالعلم وحده تقـدر على العمل تحقيقا لمطالب الجماهير » .

● **ازالة التصادم الطبقى الذى** « يهدد الحرية الفردية للانسان المواطن ، بل ويهدد الحرية الكاملة للوطن كله بأن يفتح من الثغرات فى صفوف الشعب ما يتيح الفرصة للاخطار الخارجية المتربصة بالوطن » وازالة التصادم الطبقى لا تحقق الا بازالة الطبقة .. التى فرضت الاستغلال فبذلك ينفتح الباب للتبادل الديمقراطى الذى يقترب بالمجتمع كله من عصر الحرية الحقيقية .

● **الديمقراطية السليمة** تزيل التناقض بين الشعب والحكومة حين تحولها الى اداة شعبية « والصحافة الحرة يجب أن تكون امينا على الارادة الشعبية ، شانها شأن المجالس النيابية .

● **سيادة القانون** تتطلب أولا تطويرا واعيا لمواده ونصوصه بحيث تعبر عن القيم الجديدة فالقانون « هو فى حد ذاته صورة من صور الحرية ولا بد أن يسايرها فى اندفاعها الى التقدم ، ولا يجب أن تكون مواده قيودا تصد القيم الجديدة فى حياتنا . (١)

● **المساواة** بين الرجل والمرأة وكان عبد الناصر هو الذى اعطى نصف الشعب الذى ظل مشلولا ، وممنوعا من ممارسة حقوقه السياسية هذه الحقوق ، عندما نص فى دستور ٥٦ على مساواة المرأة بالرجل منحها الحقوق السياسية ثم آكد مع هذا الحق فى الميثاق الناصرى وبرنامج ٣٠ مارس عندما وضع ذلك ضمن المكتسبات الاشتراكية ، التى يجب أن ينص عليها الدستور الدائم .

* * *

الخطوات التى رأى عبد الناصر فيها ضمانا لتحقيق الديمقراطية السليمة بعد ان حقق الحرية الاجتماعية .

●● أولا : « لا تتحقق الديمقراطية السليمة فى ظل سيطرة طبقية لذلك آقام تنظيما على اساس من التحالف على « أنه لا يمكن تجاهل أو انكار الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات ، وانماينبغى أن يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية ، وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

وكانت صيغة الاتحاد الاشتراكى العربى هى التى اتخذها الفكر الناصرى وسيلة ، لتحقيق ذلك (١) .

---

(١) الميثاق .

(١) انظر فصل التنظيم السياسى فى هذا الكتاب .

●● **ثانيا** : ممارسة النقد والنقد الذاتى . وقد مارسه عبد الناصر نفسه مرات عديدة ، كما وقف بعد هزيمة يونيو العسكرية ليتحدث عن أضخم عملية لنقد النفس تمت فى البلاد .. باسرها ..

●● **ثالثا** : تأكيد سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق الأجهزة التنفيذيه ويتحدث عنها القائد فى عيد السد باسوان ١٩٦٣ فيقول :

« والى جانب الاتحاد الاشتراكى العربى توجد المجالس الشعبية ، والاتحاد الاشتراكى العربى له واجبات حددها القانون الذى ينظم التنظيم السياسى وينظم قوى الشعب العاملة حتى لا تتسلل الرجعية »

« أما المجالس الشعبية فهى منتخبة من بين أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى العاملين ، مجالس شعبية منتخبة فى القرية ، والمدينة والمحافظة ، وفى الجمهورية مجلس الامة ، واختصاص المجلس الشعبى فى القرية هو **مراقبة** وتوجيه مجلس القرية ، والعمدة ، اى **السلطة التنفيذية** ، وبذلك نستطيع أن نحل مشاكل القرية »

« ان فى القرية مشاكل ، ونحن نعتبر أن أهل القرية أقدر الناس على حل مشاكلهم اذا ما تعاونوا مع السلطة التنفيذية ، واذا وصل صوتهم الى السلطة التشريعية . وفى الماضى ، لم تكن السلطة التشريعية فى الديمقراطية الزائفة تدافع الا عن مصالح كبار ملاك الأرض والراسمالية المستغلة »

« أما اليوم .. فالمجلس الشعبى المنتخب فى القرية ، تنتخبه كل القرية ، لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى فى القرية تنتخبها كل القرية ، ولجنة الاتحاد الاشتراكى العربى فى المصنع ينتخبها كل المصنع ، وفى المحافظة ، والمدينة مجلس مدينة ومعه مجلس شعبى منتخب . »

« المجلس الشعبى المنتخب غير تنظيم الاتحاد الاشتراكى ، ولكن هذا المجلس الشعبى عضويته مقصورة على أعضــاء الاتحاد الاشتراكى العربى ، لكى يناقش ويراقب ويوجه رئيس المدينة ، وبهذا تستطيع المدينة أن تعرف مشاكلهــا وتحلها وفقا لمصلحة الشعب . »

« كذلك فى المحافظة يوجد مجلس اتحاد اشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب العــاملة ، ومجلس شــــعبى منتخب فى المحافظة ، العضوية فيه مقصورة على أعضاء الاتحاد الاشــتراكى العربى ، والانتخاب لعضويته انتخاب مباشر فى المحافظة . هــــذا المجلس الشعبى يراقب مجلس المحافظة ، ويستطيع أن ينتقــد ويوجه ويراقب .. وبذلك تحل مشــاكل المحافظة ، واذا لم تحل ترفع الى السلطات العليا لحلها . »

« أما مجلس الأمة فهو يمثل الجمهورية كلها ، وله أن يثير المشــاكل التى لم يمكن حلها فى القرية ، أو المدينة ، أو المحافظة لحلها وفقا لمصلحة الشعب كله ..! »

●● **رابعا :** جماعية القيادة فهى أمر حتمى لا بد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى ، ان جماعية القيادة ليست عاصما من جموــح الفرد فحسب وانما هى تأكيد للديمقراطيــة على أعلى المستويات كما أنها فى الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد

شرح عبد الناصر فى الجلسة الثالثة للمؤتمر الوطنى ما يعنيه بالقيادة الجماعية فقال :

« القصد من القيادة الجماعية ان نعيد تنظيم الحكم فى الدولة بحيث اننا نشتغل على أساس مجالس مش على اساس افراد ونعمل لنقضى على الروح الفردية لان الروح الجماعية هى اللى حتكون دايما عاصم من الغلط والانحراف » ■

ولقد كان صوت عبد الناصر هو الذى ارتفع دائما من بالتحذير من الاعتماد على الفرد .

فهو الذى نادى بأعلى صوته فى مجلس الأمة (١) .

« ان الارادة الشعبية هى التى تملك أن تصنع قياداتها وان تحدد لها مكانها .. انى لأرفع صوتى هنا أمامكم محذرا من الاعتماد على الفرد .. ان الشعب أبقى واخلد من كل قائد .. مهما بلغ اسهامه فى نضال أمته »

« أقول أمامكم هذا وأنا أدرك وأقدر أن هذا الشعب العظيم أعطانى من تأييده ، وتقديره ما لم أكن أتصوره يوما أو أحلم به .. لقد قدمت له عمرى ، ولكنه أعطانى ما هو أكثر من عمر أى انسان .. لقد أسلم الى أمانة لم أكن أتصور أن يتحملها فرد .. وأقول لكم الآن — وربما لاول مرة — اننى لم أكن أنام الليل أيام العدوان

وأؤكد لكم أن العدوان لم يكن مصدر أرقى .. ولكن الأرق كان من احساسى بالأمانة التى وضعتها فى يدى ثقة الشعب العظيم بى ، ولئن كانت مرحلة التحول العظيم قد حتمت تركيز مثل ما كان فى يدى من السلطات لمواجهة القرارات الحاسمة ، فانى أقول لكم أننى اليوم أشعر بسعادة غامرة ، وأنا أرى هذا المجلس الموقر يحمل نصيبه التاريخى من المسئولية ، ويواجه التبعات المتزايدة والمتسعة لمرحلة الانطلاق العظيم » .

« والمسألة الثانية اننى حرصت على أن يكون هناك نص صريح يواجه احتمالات أى طارىء يقع على رئيس الجمهورية ، ولقد كان غياب مثل هذا النص الصريح يشغل بالى طوال التجربة الماضية .. ان حياة أى انسان وديعة لخالقه ، يستردها حين تشاء ارادته ، ومن ناحية أخرى فلقد كنت أدرك أننى أتعرض لمفاجآت لا حصر

---

(١) ٢٥ مارس ١٩٦٤ .

لها طوال مرحلة التحول العظيم ، ولم تكن بى خشية على نفسى ؟ فاننى اقدر مسئولية ما فعلت منذ اليوم الذى بدأ فيه العمل لتنظيم الثورة .. لكن الخشية كانت على وطنى .. ان آمال هذا الوطن والنتائج العظيمة التى حققها بعمله لا بد أن تصـــان فوق كل المفاجآت . »

« لقد كان لا بد من نظام يرسم الطريق الذى يتبع لكى تبقى الامور ذاتها فى يد الشعب ، يقرر فيها رأيه ويعمل ارادته وانى لاشعر بالراحة والرضى ان هذه الفجوة الخطيرة التى كنت أشعر بها وراء ظهرى قد وجدت لها حلا . »

فرغم ثقة القائد باجماع الجماهير عليه ، فقـــد كان يصر على أن الطريق الديمقراطى هو الطريق السليم ارساء لتقاليد العمل السياسى ..

* * *

يوم طالب المؤتمر الوطني بانتخابه رئيسا للجمهـورية مدى الحياة رفض ، واعاد شرحه لفكرة جماعية القيادة ، وقال اننـا يجب ان نتخلص من العواطف ونحن نناقش مستقبل الوطن كله ، كان العضو قد قال ان عبد الناصر كافح وناضل ، ولكن عبد الناصر رد الكفاح والنضال للشعب فقد قال (١) :

« جماعية القيادة ، موضوع أثير أيضا ، أننا بامتبر احنا مررنا بمرحلة عشر سنين من الثورة ، ولازم ننتقل الى مرحلة أخرى ، ازاى نطبق هذا ؟ جماعية القيادة ضرورية ».

« جماعية القيادة تمنع نزوات الفرد أو انحرافه ، الحقيقة انه قد آن الأوان بعد عشر سنوات ان احنا نفكر ونشتغل بطريقة

---

(١) المؤتمر الوطنى الجلسة الثالثة .

ثانية . الطريقة الثانية تختلف كلية عن الطريقة اللى احنا فيها النهاردة .

« بنتكلم عن القيادة الجماعية ، بعدين اقول مفيش واحد ينفرد بالسلطة ، ويطلع الاخ ويقول مدى الحياة .

« بالعـــاطفة مش ممكن مقـــدرش نقول الشخص يشتغل مدى الحياة .. افرض انه عجز عن الشغل ترجع فى كلامك العاطفة دى مشكورين عليها .

« من النواحى العاطفية كلنا بنبقى حاســين بهــذه النواحى العاطفية ، ولكن عايزين نتكلم كلام واقعى وعلمى علشان بنبنى بلدنا ، احنا عايزين قيادة جماعية ، اللى حرر الشعب هو الشعب وكافح فى كل مجالاته ، الفلاح كافح علشـــان أولاده ، يقعـــد من الصبح الى الليل ، والعامل كافح ، والمثقف كافح ، والمهندس كافح والطبيب كافح .

« بدى اقول لكم لا يمكن لواحد وحده عمل شىء مطلقا .

« هات اكبر كبير فى هذه الدنيا او اعظم عظيم فى هــذه الدنيا نخليه لوحده ، ميقدرش يوصل لغاية العتبة ، ويتوه فى السكة ». أنا باكلمكم الكلام العلمى ، مفيش واحد يقدر يحرر شعب الا اذا كان هذا الشعب مستعد علشان يضحى ويحرر نفسه طبعا .».

« مفيش واحد يقدر يقف قصاد الانجليز أنا يوم ٣٠ اكتوبر جالى الانذار البريطانى ، ايه قدرتى انا علشان اقف قصاد انجلترا وفرنسا ، طيب اعمل ايه ولا حاجة ولكن كنت متأكد ان الشعب هو اللى حيقف .. علشان كده لم اتردد ورفضت الانذار الانجليزى

« لو جال بفكرى أو بخاطرى أن الشعب حيتردد كنت ترددت كنت متأكد مائة فى المائة واخواننا موجودين هنا وكانوا متأكدين ان الشعب يقف بعناد وصلابة ولكن لو كنت واقف انا لوحدى ، مفيش فايدة فى هذه العملية ، وهم كانوا متصورين العكس هم

متصورين انى اقف أنا لوحدي وعلى هذا الأساس كانوا بيتدخلوا هذا الشعب اللى خرجت منه واللى أنا عارفه ، حتى يمكن اللى مختلفين فى بعض النواحى ، حتى هؤلاء الناس كنت متأكد على أساس معرفتى لهذا الشعب حيكونوا أصلب عودا وده اللى حصل سنة ١٩٥٦ وده السر الكبير للانتصار .

« فى أول غارة نزلت من البيت علشـــان اطلع لمجلس الوزراء وكنت قلق يوم ٣١ اكتوبر ووصلت وكان فيه غارة جوية، والعربيات واقفه ، والانوار مطفاة ووصلت لميدان المحطة فوجدت فيه ناس واقفين وعرفوا العربية ، وقالوا حنحارب حنحارب وكان ده بعد الغارة بساعة أو ساعة ونصف . ده هو الانفعال الشعبى ، والشعب **هو اساس كل شيء فيه ناس بتسأل وتقول مين يضمن لنا ان الكلام ده حيتنفذ ، انا مضمنش ، انتم الشعب هو اللى ينفذ « بالعربى ده يرجعنا مرة اخرى للتنظيم . »**

« اذن القصد من القيادة الجماعية ، أن نعيد تنظيم الحكم فى الدولة ، بحيث اننا نشتغل على اساس مجالس مش على أساس افراد ، ونعمل لنقضى على الروح الفردية لان الروح الجماعية هى اللى حتكون دايما عاصم من الخطأ والانحراف .

* * *

يوم قال عضو فى الدورة الأولى للمؤتمر القـــومى للاتحـــاد الاشتراكى العربى ان مصر هي عبد النـــاصر رفض عبد النـــاصر وقال ان الشعب هو البـــاقى ، وان مصر كانت موجودة قبل عبد الناصر وسوف تظل موجودة بعده .

* * *

ويوم اختاره مجلس الامة بالاجماع مرشحا لرئاسة الجمهورية ذهب فى فبراير ١٩٦٥ للاجتماع بأعضـــاء مجلس الأمة فى لقـــاء تاريخى ــ للهيئة البرلمانية ــ وسألهم ... لماذا الاجماع ... لمـــاذا انتخبتمونى بالاجماع ... وكان لا بد أن التقى بكم قبل الاستفتاء

اوساء للتقاليد فى المستقبل ، وقال عبد الناصر بالنص فى الاجتماع الذى عقد خصيصا لهذا الأمر :

« كان فى فكرى ان نبدأ فى وضع تقليد الاجتماعات التى نشترك فيها جميعا من وقت طويل ، ولكن طبعا وزى ما قلتلكم فى الاول ، أنا قررت وأنتم على وشك الذهاب الى ناخبيكم فى دوائركم قبل الاستفتاء انه لا بد أن يحدث هذا الاجتماع .. »

« الحقيقة أنا اشعر ان ما لى عند النـاس يجعلهم يعطوننى اصواتهم .. بأقول ان ٩٥٪ من الناس ولكن أنا لما باقول الشعب اعطانى ما لم أكن أحلم بيه فأنا فى الحقيقة باشعر بهذا صادقا . الشعب عاش الثورة ، وطبعا ده هو مش بيدينى ده لشخصى ، لانى انا جمال عبد الناصر بن عبد الناصر حسين : اللى طلع من العيلة الفلانية اللى كذا واللى كذا .. ابدا انا الحقيقة بيدينى ده لاعمال قامت . ما اقدرش اقول انى قمت بيها . لسبب بسيط ، لان مفيش واحد فى الدنيا يقدر يعمل حاجة اللى بيعمل حاجة بيعمل حاجة بناس معاه ، بيعتمد على هذا وعلى ذاك .. بيعمل فالكلام اللى اتعمل مهواش جهدى ابدا ، ولكن الظروف جعلتنى موضع القيادة فى هذا العمل ، فيه ناس بيقولوا على ايه عملية الترشيح والاستفتاء ؟ طب ما هو جمال عبد النـاصر حا يدخل وينجح ، وسمعتهم طبعا يقولون هذا الكلام . وفيه ناس قالوا : طب وعلى ايه نصرف فلوس ونعمل الاستفتاء ؟ أنا برضه سمعت هذا الكلام وجالى ، وعلى ايه المجلس ؟ طبعا مهو جمال عبد الناصر حيننخبوه أنا واثق من البداية ان المجلس لن يمانع فى ترشيحى . لكن ليه تركت له عملية الترشيح .. واجراءات الاستفتاء ؟ والحقيقة اللى أنا قلته لكم يوم الترشيح فعلا اناكنت متردد فى عملية الترشيح واتكلمت فيها من أكثر من سنتين ، لا مهواش ده موضوع شخصى ، الكلام اللى انا قلته لكم يوم الترشيح فعلا انا كنت متردد فى عملية الترشيح واتكلمت فيها من اكثر من سنتين ، لا مهواش ده موضوع

شخصي ، هو الحقيقة احنا قدامنا مسئوليات كثيرة جدا ، فعلا زي ما قلنا ، قلنا كثير ، ان بناء المصانع سهل . وبناء البشر هو الصعب العسير .. فعلا بناء البشر هو الصعب العسير .. مكنتش باقول انى انا حاروح يعنى اقعد فى بيتنا .. لا . كنت باقول انى انا حاروح الاتحاد الاشتراكي ونقعد .. بهذا الكلام اللى انتم حاسين بيه مركز جهودنا كلنا لهذا . ومع هذا اقتنعت ان الحل المنطقى هو اكمال ما لا بد من اكماله . »

« كان ممكن ان احنا نستغنى عن الاجراءات . وانا طلبت من الأخ حسين الشافعى ان الاتحاد الاشتراكى ان الموضوع مش على هذا الاساس . الصحف بدأت تكتب ، انا لم امانع ان الصحف تكتب . ولكن كنت باقول مفيش داعى مطلقا لاى جهود منظمة ليه ؟ فيه ثلاث اسباب احنا النهاردة **يجب أن نضع التقاليد ترسم طريق ، ولو حتى من ناحية الاجراءات ، فى المستقبل ، مستقبلنا .. مفيش حد حيقعد على طول ..** مفيش حد على طول فى شغلته ، لازم اجيال جديدة حتيجى ، ولازم الدنيا حتتغير والناس حتتغير .. لازم نوضع اجراءات تكفل ان يكون اى مرشح يتقدم فى المستقبل للرياسة فعلا معروض على الشعب ، وتكون هناك فرصة ، حتى قبل ما يروح الشعب للاستفتاء ، يحس فيها مجلس الامة بارادة الشعب ، لان مجلس الأمة هو اللى بيرشح ، حاتيجى مراحل حيبقى فيه اتنين مترشحين ، وثلاثة مترشحين . **وانا كنت اتمنى الدور ده فيه حد يرشح نفسه** (.) »

« **وكما انا بدى برضه اقول والله حاجة . انا كنت اتمنى ميكنش ترشيحكم بالاجماع ليه ؟** بنوضع أسس للمستقبل .. حانقول بناخذ الأمور عاطفية لكن فيه علاقات عاطفية مربوطة بينى وبينكم بقى لها سنين طويلة وقديمة بدأت مع ٢٣ يوليو لغاية النهاردة ؟ معلهش ، لكن انا باتكلم عن المستقبل (...) »

ويوم طرح برنامج ٣٠ مارس للاستفتاء الشعبي نزل الى الجماهير فى المحافظات يعبئها للبرنامج ويشرح لها فكره ، وقال فى احد اجتماعات اللجنة المركزية انه يعتبر خطاباته قبل الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس جزء مكمل من البرنامج لان الناس وافقت عليه وفى ذهنها هذه الكلمات التى تشرحه .

●● خامسا : اطلاق فاعلية الحركة النقابية ، وهو ما طالب به برنامج ٣٠ مارس وقد رسم عبد الناصر دورا جديدا للعمل النقابى ، كما اقام لأول مرة تنظيما نقابيا لعمال الزراعة وحدد الميثاق الناصرى مهاما جديدة للنقابات العمالية عندما قال :

« أن ذلك الوضع الجديد لا ينهى دور التنظيمات العمالية ، وانما هو يزيد من أهمية دورها . انه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة فى عملية الانتاج الى الحد الذى يجعل منها قاعدة طليعية فى عملية التطوير .

« ان النقابات العمالية تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ، ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى ، ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى وتنظيم الاستفادة المجدية صحيا ونفسيا وفكريا من أوقات الفراغ والاجازات بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة . »

وكذلك تمكين التعاونيات من أن تقوم بدور طليعى فى التعبير عن الفلاحين .

●● **سادسا** : بالنسبة للحكم المحلى فيجب أن تنتقل سلطة الدولة باستمرار والحاح تدريجيا الى ايدى السلطة الشعبية فانها اقدر على الاحساس بمشاكل الشعب وأقدر على حسمها .

●● **سابعا** : ان المفاهيم الثورية الجديدة للديمقراطية السليمة لا بد أن تفرض نفسها على الحدود التى تؤثر فى تكوين المواطن وفى مقدمتها التعليم والقوانين واللوائح فتعاد كتابة مناهج التعليم ثوريا ليكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من القدرة على اعادة تشكيل الحياة ، وتعاد صياغة القوانين لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة .. وتتغير اللوائح الحكومية من الاعماق .

●● **ثامنا** : ان يشترك العمال فى ادارة مصانعهم تحقيقا لديمقراطية الانتاج ، بحيث يكون لهم رأى فى كل ما يتعلق لا بتقرير مصالحهم فحسب بل فى كل ما يتعلق بشئون الانتاج ، والمرفق الذى يعملون به .

وقد كان الفكر الناصرى يرى أن يكون نصف مقاعد مجالس الادارة من العاملين المنتخبين فى المرفق أو الوحدة الانتاجية . (٤ أعضاء يضاف اليهم ٤ أعضاء بالتعيين بخلاف رئيس مجلس الادارة) .

اضاف الفكر الناصرى الى تجربة الديمقراطية من عنده ما يجعل تجربتنا فى التطبيق الاشتراكى والديمقراطية فريدة وهذا ما يؤكده عبد الناصر فى اجتماعات مباحثات الوحدة عندما يشرح الفروق بين التطبيق عندنا وفى البلاد الأخرى ، ويتكلم عن حكمة وجود أعضاء منتخبين فى مجلس الادارة فيقول فى الجلسة الرابعة :

« واحنا عندنا هنا تجربة فكر ... والاخطر من الفكر تجربة تطبيق والكلام بالنسبة للدولة والقطاع العام لازم ناخده على أساس

الفكر السليم .. نسأل أنفسنا : الدولة ما هي .. ما هي الدولة ؟
الدولة يا اما هي حكم الرجعية أو حكم الطبقية .. حكم الاقطاع
وراس المال .. أو الدولة هي حكم الشعب العامل .. والدولة هنا
مع التنظيم السياسي بيمثلوا شيء واحد ، اذا كان التنظيم السياسي
هو تنظيم الشعب .. مش تنظيم الطبقة .. تبقى الدولة تصبح
ممثلة للشعب لا تمثل الطبقة اللي انا بقوله هنا في ثورة ٢٣ يوليو
سنة ١٩٥٢ الطليعة .. الطليعة الثائرة .. زي ما قلنا في الميثاق
ان الطلائع الثورية قامت واستولت على الحكم استيلاء من مين ؟
من الرجعية وراس المال اللي كانوا ماسكين الدولة وبيحكموا ..
وبهذا لأول مرة .. يستعيد الشعب أو يأخذ الشعب بزمام الحكم
مامشيناش بقى في طريق الرجعية ومامشيناش في طريق الراسمالية
.. صفينا الاقطاع .. وصفينا الراسمالية .. خلصنا جميع
الشركات الاجنبية اللي هنا .. كلها اتأممت .. كل البنوك اتأممت
مشينا في هذا كطلائع ثورية للشعب العامل .. الشعب العامل هو
اللي بيحكم النهارده .. لان احنا مابنحكمش لصالح طبقة ..
مابنحكمش لصالح البرجوازية .. ولكن بنحكم لصالح تحالف
العمال والفلاحين والمثقفين .. لصالح قوى الشعب العامل كلها
العملية بهذا الشكل بيبقى سيرها يختلف عن التفكير اللي احنا
بنقوله ، لان لما نيجي في فرنسا .. فرنسا تؤمم وهي دولة راسمالية
يبقى الراسمالية اللي بتحكم هي اللي مسكت المصانع وتوجيهها
لاتجاه رأسمالي . لكن هنا لما تحالف الشعب العامل ... هو اللي
بيحكم وبيهدف الى اذابة الفوارق بين الطبقات ... والقضاء على
تحالف الاقطاع وراس المال يبقى على طول الحكم هو حكم الشعب
العامل ... ازاي بقى بعد كده ... نفذنا الديمقراطية ومشينا في
هذا بالنسبة للقطاع العام عملنا نسبة من مجالس الادارة للعمال ...
اللي هي ابتدينا باتنين من سبعة وخططنا دلوقتي حانبتدي نزود
... حانعمل النص عمال والنص من الادارة يبيقى تقريبا واحد
نص اللي معين ... وبعدين طبعا حنقابل بعد كده ... المشكلة الادارية

اللى قابلتها جميع الدول الاشتراكية .. مشكلة البيروقراطية .. لازم بنقابلها — لان دى — متلازمة باستمرار مع الاشتراكية . واجبنا احنا .. ينبثق عننا .. اللى هو الاشتراك فى مجلس الادارة .. ثم الاشتراك فى الارباح لان العامل يحصل على ٢٥٪ من الارباح .. ممثل العامل فى مجلس الادارة بيعترض على شراء عربية لمجلس الادارة .. لان شراء عربية لمجلس الادارة بدون داعى معناها انها على حساب ارباح العمال .. بيعترض على صرف اموال بدون داعى لانه ايضا بيكون ده على حساب العمال .. ده حصل مثلا فى الشركات ..

« وبذلك يستطيع الاتحاد الاشتراكى الممثل لتحالف قوى الشعب ان يحافظ على اموال الشعب .. بالنسبة لكل هذه العمليات نعتبرها عملية ديمقراطية كاملة .. وخطوات ديمقراطية كاملة .. النتيجة بهذا الانتاج زاد .. والنتيجة بهذا ان العامل حس انه بيشتغل لنفسه وان المصنع ملكه .. ملك الشعب يعنى فيه تجربة هنا تحتاج الى دراسة » .

حدد عبد الناصر دور العمال المنتخبين فى مجلس الادارة بانهم يشتركون فى الادارة ممثلين لزملائهم تحقيقا لديمقراطية الانتاج ، وكوسيلة للرقابة الداخلية على المشروعات بحيث توجه لمصلحة الجماهير .

* * *

ان اهم الاضافات التى احدثها عبد الناصر ، هو ضمان تمثيل الاغلبية الساحقة من الشعب بـ ٥٠٪ من المقاعد فى مختلف التنظيمات الشعبية المنتخبة ..

فيحدد الميثاق بأن التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الحر المباشر لا بد لها ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية ، وهى القوى التى طال استغلالها والتى هى صاحبة

مصلحة عميقة فى الثورة ، كما انها بالطبيعة الوعاء الذى يختزن طاقات ثورية دافعة وعميقة بفعل معاناتها للحرمان » .

« ان ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيا للاغلبية، ضمان أكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصـــادرها الطبيعية الاصلية . »

ولكن لماذا ٥٠٪ من المقاعد للعمال والفلاحين بالذات ..؟؟

« لاننا نريد ان يصل صوت الفلاح صاحب الحق الطبيعى فى الثورة والاشتراكية لكى تحل جميع مشاكله ، وذلك لاننا لا نستطيع القول بأننا نعرف كل مشاكل الجماهير فى كل قرية وفى كل مدينة ؛ بيد أنه من المحتم علينا العمل لحل هذه المشاكل حلا جذريا ، وعن طريق الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتنظيم تحـالف قوى الشعب العاملة ، وبتكوين المجالس الشعبية فى القرية والمدينة والمحافظة ، ومجلس الامة نستطيع أن نسمع صوت القرية ، للمدينة والمحافظة، كما نسمع صوت الشعب فى مجلس الامة .

« ونسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى مجلس الامة ضمان للديمقراطية السليمة ، العمال والفـلاحون الذين سلبت حقوقهم السياسية سنوات طويلة ، والذين كانوا دائما ضـحايا تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل ، اليوم لهم ٥٠٪ من جميع التنظيمات الشعبية ولهم أيضا ٥٠٪ من مقاعد مجلس الامة لانهم أصحاب المصلحة الحقيقية والاصيلة فى الثورة ، بالخمسين فى المـائة المحددة يكون فى استطاعتهم حماية المكاسب التى حققناها وبذلك نحمى الثورة ، ونبنى بلادنا بناء سليما على أسس ثابتة ودعائم قوية من الحرية والعدل والاشتراكية . »

ويضيف عبد الناصر فى جلسة المؤتمر الوطنى الثـالثة وهو يشرح الحكمة فى وضع هـذا النص فى الميثاق الذى أكد عليه فى برنامج ٣٠ مارس فيقول :

« أنا لمـا وضعت الفقرة الخاصة بالعمال والفلاحين وان يكون

لهم ٥٠٪ من جميع التنظيمات الشعبية بما فيها المجلس النيابي كنت حاطط كلمة (على الأقل) وبعدين شلتها ؟ فيه واحد بيقول من ضمن الاسئلة هل معنى هذا ان الانتخاب الحر المباشر سليم ده يمكن يخلى الانتخاب المباشر غير سليم .

« ايه الحكمة ؟ ليه ٥٠٪ ؟ حنا نرجع مرة ثانية نقول فى حكم الطبقة مين اللى كانوا تعبانين ومستغلين ؟ مين اللى كان بيشتغل وياخد نتيجة عرقة الثانى ؟.. العامل والفلاح ، الأرض هى بتساوى حاجة من غير الفلاح .. اللى كان عنده ألف فدان اذا ما زرعوهاش الفلاحين يقدر هو يجيب نتيجة .. هو اللى جاب له المحاصيل اللى كانوا ياخدوها بالعشرة آلاف والعشرين ألف .. العمال هم اللى بيشتغلوا فى المصنع وصاحب العمل هو اللى يحقق فى آخر السنة نصف أو ربع مليون جنيه ربح واذا العمال ما شتغلوش مش حيقدر يدور المصنع العمال هم اللى تسببوا فى هذه الأرباح ».

● فى اول مايو ١٩٦٨ وليلة الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس وضع عبد الناصر تعريفاً جديداً للعامل والفلاح غير التعريف الذى وضعته لجنة المائة التى انبثقت عن المؤتمر الوطنى والتى وضعت تقرير الميثاق قبل الاستفتاء ».

وذلك حتى يستفتى على البرنامج وعلى التعريف الجديد باعتبار ان خطابات عبد الناصر هى جزء مكمل للبرنامج على النحو الذى شرحه فى اللجنة المركزية بعد ذلك ».

ولقد كان التعريف القديم من الاتساع بحيث سمح بتسلل عناصر كثيرة استطاعت ان تحتل ــ عن طريقه ــ مقاعد العمال والفلاحين فى المجالس المنتخبة وعلى راسها مجلس الأمة ».

لذلك حرص عبد الناصر قبل الاستفتاء على برنامج ٣٠ مارس ان يضع تعريفاً جديداً أكثر تحديداً ، وحتى يمكن أن تجرى الانتخابات ــ فى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة ــ التالية للاستفتاء على الأساس الجديد ...

التعريف الذى وضعه عبد الناصر يقول :

●● **الفلاح** : هو الذى لا يحوز أكثر من عشرة أفدنة ، على أن تكون الزراعة مصدر رزقه ، وعمله الوحيد ، وأن يكون مقيما فى الريف ...

●● **العامل** : هو الذى يعمل يدويا أو ذهنيا ويعيش من دخله الناتج عن هذا العمل ، ولا يحق له الانضمام الى نقابة مهنية سواء كان من عمال الصناعة أو الزراعة أو الخدمات .

* * *

عبد الناصر كان يؤمن حقيقة بالديمقراطية .. وفى كثير من المواقف التى اتخذها أدلة بارزة على ذلك ..

ولعل من أوضح هـذه المواقف موقفه عنـد انتخاب اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى .

فقد أجلت اللجنة المركزية اجتماعها اسبوعا واعطت عبد الناصر القائد تفويضا بترسيح أعضاء اللجنة ..

وبعد الاسبوع عادت اللجنة الى الاجتماع ، وأعلن عبد الناصر عن رفضه للتفويض الذى منح له ، وقال انه ظل اسبوعا يفكر ، ولكن الأمانة ومسئولية التاريخ كانت أمامه اكبر من أن يضع اى قيد على حرية اختيار أعضاء أعلى قيادة سياسية فى البلاد .. وعلى امتداد ثلاث جلسات استغرقت أكثر من ١٥ سـاعة كان الحاح الأعضاء عليه ، وكان رفضه القاطع ، وهـذه المناقشة من أمتع المناقشات وأكثرها تعبيرا عن اصالة عبد الناصر وقد يكون من المفيد أن ننقل بعض الاجزاء منها ..

قال القائد للرد على كل الذين يطالبونه بترشيح اسماء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى :

« سبب أساسى من الأسباب اللى خلتنى قلت الكلام اللى قلته فى أول الجلسة .. هو الموضوع الحقيقة مش موضوع عـدم قدرة ، كلمة عدم القدرة بتدى انطباع ، يعنى ما حدش يجب يتقال عليه انه غير قادر انه يعمل العملية ، لكن العملية كبيرة جدا الحقيقة

العملية ما بيقالهاش صدى فى البلد على أساس ان اللجنة التنفيذية العليا هى أعلى تنظيم سياسى المفروض بعد كده اللجنـة المركـزية بتقعد ثلاث أيام ويعلنين كل واحد يروح الى قواعده ويجى بعد ست أشهر فاذن اللجنة التنفيذية العليا هى عملية اساسية ، ده الحقيقة اللى خلانى جيت النهارده وقلت الكلام اللى انا اتكلمته فى أول الجلسة كنت أقدر يعنى أجيب أسامى بس ، ماقدرتش أوصل الى الاربعتاشر اسم ، مش نتيجة عدم قدرة الحقيقة انا لما جه الاخ فريد عبد الكريم وقعد اتكلم معايا ، اتكلم وجرجرته فى الكلام .. فاتكلم ، ومع الامناء الآخرين الحقيقة الكلام ده مفيـد جـدا ، كلام مفيد الكلام اللى بيقوله .. النهاردة أيضا عايزين عناصر جديدة علشان تقدر تطلع وتفضل تجرى من قرية لقرية يعنى الواحد كان سـنة ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ كان بيطلع بيخطب ١٨ خطبـة ، وانا افتكر مرة فى ٢٣ يوليو طلعت من الصبح فى عربية مفتـوحة ، ولفيت وجه بحرى كله ، خطبت ١٨ خطبة ورجعت بالليل ، وانا قاعد على ظهر العربية على كبود العربية المفتوحة ، بس ما تقدرش تطلب منى النهارده أن انا اعمل هذا الكلام اللى كنت باعمله سنة ١٩٥٣ (كده ولا ايه يا دكتور) .. فاحنا عايزين الناس اللى تطلع وتفضل تجرى وتروح فى الكفور والبقاع يعنى احنا عندنا صالونات بس مش معطرة (ضحك) يعنى حكاية الصالونات المعطرة ، ويعنى حتى الواحد مابيجيلوش الفرصة انه يقعد فيها ، يعنى مثلا انا عندى صالونات فى قصر القبة كثيرة جـــدا بس انا مامبروحش الصالونات دى الا لما بييجى ضيف اذا مافيش ضيف انا مابروحش هذه الصالونات ، ماهواش الموضوع الحقيقة صالونات معطـــرة ولا كذا بل العكس ده يمكن أيضا الكلام اللى قاله الاخ صبرى فى جانب الأسباب اللى انا قلتها ، فعلا عايزين عناصر تضمن الاستمرار عايزين أيضا عناصر تضمن التجديد وممكن عندنا ، انا بدى اقول نتحلل من النظام الداخلى أيضا الى حد ممكن نقول ان احنا بنعمل لجنة تنفيذية لمدة سنتين أو سنة أو ثلاث سنين زى ما قال اظن

الأخ الخواجه قال كده عايزين نحل الحقيقة وعايزين نشتغل ..
وبعدين عايزين نضمن ان احنا باستمرار يبقى عندنا أحسن الحلول وانسب الحلول انا شايف من الكلام ان فيه اتجاه الى تكوين اللجنة فى الحال انا كنت باقترح ان احنا ناجل ، طيب نسمع كلام الدكتور جاد وبعدين برضه مش عاوز أتسرع فى الوصول ..

* * *

اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي تثق به ثقة مطلقة ويردد بعض الأعضاء انهم سبقو ان اتخذوا قرارا باعطائه حق الاختيار ولا ينبغي الرجوع فيه فيقول عبد الناصر :

ـ لى تعليقين ، التعليق الأول اللى هو نمشى أسرع من كده انا مستعد أعمل معاكم جلسات يومية وانا لا آكل من العمل ، اذا دعى الأمر الصبح وبعد الظهر اذا كنتم عاوزين انا مستعد ، ويوم الجمعة أيضا فى هذا يعنى متحملونيش اننى معطلكم ..

الحقيقة كان لازم ننظم نفسنا على أساس ان احنا بعد كده نمشى ..

النقطة الثانية .. الحقيقة أيضا فيه بعض التفسير المغالط فى العملية ان انتم خدتوا قرار وحترجعوا فيه ، وانكم كلفتونى ورفض التكليف .. الحقيقة التكليف لو تقولوا لى اطلع روح قناة السويس ومش فاهم ايه ما قدرش أرفض هذا الكلام باطلع النهارده .. بتقولوا لى روح سينا باروح سينا ، ده تكليف ... العملية الثانية هى أكثر من تكليف الحقيقة هى عملية امانة وضمير لازم اكون مقتنع مية المية وفى هذا بادى مثل ربنا سبحانه وتعالى عرض الامانة يمكن الشيخ الباقورى يقدر يقول لنا الاية أكثر .. مش كده يا شيخ أحمد فالموضوع ماهواش رفض تكليف يعنى انكم كلفتونى يعنى وان انا بارفض ، أبدا .. الموضوع موضوع لازم ان انا اكون مقتنع وباقول لكم ان انا من يوم الخميس لغاية النهارده بافكر كل يوم كانت بتضيق حلقة التفكير وكل ما شوف ناس أكثر بتضيق

عملية التفكير فانا لم اهرب من التكليف ، والعملية مهياش تكليف الحقيقة العمليــة انكم شلتم العملية حطتوها على وان اناباقول لكم تعالوا احنا الاثنين نشترك فيها .

وبعد ذلك طلب فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى عضــو اللجنة المركزية الكلمة فلما اعطيت له قال :

السيد الرئيس ، هذه الأمانة يقول الله بعد ذلك : « وحملهــا الانسان » .

ودار حوار ممتع بينه وبين الرئيس بعد ذلك بداه الرئيس عندما قال لفضيلة الشيخ الباقورى :

الباقى يا شيخ احمد .

● **الشيخ احمد حسن الباقورى :**

« انا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان » .

ـ **الرئيس :**

الباقى بقى يا شيخ احمد ، بقية الاية يا شيخ احمد .

● **الشيخ احمد حسن الباقورى :**

« وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

هنا فى هذه الاية ليس معناها أن يظلم الانسان غيره ، ولكن معناها أن يظلم نفسه ، وأشرف الناس هم الذين يظلمون أنفســهم لاداء الامانات الى الناس ..

فان انت حملت هذه الامانة ، ووضعت نفسك فى نطاق الذين ظلموا انفسهم ، فهذا الظلم للنفس من أجل مصلحة الانسان هو اشرف أنواع الظلم .

ـ **الرئيس :**

كنت فاكرك حاتيجى معاى يا شيخ احمد (ضحك) .

وانتهى الاجتماع باصرار عبد الناصر على موقفه ، وفتح باب الترشيح للجميع ، وتكونت اللجنة التنفيذية العليا عن طريق الانتخاب من بين الذين تقدموا بأنفسهم للترشيح دون تدخل .

* * *

كان عبد الناصر يصر على اعطاء الحرية كل الحرية للشعب ، وان يمنعها عن اعداء الشعب ، وهو أيضا كان يرفض قيام حزب او اكثر لأن الحزب هو التعبير عن طبقة .. لذلك رفض عبد الناصر قيام اكثر من حزب واحد على اساس ان التحالف يعبر عن كل الطبقات .

« نظام الحزب الواحد لم يكن فيه أى تعبير عن آمالنا أو أى مسايرة لأهدافنا لأن الحزب الواحد معناه أن تحتكر فئة قليلة العمل السياسى ٥٪ من الشعب ١٠٪ من الشعب .. وباقى هذا الشعب لا يشترك فى العمل السياسى ولكن عليه أن يكون تابعا .. معنى هذا استبعاد الغالبية من أبناء الشعب .. معنى ذلك أنه مهما اختلفت الشعارات ومهما زيفت هذه الشعارات لن يكون نظام الحزب الواحد هو تعبير عن ارادة الشعب الواحد المتحد .

« وكان هناك نظام آخر هو الأحزاب المتعددة ونحن قد جربنا هذا النظام .. كانت تستغله الدول التى كانت تريد أن تضعنا داخل مناطق النفوذ . ولقد رأينا مثلا هنا فى مصر بعد ثورة ١٩ كانت الثورة وطنية والأحزاب وطنية . وبعد هذا كيف تنابذت الأحزاب واختلفت .. فقد الشعب وحدته ونتج عن هذا أن ثورة ١٩١٩ لم تعط ثمارها كاملة وبقى الانجليز لغاية ١٩٥٦ موجودين هنا فى بلدنا لان الأحزاب تركت الهدف الذى قامت من أجله ثورة ١٩١٩ وبدأت تصل الى أهدافها الخاصة فى الحكم والسيطرة وطبعا كل واحد بيعتبر أن الغاية تبرر الوسيلة ، فالوصول بالحكم عن طريق الأستعمار البريطانى أو عن طريق السفير البريطانى أو طريق القصر كان يعتبر وسيلة للهدف الذى يعمل له الحزب

« كان من الواضح أن تعدد الاحزاب لم تكن له الا نتيجة واحدة وهى تسهيل النفوذ الأجنبى .. طبعا فىهذه التجربة من حياتنا وفى المعارك التى قابلناها كان نظام الحزب الواحد لا يناسبنا لأنه عبارة عن احتكار للسياسة . ونظام الأحزاب المتعددة لا يناسبنا لانه سيكون وسيلة لتغلغل النفوذ الاجنبى فى الوقت الحاضر الى داخل بلدنا ليهدم هذه القاعدة التى بنيناها والتى تعبىء الشعب .. وكان لا بد أن ـ تكون ـ التجربة الجديدة تجربة تقينا عيوب الحزب الواحد وتقينا فى نفس الوقت عيوب الأحزاب المتعددة . تجربة عبارة عن نظام يشترك فيه جميع أبناء الوطن بحيث لا تعطى الفرصة للتسلل وبحيث نحافظ على وحدتنا ولا يمكن لأجنبى أن يفرق بيننا ويعمل على ضمنا داخل مناطق النفوذ .

« واذا عملنا حزبين معنى ده أيه ؟.. معناه أن احنـا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاتنين ..

((طبعا احنـا من اجـل الترابط .. قلنـا بنقيم الاتحـاد الاشتراكى)) ..

ويضيف عبد الناصر فى حديث مع محرر مجلة كل شىء اللبنانية فى مايو ١٩٦٢ عندما سئل عن تعدد الاحزاب فيقول :

« أحب أن أكون صريحا فى هذا الموضوع اننا هنا فى مصر فى مرحلة التطور الاجتماعى ، ومرحلة تطبيق الديمقراطية ، ومرحلة تصفية الاستعمار والظلم والاقطـاع وديكتاتورية رأس المـال وما نحققه الان هو مرحلة التطبيق ، وحتما لا نستطيع وليس من المنطق ، ونحن فى هذه المرحلة أن نسمح بوجود حواجز وعقبات تقف فى طريق أهدافنا »

« مثلا لا يمكن لنا ونحن نعمل على تصفية الاقطاع أن نسمح بوجود حزب ينادى بالاقطاع او حزب يدعو الى ديكتاتورية رأس المال ، ومعلوم أصلا ان للاحزاب التى هى من هذا النوع قوى مادية تمكنها من الاستيلاء على النفوذ »

« ونحن اليوم فى أول ــ الطريق ــ لأعطاء أغلبية الشعب التى تصل الى نسبة ٩٥٪ العدالة الاجتماعية التى كانت محرومة منها ونتيجة الى اقامة مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، لقد قمنا بثورة وأخذنا السلطة من أجل تحقيق الأهداف الكبرى ، ومن الغباء أن نعطى الاحزاب الفرصة لتقوم وتعترض هذه الاهداف ».

* * *

كان عبد الناصر واعيا لقوى الثورة المضادة أعداء الشعب ، وكان يتحدث دائما عن وجود حزب رجعى منظم مترابط ..

كان الفكر الناصرى يضع ضمن قوى الثورة المضادة :

* فلول الاقطاع المتحالفة مع رأس المال .
* الذين أضيروا من الثورة ، ومن التحول الاشتراكى .
* العناصر الرجعية التى تريد شد المجتمع الى الوراء .
* بقايا الاحزاب السابقة .
* العناصر التى تعمل على تخريب اقتصاديات البـــلاد أو تستغل أو ترتشى ، أو تتاجر فى السوق السوداء .

وفى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى تحدث عن وجود الحزب الرجعى صراحة وقال :

« هو الحقيقة فى عملية الأحزاب يمكن الموضوع يكون أسهل .. لو فيه حزبين .. كل واحد مصالحه مرتبطة بحزب يبقى كل واحد بيعمل على حماية مصالحه .. هو الحقيقة فيه النهارده حزبين فى البلد .. فيه حزب اشتراكى ، وفيه حزب رجعى .. »

« فيه حزب رجعى موجود وحايفضل موجود بدون اعلان وبدون ترخيص وعارفين بعض وبيتلموا على بعض ومنظمين قوى أحسن من الاتحاد الاشتراكى »

« طبعا اللى عايش فى البلد بيقدر يحس بهـذا الكلام ، وهم حاسين بالتحدى وحاسين بخطورة المرحلة وحاسين ان هذه المرحلة هى مرحلة تطهير للرجعية ..

« الحقيقة فيه حزبين ولكن احنا بننسى ان فيه حزبين ونقول ان فيه الاتحاد الاشتراكى وبيجمع قوى الشعب العاملة .. طبعا عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ببساطة أن القوى الرجعية هى اللى بتمثل الحزب الرجعى الموجود فى البلد .. هذه القوى الرجعية تستطيع أن تستقطب جزء من الشعب العامل .. جزء من العمال .. جزء من الفلاحين .. جزء من الناس اللى مصالحهم الحقيقية مع الاشتراكية ..

« وفيه ناس قالوا انه لن يمكن تنشيط الاتحاد الاشتراكى .. وحصل كلام أن احنا نعمل حزبين .. لكن اذا عملنا حزبين معنى ده ايه ؟

« معناه ان احنا بنقسم القوى الاشتراكية الى قسمين ويقفوا يحاربوا بعض ، فى الوقت اللى فيه قوى رجعية موجودة ومستنية تاكل الاثنين اذن فى هذه المرحلة لا سبيل الا تحالف قوى الشعب العاملة فى تنظيم واحد هو الاتحاد الاشتراكى مع خلق تنظيم سياسى قادر وثورى .. مع تجميع كل القوى الاشتراكية .. مع تطهير الاتحاد الاشتراكى باستمرار من القوى الانتهازية أو القوى الرجعية اللى تسللت فى داخل الاتحاد الاشتراكى »

« طبعا لما تقول قوى انتهازية أو عناصر رجعية يكون كل واحد فينا لازم يحكم ضميره فى هذا الموضوع »

« لان الموضوع لا يمكن ان يكون موضوع شخصى ولا موضوع تنافس ولكن بيكون مبنى على اسس وعلى قواعد .. الحقيقـة تجربة الاتحاد الاشتراكى ايضا تجربة فريدة ولهذا بتقابلنا فيهـا عدة مشاكل .. البلاد الاخرى فيها يا احزاب يا حزب واحد ملتزم

بالنسبة لحزبه وكل حزب ليه منهج وكل واحد بيتنافس مع الاحزاب الاخرى علشان يحقق المنهج بتاعه .

* * *

فى احد اجتماعات اللجنة المركزية حذر عبد الناصر من ان نضيف عناصر من قوى الشعب العاملة الى عناصر الثورة المضادة لمجرد انها تنقد وتريد الاصلاح، وقال انه يجب ان تحدد قوى الثورة بوضوح ..

وحدد فئات جديدة راى انها لابد ان تدخل ضمن قوى الثورة المضادة الذين اسماهم ((الخوارج)) على النظام .. فقد قال فى الجلسة الحادية عشر من اجتماعات اللجنة المركزية :

« برضه أنا بدى أتكلم عن الثورة المضادة .. ان الثورة المضادة لا تستطيع أن تحيا الا اذا احنا اديناها المناخ والوسائل اللى تحيا بها ، والحقيقة فى الفترة اللى فاتت احنا ساعدنا على هذا بعدة سبل ، يعنى حصل مثلا ان خطة التنمية انكمشت ، وبهذا فيه بطالة ، حصل مثلا ان الاسعار ارتفعت ، ثم حصلت الهزيمة اللى هى أكبر شىء ، حصل ان احنا بطلنا نبنى مساكن ، حصل ان عندنا مساكن فاضية ومابنسكنهاش ، حصل ان احنا بنقول ان عندنا عربيات بنبيعها بالعملة الصعبة ، مين اللى عنده عملة صعبة .. يعنى فيه تفرقة طبقية ، بندى الحقيقة بهذا للثورة المضادة أسباب بتقدر تروح لكل واحد ويقولوا له طيب ما انت مش حاتقدر .. مين حايبقى عنده عملة صعبة الا قرايب الوزراء ، وقرايب الحكام ، وقرايب كذا ، هم دول اللى يقدروا يشتروا شقة بالعملة الصعبة ، وهم دول اللى يقدروا يشتروا عربية بالعملة الصعبة ، الحقيقة أنا رايى أن الثورة المضادة قوة ضعيفة جدا ، ولكن احنا يمكن بتصرفاتنا بنديها المجال انها تشتغل ، اذن علينا ان احنا نصحح من كل هذه الاعمال .. وبعدين بالنسبة بعد النكسة ، الحقيقة

كانت العملية الكبيرة ، علينا أن نعبىء الجماهير بالنسبة للنكسة بالنسبة للنواب التى اتقال عليهم فى المجلس اللى فات ، الحقيقة النواب دول أكثر النواب كانوا كلاما فى مجلس الامة ، اللى هو فلان وفلان ، كانوا اكثر ناس بيتكلموا ، وانا كنت باسمع جلسات مجلس الامة ، يمكن أكثر ناس أيضا كانوا بياخدوا فرصة ، غيرهم مابيخدش ، وما اتصورش أبدا انهم تجارة يعنى ان كلامهم قد يكون مسموع فى بعض الاوساط نتيجة عوامل الشك اللى حصلت، ولكن اذا كان واحد بياخد مثلا ٤٠٠ جنيه فى الشهر أو ٥٠٠ جنيه فى الشهر ، وبيشتغل مضاد ، أو عاوز أكثر ، ويستغل مركزه ، فموضوع الحقيقة ما ينفعش ، يعنى برضه باقول الثورة المضادة باستمرار اللى بيساندها ناس بيطلعوا من داخلنا ، الوزير اللى كان فى وزارة وطلع ، والنهارده بيتكلم ، لانه طلع من الوزارة ، وشىء بهذا الشكل ، هم دول الحقيقة عناصر الثورة المضادة ، يعنى أنا بدى أقول ان احنا بنتكلم ساعات على العناصر الرجعية ، يمكن الناس التانيين أهم بيتكلموا وساكتين ، وناس خايفين ، لكن هم الناس اللى بيطلعوا مننا الناس اللى كانوا فى الأمانة مثلا ، والنهارده ماجوش فى الأمانة ، وماجوش هنا ، برضه انا عارف واحد لسانه طول كده ، وداير يتكلم ومش فاهم ايه ، بقه على طول قدامى عنصر من الثورة المضادة ، بس لا زال عنصر محسوب على ، الحقيقة بدنا نفهم الوضع بهذا الشكل .

ويواصل الرئيس حديثه فى نفس الجلسة عن قوى الثورة المضادة ويفرق بينها وبين أفراد الشعب الذين قد ينتقدون ما يرونه من تصرفات مخالفة لرأيهم ، أو يرون فيها أخطاء فيقول :

« موضوع النقد ، والنقد طبيعة فى هذا الشعب ، وأنا الصبح أول ما امسك الجرائد بلاقى فيها حاجات مش عاجبانى ، فيه ناس فيكم متصورين انى عارف اللى طالع فى الجرائد تانى يوم ، وده غير حقيقى ، يمكن الصبح الاقى عمليات فى الجرائد عملاها الحكومة، واضرب التليفون ، ايه اللى انتو عاملينه ، كلام مش فاهم ايه ؟.. »

طبيعتنا كده ، بس مش معنى ده انى انا ضد النظام بأى شكل من الاشكال ، واحنا طبيعتنا كشعب الناس بتنتقد ، وحتفضل تنتقد لان الحقيقة المطالب الاجتماعية لم تتوفر لينا ، وفيه نقص ، ولما يقول لك ان سعر الفاتلة غالى ، يبقى له حق ينتقد ، وانا باقول آه ده سعر الفاتلة غالى ، ده بقى سعر الفاتلة ستين قرش ، والشراب بثلاثين قرش ، يبقى انا بانتقد ، وكل واحد فى البلد له حق ينتقد ، وما اقدرش اقول ان ده ثورة مضادة ابدا ، يعنى الحقيقة ، ان كان فيه حاجات بنعملها .. وفيه حاجات مش عاجبانه ، وتلاقيكم انتم بتصبحوا الصبح تنتقدوا ، وانتوا هنا بتقولوا ، والجرائد طلعت كذا ، والكلام اللى فى الجريدة الفلانية كذا .. **اذن احنا كشعب الـ ٣٢ مليون نشيل منهم العيال الصغيرين ، بيصبح الصبح كل واحد بينتقد ، وكل واحد مش عاجبه حاجة بما فيهم انا ،** يعنى كل يوم الصبح ، وانا بافتح الجرائد فيه حاجات داخلية مش عاجباني ، فدى طبيعتنا برغم هذا **جينا يوم ٢ مايو راحت الناس كلها ، وايدت بيان ٣٠ مارس ، اذن مش معنى الانتقاد ثورة مضادة** برضه أنا الحقيقة بدى احط الامور فى نصابها ، انا باشوف ناس ، وانا ساعات ما احبش اشوف ناس ــ انه مفيش واحد ييجى يقعد معايا الا اما يقعد ويقول الحتة الفلانية فيها كذا ، والحتة الفلانية فيها كذا ، ومفيش حد يمكن يكلمنى كلام فارغ أبدا ، بيجى ويقعد يتكلم فى الموضوع الفلانى والحتة الفلانية فيها كذا ، ساعات أقعد شهر أضرب انى انا مش عاوز أشوف ناس . يعنى مثلا شهر اغسطس أروح اسكندرية ماشفش ولا واحد خالص ، ليه ؟ لان اللى حاييجى لازم حاينتقد الحاجة الفلانية ، دى طبيعتنا ، فهناك فرق الحقيقة بين الانتقاد ، والتناقض والتصادم . التصادم اللى هو الصراع الطبقى ، والعملية اللى هو شايف الاشتراكية ضده ، كل واحد بينتقد .. بتمسك حسنين هيكل وكلامه فى الاهرام اكثر واحد بينتقد ، يعنى انتقد .. انتقد فى الاتحاد الاشتراكى وانتقد فى كذا ، وانتقد فى الاعتقالات وانتقد الحراسة ، وماعرفش الحاجة

الثالثة ايه ؟ هل حسنين مضاد ؟ مش ممكن ، ولكن هو مرة كلمنى
وقال لى الموضوع الفلانى ده أقدر أعلق عليه ؟ قلت له اذا كنت
انت النهاردة بتقول انك عايز تستأذن علشان تعلق ،
يبقى الناس خايفين كلهم . . يبقى الناس معذورين
المفروض انك تقدر تعلق وتنتقد ، زى ما انت عايز تنتقد ، وتدى
فرصة لأى واحد انه ينتقد ، **لكن هل معنى انه ينتقد انه هو مضاد
للنظام** ؟ اطلاقا ، بالعكس ، **يجب ان احنا نيجى فى اللجنة المركزية**
وننتقد ، وتيجوا تقولوا عايزين بدل المناقشات ، فى المستقبل ،
بنقول يا وزير الإصلاح الزراعى ، يا وزير الزراعة الجمعيات
التعاونية عايزين كذا وكذا وفيه عندى فى المحافظة الفلانية . .
وننتقد . . يا وزير الشئون الاجتماعية كذا وكذا ، وان الناس
اللى طالعين من السويس والاسماعيلية تعبانين ومايشتغلوش ،
ولو ان الراجل طالب فى مجلس الوزراء انه يشغلهم الخ . قصدى
احنا لم نكون المتطلبات الاجتماعية للبلد ، وسنبقى ننتقد ، لاننا
عايزين ، **ليس معنى الانتقاد ثورة مضادة** ، أبدا ، ولكن يجب ان
احنا نكون من الفطنة بحيث ان احنا نفرق بين الثورة المضادة ،
والناقد اللى هو عايز الحاجة تنجح ، وعايز الثورة تنجح ، ولهذا
انا باقول برضه ان الثورة المضادة قلة ، وان احنا بنخاف أكثر من
اللازم ، أديك بتقول واحد طلع عمل « بيه » القرية كلها ، والاتحاد
الاشتراكى كله بسلامة قدره ماقدرش يعمل حاجة ، طيب اذا
كان واحد بس خوفكم ، فرد واحد وقدر خلى الناس طلعت ضربت
البوليس والداخلية والاتحاد الاشتراكى والعمدة . . الخ . يبقى
الاتحاد الاشتراكى ما يساويش تكله فى هذا الموضوع خالص ، دى
العملية . . انت بتقول هو شاطر بيتحرك واحنا مابنتحركشى . .

ثم يواصل القائد حديثه ردا على احد الاعضاء فيقول :

« بنشوف العناصر المعوقة ، والعناصر المضادة فى الجهاز التنفيذى ، وناخذ ضدها اى اجراء ، وبهذا الحقيقة مانشجعش الناس انهم ينضموا الى عناصر الثورة المضادة ، وانا برضه لازلت باقول ان عناصر الثورة المضادة ، هى عناصر قليلة ، ولكن اللى بيزودها ناس مننا احنا ، بيطلعوا ينضموا ليهم ، وهم لا يخافون من اى عقاب ، وليس لهم أى التزام .. بنقول الناس الملتزمين فى الاتحاد الاشتراكى ، اذا ساروا فى طريق الثورة المضادة ، حاجة بسيطة بنفصلهم من الاتحاد الاشتراكى ، ده موضوع سهل جدا .. لكن يجب أن نتأكد انهم انضموا الى عناصر الثورة المضادة ، مابقتش العملية انى انا بافصل علشان افسح سكة لناس أضعف منهم ، لازم الحقيقة نكون على بينة من هذا الكلام ، وده الحقيقة الطريقة اللى تخلينا نقدر نبنى الاتحاد الاشتراكى بتاعنا ، ولازم الحقيقة ندخل معارك وتتضربوا بالطوب برضه من الستات ومن العيال ، وتاخدوا دروس انه فيه واحد قدر يضحك عليكم ، وبعدين محدش بعد كده يقدر يدخل عليكم فى قرية تانية . وانا الغرض من هذا انى انا باقول ان احنا مش عايزين علشان قلنا الثورةالمضادة فيه ثورة مضادة ، ولكن ليست هذه الثورة المضادة بالضخامة اللى قد يتصورها البعض ، واللى قد نتصورها ، وباقول **ان عملية النقد ليست هى الثورة المضادة ، وانا متأكد انكم كلكم هنا ، المائتين** بتنتقدوا حاجات ، وانتو قاعدين حتى وانتو بينكم وبين بعض فى البوفيه بتنتقدوا ، واحنا حتى قاعدين بننتقد ، وعلى هذا الأساس نبقى نحصر بقه أعداءنا فى الناس **اللى مننا اللى هم الخوارج ، الحقيقة هم دول اخطر بقى من عناصر الثورة المضادة القديمة ، اللى هى عناصر الاقطاع والرأسمالية ..»**

اذا كنا نريد ديمقراطية سليمة ، فانه يلزمنا ان نضع الضمانات لقوى الشعب العاملة لكي تمارس حقها المشروع فى الحرية .. ويلزمنا ايضا — وفى نفس الوقت — ثورة ثقافية تفتح الآفاق الجديدة للفكر .. وثورة علمية تنقل الوطن والمواطن الى الدولة العصرية التى اهتم بها بيان ٣٠ مارس .. ثورة تجعله يعيش مع العصر وهذا ما طالب به عبد الناصر دائماً ..

فالعمل الديمقراطى سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة عميقة فى احساسها بالانسان صادقة ، فى تعبيرها عنه قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة فى أعماقه خلاقة ومبدعة ينعكس اثرها بدوره على ممارسته للديمقراطية وفهمه لاصولها وكشفه لجوهرها الصافى النقى ..

وقد يكون كافيا فى نهاية الحديث عن الديمقراطية ان ننقل بعض الفقرات من أقول الزعيم تعكس رايه فى العلم والثقافة والفن (١) وكان عبد الناصر قد طالب بثورة ثقافية منذ سنة ١٩٦١، وقبل وضع الميثاق (٢) وبعد ذلك حدد معالمها فى عدة أمور هى :

* ان الثورة الثقافية .. تستحق أعظم الجهود وأكثرها عمقاً، ان العشرات من محطات الاذاعة والتليفزيون والمئات من المسارح ودور السينما ومراكز الاشعاع الفنى والثقافى والآف الكتب تعيش مع الجماهير كل ساعة تقدم لها البعيد والواقع القريب بالكلمة والصورة ..

ان المعارض العديدة التى تفتح أبوابها للناس كل يوم ستحمل الى الحاضر لمسات قوية ومبضة تشير الى طاقات مبدعة ، بدأت تفاعلها مع القيم الجديدة للمجتمع ..

---

(١) كتاب جمال عبد الناصر والثورة اعداد منظمة الشباب بالقاهرة .
(٢) وثائق الناصرية خطاب افتتاح اللجنة التحضيرية .

* لابد للثورة الثقافية ، أن تفرض وجودها ، لأن الثورة الثقافية انما هى الثورة الفكرية التى تمكننا من أن نحافظ على انتصارنا ، وتمكننا من أن نقضى على الاستبداد السياسى وتمكننا من أن نضع مطالب الشعب موضع التنفيذ . وتمكننا من أن نقيم بين ربوع بلادنا حياة كريمة . حياة نشعر فيها بالعدالة الاجتماعية حياة متحررة من الظلم الاجتماعى .

* نوع آخر من المثقفين موجودين فى الاجهزة التنفيذية . . البعض بيفقد القدرة على تصور التطور ويستسلم للواقع . . والبعض بيقفوا موانع للحركة بالتالى بيتخلوا عن دورهم كمثقفين .

نوع آخر تستهويه مظاهر الحضارة اللى بيسافر أمريكا والمانيا الغربية . . وبيشوف . . بيروح بلد بيروح نيويورك بلد فى المانيا الغربية تستهويه مظاهر الحضارة ، ويعجز عن ايجاد صلة بين الواقع اللى بنعيشه وبين المظاهر أو البريق ، الواقع اللى احنا بنعيشه القرية والفقر وعمال التراحيل . . مقدرناش نحل لغاية دلوقتى مجتمع موجود مجتمع متخلف كنا تحت احتلال عثمانى واحتلال انجليزى واستغلال عاوزين نفير . . فالواحد لما يتعلم أو يطلع بره ينسى طلع منين . .

فيه نوع آخر قد يتصور للعصرية مفهوم سطحى . . العصرية لا تعنى الانقطاع عن الماضى ، والحرص على التقاليد لا يعنى انقطاع عن المستقبل . المسألة مش بس مسألة أشكال ومظاهر سطحية .

العصرية الحقيقة هى التجدد بالاصالة . . وفيه عندنا مثل فى الريف : ان الشجرة ملهاش جدر متضللش . . ليه ؟ . . علشان مش حايكون لها فروع ، ومش حيكون لها ضل . . احنا لينا جذور فى الحضارة ، وفى الماضى ، ونترقى ونتطور ، وكل واحد مننا عليه انه يؤدى دوره والمجتمع بيديه ، وهو بيدى المجتمع . . ويستوعب مشاكل المجتمع وأمانى المجتمع ، ويحلل حركاته واتجاهاته .

وبهذا يكون المثقف فعلا يؤدى دوره كمثقف ثورى يعمل لمصلحة الجماهير ، ولمصلحة الشعب ، ولمصلحة الحياة .

* ان الثورة الثقافية هى سلاح قوى جماهير الشعب .. والثورة الثقافية لها أهمية كبرى بالنسبة للحركة التطبيقية الثورية .. من أجل اقامة مفاهيم لنا تنبع من ضميرنا وتنبع من مصالح امتنا بمجموعها ، لا من مصالح فئة قليلة من ابنائها .

جيش الثقافة .. جماهير الشعب فى كل انحاء الجمهورية .. بهذه الثقافة نستطيع ان نتغلب على الحملة التى تشنها ضدنا الدوائر الاستعمارية والرجعية .

* المثقف ملتزم .. الالتزام الوحيد هو الالتزام بالارتقاء بالمجتمع ، وبالارتقاء بالحياة ؛ عن طريق المشاركة فى العمل والتوجيه السياسى والفكرى .

ويؤدى المثقف هذا الدور بالاقتراب وبالاندماج فى المجتمع .. وحتى يؤدى هذا الدور لا بد للمثقف من دراسة احوال المجتمع .

* فيه فرق بين المثقفين .. يعنى ممكن واحد متعلم يبقى بورجوازى .. ده ما أقدرش أقول عليه مثقف .. انا بقول عليه متعلم واستاذ كبير فى أى فرع من فروع العلم .. لكن المقصود بالمثقف انه مثقف اجتماعى .. المتعلم البورجوازى مش حقيقى مثقف اجتماعى أبدا .. أما واحد عنده وعى اجتماعى وعنده تفسير اجتماعى عنده اهتمام اجتماعى حتى اذا كان عامل أو غير متعلم باقول عليه مثقف ..

* ان المثقف هو كل من يكدح ذهنيا .. ويعطى للمجتمع نتاج عقله وفكره .. سواء كان مهندسا فى الصحراء أو عالما فى الذرة أو عاملا نقابيا أو كاتبا أو طبيبا أو باحثا أو فنانا أو أستاذا أو طالبا .. المثقف هو الذى يفكر فى احوال المجتمع ككل .. وعلى

ذلك فالمثقف هو الشخص الذى تتجاوز اهتماماته حدود مصلحته الخاصة ..

* ان الثقافة فى صميمها هى التفتيش عن الحقيقة ، والالتزام فى صميمه هو السعى الدائب لايجاد تناسق بين الحقيقة والواقع وملاءمة حركة المجتمع مع اتجاهات التطور الانسانى ..

* ان التفكير العلمى ، هو الصلة التى ربطت البشرية منذ اقدم عصور التاريخ الاولى ، ثم هو الصلة التى تشد شعوب الارض وتوحد بينها فى أى لحظة من لحظات الزمان .

والعمل العلمى ، بعد التفكير العلمى ، هو الجسر الوحيد الذى تستطيع به امتنا أن تعبر بالقوة والامان من مرحلة الى مرحلة ، وهو القوة القادرة على طى المسافة من التخلف الى التقدم ..

واكثر من ذلك ... فان العمل العلمى ... هو ضمان الاستمرار .. والاسلوب العلمى فكرا أو عملا ، هو الصيغة الملائمة والانسانية للتقدم ...

* ان العلم فى جميع المجالات ، هو بمثابة المصابيح الكاشفة توجهها الى كل ما حولنا لنسنح بالنور تصورنا لشكل المستقبل ، ثم لنخطو بالنور وصولا اليه .

فبغير المصابيح الكاشفة للعلم فى جميع المجالات فان تصورنا للمستقبل ، وحركتنا اليه ، تصبح تحسسا أو تخبطا فى المجهول وفى الظلام .

* ان عماد التقدم فى بلادنا ... علم بلا طبقية .. علم بلا احتكار علم بلا كهنوت علم مفتوح للجميع من اجل الجميع ... كل بقدر استعداده وكل بمدى جهده وكل بحدود طاقته .

اذا كان النضال الواعى لامتنا قد جعل العلم للجميع ، فان الوعى النضالى لها لابد أن يستتبع ذلك بجعل العلم للمجتمع اى بالوصول الى العلم الملتزم .

* ان العلم الملتزم ، ليس معناه ان نطلب الى العلماء ترديد الشعارات ، او ان يتركوا اماكنهم فى الجامعات والمعامل لالقاء الخطب .. ليس ذلك هو العلم الملتزم وذلك لو سقطنا فيه يصبح طفولة ساذجة فى تصور المعنى الحقيقى لالتزام العلم .

العلم الملتزم فى اى وطن من الاوطان ، هو العلم الذى يتسع لامال هذا الوطن ، ومعنى ذلك انه يعيش فيها وانه يعانيها وانه قادر على خدمتها . هو باختصار العلم الذى لا يكون السؤال على لسان اصحابه هو : كم اخذنا ؟ وانما يكون السؤال الذى يسبقه هو : كم اعطينا ؟

وليس هناك علة تقبل ، للتنصل من التزام العلم مهما كان منطقها . والمنطق الوحيد المقبول هو النضال لتذليل اية عوائق واخضاعها كى يستطيع العلم ان يقدس نفسه بالالتزام .

العلم للجميع .. هذا جانب من الصورة .. والعلم للمجتمع هذا هو جانبها الآخر .

* اننا وضعنا العلم فى مكانه العالى من حياتنا ، ان ذلك يحمل فى طياته ايضا ، ادراكنا الواضح لحقيقة ، ان العلم هـــو الذى سيضعنا بعد ذلك فى مكاننا من العالم .

* ان اى عملية حساب بسيطة كفيلة بان تظهر الثمن الفادح الذى تدفعه الجماهير لكى تصل بواحد من ابنائها الى العلم المتقدم .. فاذا بلغ مكانه وتصور ان وصوله اليه يعطيه الامتياز ولا يفرض عليه التزاما فلقد وقع فى الخطأ والخطيئة .. خطأ الحساب ثم خطيئة الجهل الاجتماعى ..

ان القيمة الحقيقية . الفعلية والاجتماعية لأى فرصة تتاح لواحد منا هي أن يتحول بكل ما أخذه الى مصدر عطاء للذين اتاحوا له ومكنوه وحققوا امتيازه ، والا فهو شجرة عقيمة عاشت من أرض وارتوت بعرق السواعد واحاطتها الرعاية بكل أنواعها وامتلأت بشعاع الشمس ، ثم لم تعط فى النهاية زهرا أو ثمرا أو ظلا .

ان الأخذ من المجتمع بغير عطاء استغلال .. والنمو على حساب الجماهير ثم التخلي عن خدمة آمالها هروب ..

* أن الفن فى حقيقة أمره مظهر حى للحرية .. والعلم فى حقيقة أمره أيضا مظهر حى للحرية .. الفن هو انطلاقة الانسان الحر لاستكشاف نفسه .. والعلم هو انطلاقة الانسان الحر لاستكشاف الكون من حوله .

والحرية فى الفن وفى العلم ، دورة كاملة ، تعطى وتأخذ ، وتؤثر وتتأثر ، وتدفع وتندفع .. ذلك أن الاحساس بالحرية ، الذى يدفع الفنان الى الخلق الفنى يتحول بعد الخلق الى قوة دافعة نحو مزيد من الحرية .. ومجال التفكير الحر أمام العالم الذى يقترب به رويدا رويدا من الحقيقة الكبرى ، يتحول بهذه الحقيقة ذاتها الى طاقة حافزة نحو مزيد من التفكير الحر .

وهكذا فان الحرية مقدمة للفن والعلم . كما أن المزيد منها فى الوقت ذاته نتيجة حتمية للفن والعلم .

بل ان التفاعل بين الفن والعلم .. يمضى الى أبعد من ذلك الى التلازم مع معارك الحرية لن كليهما يكمل الاخر فى كفاح الامة الواحدة .. ان الفن يصبح من أقوى الأسلحة فى معركة الحرية السياسية ضد الاستعمار وضد الطغيان . .ويجىء دور العلم ليصبح السلاح الاكبر فى معركة الحرية الاقتصادية والاجتماعية لصنع المجتمع الجديد الحر .

وليس معنى ذلك أن هناك انفصالا فى دورة الفن والعلم ليس معنى ذلك أن الفن وحده هو دليل المعركة من اجل الاستقلال ، وليس معنى ذلك أن العلم وحده هو دليل المعركة من أجل التطوير ليس ذلك ما قصدت اليه .

فالواقع فى تصورى أن التفاعل بين الفن والعلم وبين الحرية فى اطوارها المختلفة ، انما هو تفاعل مستمر متحرك متجدد لا فجوة فيه ولا انفصال بين دوراته .

وانما الذى قصدت اليه .. هو أن دور الفن يكون أكثر بروزا فى التعبئة المعنوية اللازمة لدفع الكفاح السياسى ، كما ان دور العلم اكثر بروزا للتعبئة المادية اللازمة لدفع الكفاح الاقتصادى والاجتماعى .

على ان للعلم دوره الرائع فى الوعى المستنير اللازم لانجاح المعركة السياسية كما أن للفن دوره الرائع فى خلق الشعور الانسانى اللازم لانجاح المعركة الاقتصادية .

* اذا قمنا باحترام القديم ووضعه فى مكانه الكريم من حركة التطور العام . واذا قمنا فى ذات الوقت بتشجيع الجديد ، فان هذا الجيل مطالب أمام مجتمعه بأن يبدأ شق طريقه بنفسه وأن يدرك أن بناء أساسه العلمى هو اثبات الشخصية الذى يستطيع التقدم به الى المجتمع طالبا فتح الابواب .

* ان الابداع لا ينتقل من جيل الى جيل بمجرد الارث ، وانما بالجدارة المؤكدة ، وبالاستحقاق الشجاع . اننا نؤمن أنفسنا من الزلل بتقدير ما اثبت ذاته وفرض قيمته بغير جدال .. ولكننى اقول ايضا أنه من الضرورى فى نفس الوقت ، أن نقبل بمخاطرة محسوبة وأن نعطى من التقدير مقدما ما هو لازم لجيل جديد ، لم يتمكن بعد من اجتياز حدود المحاولة والتجربة ونساعده بطاقاتنا ولا نتركه لضغوط الظروف تجرفه الى حيث تشاء . نشد يده

ليصعد ولا نتجاهله حتى يمكن ضد العزلة والوحشة من أن يثبت ذاته ويفرض قيمته بغير جدال .

اذا كان من حقنا أن نلتفت الى احتمالات الابداع التى حققت نفسها بالفعل ، ونكرمها ، فان من واجبنا أن نتطلع الى احتمالات الابداع التى مازالت تناضل لتحقيق نفسها وأن نشجعها فى نفس اللحظة . فانني أريد أن ألفت النظر أمامكم الى أن أجيالنا الجديدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى والفنى ، مطالبة بأن تعانى بجد أكثر متطلبات ما نذرت نفسها له .

ان النجاح أمر صعب ، والاحتفاظ به أمر صعب ، وعمل العالم أو المفكر أو الفنان ليس ضربة حظ تسبح به وسط أضواء الاعجاب أو الشهرة .. وانما الخلق المبدع عناء وعذاب كل يوم »

تحالف .. بدلا من الحزب

الفكر الناصرى اخذ فى تجاربه للتنظيم السياسى منذ قيام الثورة ، بفكرة تحالف قوى الشعب ، فجميع التنظيمات التى اقامها عبد الناصر كانت بمثابة حشد لأكبر عدد من المواطنين ، وان اختلف الهدف والأعضاء فى كل مرحلة .

ونتيجة لذلك يختلف أيضا الدور الذى يلعبه كل تنظيم ، كما تختلف خطة عمله ، وأهدافه ، والفكر الذى يقوم على اساسه ..

فى بداية الثورة كان الهدف واضحا ومبلورا ، فى ضرورة القضاء على الاستعمار ، وتحرير الوطن ، وتحقيق الاستقلال الوطنى ..

وظهر تنظيم الضباط الاحرار السرى ليصبح حقيقة علنية ، يلتحم بالجماهير ، ويعيش وسط مشاكلها الصغيرة كل يوم ..

وعندما ثبت أنه لا مجال لاصلاح الأحزاب السياسية القديمة .. كان القرار بالغائها نهائيا ..

ولقد كانت الاحزاب ـ فى الفترة السابقة على الثورة ، تمثل مصالح أعضائها .. من تحالف الاقطاع مع راس المال المستغل .. ويصفها عبد الناصر قائلا :

« كانت هناك تنظيمات شعبية سبقت قيام الثورة .. ولكن هذه التنظيمات ضاعت قيمتها بسببين رئيسيين :

● أولا : ان معظم هذه التنظيمات خصوصا تلك التى مارست

الحكم منها . قبل الثورة ، كانت انعكاسا لمصالح طبقية .. وكانت كلها تستند على تحالف الاقطاع وراس المال المستغل . ومن ثم فان هذه التنظيمات ، لم تكن قائمة على أساس جماهيرى وان كان بعضها قد استطاع فى سنوات النضال الوطنى من أجل الاستقلال ان يحرك جموعا من الجماهير الا انه لم يستطع مواصلة النضال الى نهايته ، لارتباط مصالحه بطريق غير مباشر مع مصالح الاستعمار .

« ومن ثم انتهى الى مهادنته . ومن ناحية اخرى ، لأن النضال الوطنى من أجل التحرر الاجتماعى . لاحت مقدماته حتى خلال معركة الاستقلال . الأمر الذى جعل هذه التنظيمات السياسية تنقلب على قواعدها الجماهيرية . وتحاول صرف أنظارها عن معركتها الحقيقية .

● **ثانيا :** انه كانت هناك قبل الثورة تنظيمات سياسية لا تعبر عن مصالح الطبقة الحاكمة . لكن فاعلية هذه التنظيمات كانت فى معظم الأحيان محدودة أو سلبية بسبب حفظ المصالح الطبقية الحاكمة عليها ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن هذه التنظيمات حركتها دوافع انفعالية عاطفية ، أو حركتها قوى بعيدة عن التربية الوطنية » (١) .

ويعود القائد بعد ذلك يشرح موقف الأحزاب قبل الثورة بوضوح أكثر عندما يقول :

« قبل الثورة كان فيه أحزاب .. وكانت فيه ديمقراطية زائفة . الأحزاب اللى كانت موجودة عندنا قبل الثورة كانت بتمثل ايه .. كانت بتمثل الطبقة الواحدة .. زى ما قلت لكم احنا فى أول الثورة ان احنا ندى الحكم للأحزاب ولكن الأحزاب لم تقبل المبادىء الستة التى أعلناها فى أول الثورة . احنا تفاوضنا مع

---

١ – مناقشات اللجنة التحضيرية ٢٣ يوليو ١٩٦٢م .

الاحزاب « الوفد » على أساس يستلموا الحكم وقلنا لهم ان احنا نريد المبادىء الستة .

« أول مبدأ القضـاء على الاستعمار . وثانى مبدأ القضاء على الاقطاع . وقلنالهم عاوزين نحدد ملكية الارض بمائتى فدان ، بعدين قعدوا يتفاوضوا معانا ساعات وساعات وأيام ويقولوا لا .. ازاى تطلب من الاقطاعيين أن يحددوا الملكية ؟ حزب الوفد فى هذا الوقت كان حزب يتمثل فيه الاقطاعيين .. الأحزاب الاخرى كانت تتمثل فيها الاقطاعيين أو سيطرة وديكتاتورية رأس المال . وبهذا سرنا من أجل تطبيق الحرية وكنا نشعر الا حرية سياسية بدون حرية اجتماعية وزى ما قلنا فى الميثاق .. احنا قلنا فى الميثاق ايه .. قلنا رغيف الخبز وتذكرة الانتخاب . تذكرة الانتخاب بيأثر عليها ايه . بيأثر عليها رغيف الخبز ..

« اذا حررنا الثورة ، واذا حررنا وسائل الانتاج . واذا حررنا العامل ، واذا حررنا الفلاح ، نستطيع فعلا أن نقول أن هناك امكانية لقيام حياة ديمقراطية سليمة » (١) ..

الأحزاب فى الفترة السابقة على الثـورة لم يكن يهمها الا أن تتصارع لكى تصل الى الحكم ، وهى تسلك كل السبل التى تؤدى الى ذلك .. مرة تستعين بالانجليز ، ومرات تلجأ لخداع الشعب ، ومرات اخرى تشترى الحكم برشوة الملك . وقد حدث ذلك كله فى تاريخنا بأكثر من صورة ، ومن كل الأحزاب السياسية تقريبا ..

وعندما تصل هذه الأحزاب الى الحكم فان أهم ما كانت تحرص عليه هو أن تؤكد مراكزها ، وأن تدعم نفوذ أعضائها ، وتعمل على تلبية مطالبهم ، وراجت فى هذه الفترة فى مصر ، كلمات المحاسيب والأصهار والأنصار ، أما الشعب فقد « كان فى البلد ١٨ مليـون ليس لهم حزب والبـاقى اما مخدوعين واما مغلوبين على أمرهم

---

١ ـ عيد الوحدة ١٩٦٢ .

أو مضللون وكان الساسة يتحموا فى لقمة العيش يحرمونها على من يرفع صوته . ويحاربونه فى رزقه ليضمنوا سكوت الجميع عن الظلم والاستعباد .. والاستغلال .. لذلك كانت بلادنا ضعيفة مغلوبة على أمرها الى أن قامت الثورة » (١) .

ومع ذلك حاولت الثورة أن تمد يدها لهذه الاحزاب تطورها ، وتطهرها ، وتعيدها الى خطها السليم الصحيح ، وقد اختارت من بينها أكثرها جماهيرية ، وادعاء لتمثيل الأغلبية الساحقة من الأمة لكى يطور نفسه ويطهر صفوفه ولكن هذه المحاولات كلها فشلت .

« قلنا لهم اذا أردتم ان تتعاونوا مع الثورة .. اذا أردتم أن تعملوا من اجل الشعب فيجب ان نقضى على الاستعمار ويجب أن نحطم الاقطاع . فان الاقطاع اذا كان يمثل شيئا فى هذا الوطن فانما يمثل الاستعباد بأبشع صوره ولا يمثل الحرية ابدا .. فلا معنى لحرية فلاح تحت يد اقطاعى .. مهدد فى رزقه مهدد فى أقواله مهدد فى بيته .. لا معنى لحرية فلاح لا يستطيع أنه يقول ما يريد لا معنى لحرية فلاح غير مطمئن على رزقه وغير مطمئن على نفسه .. قلت لهم نريد أن نحطم الاقطاع ونريد أن نحدد الملكية .. قلنا لهم نريد أن نقضى على الفساد وعلى سيطرة رأس المال على الحكم . ولكنهم كانوا معنا مخادعين مضللين كما كانوا معكم لم يقبلوا أبدا بل لم يؤمنوا أبدا بحرية الفرد .. بل لم يؤمنوا ابدا بأن الفرد الذى يقع تحت سيطرة الاقطاع يفقد حريته .. لكنهم يؤمنون بالحرية الزائفة » .

« واننى لأذكر فى هذا العام فى ٢٧ مارس حين وفد الى رسول من حزب الوفد يقول لى يجب أن نتفاهم .. ويعرض على أن يؤلف وزارة ائتلافية ظنا منه أن غرضنا هو الحكم واننا سنرضخ وسنقبل الاشتراك معهم فى الاتجار بالوطنية واننا سنقبل الجلوس معهم فى وزارة ائتلافية تحقق مصالحهم واهدافهم » (٢) .

---

١ ــ ٣١ مارس ١٩٥٤ .
٢ ــ ٢٨ مايو ١٩٥٤

وكان لا بد من القضاء على هذه الصورة كلها ، وكان لا بد ايضا من قرار حاسم بالغاء الأحزاب بعد أن عجزت حتى عن ان تطور نفسها ، لكى تستطيع الثورة بعد ذلك أن تلتقى بالشعب ، وتسير معه على طريق النضال لتحقيق آماله ، وأهدافه ، وقد عبر القائد عن ذلك بقوله « كان بيننا وبينكم نظام حزبى فرق وحدة البلاد وفرق شملها ولم تكن المبادىء موضوع خلاف وانما كانت الزعامات والأنانية والمال الحرام وقوت هذا الشعب هو موضوع الخلاف ومحور ارتكازه ، كان لا بد أن يختفى هذا كله .. يمحى حتى نستطيع أن نلتقى بكم ..

كان انهاء وجود الاحزاب معركة فى حرب الاستقلال »(١) .

* * *

وافرز الفكر الناصرى اول تنظيم سياسى شعبى فى صورة هيئة التحرير التى رفعت شعار « كلنا هيئة التحرير » .

وكانت هيئة التحرير هى التنظيم الذى كان يمكن ان تستعين به الثورة فى هذه الايام لعدة اسباب :

● **أولا :** انها تجمع لجميع فئات الشعب تحت هدف واحد هو: طرد الاستعمار .. برنامجها الأساسى هو طرد الاستعمار ..

وكان هذا التنظيم يضم المصريين جميعا باستثناء الاقطاعيين والقيادات الحزبية السابقة على الثورة ، على اعتبار أن هؤلاء من المتعاونين مع الأستعمار ، أو الذين ليست لهم مصلحة فى طرده ،

(١) ـ افتتاح مجلس الامة ١٩٥٧ .

أما بقية فئات الشعب وأفراده ، فقد اعتبر الفكر الناصرى فى تلك الفتــرة انهم اصحاب مصلحة فى طرد الاســتعمار ، وان اختلفت المواقع التى ينظرون منها الى هذه القضية .. فنظرة الرأسمالى الكبير الى طرد الاستعمار فى تلك الفترة ، هى انه يمكن أن يرث راس ماله ، ونظر العامل الى الاستقلال انه خطوة نحو التحرر الكامل .. السياسى والاجتماعى .. وحتى المثقفين فان لكل منهم نظرة ــ فى ذلك الوقت تختلف عن الأخرى ــ فبينما ترى شريحــة منهم أن الاستقلال يمكن أن يكون خطوة نحو التحرر الاجتماعى عن طريق اجراء **ثورة اجتماعية** ، كانت شرائح أخرى ترى أن الاستقلال هو خطوة نحو اجراءات **اصلاحية** يمكن أن تتم بعد ذلك تحقق لهم عملا أفضل ومستوى احسن .

المهم انه كان هناك اجمــاع بين افراد الشعب ، وبين فئــاته الوطنية فى تلك الفترة على ضرورة تحقيق الاســـــتقلال ، وطرد المستعمر .. وخاصة بعد ان أبعدت الثورة عن الحياة السياسية الاقطاعيين ، وكبار رجال الســـــياسة القدامى والذين ارتبطت مصالحهم بالاستعمار ، وشــاركوا فى افســـاد الحياة السياسية ، وهم الذين قدموا بعد ذلك الى المحاكم التى اقامتها الثورة ، وثبتت خيانتهم ، أو الجرائم التى ارتكبوها لافساد الحياة السياسية ، أو الاقتصادية .

كان تحالف هيئــة التحرير فى ذلك الوقت مفتوحا تتحد من خاله هذه الجماهير كلها .

● **ثانيا : لم يكن فكرة الثورة قد تبلور بعد فى نظرية سياسية ،** ولا فى شــكل من أشــكال التنظيم يمكن أن يلف حوله الجماهير المتحمسة ، ويجمعها ، وفضلا عن ذلك كان من الضرورى أن يتجمع المواطنون وأن يواجهوا الى جانب الاستعمار الأحزاب القديمة التى صدر قرار بحلها فى ١٦ يناير ١٩٥٣ لذلك أعلن ميثاق هيئة التحرير بعد اسبوع واحد من حل الاحزاب فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ .

● ثالثا : انها الأداة الشعبية التى يستطيع رجال الثورة من خلاب ن يلتقوا بالجماهير ، وأن يلتصقوا بهم كما يلتقون فى نفس الوقت بالمشاكل اليومية وأن يعملوا على حلها .. واذا كانت المشاكل التى كانت تتصدى لها الثورة فى ذلك الوقت صغيرة ، فالتنظيم الذى قام بالثورة نفسه كان يهتم أولا بالقضية الكبرى ، وهى قضية تحرير الوطن أولا ويضعها فوق كل المشاكل الاخرى ..

● **رابعا** : كانت المهمة البارزة التى قامت بها هيئة التحرير فى تلك الفترة هى التعبئة الوطنية ، وحشد الطاقات من أجل معركة الاستقلال ، ولذلك قامت بدور كبير فى تدريب المواطنين على السلاح ، وتوعيتهم ..

● **خامسا** : كان من الطبيعى فى مثل هذا التنظيم الواسع أن يتسلل اليه بعض العناصر المضادة لأهداف الوطن ، وآماله حتى فى الاستقلال ..

* * *

جمال عبد الناصر عندما تحدث عن هذه الفترة من عمر التنظيمات الشعبية ابرز أن « هيئة التحرير لم تفشل فطالما كنا بنقول ان احنا عايزين نحل مشاكلنا فى اطار من الوحدة الوطنية فانها قامت بدورها »

« (١) نجحت الثورة وبدأنا نواجه أول مرحلة للقضاء على الاحتلال والقضاء على السيطرة البريطانية ، والتخلص من الـ ٨٠ الف عسكرى بريطانى والحصول على الاستقلال الكامل ، وأول سؤال سألناه لأنفسنا ونحن نبدأ هذه المرحلة من هو الشعب ، من هو الشعب الذى سيكافح من أجل اخراج الانجليز ، لم يكن ممكنا

---

(١) اللجنة التحضيرية .

ان استدعى عملاء الانجليز واقول لهم تعالوا وأصدرهم لكى يكونوا هم الذين يتولون القيادة فى اخراج الانجليز .. بالعكس فالذى كان سيحصل أنهم كانوا سيقفون معهم ، لكى يبقوا أكثر مدة فى مصر .

« اذن فى هذه المرحلة كان لابد أن نسأل أنفسنا **من هو الشعب؟** من هو الشعب الذى سيخرج الانجليز من القناة ، ويأخذ الأسلحة ويحارب حرب عصابات ويحاصر المعسكرات البريطانية .. لم آت بالناس الذين يتعاملون مع الانجليز ، لم آت بالناس الذين كانوا يتاجرون مع الانجليز ، لم آت بالناس الذين كانت مصالحهم مرتبطة بمصالح الانجليز ، وأقول لهم اذهبوا الى القناة لتحاصروا الانجليز لكى تشعر بريطانيا أنها تدافع فى القناة عن نفسها ، ولا تدافع عن الشرق الأوسط ، لكن كان لازم أن أسأل نفسى سؤالا : **من هـــو الشعب ؟؟** » .

« الشعب هو صاحب المصلحة فى خروج الانجليز » .

« مرت هذه المرحلة ، هناك ناس ذهبوا للقناة ، وهناك ناس ماتوا فى القناة ، وهناك ناس حاربوا فى القناة ، وناس قاتلوا فى هذه الفترة .. **والانجليز اقتنعوا ليس بالمفاوضات فقط ، بل بالمفاوضات واقتنعوا بحرب العصابات** ، اقتنعوا انهم فى منطقة الشرق الاوسط لا يدافعون عن الشرق الأوسط ، ولن يستطيعوا أن يدافعوا عن الشرق الأوسط ، ولكن أصبحوا يدافعون عن انفسهم ، وأصبحت كل عربة يخرج فيها عشر عساكر » .

« أصبح مفروضا فى كل عربة يكون فيها سائق واحد أن يكون معه ثلاثة أو أربعة ليحموا هذه العربية من أن تضرب ، **الذى قام بهذه العملية هو الشعب ، وكان فيهـــم ناس راسماليين وأولاد راسماليين وانا اعرفهم بالاسم ، ومنهم أولاد كبار الملاك ، فى هذه المعركة الوطنية الشعور بالوطنية كان موجودا وكان الذى يشـــعر بالوطنية هو الشعب** » .

ويؤكد عبد الناصر أن هناك عناصر تعاونت مع الانجليز ، وكانت أصحاب مصلحة فى بقائهم فيواصل حديثه قائلا :

« ولكن ببساطة لو نضع أسماء ونقول هل يمكن لهؤلاء الناس أن يذهبوا ليحاصروا الانجليز ، نجد أنفسنا متفقين أن هؤلاء لا يمكن أن يكونوا هم الذين يحاصرون الانجليز ، ولا يخرجون الانجليز ، لاننا كنا نعلم انهم تعاونوا مع الانجليز ، وان تجارتهم مع الانجليز ، وأن بقاء سلطانهم مع بقاء الانجليز وبقاء نفوذهم مع بقاء الانجليز »

وهذا كله هو ما يؤكده ميثاق هيئة التحرير ففى الباب الخاص بتأسيس الهيئة ينص على انه :

« لقد رأيناها جريمة كبرى أن ندع هذه الحرب الطاحنة بين الاحزاب تطحن الامة بين شقى رحاها ، وتطيل أمد عبوديتها فعزمنا أن نضع حدا لها وقررنا أن نبدأ من البداية ، قررنا أن نخوض معركة التحرير التى خاضتها الامم بعزم جديد حتى لا تكون بعد اليوم مهانة ولا خيانة ، قررنا أن نبدأ من البداية فأزلنا وصمة العار التى دمغت جباهنا ، واطحنا برأس الحكم الفاسد الذى تراكمت حوله الخيانات ، واحتمت به خصوم البلاد ، ثم سارت حركتنا على النهج الذى تعرفونه ، وبتأييد الشعب على اختلاف طبقاته ، وطوائفه يزيد يوما بعد يوم حتى بلغ الحد الذى اصبح معه فى حاجة الى هيئة تنظمه ، وتبرز وحدته وتنسق جهود العاملين فيه فى مختلف الميادين » .

وقد جاء فى المذكرة التفسيرية للنظام الاساسى للهيئة : ومن وحى الحركة الاصلاحية ومن صميم الضمير المستجيب الى دواعى الخير تأسست بمدينة القاهرة جماعة لهيئة التحرير فى مختلف البلاد ، وهم أولئك الذين يؤمنون بمبادىء الحركة التى قامت فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتحطيم الاصنام ، وفك القيود التى تحول دون

وصول مصر العزيزة الى المكان اللائق بها بين الأمم ، وقد قررت الحركة ان تكفل لمصر حياة حرة كريمة دعائمها الطهر واستقامة الاهداف وخدمة المثل العليا والعمل المستمر الجاد الذى يعيد بناء امة وادى النيل فتصبح صرحا قويا راسخ الاركان تسهر عليه دولة صالحة تكفل للشعب رفاهيته وسعادته وتضمن له عدلا اجتماعيا لا يترك تحت سماء مصر جائعا أو جاهلا بل تجعل من كل فرد عضوا صالحا وصحيحا فى جسم أمة ترتفع هاماتها فى المجال الدولى ، فيتصل ماضيها بحاضرها المجيد بحاضر مشرق سعيد ، ولا شك أن النهوض بهذا الواجب رسالة من خير الرسالات التى اخرجت للناس ، ولا بد لتحقيق هذه الرسالة من أن تعتمد على شباب طاهر يؤمن بمصريته ويتفانى فى تحقيق عظمة بلاده ، ومن أجل ذلك وابتغاء مجد الوطن وحده رأى فريق من أبناء هذه الامة ان يؤسسوا منظمة تضم العاملين لخير الوطن وسؤدده من مختلف طبقات الشعب ، فينخرط فى سلكها الطلاب والعمال من مختلف الحرف والفلاحون والموظفون وغيرهم بحيث يتألف منهم بناء الوطن الشامخ الذى تربط أجزاؤه ،وتوحد عناصر المعانى والاهداف ويحرر الجميع من تقديس الفرد والتفانى فى الاشخاص فلا يعبدون الا الله الواحد القهار ولا يؤمنون الا بالله سبحانه وتعالى وبحق الوطن الطبيعى فى الحرية والمجد فى الحياة **وشعار الجميع الاتحاد والنظام والعمل »**

بعد هذه الديباجة يقول ميثاق هيئة التحرير « نحن اعضاء هيئة التحرير وقد آلينا على انفسنا ان نجلي الغاصب عن وادى النيل بلا قيد ، ولا شرط ، وان نكفل للسودان تقرير مصيره دون اى مؤثر خارجى وأن نقيم فى وطننا مجتمعا قويا أساسه الايمان بالله والوطن ، والثقة بالنفس ، وان نكفل الحقوق والحريات للمواطنين، فينال كل فرد حقه فى حياة كريمة تقوم على المساواة فى الحقوق وتكافؤ الفرص ، وتضافر قوى الشعب لتحقيق رسالة الاصلاح

الكبرى ، وأن نجعل نصب أعيننا وحدة الوطن المقدسة ، تعبئة في برامج التعمير والانشاء ، وان نعمل ما من شأنه قيام مصر برسالتها العالمية دولة قوية تحمل مشعل العدل ، والحرية وتسعى لخير بنى الانسان وتعاون الشعوب العربية وترعى المبادىء القويمةالتي نصت عليها المواثيق الدولية وهذه هي أهدافنا :

الاهداف القومية :

١ - اجلاء القوات الاجنبية عن وادى النيل دون قيد أو شرط وتحريره من كل استعمار سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى

٢ - تمكين السودان من تقرير مصيره دون أدنى تأثير خارجى

الاهداف الداخلية :

١ - تحقيق الاهداف والمصالح الاساسية للشعب ، بحيث يؤمن على حقوقه وحرياته وفقا لدستور يسجل ارادته

٢ - اقامة مجتمع على أسس من الايمان بالله والوطن والثقة بالنفس للتخلص مما يعانيه من اسباب التخلف والضعف .

٣ - توجيه النظام الاقتصادى الى ما فيه تحقيق العدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروة ووسائل الانتاج واستغلال موارد البلاد الطبيعية وتشييد الصناعة على نطاق واسع وتشجيع رؤوس الاموال بها

٤ - كفالة الحقوق والحريات الاساسية من الناحيتين السياسية والاجتماعية فالمواطنون سواء أمام القانون ومن حقهم التمتع بحرية الفكر والراى والعقيدة وممارسة الشعائر الدينية ومن واجب الدولة ازاءهم تامينهم ضد البطالة والمرض والشيخوخة .

٥ - تبصير المواطنين بواجباتهم وحثهم على التضامن والتضافر

والعمل المنتج للنهوض بتبعات الاصلاح .

الاهداف الخارجية :

١ - دعم الصلات مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين

٢ - تعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها وبلوغ أمانيها المشتركة

٣ - تأكيد استعدادنا للتفاهم مع أى شعب يظهر حسن نواياه نحونا .

٤ - التمسك بمبادىء ميثاق الامم المتحدة والمطالبة للعمل بها فى خدمة حرية الشعوب ورفاهيتها .

* * *

ولقد كان من الضرورى أن نلقى ضوء على أول التنظيمات الشعبية التى أقامتها الثورة ، لكى نفهم بعد ذلك كيف تطور الفكر الناصرى ، وكيف أنه سار على طريق الخطأ والصواب مسترشدا بمبادىء عامة هى الاهداف الستة التى حاول ان يطورها من خلال الممارسة والاحتكاك بالجماهير كما ذكرنا .

فالتنظيم الذى رأته الثورة فى ذلك الوقت كان معبرا عن طبيعة مرحلة التجمع الوطنى وكانت أولى أهدافه كما اتضح من ميثاقه هو تحرير مصر ، ومواجهة الاستعمار فيها ، واعطاء السودان حق تقرير مصيره كاملا .

أما الاهداف الداخلية فتعبر عن رؤية اصلاحية ، يمكن أن يقوم بها مثل هذا التجمع الذى كان من المفروض أنه يواجه الفراغ الناتج عن حل الاحزاب .

كانت تجربة الفكر الناصرى الثانية فى التنظيمات السياسية هى اعلان قيام الاتحاد القومى ، فى مرحلة تالية بعد الحصول على الاستقلال وذلك بعد تصفية هيئة التحرير فى ٢ ديسمبر ١٩٥٧ .

فبعد الاستقلال ، وبعد فشل الاستعمار فى محاولته اعادة غزو مصر ، والاستيلاء عليها ، وطرده من بور سعيد سنة ١٩٥٦، دون أن يحقق العدوان الثلاثى أهدافه .

جاءت بعد ذلك مرحلة تأكيد الاستقلال .. وتثبيته ومواجهة المؤامرات الاستعمارية وبداية الانطلاق لتحقيق آمال الجماهير وأهدافها عن **طريق مشروعات التنمية الاقتصادية** ومن هنا رأى الفكر الناصرى ، أن هذه المرحلة تحتاج الى تنظيم سياسى جديد، فى صورة تحالف جديد يضم فئات الشعب الوطنية . وكان « **الاتحاد القومى** » هو صورة التحالف الجديد الذى رأى الفكر الناصرى آنذاك انه يمكن ان يقوم بدفع الثورة لانتشال المجتمع من التخلف الذى كان يعانيه ، نحو بناء مجتمع جديد ، يبدأ فى التصنيع . ويعتمد على نفسه اقتصاديا وصناعيا .. لا يعيش عالة على استيراد منتجات الاخرين ، ولا يعيش مزرعة تصدر الخامات لصناعتهم ، فالاستقلال السياسى لا يمكن أن يتأكد الا اذا تبعه فى نفس الوقت استقلال اقتصادى ..

فالاستقلال فى حد ذاته لم يكن هدفا تقف عنده آمال الجماهير ، ولكن تحقيقه كان بداية ضرورية لاستمرار النضال من أجل القضاء على التخلف الاقتصادى ، والاجتماعى .. ووسيلة ذلك هو بناء الاقتصاد القومى المستقل والقوى ، عن طريق البدء فى خطط التنمية ومضاعفة الدخل كما يحدد عبد الناصر عندما يقول :

« وكان محتما أن نفتح الطريق أمام العدل ، ولقــد كان ذلك يقتضي ان نسير فى طريقين :

اولا : تنمية الاقتصاد القومي لكي يمكن أن يحقق نوع من الامان للمواطن حتى تتسع آفاقه الى حد يسمح لكل مواطن بأن يملك نصيبا منه .

ثانيا : محاولة تقليل حدة الفوارق بين الناس احقاقا لمبــدأ العدل الاجتماعي وتمكينا للاستقرار داخل الوطن » (١)

ولقد وجد الفكر الناصرى فى تلك الفترة أن هناك مجموعات من المواطنين الذين ســاهموا فى رد العـــدوان وردعــه وتحقيق الاستقلال لا بد من حشدهم فى معركة البناء .. ومن هنــا فان الاتحاد القومى كان عليه أن يواجه متطلبات المرحلة الجديدة بهؤلاء الناس ..

والسؤال الذى يطرح هو : من هو الشعب الذى يمكن ان يقوم بعملية البناء المطلوبة ، والذى يمكن أن يواجه المؤامرات الاستعمارية انهم تقريبا كل أفراد الشعب فبالاضافة الي المعركة الوطنية التى واجهها كل الشعب . فهناك معركة تنمية يمكن أن تواجهها وتلعب هذه الفئات دورا فيها :

※ **أولا** : فئات عديدة من المهنيين والمثقفين مصالحهم ترتبط ارتباطا مباشرا ، بخطط التنمية والتصنيع لانها الامل فى فتح مجالات جديدة للعمل والقضــاء على البطــالة الحقيقية بينهم ، التنمية بالضرورة ستؤدى الى رفع مستواهم المادى ، والاجتماعي

※ **ثانيا** : فئات العمال ، رغم أن القوى العاملة فى الصــناعة لم تكن قوية اذ أنه كان يعمل بها ١١ ٪ من القوة العاملة ، وكان دخل الصناعة بين ٨ و ١٠٪ من الدخل القومى .

وكانت العمالة المنظمة والكبيرة فى قطاع الغزل والنسيج الذى اختص بنصف القوى العاملة فى القطاع الصناعى ، وكان انتاجها

---

(١) المؤتمر الاول للاتحاد القومى .

عام ١٩٥٢ حوالى ٢٠٪ من الانتاج الصناعى وارتفعت سنة ١٩٥٩ حتى وصل الى ٤١٪ من الانتاج الصناعى ، والعدد الاخر من العمال كانوا موزعين على وحدات الانتاج الحرفى وبعض الصناعات الاستهلاكية ، والغذائية ، اما بقية القوى العاملة فقد كانت فى قطاع الخدمات الذى يعانى من التضخم اذ كان يضم ٣٢٪ من حجم القوى العاملة .

هؤلاء العمال كانوا اصحاب مصلحة مباشرة واكيدة فى التصنيع الجديد وتطوير الصناعة القديمة ، وكانوا يتوقعون فى نفس الوقت من الثورة ان تتجه اليهم وتمكنهم من حياة جديدة وخاصة بعد أن اتخذت اجراءات فى بداية توليها السلطة تشير الى اتجاهها فى القضاء على ما تراكم من مشكلات للعمال ، فأصدرت قوانين العمل ، ومنعت الفصل التعسفى ، واستطاعت أن تحل كثيرا من المنازعات العمالية داخل وحدات الانتاج بما يدعم حقوق القوى العاملة الصناعية ويقضى على مشكلاتها ..

ولقد كان حماس هذه القوى للثورة واضحا بشكل مباشر عندما صدرت قوانين التمصير المختلفة ، وبات واضحا ان الثورة تتجه الى خلق اقتصاد مصرى متين ،، لا يحقق فقط زيادة القوى العاملة ودعمها ، بل وفى نفس الوقت يحقق انصافها ، ورفع الغبن عنها ، والقضاء على صورة المدير الانجليزى فى مصانع النسيج وغيرها من المشروعات التى قامت فى أحضان راس المال الأجنبى ، او بالاستعانة به تماما والقضاء أيضا على التعسف والارهاب الذى يقوم به راس المال المستغل فى مواجهة العمال ..

* **ثالثا الفلاحون :** وبطبيعة تكوين المجتمع الزراعى المتخلف فان الزراعة كانت هى الاساس حيث يزرع ٥ر٨٥ مليون فدان تمثل ٨ر٢٪ من مساحة البلاد يعمل بها ٧٥٪ من القوى العاملة ، وتسهم ب ٤٨٪ من الدخل القومى فقد كانت الزراعة والصناعة تستخدمان ٦٨٪ من القوى العاملة ..

واذا كان وجه الثورة قد اتضح للعمال فى صـورة قوانين واجراءات تدعم مركزهم ، فان ما أقرته الثورة بالنسبة للفلاحين قد اظهر بوضوح ان الثورة تقف الى جانب الفلاح ، فقد كان أول القوانين التى اصدرتها واكثرها تأثيرا فى المجتمع حتى ذلك الوقت هى قوانين الاصلاح الزراعى التى قضت على الاقطاع ، وحددت أجرا للعامل الزراعى لاول مرة ، وواجهت مشكلة المستأجر الزراعى بأن حددت له هو أيضا القيمة الايجارية .

وكان ذلك يعنى ان آلاف الفلاحين قد اصبحوا ملاكا للارض التى يعملون فيها ، وانه قد قضى فى نفس الوقت على نفوذ الاقطاع وسيطرته ، وتحرير الفلاح .. **وبذلك كان الفلاحون من أكثر فئات الشعب ارتباطا بالثورة .**

* **رابعا ـ الراسمالية :** كان واضحا فى تلك الفترة ان الراسماليين الكبار تهمهم عمليات التنمية اذ تصوروا أنهم سيلعبون الدور الرئيسى فيها وانها تفتـح لهم مجالات جديدة للاستثمار ، والانتاج ، والبيع .. ولذلك فقـد تحمسوا لعمليات تمصير الشركات الانجليزية والفرنسية وهى التى تمت بعد حرب السويس .. ولكن حماسهم كان بهدف الاستيلاء على هذه الشركات ووراثتها ، وقد شرح عبد الناصر موقفهم بوضوح فى أول مؤتمر للاتحاد القومى فقال « وكان هناك من يتصور ان واجب الحكومة هو أن يبيع هذه الممتلكات الى الشركات أو الافراد الذين يمارسون نفس نوع نشاطها ، وكان ذلك خروجا عن التصور الاشتراكى الذى تحتمه ظروفنا ، وذلك ان الحكومة اذا باعت ما اصبح تحت اشرافها بعد التمصير فان النتيجة الحتمية لذلك هى مجرد اتاحة الفرصة للذين يملكون فعلا لكى يملكوا مرة أخرى .. ذلك ان الذى سيقدر على شراء المصنع المعروض للبيع هو ذلك الذى يملك بالفعل مصنعا ، كما ان الذى سيشترى السهم الجديد هو نفسه حامل السهم القديم »

ومع هذا التنبه الى موقف كبار الراسماليين فان الفكر الناصرى لم يتخذ من الراسمالية التى حرمت من وراثة راس المال الاجنبى موقفا يمنعها من أن تكون عضوة فى الاتحاد القومى ، بل على العكس احتلت فيه كثيرا من المواقع الهامة .

وهناك شريحة ثانية هى الراسمالية الصغيرة التى لم ترتبط بالاستعمار ، ولكنها تجد فى الثورة مجالا أوسع للانتعاش فى عمليات التنمية ، وتجد فى دعم الاستقلال .. حماية لها كصناعة وطنية .

التقت كل هذه الفئات فى ثانى مرحلة من مراحل التنظيم الذى أعلن يوم ٢٨ مايو ١٩٥٧ عندما صدر قرار تشكيل الاتحاد القومى .

ولقد كان الفكر الثورى يتجه الى ايجاد هذا التجمع ـ رغم تناقضاته ـ محاولا حل هذه التناقضات بطريقة سليمة .. وكوعاء لممارسة الديمقراطية ، ومواجهة تحديات الاستعمار فى مصر والعالم العربى وخاصة أن الثورة قد بدأت تظهر وجهها العربى والتفت حولها الشعوب العربية نتيجة لمواقفها المتعددة فى مقاومة الاستعمار ، والنضال من أجل تحقيق استقلال الوطن العربى ككل . وكذلك كان واجب التنظيم الجديد الاول هو دفع التنمية والبناء الاقتصادى وما يصاحبها من ضرورة دعم الاستقلال، وحماية الثورة الوطنية .

كان الاتحاد القومى اذن مرحلة ثانية من مراحل الوحدة الوطنية التى تأكدت عندما واجهت هذه القوى كلها العدوان ، وحاربته .. وانتصرت عليه ، وحافظت على الثورة .. صحيح أن كل فئة اتخذت هذا الموقف من موقع يختلف عن موقع زميلتها، ولكن المحصلة النهائية كانت ترى ضرورة وجود هذا التجمع ..

ويشرح كتاب الاتحاد القومى الصادر فى ١٩٥٧ فكرة الاتحاد القومى بأنها « فكرة نابعة من صميم ارادة وحاجة مجتمعنا ، أرادها شعبنا بعد تجارب مريرة من الكفاح والجهاد على مر السنين

والايام ، جربنا سياسة الاحزاب والفرق المتناحرة المتنابذة فقاسينا من انقسام الراى ، وتبديد المجهودات وتغلب المصالح الشخصية للافراد أو الاحزاب على المصلحة العامة وكل ما يترتب على تصرفات سماسرة السياسة من آثام فى حق مجتمع الحاضر ، ومجتمع المستقبل ، شهدنا كل ذلك ، وجربنا كل ذلك وثرنا عليه . فلم يبق امامنا نحن ابناء هذا الشعب أصحاب هذا الوطن ، وملاكه ، الا أن ننظم صفنا ، ونتولى زمام أمرنا بأيدينا ، ولا نتركه فى أيدى السماسرة او اصحاب السلطان من المستغلين .. فارادتنا جميعا تبلورت فى ان نكون وحدة ، وأن تعمل وحدتنا فى سبيل تحقيق اهدافنا ، وصيانة حقوقنا ، وانتصاراتنا والدفاع عنها . ولدعم تقرير مصيرنا ومستقبلنا بارادتنا المتحدة فى الفكر والعمل . ويعمل على بناء المجتمع العربى الاشتراكى التعاونى الذى يعمل بجميع منظماته وأفراده على تحمل مسئولية مجتمع تسوده الرفاهية ويتحقق فيه القضاء على الاقطاع والاستغلال ، وأن تواجه الملكية الفردية وظيفتها الاجتماعية لمصلحة المجتمع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وأن يقوم القطاع الاشتراكى فى مجالات الصناعة والتجارة والمرافق العامة بجانب النشاط الخاص وأن تنشط التعاونيات بجانبها الانتاجى والاستهلاكى بجوار النشاط الفردى ، كل ذلك لزيادة الانتاج وعدم السماح لرأس المال الفردى بالسيطرة أو الاستغلال واقامة عدالة اجتماعية تقل فى ظلالها الفوارق بين الطبقات وتتاح فيها الفرص المتكافئة لجميع المواطنين لاستغلال خيرات الوطن والاستفادة من جميع الخدمات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية التى توفرها الدولة والمؤسسات العامة ، وأن تكون المصلحة العامة هى الاساس فى معاملات كافة المجتمع .

اهداف الاتحاد القومى :

الاتحاد القومى ليس حكومة ، ولكنه تنظيم يضم الحاكمين والشعب ، ويتيح الفرصة الحقيقية لتعاونهم على علاج المشاكل

المحلية والقضايا العامة فى ظل المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى . وهو سبيلنا الى الديمقراطية السليمة التى تشعر الشعب بأنه يحكم نفسه بنفسه .

واذا نظرنا الى الماضى نجد الانفصال بين الحكام والشعب واحساس الفرد العادى فى القرية أو فى المدينة بان كل شىء يقرر فى القاهرة ، بينما هو فى موقف المتفرج الذى لا يملك سوى تنفيذ ما يصدر عن القاهرة من قرارات وقوانين تتحكم فى مصيره ، وفى مصير الملايين من أبناء هذا الوطن ، فلما قامت الثورة كان المبدأ السادس من مبادئها اقامة حياة ديمقراطية سليمة ومعنى الحياة الديمقراطية السليمة أن يكون لكل فرد حق الاشتراك فى بناء وطنه عن طريق الادلاء بوجهة نظره فى كل ما يعنيه من مشاكل سواء كان ذلك فى حدود محلية ، أم بالنسبة للدولة كلها ، مع التقيد برأى الاغلبية .

ولقد فشلت الاحزاب فى الماضى فى تحقيق هذا فقام الاتحاد القومى بتحقيق هذا الامل ؛ فجعل لكل عضو فى كل لجنة من لجان القرى البالغ عددها أكثر من اربع آلاف قرية حق مناقشة ما يهم قريته كأحد مواطنى القرية ، وما يهم البلاد كلها كواحد من ملايين المواطنين فى الجمهورية .

سيضع الاتحاد القومى يده على الخطأ ، وينادى باصلاحه ، ويتلمس الصواب فيطالب بتصحيحه ، وهذا هو السبيل الصحيح لاقامة حياة ديمقراطية سليمة .

لذلك كان لزاما علينا فى معركة البناء ، والانشاء وتقريب الفوارق بين الطبقات أن نبذل جهدا مضاعفا لتعويض ما فاتنا ، وعلى ذلك فان الاتحاد القومى بمجموعه وبأعضائه بلجانه ومنظماته فى سائر المستويات هو التنظيم الشعبى الذى يحقق أهدافنا ويحقق لنا المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى .

هذه الوحدة ــ وحدة الفكر والعمل ــ كان لزاما علينـا أن نستلهم ماضينا ، وتراثنا الفكرى والروحى وان نستجيب لدواعى الخير الكامنة فى اعماقنا منذ قرون طويلة عديدة فنتشبث بمبادىء المحبة والتعاون والاخوة والسلام فى خطواتنا التى نخطوها لتحقيق اهدافنا ..

ولا غرو فوطننا العربى مهـد الرسالات منذ كانت هنـاك رسالات ومهبط الوحى منذ كان هناك وحى يوحى به ، ودعوة الرسالات جميعا كانت ولا تزال دعوة محبة وإخاء وسلام ، وعندما اراد الشعب أن تسود المحبة والتعاون والسلام بين أفراده كانت أمامه ايضا تجارب التاريخ وآثار الماضى ومظاهر الحاضر فى وطننا العربى ، وفى غيره من أوطان العـالم راينـا كيف تنحى مبادىء الانسانية جانبا ، وتحل محلها جوانب وحشية غادرة ورأينا كيف تتحول فرق من الناس الى قتله وسفاكين للدماء غادرين مخادعين وتتقمص روح الشياطين فى سبيل السيطرة والاستعلاء ، وتتحول فرق اخرى من بنى الانسان اخوتهم فى الوطن وفى الانسـانية الى شبه قطعان ذليلة ليس لها الا أن تكون ادوات فى خدمة الاقليـة من الابالسة المسيطرين . واشباه هؤلاء فرق اخرى من مصاصى الدماء الذين لا يشبع نهمهم ولا جشعهم الى المال حد من الحدود، لا يتورعون أن يستخدموا كل الاساليب الجهنمية لامتصاص الدماء وجمع الثروات من بنى أوطانهم أو من ابناء الاقطـار الاخرى الخاضعة لسيطرتهم الاستعمارية .

والغريب أننا راينا هؤلاء وهؤلاء يخادعوننا ، ويخادعون الناس فيلبسون كل هذه الاساليب البسة مخادعة براقة ، ويطلقون عليها ما شاءوا من عناوين ، ولكن ارادة شعبنا الواعى لم يخدعها كل

ذلك ولم تنحرف بثورتها المجيدة الى طريق الشر والبغى والهدم والخراب بل اطلقتها فى طريق الخير والمحبة والاخاء والسلام البناء وهى سبل نبيلة تتحقق بها أهداف الشعب ، واهداف الثورة »

ماهية الاتحاد القومى :

هو مجموعة من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ــ الحاكمين منهم والمحكومين ــ اجتمعوا فى قرية واحدة لتحقيق هدف واحد هو المجتمع الاشتراكى التعاونى ، هو منظمة قومية عربية تعمل على تحقيق وحدتنا ووحدة الشعب العربى الذى جمعته وتجمعه أصول تاريخية وروحية واحدة ، كما جمعت وتجمعه وحدة اللغة والعقائد والتقاليد والدم والمصالح المشتركة . وحدة هذا الشعب العربى فى الوطن العربى المتحرر من كل أثر من آثار الاستعمار ، وأعوان الاستعمار .

والاتحاد القومى هو الذى يوجد الصلة الوثيقة بين القيادة وبين الشعب وعلاقته بالحكومة علاقة أساسها التعاون من أجل بناء الامة بناء سليما من جميع النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية لذلك سيعمل الاتحاد القومى على تخطيط السياسة العامة للبلاد ، وستقوم الحكومة بتنفيذ هذا التخطيط ، وينظم القانون الادارة المحلية فى جميع المستويات فى المحافظة وفى المدينة وفى القرية .

هذه المجالس المحلية هى التى تنفذ السياسة العليا للدولة فى مختلف المستويات .

***

كان دستور سنة ١٩٥٦ أكثر تركيزا لمهمة الاتحاد القومى عندما نص فى مادته ١٩٢ على أن : يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف التى قامت من أجلها الثورة ، ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما فى النواحى السياسية والاقتصادية

والاجتماعية ، ويتولى الاتحاد القومي الترشيح لعضوية مجلس الامة وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية ..

كان الفكر الناصري فى هذا الوقت مازال يتجه نحو مهـادنة الرجعيه من اجل تحقيق اهداف التنمية ، ولكن التجربة اثبتت خطأ هـذه النظرية .. وقاد عبـد النـاصر بنفسه حملة النقـد التى وجهت الى الاتحاد القومي ، وقال ان عناصر من أعداء الثورة ومن قوى الثورة المضادة قد تسللت اليـه ، بل واحتلت مواقع القيادة فيه ، فيقول عبد الناصر : (١)

« اذا كان من الحق الآن أن نمارس النقد الذاتى وهو ضرورى فانه لا بد من التسليم بأن التنظيمات الشعبية التى قامت او جرت محاولة اقامتها بعد الثورة قد عجزت عن تحقيق دورها وقصرت دونه وذلك راجع لعدة اسباب .

● **الاول :** ان قوى الثورة فى مواجهتها لحتمية التغيير الاجتماعى لم تكن قد استطاعت ان تحدد دليلا للعمل الثورى تلتقى عليـه الجهود ولقد تعرض الميثاق لهذا الوضع بالتفصيل .

ومن نتيجة ذلك أن التجمع الشعبى مع النوايا الطيبة التى توفرت له كان تجمعا يغلب عليه الطابع الثورى أو كان اقترابا غير منظم من مجموعة من الامانى العامة **ليس لها منهاج تفصـيلى** تلتقى عنده جهود جماعية على اساس فكرى واضح واحد لتصدر عنه ارادة شعبية عميقة ومؤثرة .

● **الثانى :** ان الفكر الثورى فى تلك الفترة وهو يتطلع الى الوحدة الوطنيه ويدرك ضرورتها الحيوية داخل الوطن وفى مواجهـة الظروف المحيطة به **وقع فى الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتكرة**

---

١ ـ مناقشات المؤتمر الوطنى ٢٠ يوليو ١٩٦٢ .

التى كان لا بد أن تسلبها الثــورة امتيازاتها الإستغلالية يمكن لها أن تقبــل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صــاحبة المصــلحة فى الثورة .

« ولقد كان من اثر ذلك أن محاولات التنظيم الشعبى التى جرت فى ضباب هذا الوهم حدث فى داخلها من عوامل الصدام بين القوى الثورية بالطبيعة والقوى المضادة للثورة بالطبيعة ما أصابها بالشلل وأقعدها عن الحركة ، بل وكاد أن ينحرف بها فى بعض الاحيان عن الاتجاه الثورى الاصيل .

● **الثالث** : انه نتيجة لما سبق من غياب دليل للعمل الثورى ومن خطأ جمع المصالح المتصادمة فى وحدة وطنية موهومة ضــاع عنصر الالتزام فى التنظيمات الشعبية .

* ان غياب **دليل للعمل الثورى** أقام ضبابا حول الهدف من المجتمع .

* كذلك فان **المفهوم الموهوم للوحدة الوطنية** . بعــد غياب دليل للعمل صنع المقاييس الحقيقية للحكم . على كفاءة افــراد التنظيم واخلاصهم فى خدمة الفكرة التى تشدهم الى هذا التنظيم .

على أنه لابد من التأكيد ان هذه المحاولات كلها لم تضع سدى فان هذه المحاولات فضلا عما حققته من مهمام مؤقتة ومرحليــة ساعدت بطريق التجربة والخطأ على الوضوح الفكرى الثورى .

« ان الميثاق وصــدوره عن ارادة شعبية حرة قد غير هذه الأوضاع كلها . فالميثاق أعطى دليلا للعمل الوطنى أولا ، انه من ناحية ثانية قد حدد بوضوح قوى الشعب العاملة التى يمكن أن تقوم بينها الوحدة الوطنية التى تتكفل بحل الصراع الطبقى ســلميا وتدفع أمكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير .

« وبذلك أصبح فى الامكان أن يلتف التجمع الشعبى حول فكرة واضحة كذلك أن يكون هذا التجمع الشعبى سليما وممثلا للقوى الوطنية ودافعا لامالها الثورية .

ان ميـدان العمل الوطنى اصبح الان مهيأ لقيـام التحالف الوطنى الممثـل لقـوى الفـلاحين والعمـال والجنـود والمثقفين والراسمالية الوطنية لكى يمارس دوره ويحـل محل التحالف الطبقى القديم الذى يجب ان يسقط والذى كان ممثـلا للاقطاع وراس المال وسيطرتهما على ثروة الوطن وعلى كل سلطة فيه .

« ان التحالف الوطنى الجديد الممثل لقوى الشعب العاملة ، هذا التحالف الذى يلتقى على الميثاق ومن حوله يفتح لاول مرة امكانية التنظيم الشـعبى الذى هـو بمثابة الجهاز العصـبى للديمقراطية السليمة (١) »

فالاتحاد القومى كان تجمعا بدون دليل ثورى للعمل ، وهو كتنظيم شعبى كان يهدف الى حماية الثورة واهدافها ، تحت شعار الوحدة الوطنية ، ولكن عناصر كثيرة مستغلة وانتهازية تسللت الى صفوفه واحتلت مكان القيادة ، وقد ظهر ذلك واضحا فى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية حيث احتلت القوى الرجعية مكان القيادة فى الاتحاد القومى ، وظهر ذلك ايضا فى الاقليم الجنوبى أن كثيرا من العناصر التى تساقطت على طريق التحول الاجتماعى الحقيقى بعد ثورة ١٩٦١ الاشتراكية ، كانت هذه العناصر فى موقع القيادة منه .. وانفصل الاتحـاد القومى عن الشعب ، وان حاولت بعض عنـاصره أن تقوم ببعض خـدمات للمواطنين ولكن التنظيم لم يكن هدفه ان يقدم هذه الخدمات فحسب ان أهدافه أكبر من ذلك بكثير وهذا ما عبر عنه الزعيم بقوله :

« لم يصبح الاتحاد القومى وحدة سياسية أو وحدة سياسية متحركة أو وحدة ثورية ـ أبدا بل نتج عن هذا أن الاتحاد القومى انفصل عن الشعب ماكنش فيه نقط للاتحاد القومى أو فى هيئـة التحرير كنا كلنا هيئة التحرير أو كلنا الاتحاد القومى معنى كلنا

---

(١) ٢ يوليو ١٩٦٢ م

هيئة التحرير أو كلنا الاتحاد القومى ان مفيش حد اتحاد قومى . يعتبر كل الناس هى الاتحاد القومى لأن فلان وفلان وكل واحد .. طيب امتى بيجمعوا أعضاء الاتحاد القومى مفيش داعى نجمع اعضاء بقى .. مفيش أعضاء كلنا الاتحاد القومى أو كلنا هيئة التحرير .. باظت العملية .. ومبقاش فيه رابطة تربط هـذه اللجـان بالشعب » .

« كان فيه وسايط وفيه طلبات .. كل واحد عايز بيجى واحد يوصيه على حاجة أو واحد بيطلب منه حاجة .. فى الواقع انهم فى هذا كانوا بيحبوا يعملوا خدمات للمناطق اللى هم فيها بس هل هو الغرض المطلوب من التنظيم السياسى .. والفرض ان احنا نعمل تنظيم سياسى يكون هو الدرع الواقى لمبادئنا والدرع الواقى للثورة علشان يحمى هذه الثورة وقلت طبعا حصل غلط فى مفهومنا »

« احنا لما قلنا نريد أن يكون الاتحاد القومى هو عبارة عن اطار من الوحدة الوطنية يجمع الجميع . يجمع جميع التصـادمات ويجمع جميع التناقضات ، وبهذا كان الناس اللى لهم نفوذ ، واللى لهم عصبية على طول بيدخلوا وبيسيطروا على لجان الاتحاد القومى وبيعتبر أن العملية لا هى تنظيم سياسى ولا هى ميثاق ولا هى فلسفة الثورة .. العملية وجاهة ان هو عضو الاتحاد القـومى ورئيس لجنة الاتحاد .. العملية وجاهة . »

« ودى التجارب اللى احنا شفناها فى المرة الاولى والتجارب الى احنا شفناها فى المرة الثانية اذن فيه عيب !! »

« التنظيم السياسى موش وجاهة .. التنظيم السياسى انا قلت تكليف وقلت لكم اول امبارح انه خدمة وانه ثورة وانه تفهم وانه دعوة ... الى آخر هذا الكلام . »

« اذا جينا النهارده وقلنا هيئة التحرير وقلنا كلنا الاتحـاد القومى كاننا معملناش حاجة .. نرجع نعيد العملية من اول وجديد

لازم ناخد دروس من اللى فات . عايزين نعمل تنظيم سياسى مضبوط تنظيم سياسى غير مهلهل تنظيم سياسى موش بس عبارة عن يفط .. ومناظر .. لا .. مبنى على الايمان الكامل والوعى الكامل ومبنى على معرفة بالرسالة المطلوبة ومبنى على معرفة بالواجب المطلوب ونمشى أو بنشوف الناس بنروح فى القرية ونروح فى كل حتة .. الناس .. فيه ناس ملهاش دعوة مبيهتموش قطعا .. فى كل حته ناس وانتم شفتوا الكلام ده لما دخلتم فى الانتخابات واحد مبيهموش بيمشى مع الماشى .. وواحد سلبى وواحد يهمه نفسه بس .. وواحد قلبه حارقه على البلد وقلبه حارقه على المبادىء وقلبه حارقه على انه يخدم وطبعا بتروح فى أى مجتمع ..، واحد بيفكر فى بلده وواحد بيفكر فى نفسه واحد بيشتغل طول النهار علشان قوته وقوت عياله وفى نفس الوقت هو مستعد يشتغل طول النهار أو يشتغل وقت اضافى علشان مصلحة بلده ..، واحد يدى المثل الطيب وواحد سكران طول الليل وطول النهار ..، أمثلة موجوده بنجيب ده ونحطه مع ده ونقول كلنا الاتحاد القومى السكران ينحرف وينخسر السليم .. وتجيله تهيئات ويقف يتكلم ويقول انه جدع ، وانه حيقف اصد الناس كلها .. ونبص نلقيه انه أفسد المثل الموجوده » .

« ازاى ينحط ده واحد سكران طول النهار ويبقعد يقول انه جدع ، وانه ضد كل الناس ، دانا موش فاهم ايه .. بنحطه مع المثل ومع القدوة الطيبة يفسد المثل والقدوة الطيبة » .

« الغلط .. بنقول كلنا برضه اتحاد قومى .. اتحاد قومى يجمع كل الناس ولكن بنقسم العضوية فى الاتحاد القومى ..، وده كان موجود فى الاتحاد سنة ١٩٥٧ وفى اتحاد سنة ١٩٥٩ ٪ بنقسم العضوية الى عضو عامل وعضو غير عامل .. العضو العامل هوه اللى بيدخل ويقبل انه يمثل المؤتمر فى القرية ، الباقيين ممكن باستمرار ينقلبوا من اعضاء غير عاملين الى أعضاء عاملين ويبقى

فيه فحص .. بتيجي العملية الاولى ازاى فتكون فى ٤٠٠٠ قرية وفى المصانع وفى المؤسسات الجماهيرية الشعبيه (باعتقد ان احنا لازم نبذل جهد كبير بحيث ان احنا نكون هذه اللجان المحلية .. هاجي القرية فيها ٥٠٠٠ او ٤٠٠٠ هل الخمسة آلاف دول ممكن يكونوا اعضاء عاملين ؟ وحتى اذا قلتم انتم اعضاء عاملين .. هل الخمسة آلاف يقدروا يشتغلوا ؟ » .

« لا مش حيشتغلوا .. اللى حيشتغل عدد محدود .. واللى حيفهم أو يتتبع الامور عدد محدود بنيجى فى الـ ٥٠٠٠ بنقول بناخد ٥٠٠ أو ١٠٠٠ دول همه الوحدة التأسيسنية .. الناس الاعضاء العاملين والباقى اعضاء منتسبين أو أعضاء غير عاملين ، واجب الـ ٥٠٠ أو الـ ١٠٠٠ انهم يدعوا ، ويضموا ، ويفهموا هؤلاء الناس وباستمرار نضم ونزود عدد اللجنة التأسيسية ـ ازاى حناخد الالف من ٥٠٠٠ هل تعمل انتخابات مش معقول .. اجى فى البلد واقولهم حاعمل انتخابات علشان آخد الف من بنى مر .. محدش .. يعنى عملية مش معقولة .. بس كل الناس فى بنى مر معروفين ، يمكن معروفين لى ؟ ومعروفين للناس اللى هناك » .

« احنا مش عايزين اتحاد قومى بيجى مهلهل أو تيجى اللجنة اللى فيه ليس فيها انسجام بل فيها عداوة وكل واحد قاعد يحارب فى التانى .. د ى مشكلة » (١) .

* * *

بعد اعلان القوانين الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ ، كان لابد أن يعيد الفكر الناصرى النظر فى قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، بعد أن أسقطت هذه القوانين تحالف الرجعية المتمثل فى الاقطاع مع راس المال المستغل ، وانتقلت الثورة الى مرحلة تالية .

---

(١) ٢ يوليو ١٩٦٢ المؤتمر الوطنى .

ووضع عبد الناصر امام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية سؤالا واحدا هو : **من هو الشعب ..**

كان المطلوب من اللجنة ان تحدد من هو الشعب صاحب المصلحة فى الثورة الاجتماعية ، والقادر على السير باهداف الجماهير التى تبلورت فى نضال من اجل صيانة الحرية ونضال من اجل بناء الاشتراكية .. ونضال من أجل الوحدة العربية ..

ولا شك ان قوانين يوليو ١٩٦١ ، قد غيرت التركيب الطبقى للمجتمع ، وحددت فئات جديدة أصبحت صاحبة مصلحة فى بناء وتدعيم الثورة الاشتراكية ، وعناصر اخرى أصبحت تأخذ موقف العداء منها على اساس ان أضيرت من التحول الاشتراكى ، فى مقدمتها الراسمالية الكبيرة ، التى اممت ممتلكاتها واصبحت مملوكة للشعب واضيفت الى القطاع العام .

وقد عبر القائد عن تلك الحقيقة فى مناقشات اللجنة التحضيرية عندما قال : « نأتى الى هذه المرحلة ولابد ان اتساءل من هو الشعب ؟ وعندما أجىء اليوم واقول من هو الشعب ، سيختلف عن السؤال الذى سالته لنفسى سنة ١٩٥٣ ، من هو الشعب ؛ هناك اختلاف كبير فى التكوين بسبب الاقطاعى الذى كان عنده عشرون الف فدان أو عشرة آلاف فدان ، أو خمسة آلاف فدان واخذت منه اربعة آلاف وتسعمائة . هل ممكن ان يقبل ابدا حكم الاشتراكية ، أو يقبل الكلام الذى نقوله ؟ انا لا اصدق ، انه يمكن أن يقبل ، حتى لو جاء بالمصحف وحلف ، فالشك يكون فى الجانب الثانى ، لا يمكن انا أن اصدق ، ماذا أفعل له ، اننا نتكلم عن العزل ونتكلم عن الفرز انا اقول لهذا الشخص لا يتولى قيادة ؟ .. ليس معقولا ان أجىء بالرجل الذى كان عنده خمسة آلاف فدان ، واقول له تولى قيادة بالنسبة للاشتراكية » .

« اذن اذا جئنا اليوم فى هذه المعركة ، وقلنا من هو الشعب ؟ ومن هو الذى سيعزل ، ومن هو الذى سنفرزه ؟ تصبح العملية بسيطة ونقول سنعمل اشتراكية » .

« هل سنتجه الى الرأسمالية والاقطاع او نتجه الى الاشتراكية ؟ اذا كنا سنتجه الى الرأسمالية والاقطاع أسأل نفسى وأقول من هو الشعب ؟ عندئذ آتى بالرأسماليين والاقطاعيين ، وأدعهم يتولون القيادة لاننى اذا كنت سأسير معهم يكونون اذن هم الشعب . هم انفسهم كانوا يسألون أنفسهم هذا السؤال قبل الثورة الاجتماعية ، وكان كل حزب من اجل أن يرشح نوابه أو يأتى بالناس الذين سيرشحون له يسأل نفسه من هو الشعب ؟ ومن هم الناس الذين يمسكهم القيادة ، يجىء بالناس الرأسماليين او الاقطاعيين أو الناس الذين تتمشى مصالحهم مع مصالح هذا الحزب .. اذن العملية عملية مصالح » .

« ومن الذى سيقوم بالقيادة ، **عندما نقول اشتراكية لا بد لها من اشتراكيين** ، انا لا أصل الى هذا التطرف ، انا اريد للاشتراكية اناسا لا هم رجعيون ، ولا هم راسماليون مستغلون .. اى واحد غير هذا ، اى واحد **ليس أصله اقطاعيا** ، اى واحد **ليس أصله رأسماليا مستغلا** ، أو لم يكن طبعا **مفسدا للحياة الرأسمالية** أو من الأذناب السياسيين الذين نعرفهم ، كل واحد من هؤلاء ، اذا لم يكن من هذه الفئات فانه يكون راغبا أن يسير فى الطريق الذى نسير فيه ، تسأله ما هى الاشتراكية ، هو يصور بنفسه الاشتراكية ، وقد يعرفها ببساطة أكثر من التعقيد الذى نعقده ، تجده يعرفها ببساطة انه يريد أن يأخذ حقه ويأخذ فرصة مثل غيره ، وابنه يلحقه بالعمل .. هذا هو المقصود من كلمة الشعب ، وأعداء الشعب .. أو الفرز أو العزل الى آخر هذا الكلام ، بعد ذلك اعتبر ان هذه **عملية ضرورية جدا لتامين الثورة الاجتماعية** ، والا اذا تولى القيادة الاقطاعيون او الراسماليون المستغلون فكاننا لم نعمل شيئا » .

اذن لقـــد مر الفكر الناصرى بالنسـبة للتنظيم السياسى فى مرحلتين :

* **الأولى** : هى مرحلة التجمع لكل القوى الوطنية على اساس ان التناقضات بينها تناقضات ليست عدائية .. وان التناقض العدائى هو بينها وبين الاستعمار .

* **الثانية** : مرحلة فرز العناصر صاحبة المصلحة فى الحفاظ على الثـورة الاشتراكية على أن هذه العنـاصر بينها تناقضات ولكنها ليست تناقضات عدائية ايضا ، وأن ما بينها يمكن أن يحل سلميا ، وفى اطار الوحدة الوطنية ..

لم يأخذ الفكر الناصرى فى تجربته الثالثة مع التنظيم بفكـرة الحزب واخــــذ ايضا بفكرة التحالف .. ولكن صيغة التحالف هذه المرة مختلفة ، فقد أبعدت عنها عناصر الثورة المضادة بالعزل من الحياة السياسية ، ومنعت من عضوية التحالف الجديد .. وهو الاتحاد الاشتراكى العربى الذى نص عليه ميثاق العمل الوطنى فى مايو ١٩٦٢ .

اذا كان الاتحاد القومى تجمعا وطنيا ، والاتحاد الاشتراكى هو الاخر تجمعا وطنيا فما هو الفرق بينهما هذا السؤال نفسه طرحه عبد الناصر فقال :

« طيب ايه الفرق بين الاتحاد الاشــتراكى العربى والاتحاد القومى ماحنا كان عندنا اتحاد قومى وعملنا انتخابات عامة الى آخر هذا الشىء . والنهـــاردة ها نعمل اتحاد اشتراكى عربى بانتخابات (١)

« فيه فرق كبير ، فيه فرق جوهرى واحنا يمكن المسئولين زى ما قلت . ان احنا شعب طيب ولكن مش من السهل ان حد يضحك علينا ، احنا قلنا ان احنا بنعمل الاتحاد القومى بنشكل

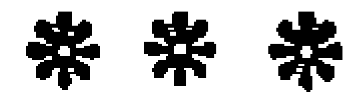
---

(١) عيد السد يناير ١٩٦٣ م

الاتحاد القومى وتكون الاتحاد القومى ، فوجدنا ان الاساس الذى بنى عليه الاتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم ، شىء ضد العقل وضـــد الطبيعة واحنـــا كنا طيبين جدا ، عايزين نلم الاقطاعى اللى خدنا منه الف فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمس أفدنة . وكنا بنعتبر ان الاقطاعى اللى خدنا منه ألف فدان حاينسى ويقول ان احنا بنمشى فى المجتمع الجديد ، لكن الاقطاعى طبعا اللى أخدنا منه الف فدان مش ممكن حاينسى ان احنا أخدنا منه الف فدان مهما سيبنا له من الأرض . ويعتبر ان هو كان سيد فى هذه البلد والنهاردة بنقوله تساوى مع الآخرين ، وهو لا يقبل أن يتساوى مع الاخرين لانه بيعتقد انه سيد بالوراثة اللى ورث هذا عن ابوه وعن جده وان الآخرين فلاحين أو عمال بالوراثة وان دى طبيعة الكون . »

« ان الاتحاد الاشـــتراكى بيتألف من تحالف قوى الشعب العاملة ولا مكان فى الاتحاد الاشتراكى للرجعية ، او للاقطاع ، او للراســـمالية المستغلة . أو للراسمالية الفاسدة ، مهما بعتوا تلغرافات ومهما حاولوا يتلونوا ، ومهما حاولوا يقولوا انهم بيماسوا هـــذا النظـــام بنقول لهم الايام ستثبت مين فعـــلا اللى بيمشى مع هذه الاهداف ومين فعلا اللى قابل هذا الميثاق عن حق ، ومين اللى مستعد أن يتحول الى مواطن صالح ، ولكن يجب أن يوضع كل واحد موضع الاختيار الكامل ، أما اليوم فلا مكان لهم فى الاتحاد الاشتراكى .

« .. دا الفرق بين الاتحاد الاشتراكى العربى والاتحاد القومى قوى الشعب العـــاملة هى التى ستقوى الاتحاد الاشـــتراكى العربى .. »



فى ينـــاير سنة ١٩٦٢ ، وقبل صدور ميثاق العمل الوطنى صدر قانون العزل الســـياسى متضمنا عزل

الفئات التى حددت اللجنة التحضيرية عزلها من المحيط السياسى ، ومنعها من مباشرة حقوقها السياسية لمدة عشر سنوات ومنعت بعد ذلك من عضوية الاتحـــاد الاشتراكي وهي :

١ ـ من انطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى وحددت ملكياتهم الزراعية .

٢ ـ من ثبت اشتراكهم فى افساد الحياة السياسية عن طريق الكلمة أو الفتوى وكل من استغل النقـــابات العمالية أو المهنية أو الجمعيات التعاونية .

٣ ـ العناصر الرجعية والمستغلة التى تعارض الاشتراكية والذين أممت لهم أسهم تزيد قيمتها على عشرة آلاف جنيه .

٤ ـ الذين فرضت عليهم الحراسة أو اعتقلوا ، أو حددت اقامتهم

* * *

وعندما يتحدث الميثاق الناصرى عن التنظيم الجديد ، تنظيم الاتحاد الاشتراكى يصفه بانه الصيغة الجديدة للتحالف بين فئات الشعب العاملة ، بدلا من التحالف القديم بين الاقطاع والراسمالية .. « فتحالف الرجعيـــة وراس المال المستغل يجب أن يسقط ، ولا بد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطية للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة ، وهى الفلاحون والعمال ، والجنود والمثقفون ، والراسمالية الوطنية .

« ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البـــديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل ، وهو القادر على احلال الديمقراطية السليمة محل ديمقراطية الرجعية ..

« ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة »

وتحدد مقدمة قانون الاتحاد الاشتراكى العربى ماهية الاتحاد فتقول انه :

منذ أن قامت الثورة ، ثورة ٢٣ يوليو ، وارتبطت بمبادئها الستة ، وانتقل نضال الشعب بالتحول الاشتراكى بعد قرارات يوليو ١٩٦١ ، اقتضت مراحل الكفاح قيام تنظيم شعبى هو الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون أمينا ، وقادرا على المحافظة على مبادىء الثورة الستة ، والاندفاع بها الى الاهداف الكبرى التى حددها الميثاق .

« ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو الطليعة الاشتراكية التى تقود الجماهير وهى تعبر عن ارادتها وتوجه العمل الوطنى ، وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره فى خطه السليم فى ظل مبادىء الميثاق »

« وهو الوعاء الذى تلتقى فيه مطالب الجماهير، واحتياجاتها، ويضم الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى شعبى قوى الشعب العاملة ، ويتمثل فيه تحالف هذه القوى فى اطار الوحدة الوطنية »

اما اهداف الاتحاد الاشتراكى العربى فهى :

١ ـ تحقيق الديمقراطية السليمة ، ممثلة بالشعب وللشعب لتكون الثورة بالشعب فى أسلوبها ، وللشعب غايتها وأهدافها

٢ ـ تحقيق الثورة الاشتراكية التى هى ثورة الشعب العامل .

٣ ـ دفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير وحماية مبادىء الثورة وأهدافها . .

٤ ـ حماية الضمانات التى قررها الميثاق وهى : كفالة الحد الأدنى لتمثيل العمال والفلاحين فى جميع التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بحيث يراعى فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى نفسه أن تكون نسبة العمال والفلاحين ٥٠٪ على الاقل باعتبارهم اغلبية الشعب التى

طال حرمانها من حقوقها الاساسية ـ مبدأ القيادة الجماعية ـ تدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية ـ ارساء حق النقد والنقد الذاتي ـ نقل سلطة الدولة الى المجالس المنتخبة تدريجيا .

٥ ـ نقل سلطة الدولة تدريجيا الى المجالس الشعبية المنتخبة .

٦ ـ النضال ضد تسلل النفوذ الأجنبى والانتهازية والرجعية التى تم اسقاطها .

٧ ـ مقاومة السلبية والانحراف ، ومنع الارتجال فى العمل الوطنى .

ويضع قانون الاتحاد الاشتراكى ضمانات لكى يؤدى الاتحاد مهمته ويحقق أهدافه فيقول القانون :

« وضمانا لأن يؤدى هذا التنظيم الشعبى الى تحقيق اهدافه فان العلاقات سواء بين الأعضاء وبعضهم أو بينهم وبين تنظيماتهم ، تتطلب مجموعة من القيم والمبادىء ليسير الاتحاد الاشتراكى العربى بقوة نحو اهدافه الثورية .

واهم هذه المبادىء احترام الأقلية لارادة الأغلبية ، حتى لا يكون هناك اى مجال لقيام دكتاتورية فى منظمات الاتحاد ، وكسب ثقة الشعب عن طريق الاقناع ، وهذه الثقة هى السبيل الى طاعة الجماهير لقيادتها طاعة ليست وليدة الخوف ، ولكنها وليدة الاقناع ، ولا تعطى للقيادات ، فى اى مستوى من المستويات ، حقوقا مكتسبة تقيم دكتاتوريات داخل تنظيمات الاتحاد والنظام والطاعة فى العلاقات بين القيادة والطليعة والجماهير على أساس اخلاص القيادة الثورية وسلامة مخططاتها واخلاص الطليعة الاشتراكية ، والاستعداد للبذل والتضحية واقتناع الجماهير ، والعمل على قيام علاقات سليمة بين منظمات الاتحاد وبين الشعب

العامل ، والعمل على حل مشاكل الجماهير ، والعمل على استمرار الدفع الثورى لدى الجماهير واطلاعها على حقائق الامور ، وعدم فرض السلطة ، أو ممارسة اى نوع من التعالى على جماهير الشعب العامل ، والاعتراف بالأخطاء والمبادرة الى اصلاحها .

ان الاتحاد الاشتراكى العربى ، وهو السلطة الشعبية يقوم بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة التى يمارسها باسم الشعب فى حين يقوم مجلس الامة ـ وهو سلطة الدولة العليا ومعه المجالس النقابية والشعبية ـ بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى العربى .

وفى خلال منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى فى جميع مستوياته يجد الميثاق ـ وهو بالنسبة لثورتنا نظريتها السياسية وبالنسبة لاشتراكيتنا فكرها الثورى ـ طريقه الى التطبيق العملى ..

وفى قيام الاتحاد الاشتراكى العربى بدوره القيادى ، وتحمله لمسئولياته الطبيعية ، ووقوفه حارسا على الضمانات التى كفلها الميثاق ، وممارسته لوظائفه بالأسلوب الديمقراطى ، وانبثاقه عن الجماهير ، وتمثيله لأمانيها وتعبيرة عن ارادتها ، وتحقيقه لمبدأ سيادة الشعب وارسائه لقاعدة أساسية من قواعد التنظيم السياسى الديمقراطى وهى أن الديمقراطية السليمة تصبح بالمنطق الاشتراكى وسيلة وغاية للنضال الوطنى .

ويقول عبد الناصر فى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية :

ان الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم الأم الذى يربط جميع سلطات الدولة ، فرئيس المدينة أو رئيس القرية يجب أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى العربى حتى يستطيع أن يحل مشاكل المدينة أو القرية ، ويتفاعل مع طلباتها ويلبى احتياجاتها ، وفيما يتعلق بالنقابات ينبغى أن يكون أعضاؤها أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى العربى لتكون فى الوطن وحدة كاملة .. تجمع كل

المواطنين في الاتحاد وبناء على ذلك نكون الاتحاد الاشتراكي العربي هو التنظيم السياسي الأم ، ومنه ينبثق كل القـادة ، وبهذا نخلق وحدة فكرية ووحدة وطنية في بلادنا .

* * *

في بداية التحول نحو الاشتراكية صدر الميثـاق الناصرى كوثيقة تحوى برنامج عمل واضـح ينطلق التحالف لتحقيقه وحمايته والدفاع عنه .. والسير به الى الامام في اتجاه آمال الجماهير وتطلعها نحو الحرية والاشتراكية والوحدة .

والتحالف الجديد قد حدد الفئات صاحبة المصلحة في الثورة والتى تسـعى لاقامة المجتمع الاشـتراكى وعزل عنـاصر الثورة المضـادة ، وبذلك أطلقت فاعليـة الجماهير المكونة له لتـدافع عن مكاسبها ضد قوى الاستعمار والرجعية ..

ولقـد تنبه عبد الناصر الى أن هذا المتحالف يضم فئـات متناقضة .. وصاحبة مصالح مختلفة ، ولكنها ليست متصادمة كما أن تناقضاتها ليست جذرية لا تستعصي على الحل السلمي ..

فالفكر الناصرى .. يعترف بالصراع الطبقى ، ولكنه يرى انه يمكن أن يحل داخل نطاق الوحدة الوطنية . فيقول الميثاق ..
« والصراع الحتمي والطبيعي بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو انكاره وانما ينبغي أن يكون حله سلميا في اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات »

« ولقد اثبتت التجربة التي صاحبت بدء العمل الثورى المنظم انه من المحتم أن تأخذ الثورة على عاتقها تصفية الرجعية وتجريدها من جميع أسلحتها ومنعها من اى محاولة للعودة الى السيطرة على الحكم وتسخير جهاز الدولة لخدمة مصالحها »

« ان ضراوة الصراع الطبقى ودمويته والاخطار الهائلة التى يمكن ان تحدث نتيجة لذلك هى فى الواقع من صنع الرجعية التى لا تريد التنازل عن احتكاراتها وعن مراكزها الممتازة التى تواصل منها استغلال الجماهير »

« ان الرجعية تملك وسائل المقـاومة ، تملك سلطة الدولة ، فاذا انتزعت منها لجأت الى سلطة المال ، فاذا انتزعت منها لجأت الى حليفها الطبيعى وهو الاستعمار . »

« ان الرجعية تتصادم فى مصالحها مع مصالح مجموع الشعب بحكم احتكارها لثروته ، ولذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن أن تتحقق الا بتجـريد الرجعيـة اولا وقبل كل شىء من جميع أسلحتها »

« ان ازالة هذا التصادم تفتح الطريق للحلول السلمية أمام صراع الطبقات . »

« ان ازالة التصادم لا تزيل المتناقضات بين بقية طبقـات الشعب وانما هى تفتح المجالات لامكانية حلها سلميا ، اى بوسائل العمل الديمقراطى ، بينما بقاء التصادم لا يمكن أن يحل بغير الحرب الاهلية وما تلحقه من أضرار بالوطن فى ظروف يشتد فيها الصراع الدول وتعنف فيها عواصف الحرب الباردة . »

* * *

وفى مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية يعلن عبد الناصر ان مجتمعنا يفور فيه الصراع الطبقى « فيه عنـدنا طبقات كثيرة وفيه صراع طبقى ، فيه اللى لا يملك أرض وفيه اللى بيملك أرض .

« وما عندوش فائض ، وفيه اللى بيملك أرض وعنده فائض — بالنسبة للطبقة المتوسطة — فيه ناس بتبص لليســار ، وناس بتبص لليمين وبالنسبة للمثقفين فيه عندهم نوازع لليمين لانهم

يفكروا فى تحسين أحوالهم لا فى تحسين أحوال المجتمع ، لما نبص لبنى مر تلاقى ناس متعلمتش ، اللى ما اتعلمش ماشى وراء الجاموسة واللى اتعلم عنده المرسيدس ، ومكتب فيه تكييف وبيقعد فى روف سميراميس وشبرد .. واحد عنده بيت وواحد ما عندوش بيت .. وده عنده كهربة ، وده ماعندوش — ولو ان فيه فى بنى مر كهربة — وده بيتمتع ، وده لا يتمتع ، احنا مجتمع فيه ثورة .. ومجتمع فيه معركة .. بيجى واحد يطلب ديمقراطية واحزاب .. لو عايز احزاب معنى هذا اسمح بحزب راسمالى رجعى »

« أول ما اسمح بالحزب ده حتنفذ الـ سى . اى . ايه ثانى يوم من طريق المضادين للثورة فى الخارج اللى مش قادرين يطعنونا من الداخل .. وتستطيع الراسمالية والامبريالية أن تنفذ خلال هذا الحزب الرجعى ، ونكون تنكرنا للثورة ومبادئها ، وأول مبادئها القضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع والاحتكار » .

* * *

الفكر الناصرى يلتقى مع الفكر الماركسى فى الاعتراف بالصراع الطبقى وان كان لا يلتقى معه فى صيغة تحالف قوى الشعب العاملة .. بدلا من الحزب .. ويختلف ايضا فى الاسلوب الذى يراه لحل هذا الصراع ..

فبينما ترى الناصرية أن الوسيلة هى الحل باسلوب سلمى — حيث تمكنت القوى الثورية فعلا من الاستيلاء على سلطة الدولة واصبحت تملك أدواتها وأجهزتها ترى الماركسية ان الحل — وصولا الى السلطة — لا بد أن يكون دمويا .

فالماركسية تقوم اساسا على فكرة الصراع بين الطبقات ومقدمة البيان الشرعى تقول ان تاريخ كل

مجتمع ، الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات فالحر والعبد والنبيل والعامى ، والسيد والاقطاعى والقن ، والمعلم والصانع

اى باختصار المضطهدون والواقعون تحت تأثيرهم كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة ، وتارة مستترة ، حرب كانت تنتهى دائما بانقلاب ثورى يشمل المجتمع بأسره ، واما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا . وخلال العهود التاريخية السابقة نجد المجتمع فى كل مكان تقريبا منظما تنظيما متسلسلا ، والاوضاع الاجتماعية على مراتب ودرجات متفاوتة .. ونجد داخل كل طبقة من الطبقات درجات خاصة .

« والمجتمع البورجوازى الحديث لم يقض على هذا التناحر بين الطبقات بل اقام طبقات جديدة بدلا من القديمة ، وأوجد ظروفا جديدة للاضطهاد واشكالا جديدة للنضال ، الا ان الذى يميز عصرنا الحاضر ، عصر البورجوازية هو انه جعل التناحر الطبقى اكثر بساطة ، فان المجتمع آخذ فى الانقسام أكثر فأكثر الى معسكرين فسيحين متعارضين ، الى طبقتين كبيرتين ، العداء بينهما مباشر ، هما **البورجوازية والبروليتاريا** .. هما الراسمالية والعمال .. والصراع الذى يدور بينهما هو من أجل ملكية أدوات الانتاج .. والعلاقات الانتاجية أصبحت لا تتفق مع نمو القوى الانتاجية لذلك فانه لا مفر أن **تملك الملكية الاشتراكية لادوات الانتاج** . ولقد حولت الصناعة الحديثة الورشة الصغيرة الى مصنع كبير .. واصبح العمال يخضعون لتنظيم أشبه بالتنظيم العسكرى ، فهم عبيد للراسمالى وكلما نمت قوتهم ، يزداد نضالهم ولا يكتفى العمال بتوجيه ضرباتهم الى علاقات الانتاج البورجوازية بل يوجهونها الى أدوات الانتاج نفسها ».

وترى المادية الجدلية ان تاريخ البشرية هو تاريخ الاستغلال والاضطهاد وصراع الطبقات ، وان الصراع وصل الى مرحلة أن

البروليتاريا لا تستطيع أن تحرر نفسهـا دون أن تحرر المجتمع بأسره ، وكل الحركات التاريخية الى يومنا هذا كلها حركات قامت بها اقليات او جرت فى مصلحة الاقليات ، اما حركة البروليتاريا فهى حركة قائمة بذاتها للاكثرية الساحقة فى سبيل مصلحة الاكثرية فالبروليتاريا التى هى طبقة سفلى فى المجتمع الحالى ، لا يمكنها أن تهب ويقوم عودها الا اذا نسفت كل الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتى تؤلف المجتمع الرسمى ..

وينتهى المنهج الماركسى بالوصول الى **مجتمع بلا طبقـات ، وبلا ملكية فردية** ، فعندما ينتهى الصراع من أجل الملكية سيتحول المجتمع الى مجتمع جديد بلا سلطة حكومية « فالجهاز الحكومى هو اداة فى يد طبقة معينة لقمع طبقة أخرى ، وعنـدما تصبح الدولة للجماهير وتصفى الملكيات فانه لا حاجة الى جهاز للدولة ، ولكن الوسيلة الى ذلك هو الاستيلاء على السلطة والاستعانة بجهـاز الدولة واقامة ديكتاتورية البوليتاريا المؤقتة حتى تتم تصفيـة الطبقات وبذلك تنتهى مهمة جهاز الدولة »

الأساس اذن أن تنظم الجماهير صـاحبة المصلحة نفسـها فى حزب ، وأن تقوم بمواجهة أجهزة الدولة والاستيلاء على السلطة لتحولها لصالح الأغلبية الساحقة .. والوسيلة الى ذلك هو الحزب .. والحزب فى الفكر الماركسى هو أداة الطبقة العاملة لفرض سيطرتها وتحقيق ديكتاتورية البورليتاريا ، وفى جلسات الوحـدة يشرح عبد الناصر تفسيره لنظم الديمقراطية فى الشرق والغرب .. ثم يشرح ما هى البلوريتاريا .. يقول عبد الناصر :

« بنفسر الكلام ده لانه جاء فى الميثاق الحقيقة موضوع يستاهل النقاش .. هو طبعا فيهعندنا الطبقة .. طبقة الاقطاع والرأسمالية اللى بيسموها البورجوازية .. وبعدين الطبقة العاملة ... فيـه مذهبين فى العالم فى البلاد البورجوازية بتنادى بسيطرة راس المال على الحكم ... اللى هى سيطرة تحالف الاقطاع ورأس المال واقامة

دكتاتورية الرجعية أو دكتاتورية تحالف الاقطاع مع راس المال تحت اسم الديمقراطية البورجوازية »

« 'ما بتيجى النهاردة فى فرنسا بتبص .. بيقولوا فيه ديمقراطية لكن بتبص للبرلمان **من الموجود فى البرلمان** ؟ مين اللى بيقدر يوصل للبرلمان ؟ هى الطبقة **البورجوازية** التى ورثت السلطة .. الطبقة السائدة الطبقة الحاكمة برغم الثورة الفرنسية .. الطبقة لا زالت تحكم فى فرنسا بالبورجوازية .. اللى هى تحالف اقطاع مع راس المال . »

« **بيطلع الفكر الماركسى** .. الفكر الماركسى بيقول أن البروليتاريا التى هى طليعة الطبقة العاملة يجب أن تأخذ الحكم بالقوة وعليها ان تسقط هذه الطبقة البورجوازية وتهدمها بالعنف وبالقوة .. وتقيم بدلا من ذلك دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية طليعة الطبقة العاملة .. فهنا فيه دكتاتورية .. هنا ايضا فيه دكتاتورية .. الدكتاتورية الاولى هى دكتاتورية راس المال والاقطاع .. دكتاتورية البورجوازية تحت اسم الديمقراطية الغربية .. الثانية هى دكتاتورية البروليتاريا تحت اسم الشيوعية »

« الكلام اللى احنا بنقوله بيختلف عن هذا .. احنا بنقول ان تحالف الاقطاع وراس المال يجب أن يسقط ودول اللى حكموا مئات السنين فى بلادنا .. ولكن هل لا بد لتحقيق هذا الهدف أن نقيم البروليتاريا ؟ لقد نص الميثاق أن الحل المناسب لنا هو أن نقيم حكما لتحالف قوى الشعب العاملة .. اللى هى العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والحرفيين أو الراسمالية الوطنية » .

« **فاذن هذا بيختلف كلية عن النظريتين** .. معنى هذا ايه .. ان الشعب العامل كله هو اللى بيحكم .. ومعنى هذا ايضا انه لن تكون هناك فرصة لسيطرة الطبقة القوية .. الطبقة القوية زى ما قلنا اللى هى الطبقة التى يتمثل فيها تحالف الاقطاع وراس

المـال وعندها من الاسلحة وعندها من القوة بأن تشكل نفسها وتتسلل الى الحكم »

« كيف نحمي قوى الشعب العامل ؟ كيف نحمى هذا التحالف من ان تنقض الطبقة البرجوازية التى اخذت فرصة التعليم وفى ايدها الفلوس وعنـدها النفوذ ، وورثت السلطان من ان تنقض مرة ثانيـة على تحالف قوى الشعب العـاملة لتسقطه وتحكم مرة اخرى ؟ »

« صمام الأمان الوحيد أن يعطى العمال الذين حرموا السنين وآلاف السنين ٥٠ ٪ على الأقل فى الحكم وفى المجلس التشريعى .. بهذا لن تتمكن البورجوازية القـوية أن تنفذ الى البرلمان وتأخذ اغلبية لتحكم وتأخذ السـلطة .. وبهـذا لا تعود سيطرة الطبقة أو سيطرة التحالف بين الاقطاع وراس المال .. سيطرة الرجعية مرة اخرى » .

« كيف نضمن هذا ؟ كيف نضمن ان هذه الطبقة القوية ــ اللى عندها أسلحة واحنا ساعات نستهين بيها ــ ما تأخدش الدولة وتغتصب الدولة وتسخرها لخدمة مصالحها . .الضمان الوحيد أن الناس اللى حرموا من حقوقهم وحرموا من كل شيء نديهم ٥٠ ٪ .. اذن اذا قدرت الطبقة الرجعية المستغلة أن تأخذ عدد من كراسى البرلمان مش هتقدر أن تستولى على الحكم .. أنها تستولى على الحكم بشيء واحد انها تأخذ أغلبية أو أكثر من نص عدد البرلمان . »

« بهذه الطريقة بنضمن تحالف قوى الشعب العامل انه يستمر .. بيستمر بقوة بدون أن تتسلل الرجعية أو تتسلل البورجوازية لتأخذ السلطة من حيث لا ندرى .. وفى رأيى ان البورجوازية أو تحالف الاقطاع ورأس المـال على درجة كبيرة من الذكاء بحيث انه يستطيع أن يشكل نفسه وفقا للحاضر .. ووفقا للموقف .. »

« وحصل فى وقت من الاوقات فى تجربة سنة ٥٨ انالراسمالية

المعاصرة استطاعت فى سوريا انها تتشكل وتمشى مع الموقف وارادت بهذا أن تنقض على الحكم لتاخد الحكم وأخذت الحكم . واغتصبت الحكم .. فى بلاد تانية كثيرة خصلت هـذه الامثلة واستطاعت البورجوازية اى تحالف الاقطاع مع راس المال ان تغتصب السلطة مرة أخرى . الامان الوحيد انك تضمن ٥٠ ٪ للعمال والفلاحين اللى هم يمثلون جزء كبير من الشعب العامل اللى هم بيمثلوا أغلبيـة الشعب .. اما بنقول ان الشعب العامل بيتمثل مثلا فى ٧ مليون ـ هنا فى مصر ـ مليون علية يعنى .. طبعا العمال والفلاحين بيمثلوا على الاقل أكثر من خمسة مليون ونصف أو ستة يمكن .. ستة مليون ، ستة مليون فماجيناش نقول ندى نسبة « ١ » الى « ٥ » لان الشعب العامل ٦ مليون .. فعملية الـ ٥٠ ٪ الغرض منها أن تؤمن هذه الديمقراطية الشعبية ـ اللى احنا بنتكلم عليها ـ من التسلل الرجعى ومن اعادة سيطرة الطبقة البورجوازية مره أخرى »

« ده الحقيقة الشرح لهذه العملية .. ازاى نضمن ان الراسمالية لا تتسلل ؟ لاى جزء من تحالف قوى الشعب العاملة ـ اللى هو الجزء الكبير ـ هو اللى بيكون عنده الفرصة فى البرلمان وبهذا لا نعطى الفرصة للبورجوازية أن تتحكم »

ويشرح عبد الناصر بعد ذلك فى نفس الجلسة مفهوم كلمة البروليتاريا فيقول :

« ما هى البروليتاريا ؟ البروليتاريا لا تعنى أبدا الطبقة العاملة ولكن طليعة الطبقة العاملة لان فيه مثقفين بيعتبروهم بروليتاريا .. يعنى هو ده يمكن سبب الخلاف فى كلامنا فيه فرق بين دكتاتورية الطبقة العاملة ـ الشيوعية ـ نيجى نقرا فى التفسير الماركسى العملية وفى التفسير اللينينى للعملية عن البروليتاريا .. البروليتاريا ليست عمال .. أبدا .. فيه فرق بين الطبقة العاملة .. والبروليتاريا ..

هو بيبجى بيقول ان .. ان الحكم للطبقة العاملة .. ولكن يطبق دكتاتورية البروليتاريا اللى هى قيادة الطبقة العاملة .. هل البروليتاريا هم عمال ؟ لا .. »

« فى البروليتاريا عمال ومثقفين ومدرسين ثوريين الى آخر هذا الكلام .. انا بأقول لك تفسيره هو تفسيره الماركسى اللينينى فهم ليه ما بيقولوش دكتاتورية الطبقة العاملة ؟ هم قالوا ان البروليتاريا وصية على الطبقة العاملة ولهذا يجب أن نقيم دكتاتورية البروليتاريا مش دكتاتورية الطبقة العاملة بدليل .. امسك الحزب الشيوعى فى العراق وامسك اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى العراق هل هم عمال ؟ »

* * *

الفكر الناصرى يرفض الحزب ، وياخذ بصيغة التحالف بين قوى الشعب العاملة الخمسة .. باعتبار انها الصيغة الاكثر تلاؤما مع المجتمعات النامية

ففى الدول النامية تلعب البورجوازية الصغيرة الدور الرئيسى فى كل عمليات البناء وفى معارك التحرير .. وفى التنمية ، ذلك أن طبقة العمال لم تنم بعد فى هذه الدول الى الحد الذى يمكنها من أن تكون قوى تسيطر وتقود ، فالصناعة عادة متخلفة أو وليدة .. والأيدى العاملة الصناعية غير مدربة تدريبا كافيا فهى هاربة من الزراعة الى المصانع .. المتباعدة ، فالعمال نسبتهم قليلة ، وخبرتهم النضالية محدودة . وعددهم يزيد وينمو ببطء ، وكلما تطور المجتمع وازداد تقدما واتجه نحو التصنيع اتسع حجم طبقة العمال ..

والطبقة الوسطى الفنية هى فئات المهنيين ، والفنيين الذين لا يمكن الاستغناء عن خبرتهم وجهودهم لعمليات التنمية خاصة فى الدول النامية ..

وفى المجتمعات المتخلفة يكون الفلاحون الغالبية العظمى من السكان ، ورؤيتهم السياسية محدودة ، كذلك فان خبراتهم بشئون السياسة والحكم قليلة ايضا ؛ كما ان طبيعة التخلف الذى تعيشه القرية عموما يفرض عليها عزلة ، وقيما ، وافكارا قد تبعد بها عن الرؤية الناضجة فى المسائل السياسية بالذات . والدول النامية تعتمد على تعبئة الجماهير ، وعلى قوتها لفرض التقدم ولهذا فان الأسلوب الذى يلائمها هو التحالف الذى يدخله العمال . والفلاحون والمهنيون « المثقفون » واضاف الفكر الناصرى الى هذه الفئات الثلاثة فئتين اخرين :

● **الاولى هى الراسمالية الوطنية** ، وذلك لان الفكر الناصرى لم يتجه الى القضاء على الملكية الفردية لادوات الانتاج .. وان كان قد أخضع هذه الملكية لسيطرة الشعب الممثل فى القطاع العام .

والفكر الناصرى يرى ان الشرائح الصغيرة من الراسمالية ـ وهى التى اطلق عليها الراسمالية الوطنية تمييزا لها عن الراسمالية الغير وطنية المرتبطة بالاستعمار ـ هذه الشرائح الصغيرة لاعتبارات عديدة بعضها اقتصادى وبعضها سياسى لا يمكن استبعادها ، كما أنه لا يمكن وضعها ضمن فئات الثورة المضادة ما دامت لا تمارس اى نوع من أنواع الاستغلال ..

وهذه الراسمالية الوطنية المتمثلة فى قطاع الحرفيين ، والتجار وصغار الملاك .. كل هؤلاء وان كانت تتناقض مصالحهم مع مصالح العمال والفلاحين والمثقفين وحتى بين بعضهم وبعض ، الا أنه ليس تناقضا عدائيا على اى حال .

واذا كان المجتمع يرفض الاستغلال ، فانه سيخرج من بين فئاته العاملة باستمرار كل الافراد الذين يثبت انهم مستغلون ..
فالمجتمع فى حركته ذات الأهداف المحددة يلفظ باستمرار كل من لا يسير فى الاتجاه الذى رسمه لنفسه ..

ولقد كان الابقاء على الرأسمالية الوطنية الصغيرة ضمن اطار التحالف فى مثل ظروف مجتمعنا الذى يسير فى البناء الاشتراكى ويتيح الملكية الفردية ، ضرورة .. فحيث اننا اتجهنا الى اقرار الملكية الفردية ووجود قطاع خاص فان ذلك يستلزم بالطبيعة اعتبار الرأسمالية الوطنية ضمن التحالف

● **الفئة الثانية هي الجنود** : ذلك ان الجيش فى ظل حكومة وطنية ثورية هو أداة فى يد الجماهير ، وسلطة لحماية مكاسبها ، ومنجزاتها .. هذه الاداة الرئيسية لا يجب ان تظل فى اطار تحالف الشعب فقط ، بل انها الاداة التى يجب أن يعمق فيها الوعى السياسى ، بحيث تكون دائما أول وأقوى الايدى الضاربة لكل من يحاول الانقضاض على مكاسب الشعب من أعدائه فى الداخل أو الخارج .

واية ثورة وطنية لا يمكن أن تؤمن نفسها وتضمن النجاح الا اذا ضمنت الجيش كقوة تحميها ، وتؤمن بها ، وتلتزم بمناهجها وخطها الثورى ، خاصة فى مراحلها الاولى ، وتزداد هذه الضرورة اذا لم تكن الثورة تعتمد على تنظيم سياسى ثورى قوى ومترابط من الجماهير يقف الى جانبها .. وثورة عبد الناصر قامت ليلة ٢٣ يوليو بالجيش كطليعة ثورية لنضال الشعب .. « وان الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش تحت قيادة الشعب، وفى خدمة أمانيه .. « وان الجيش فى تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبى ، ومن ثم فتح الطريق أمام ارادة التغيير .

« ان انضمام الجيش الى النضال الشعبى صنع اثرين هائلين فى نفس الليلة : **لقد سلب قوى الاستغلال الداخلى اداتها** التى كانت تهدد بها ثورة الشعب ، كذلك فانه **سلح النضال الشعبى فى مواجهة قوى السيطرة الاجنبية المحتلة بدرع من الصلب** قادرين لصد ضربات الخيانة والغدر »

وحدد الميثاق الناصرى دور القوات المسلحة فى ان عليها ان

« تحمي عملية بناء المجتمع ضد الأخطار الخارجية ، كما يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع تمنع الشعب من الوصول الى اهدافه » « والجيش وقد قام بالثورة وضع نفسه فى المكان فى المكان الطبيعى تحت قيادة الشعب ، وفى خدمة أمانيه » .

والجنود بعد ذلك كله هم ابنـاء **العمال والفلاحين والمثقفين ،** والرأسمالية الوطنية ، انهم أبناء فئات التحالف الجديد ، وهم أكبر قوة تسند وتدعم هذا التحالف فى مواجهة التحالف القديم الذى سقط ، تحالف الرجعية مع راس المال ..

* * *

من اجل ذلك كله استقر الفكر الناصرى على صيغة التحالف ، الكبير الذى يحشـد الجماهير العريضـة صاحبة المصلحة ويدفعها للمشاركة فى المجال السياسى وفى عمليات البناء الاشتراكى (١)

والتحالف بهذا الشكل هو تنظيم جماهيرى واسع يشمل كل العناصر المتفاوتة فى حماسها ، المتناقضة فى مصالحها ، واتجاهاتها المختلفة فى أفكارها .. لذلك رأى عبد الناصر انه لا بد أن يقوم داخل التنظيم الجماهيرى **« تنظيم آخر » ملتزم تتوحد افكاره ، وغاياته ، يكون اكثر صلابة ، وايمانا وقدرة على العمل ،** ووعيـا بأهداف الثورة ، وبمتطلبات النضال تنظيم يقود الجماهير ويكون وسيلة قوى الشعب العـاملة لتحقيق الاشتراكية كما انه قلب تحالفها .. الذى يحركه ويبعث فيه الحياة .

وقال عبد الناصر فى الميثاق « ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر

---

١ ـ وثائق الناصرية مفهوم العمل السياسى اعداد المعهد العالى للدراسات الاشتراكية

الصالحة للقيادة وينظم جهودها ، ويبلور الحوافز الثورية للجماهير، ويتحسس احتياجاتها ، ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات

وكمـــا ان الاتحاد الاشـــتراكى هو تنظيم جماهيرى يقوم على التحالف بين فئات الشعب فالجهاز السياسى ليس حزبا .. لأنه لا يعبر عن طبقة بعينها .. انه طليعة هذا التحالف ، وهو يعبر عن التحالف كله ، ويلتزم بتحقيق أهدافه ويعمل على اذابة الفوارق بين فئاته وافراده ، فهو جزء من التحالف .. ولكنه الجزء القائد والنشيط المتحرك الواعى ، الذى يتوحد فكره ، ولكنه فى نفس الوقت يقــوم عــلى أسس حزبيــة من حيث التسلسل التنظيمى والالتزام ..

وفى مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية اعلن عبد الناصر « أننـــا لا يمكن أن نطلب من الجماهير أو من ٦ مليون عضـــــو فى الاتحاد الاشتراكى انهم يكونوا بسرعة وبدفعة صغيرة ثوريين مرة واحدة بين يوم وليلة ، كل اللى أنا طالبه أن يكون عندنا مجموعة أولا من الثوريين التى تطبق هذا » .

« وبالنسبة للجهاز السياسى فى الحقيقة احنا بدأنا من سنين فى تكوين الجهاز السياسى ولكن بطريقة سرية ولغاية دى الوقت فى رأيى ان احنـــا لسه حنقعـــد فترة ونحن نكون هـــذا الجهاز السياسى بطريقة سرية .. ليه الحكمة فى الطريقة السرية .. انا الحقيقة كنت متصور لو بديت أعلن نحط فلان فى الجهاز السياسى وما نحطش فلان تتكتل جميع القوى اللى فيها هؤلاء الناس علشان تهدم هؤلاء الناس أو تسوأ فى سمعتهم ، واحنا عارفين هـــذه الصراعات الموجودة فى المجتمع ولا يمكن التغلب عليها .. **النقطة الثانية** انا مش عايز اى واحد فى الجهاز السياسى يستغل صفته انه موجود فى الجهاز السياسى علشان يستخدمها بالنسبة لعمله او يستخدمها بالنسبة لأى مكان آخر .. وفى الجهاز الســياسى ناس

استمروا . والعدد النهاردة وصل لعدة آلاف وفيه ناس طلعوا من الجهاز السياسى لان فى اختباراتهم ما كانوش المثل الحسن . وقالوا ان احنا موجودين فى الجهاز السياسى . ما حدش يعرف ان دول أفراد من الجهاز السياسى . وأول ناس اتكلموا عن مؤامرة الاخوان المسلمين كانوا ناس أفراد من الجهاز السياسى بالنسبة لمحافظة الدقهلية » ...

«ومن الناحية التانية الكلام اللى أنا قلته عن الاتحاد الاشتراكى أعتقد ان هو تغير .. والنهاردة الاتحاد الاشتراكى ماشى على انه يخلق قيادات ثورية .. الحقيقة القيادات الثورية كلمة ننطقها سهل جدا ولكن وجودها عسير .. وجود القيادات الثورية عسير وعلشان توجد القيادات الثورية لازم نوجدها من نضالها داخل نطاق الجماهير .. واحنا النهاردة بالنسبة للمكاتب

التنفيذية ، وبالنسبة للعمل فى الاتحاد الاشتراكى ظهرت عناصر شابة كثيرة جدا تتمثل فيها الثورية وفيه عناصر كتير نقدر نقول انها مش شوية .. ولكن فى نفس الوقت مش رجعية .. وموجود فى الاتحاد الاشتراكى حتى الآن عناصر رجعية اقطاعية .. واحنا النهارده فى اعادة مسح جميع لجان الاتحاد الاشتراكى علشان تصفيته من هذه العناصر .

« هل نعمل حزبين اشتراكيين مش معقول لسبب بسيط ... ان فيه فى البلد حزب رجعى موجود وغير معلن عنه .. فيه فى البلد الاتحاد الاشتراكى .. وفيه حزب رجعى وهم مجموعة من الناس عارفين بعض ، وهم لسه ما اتصفوش ولا بد من تصفيتها ... فيه الاخوان العملاء لحلف بغداد .. أو الحلف المركزى ... النهارده لو أعمل حزبين اشتراكيين يكسروا بعض .. والحزب الرجعى متكاتف ويستطيع أن ينفذ .. لا بد من تكتيل القوى الوطنية فى سبيل الثورة ، وفى سبيل انتقال المجتمع الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات » ...

« ومعنى هذا لن تكون عندنا احزاب مختلفة .. ولكننا تقبل افكارا مختلفة داخل الاتحاد الاشتراكي .. هنساك تناقضات بين العمال والفلاحين .. وتناقضات بين العمال والفلاحين والمثقفين .. وفى لجنة من لجانكم ناس قالوا ان العمال والفلاحين يمثلوا بنسبة ٥٠ ٪ وان هذا كثير .. وان دول ناس ميفهموش حاجه وده كلام عيب وكلام خاطىء ولازم ننزل للعمال والفلاحين ونستلهم افكارنا الثورية من العمال والفلاحين » .

« نحن لم نستلهم افكارنا الثورية بالبعثات ولكن استلهمناها لما الواحد يروح القرية ويشوف الفلاحين ويشوف العمال .. دول اللى بيمثلوا الغالبية العظمى للشعب ، لكن احنا موظفين ومبعوثين وجامعة بنخدم الشعب العامل ؟.. بنخدم العمال والفلاحين ؟ »

* * *

ان فكرة التحالف التى تبناها الفكر الناصرى نظرية وتطبيقا .. تعتبر احد الخلافات الأساسية بينه وبين الفكر الماركسى .

ولقد وجد الفكر الماركسي الحديث نفسه فى هذه الصيغة انها الملائمة للدول النامية ففى الحلقة الدراسية العالميـة التى اقيمت بمدينة الماآتا بالاتحاد السوفيتى فى أكتـوبر عام ١٩٦٩ ، القى ا.ا. اسكيندريروف نائب مدير معهـد الحركة العمالية العـالمية بأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى بحثا عن مشاكل توحيد قوى التحرير القومى والاجتماعى قال فيـه : « ان مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية وهى التى خطت البشرية نحوها تتميز بتعدد أشكال وانواع الحركات الثورية الديمقراطية التى تنفذ مهامها المحددة فى المرحلة التاريخية الدقيقة . وتتحدد طبيعة هذه الحركة أو تلك كما تتحدد اهدافها القريبة والبعيدة بأشكالها ، واساليبها

نضالها ، بالقوى السياسية والقوى الطبقية الاجتماعية التى تشارك فيها وبمن يقودها » .

« وتجربة الكثير من الدول القومية تقوم على أن قيادة الحركة تنتقل بالتدريج الى أيدى الطبقات الوسطى التى زاد نشاطها السياسى زيادة ملحوظة فى الآونة الأخيرة » .

وتقول الدراسة أن طبقة الفلاحين تمثل السواد الأعظم من السكان ، فى هذه الدول ولا تستطيع أية حركة سياسية أن تنجح ما لم تلجأ الى الاتحاد مع هذه الطبقة كما أن حركة الفلاحين تجد القوة عندما ترتبط ارتباطا وثيقا بالنضال الثورى للبروليتاريا .

واية دولة متطورة فى آسيا وافريقيا لن تستطيع ذلك بحركة البروليتاريا ، لانها تنمو ببطء ، ولأنهـا كقاعدة ، قليلة العـدد ، وترتبط لا بالانتاج الضخم بل الانتاج المحدد ولم تترابط فيما بينها تماما كطبقة لها منظماتها السياسية .

وتقول الدراسة أيضا ان التفهم السليم لدور طبقة العمال له قيمة اساسية طالما انه لا يسمح بالنظر فى قضية زعامة البروليتاريا كعملية محددة ، وذلك يدخل فى طبيعة ثورة التحرر القومية التى لا تنفصل عن الثورة الاشتراكية وهو يسـاعد كذلك على تجنب تطرفين اثنين : أحدهما التطرف المتعلق ببخس دور طبقة العمال والمبالغة فى تقدير الامكانيات الثورية لغير البروليتاريين **ومن بينهم العناصر البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة التى ربما تستطيع الآن ان تاخذ على عاتقها تحقيق وظائف دكتاتورية البروليتاريا » والثانى** يتعلق بالمغالاة فى تقدير هذا الدور وبالانتظار السلبى حتى تتزعم طبقة العمال الحركة .. وفى الحالة الأولى تتعاظم الخطوط الاشتراكية التى لا تميز حركة التحرر القومية حتى الآن ، لأنهـا لا تزال داخل حدود التطور الديمقراطى العام » .

« وفى الحالة الثانيــة تظهر محاولة **فرض أساليب وأشــكال النضال البروليتارية الخالصة ، وهذا يؤدى الى عزل طبقة العمال عن القوى الثورية الديمقراطية الأخرى** » .

« ولكن الالتحام التـــام بين الأهداف القومية ، والأهداف الاجتماعية للثورات التحررية المعــادية للاستعمار لا يحقق الممكن فحسب ، **بل يحقق الواجب الضرورى لاقامة جبهـــة قوميــة ديمقراطية واحــدة يمكن أن تشــارك فيها كل القــوى التقدمية** والثورية للامم » .

اذن فالفكر الماركسى الحديث يتوافق مع صيغة التحالف التى نادى بها الفكر الناصرى ، بل انه يعتبرها الصيغة الوحيدة الملائمة للدول النامية عموما ، ويرى فيها وسيلة لتحقيق الاشتراكية بدلا من قيادة البلوريتاريا وهو أمر أقر الفكر الماركسى نفسه انه لا يلائم المجتمعات النامية للاسباب التى ذكرها .

ملكية خاصة .. ولكن

الاشتراكية في الفكر الناصرى تعنى سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج ، ولكنها لا تطالب فى نفس الوقت بتاميمها كلها .. فهى لا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المرتب عليها ..

موقف الناصرية من الارث الشرعى ، هو جزء مترتب على وجود حق الملكية . وعلى الايمان بالقيم الدينية فى نفس الوقت ..

والاشتراكية فى الفكر الناصرى تعنى :

● قطاع عام قوى وقادر يسيطر على الهياكل الرئيسية للانتاج

● قطاع خاص يسيطر عليه القطاع العام ، ويخضع لتوجيهه يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة من غير استغلال وأن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا ..

فالتأميم عند عبد الناصر ليس عقوبة تحل برأس المال عندما ينحرف . ولكنه هدف لاقامة مجتمع جديد .. ولدفع التنمية الاقتصادية ..

ومن أجل ذلك ترك عبد الناصر فرصة لرأس المال الخاص ليمارس دوره فى التنمية . ولكنه وضع له حدودا لا ينبغى أن يتخطاها ..

* ترك القطاع الخاص فى الزراعة .. حيث اتاح الملكية الفردية بل ان المواجهة الثورية الناصرية لمشكلة الفلاح والأرض فى مصر كانت بزيادة عدد الملاك الزراعيين ..

* ترك للقطاع الخاص مجالا فى الصناعات الصغيرة والاستهلاكية

* وترك للقطاع الخاص أيضا مجالا يستطيع أن يعمل فيه فى

قطـــاعات أخرى من المبانى والتجارة والتوزيع .. والمقـــاولات وغيرها ..

ولقد كانت رؤية عبد النـاصر انه من العسير على المجتمع أن ينتقل مرة واحدة الى الملكية العامة فى كل شىء . « فهل كنانستطيع مثلا أن نؤمم محلات الحلاقة .. وغيرها .. ان ذلك فضلا عن أن امكانيات صنعه وادارته صعبة ، الا انه قد حدث فى بعض الدول التى اتجهت الى الاشتراكية ، ووجدت انها تسرعت . وعادت مرة ثانية تتراجع فى هذه الخطوات ..

ان رؤية عبد الناصر للملكية الخاصة تنبع من عدة اعتبارات :

١ ـ هى ظروف المجتمـــع والحرمان الذى عاشته الجمـاهير ـ وخاصة الفلاحين ـ محرومين من الملكية طوال حياتهم .

٢ ـ طبيعة التخلف فى بعض الصناعات والمهن يجعلها عبئـا على الادارة الاشتراكية ، وعلىالقطاع العام مما يعوق التنمية ذاتها

٣ ـ الأرضية الفكرية السائدة فى المجتمع لم تكن تسمح بالانتقال مرة واحدة ، وبقرارات علوية من السلطة الثـــورية التى لا يدعمها تنظيم قوى ، وقادر ، ناضل من أجل نشر المبادىء الجديدة ، واعتنقها .

٤ ـ التنمية الاقتصادية الشاملة لا تستلزم أن تقوم الدولة بكل شىء ، بل انها تستلزم بالدرجة الأولى حشد كل الطاقات ، والامكانيات المبدعة للجماهير لكى تعمل ، من أجل متـــانة الاقتصـــاد ، وهـــذا يتطلب خبرة القطاع الخاص فى مجالات حرفية ، وصناعية محددة حتى يتقدم المجتمع ، ويصل الى مرحلة يمكن ان يتجمع فيها الحرفيون فى تعاونيـــات .. والفلاحون فى تعاونيات أخرى ، وصغار الصناع فى تعاونيات ثالثة ..

فالراسمالية الصغيرة يمكن أن تلعب دورا فى التنمية ، ولو كان دورا محدودا والدولة فى مرحلة حشــد طاقاتها لمضاعفة الدخل القومى تحتاج الى كل جهد فى هذا الاتجاه ، ومما يزيد صعوبة الأمر ، ويعقده أن القطاع العــام الجديد لا يستطيع بسهولة أن يتحمل وحده ، وطفرة واحدة الانتقال بكل أدوات الانتاج ، فى الصـــناعة ، وبكل وحدات الخدمات وينقلها مرة واحدة من الملكية الخاصة ، الى الملكية العامة .»

٥ ـ القطاع الخاص يملك بالاضافة الى خبرته ما هو أهم ، وهو الاستثمارات والأموال التى يمــكن أن تســهم فى عمليات التنمية ، ومضاعفة الدخل القومى فى مراحل الحشد الأولى من أجل زيادة الانتاج وامتصاص الأيدى العاملة .

٦ ـ التجارب اثبتت فى الفكر النـــاصرى انه فى نطاق بعض المهن كالزراعة مثلا ، فان كفاءة الفــلاح وقدرته كفيلة بالوصول بالارض الى طاقة انتاجية كبيرة ، وخاصة اذا استخدم العلم الحديث ، وتمكن الفلاح من استعمال الوسائل الجديدة فى الزراعة سواء كانت الأدوات أو البـــذور ، أو الأســمدة وغيرها .. فالعلم يعطى اضافة الى روح الفلاح المصرى ، وطاقته الكامنة ..

* * *

ومشكلة الزراعة فى مصر من اعقــد المشاكل .
فالفلاح المصرى عاش حياته ، هو واجداده أجيرا ،
يعمل فى أرض الغير ، ولم يذق فى حياته أبدا طعم ملكية
الأرض التى رواها هو وأجداده بدمه وعرقه ودموعه .»

لقد واجهت كارل ماركس مشكلة الفــلاح الصغير بالذات .. وفكر فى سنة ١٨٤٨ على أنه « عندما تصبح سلطة الدولة فى أيدينا

لن يكون بالامكان ان تنتزع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف بتعويض او بغير تعويض .. مثلنا سنكون مضطرين لأن نفعل بالنسبة لكبار الملاك .. ان مهمتنا ستكون تجاه الفلاح الصغير قبل كل شيء هي توجيه اتجاهه الخاص وتوجيه ملكيته الخاصة في السبيل التعاوني لا بواسطة العنف ، بل عن طريق المثل ، وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض . ومن المؤكد انه سيكون لدينا من الوسائل لاقناع الفلاح بجميع المزايا التي يتسم بها هذا التحول ، والتي لا بد من توضيحها له منذ الآن » .

فمشكلة الفلاح الصغير اذن كانت تحتاج الى بحث ، والى وقفة تأمل قبل اتخاذ اي موقف بشأنها . فالملكية الصغيرة في حد ذاتها مشكلة تحول دون الانتاج العلمي الوفير في الزراعة ، ولكنها امنية الفلاح الصغير ، واحد مقومات حياته ، واساسيات عمله .

ان واقع الملكية الزراعية قبل الثورة ، كان يمكن أن تؤكده هذه الحقيقة ..

ان حصرا للشركات والأفراد الذين كانوا يملكون الأرض الزراعية يبين أن الفلاح المصرى لم يكن مالكا ابدا ، كما يبين ايضا التزاوج بين راس المال المصرى والأجنبى فى مجال الملكية الزراعية ايضا ..

ان جملة الأرض الزراعية التى تمت مصادرتها من أسرة محمد على وحدها ، بلغت نحو ١٥٩ الف فدان ..

فقد كان الخديوى اسماعيل مثلا يملك يوم توليه الحكم ١٥ ألف فدان ، واصبح بعد ١٧ سنة من حكمه يملك ٥٩٠ الف فدان استولت عليها الحكومة بعد عزله . وكان الملك فؤاد يملك عند توليه الحكم سنة ١٩١٧ ثمانمائة فدان ، فبلغ ما يملكه يوم وفاته سنة ١٩٣٦ حوالى ٢٨ الف فدان ، بالاضافة الى ٤٥ الف فدان من الأراضى الموقوفة التى كان يديرها ، وكان فاروق يملك عند توليه الحكم ١٢ الف فدان فبلغ ما كان يملكه يوم عزله ٤٨ الف فدان بالاضافة الى ٤٥ الف فدان من الاراضى الموقوفة كان يديرها ..

وصورة الملكية الزراعية العامة سنة ١٩٥٢ قبل صدور قانون الاصلاح الزراعى كانت كالآتى (١) :

الملكيات	عدد الملاك بالالف	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من ٥ ف	٢٦٤٢	٢١٢٢	٩٤ر٣ ٪	٣٥ر٤ ٪
٥ فدان –	٧٩	٥٢٦	٢ر٨ ٪	٨ر٨ ٪
١٠ فدان –	٤٧	٦٣٨	١ر٧ ٪	١٠ر٧ ٪
٢٠ فدان –	٢٢	٦٥٤	٠ر٨ ٪	١٠ر٩ ٪
٥٠ فدان –	٦	٤٣٠	٠ر٢ ٪	٧ر٢ ٪
١٠٠ فدان –	٢	٤٣٧	٠ر١ ٪	٧ر٢ ٪
٢٠٠ فدان فاكثر	٢	١١٧٧	٠ر١ ٪	١٩ر٧ ٪

ونستطيع أن نبسط هذا الجدول فنقول ان ١/٢ ٪ من الملاك كانوا يملكون مساحات كبيرة تبلغ أكثر من ثلث الارض الزراعية (٣٤ر٢ ٪) بينما ٩٤ر٣ ٪ من الملاك يملكون ٣٥ر٤ ٪ من هذه الأرض .. و ٥ر٢ ٪ من الملاك يملكون مزارع متوسطة يبلغ مجموع مساحتها ٣ر٤ ٪ من الأراضى الزراعية .

كانت الحكومة تستصلح ارضا وتبيعها ، ولكن الذين كانوا يشترون هم القادرون على دفع الثمن وهم غالبا الراسماليون أو كبار الملاك ، ففي الفترة بين عام ١٩٣٥ الى عام ١٩٥٠ بلغت

(١) الجدول الأرقام من احصاءات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء .

الأراضي التي باعتها مصلحة الأملاك الأميرية ١٨٢ر٦٢٣ فدان بيعت على النحو التالي :

المساحة المباعة بالفدان	النسبة المئوية	المشترون
٢١١١	١ر٧ ٪	صغار الزارعين
١٢٨٢٧	٧ر٦ ٪	اقطاعيات خريجي المعاهد
١٦٣٦٨٦	٩٠ر٧ ٪	كبار الملاك

الأراضي الزراعية المملوكة للدولة كانت تتحول ملكيتها تدريجيا الى الاقطاعيين وكبار الملاك ، والدولة عن طريق الوقف أو عن طريق تمليكهم ما تستصلحه اذ تزرعه فترة ثم تسلمه لكبار الملاك غالبا ، والقسم الآخر من الأراضي الزراعية مملوك اما لشركات الأراضي أو للبنوك العقارية .

وشركات استصلاح الأراضي تكونت في البداية برأس مال اجنبي ، انجليزي فرنسي ، ودخلها بعد ذلك راس المال المصري .. وقد وجدت هذه الشركات انتعاشا في انشاء القناطر الخيرية التي أوصلت الماء الى مساحات جديدة من الأرض أمكن استصلاحها ، كما وجدت انتعاشا في انشاء خزان أسوان حيث أمكن اضافة حوالي ربع مليون فدان .. واستطاعت الرأسمالية أن تدخل ميدان الأراضي الزراعية ، اما بمفردها أو متعاونة مع راس المال المصري .

وفي سنة ١٩٥٢ كانت ١٤ شركة زراعية تملك ٩٣٤٧٨ فدانا تستثمر فيها ٦ر٥٢٨ر٥٩٧ جنيها مصرية هي :

١ - شركة أراضي أبو قير تأسست سنة ١٨٨٨ برأسمال حوالي ٣٨٦٧ فدانا ، كما انها استصلحت عشرات الالوف من الافدنة واستخدمتها ثم باعتها .

٢ ـ الشركة الانجليزية المصرية لتجـزئة الأراضي . وسجلت في اكتوبر ١٩٠٥ .
٣ ـ شركة القاهرة الزراعية تأسست سنة ١٩٢٦ .
٤ ـ شركة اراضي الدقهلية سجلت في ١٩٢٩ .
٥ ـ الشركة المصرية للأشغال الزراعية تأسست سنة ١٩٠٤ .
٦ ـ شركة اراضي الغربية سجلت سنة ١٩٠٥ .
٧ ـ الشركة المصرية الجديدة تأسست في لندن سنة ١٨٩٩ .
٨ ـ شركة اراضي سيدي سالم تأسست في يونيو ١٩٠٦ .
٩ ـ الشركة الزراعية والصناعية تأسست سنة ١٨٩٧ .
١٠ـ شركة أراضي كوم امبو تأسست سـنة ١٩٠٤ وكانت تملك ٣٠ الف فدان .
١١ـ شركة أراضي البحـيرة تكونت سـنة ١٨٨١ وكانت تملك ٣٨٫٨٥٨ فدان .
١٢ـ شركة أراضي الشيخ فضل تأسست في مارس ١٩٠٥ وكانت تملك ٢٨٨٩ فدانا .
١٣ـ شركة مصر العقارية وهي احدى فروع بنك مصر .
١٤ـ الاتحاد العقاري المصري وتأسس سنة ١٩٠٥ .

وهذه الشركات كانت في غالبيتها شركات أجنبية ، راس مالها أجنبي يستثمر في مجال الأراضي الزراعية سواء بالبيع أو الشراء او الاستصلاح والبيع ، وهي تقوم في أعمالها على استئجار عمال يزرعون لحسابها .

أما النوع الثالث والأخير من الملكية الزراعية فقد كان مملوكا للبنوك العقـارية التي أنشئت من أجل التسليف بضـمان رهن الأرض ، وكانت تمول عمليات الزراعة ، بضمان الأرض .. مثل بنـك « الكريدي فرانسيه » وهو البنك العقاري المصري وبنـك الأراضي المصرية « لانديانك أوف ايجيبت » وعديد من البنوك .. واضيف اليها سنة ١٩٣١ بنك التسليف الزراعي المصري .. الذي أصبح منذ سنة ١٩٤٩ اسمه بنك التسليف الزراعي والتعاوني .

هذه الصورة العامة تقول بوضوح ان الفلاح المصرى لم يكن يملك ، واذا نظرنا الى هذه الصورة من عمق ابعد ، وجدنا انها تزداد بشاعة .

وأن الأرض منذ ما قبل ان يستولى عليها محمد على ويجعلها كلها مملوكة للدولة ، ويعطى حق الانتفاع بها لفئات من الملتزمين والمشايخ وغيرهم فى ظل احتكار الدولة للملكية .. الأرض منذ تلك السنوات وهى غير مملوكة للفلاح ..

لذلك فان عبد الناصر واجه هذه المشكلة باعطاء الفلاح حق الملكية لأول مرة فى تاريخ مصر .. حتى يحس بالجديد الذى أتت به الثورة وحتى يقضى على الاقطاع وحتى تزداد انتاجية الأرض .

فالمواجهة الناصرية لهذه المشكلة كانت بتوزيع الأرض على الفلاحين ويصف عبد الناصر فى افتتاح مجلس الأمة سنة ١٩٦٤ ، اوضاع الملكية الزراعية فى مصر بأنه « كانت ملكية الجزء الأكبر والأخصب من الأرض الزراعية فى يد العدد القليل من الملاك الكبار ، الى جانب مساحات اخرى شاسعة تملكها الشركات الزراعية المملوكة للأجانب ، وان حاولت اخفاء هويتها الحقيقية وراء واجهات مصرية ، وبمقتضى القوانين الاشتراكية وبينها قانون الاصلاح الزراعى فقد وصلت الارض التى تم توزيعها والاستيلاء عليها لصالح الفلاحين المعدمين ٩٤٤٫٤٥٧ فدانا ، وفوق أوضاع الملكية ، فقد كانت الظروف الاقتصادية للأرض الزراعية لا تسمح بأى استغلال مثمر على الأرض الخارجة عن ملكية الاقطاعيين ، فقد كان الاقتصاد ملكيات غير الاقطاعيين ضعيفا بسبب حاجتهم الى التمويل المنظم والخبرة الفنية ، وبتحديد ايجار الأرض الزراعية الذى كان جزء من الاصلاح الزراعى وبتدعيم التعاون واتاحة فرصة التمويل المعفى من الفوائد أمامهم **وبالاتجاه الان الى المجتمع الزراعى على اوسع نطاق** فان هناك تحولا فى ظروف انتاجية الأرض الزراعية يضاف الى التحويل الذى طرأ على ملكيتها »

عبد الناصر كان يرى لحل المشـكلة الزراعية فى الاطار الاشتراكى عدة خطوات بالنسبة للأرض المزروعة فعلا ..

القضاء على الاقطاع بتوزيع الأرض على الفلاحين ليس لمجرد حنين الفلاح الى ملكية الأرض ، وانما أيضا لأن امكانيات الفلاح قادرة على العمل ، فعلى امتداد التاريخ الطويل العميق بالخبرات استطاع الفلاح أن يزرع الأرض وينتج تحت ظروف قاسية ، فاذا ما أتيحت له فرصة ملكيتها ودعمت خبرته بما وصل اليه التقدم العلمى فان النتائج التى سيصل اليها ستكون أكثر تأثيرا فى زيادة انتاجيـة الأرض ..

ويوضح عبد النـاصر فكره فى مجال ملكية الأرض الزراعيـة فيقول (١) « بالنســبة لمصر بالذات تأميم الأرض غير وارد ، لأن الستة مليون فدان ، والأرض اللى عندنا لا تسمح بهذا أبدا ، وحتى الأرض اللى بنصلحها بنوزعها ، وده بنعتبره تطبيق اشتراكى لأن كل عيلة بتاخد ٥ فدادين أو تاخد عشر فدادين تبقى ساعدت على الاشتراكية » .

« لما نيجى نتكلم بالنسبة لمصر ونقـول ان التطبيق العربى ، تطبيقنا احنا للاشتراكية فى مصر لا يعنى تأميم الأرض ، ده أنا باجيب على ظروف موجودة فعلا ، وباقول ان أنا ما أقدرش .. واحنا فعلا لا نستطيع أن نؤمم الأرض فحانصلح ٢ مليون فدان من السد العالى مانقدرش تأممهم ، الفلاح عايز يملك ، بنصلح السنة

---

(١) مباحثات الوحدة .

دى مائة الف فدان بس قبل السد العــالى ، كل ده لازم حنملكه وماشيين على أساس ان الاشتراكية فى هذا معناها ان احنا نقيم جمعيات تعاونية ، ثم تطور هذه الجمعيات **الى زراعة تعاونية ..** ده اللى احنا طبقناه .. قلنــا عليها فى الميثــاق اللى هى **التجميع الزراعى »**

« التجميع الزراعى معناه **زراعة تعاونية مش مزارع تعاونية ..** يعنى ايه كل واحد بيملك الأرض لكن كلهم بيخدموها مع بعض .. كل واحد حتته موجودة .. ده الحقيقة اقصى ما يمكن **تطبيقه فى مصر »** .

وفى نفس الجلسة من مباحثات الوحدة يشرح القائد التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الأرض الزراعية يضع حدا أعلى لملكية الفرد « لا يسمح بأى نوع من الاقطاع ولكن **مفيش داعى أبدا اننا ننفى التاميم** ، يعنى افرض مثلا فى الجزيرة ، عندهم عاوزين يعملوا مزارع دولة ، أو مزارع جماعية .. هم أحرار » .

* * *

فطبيعة المشكلة الزراعية فى مصر بالذات هى التى استلزمت هذا الموقف من الفكر النــــاصرى .. فهو لا ينفى تاميم الأرض الزراعيــة عموما ولكنه يرى أن ذلك موقف معين استلزمته طبيعة الأوضــاع فى مصر على وجه التحديد ..

فالتأميم لا يصلح فى المجتمع المصرى على وجه الخصوص .. ولذلك فهو يأخذ بفكرة توزيع الأرض على الفلاحين ، مع الاهتمام بالتعاون الزراعى ، والتجميع الزراعى حتى يمكن أن تحل المشاكل التى تترتب على تفتيت الملكية الزراعيــة فتدعيم « ملكية الارض بالتعاون ، وتحويل اقتصاد الملكيات الصغيرة من اقتصاد ضعيف

الى اقتصاد قوي بالتوسع المستمر فى آفاق التعاون ، ولقد اثبتت تجارب تجميع الزراعة أن هناك امكانيات هائلة فى تطوير الزراعة .

« ونحن نحاول أن نمد التعاون مع امتداد العملية الزراعية كلها ابتداء ومن تحديد انواع المحاصيل على أساس علمى اقتصادي يعطى أفضل النتائج للفلاحين الي عمليات الرى والتسليف وانتقاء البذور والتسميد والمقاومة والتسويق والمساعدة على استعمال الآلات فى الزراعة وبخاصة الجرارات وذلك لأن احتياجاتنا فى الوقت الحالى لا تقتصر على التوسع فى ادخال غيرها من الآلات بسبب وفرة الأيدى العاملة » .

« وبالطبع فانه قبل هذه الأسس توجد مقدمة ضرورية هى انهاء كل استغلال ، وما من شك فى أن تحديد الملكية وضرب الاقطاع يساعد على ذلك كما أن تحديد الايجارات يؤدى الى نفس الغرض ، كذلك فان عملية التعاون الممتدة تخلص الفلاح من كل الاحتكارات التى كانت تحصل لنفسها على ناتج جهده ، كما تعتصر بالربا قطرات عرقه ، ولقد كان من هنا قرار تقديم السلف للفلاحين من غير فوائد على الاطلاق .. وليس من شك فى أن أمامنا جهودا ضخمة خصوصا فى مجالات تنظيم التعاون وحتى يؤكد فاعليته ودوره الحيوى فى اربعة آلاف قرية فى الجمهورية العربية المتحدة ، لا بد لكل واحدة منها أن تكون فى واقع الأمر جمعية تعاونية قوية ، كذلك فلن امامنا تقوية أجهزة البحث العلمى وتوصيل خدماتها من غير عوائق من المعامل الى الحقول (١) » .

---

(١) حديث لجريدة الفلسطينية اغسطس ١٩٦٢ .

اصدر عبد الناصر قوانين للاصلاح الزراعي قضت على صورة الاقطاع ، وواجهت المشكلة الزراعية بتوزيع الأرض على صغار الفلاحين .

ولقد غيرت هذه القــوانين هيكل المجتمع المصرى ، واصبحت صورة الملكية فيه منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى سنة ١٩٥٢ مختلفة .

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من ٥ فدان	٢٨٤١	٢٧٨١	٩٤ر٤ ٪	٤٦ر٦ ٪
٥ فدان ـ	٧٩	٥٣٦	٢ر٦ ٪	٨ر٨ ٪
١٠ فدان ـ	٤٧	٦٣٨	١ر٦ ٪	١٠ر٧ ٪
٢٠ فدان ـ	٣٠	٨١٨	١ر٠ ٪	١٣ر٦ ٪
٥٠ فدان ـ	٩	٤٣٠	٠ر٢ ٪	٧ر٢ ٪
١٠٠ فدان ـ	٣	٤٣٧	٠ر١ ٪	٧ر٢ ٪
٢٠٠ فدان	٢	٣٥٤	٠ر١ ٪	٥ر٩ ٪

كما أنها تغيرت تماما فى سنة ١٩٦٥ فاصبحت كالآتى :

حجم الملكيات	عدد الملاك بالالف	المساحة بالالف فدان	النسبة المئوية لعدد الملاك	النسبة المئوية للمساحة
اقل من ٥ فدان	٣٠٣٣	٢٦٩٣	٩٤ر٥ ٪	٥٧ر١ ٪
٥ فدان ـ	٧٨	٦١٤	٢ر٤ ٪	٥ر٩ ٪
١٠ فدان ـ	٦١	٥٧	١ر٩ ٪	٨ر٣ ٪
٢٠ فدان ـ	٢٩	٨١٥	٠ر٩ ٪	١٢ ٪
٥٠ فدان	٦	٣٩٢	٠ر٣ ٪	١ر٦ ٪
١٠٠ فدان ـ	٤	٤٢١	٠ر١ ٪	٥ر٦ ٪

على أن الحد الأقصى للملكية كان قد حدد بمائة فدان للأسرة حتى سنة ١٩٧٠ على أن يعاد النظر فيها بعد ذلك ولكن عبد الناصر

طرح القضية على المؤتمر القومى فى يوليو ١٩٦٩ على أنه « قد جاء الوقت الذى يجب أن نبت فيه نهائيا فى بعض المسائل المتعلقة بالأرض وملكيتها واستغلالها وأن يكون ذلك البت بطريقة نهائية وفق أحكام الميثاق وضرورات التطور ، الميثاق نص على أن ملكية الارض تحدد بمائة فدان فقال الميثاق بعد سنة ٧٠ يجب اعادة النظر فى الموضوع ويجب الا تزيد الملكية على مائة فدان للأسرة المكونة من رب الاسرة والزوجة والأبناء القصر ، احنا دى الوقت فى اواخر سنة ١٩٦٩ داخلين على سنة ١٩٧٠ ، وآن الأوان لأن نحدد هذه الامور ونبت فيها نهائيا ونحن نقترح الآن ، ولكى يحسم الامر وتستقر صورة الملكية الزراعية على نحو سليم أن تحدد ملكية الارض الزراعية بـ **٥٠ فدانا للفرد** على أن يبقى حد الملكية بالنسبة للأسرة للرجل وزوجته وأولاده القصر فى حدود المائة فدان » .

بذلك وصلت الملكية الزراعية الى الشكل الأخير فى حياة القائد المناضل ، ولكنه طرح أيضا قضية الأرض الجديدة المستصلحة ولعله أراد بها تكوين نواة لقطاع عام قوى فى الزراعة ..

فقد قال انه بالنسبة للأرض الجديدة « فان لدينا ٧٠٠ الف فدان ويجب ان نقرر رأينا فى استغلالها الدائم واقتراحى فى هذا الصدد هو **أن ننشىء شركات أو مؤسسات عامة تنتقل اليها ملكية هذه الأراضى** . ويكون لهذه الشركات أو المؤسسات العامة مهام ثلاثة تتمثل فى الاستغلال المباشر للتصدير او التأجير وفق شروط معينة ولآجال طويلة للزراع أو البيع لصغار الملاك الجدد ، مع اعطاء اولوية فى الملكية للمقاتلين فى ميدان المعركة واسرهم » .

ولقد وضع اقتراح عبد الناصر على مائدة البحث ، ولم يبت فى شأنه حتى الآن .. ولكن الروح التى عرض بها عبد الناصر الامر

واقتراحه فى أن تقسام شركات تؤول اليها ملكية هـذه الأرض ، تعنى بلا جدال الاتجاه لتنمية القطـاع العـام فى الزراعة ، الذى كان يعتمد على بعض المساحات من الأرض المستولى عليها طبقـا لقوانين الإصلاح الزراعى المزروعة فواكه أو حدائق ، والتى لم يمكن توزيعها ، وبعض الاراضى التى تقوم فيها تجارب المحاصيل الزراعية الجديدة ومساحات الأرض المستصلحة التى لم تصل بعد الى حد الغلة الانتاجية التى تسمح بالتصرف فيها ، ولقد كان انشاء المزرعة الالية التى تضم عشرة آلاف فدان تزرع آليا يؤكد هذا الاتجاه ، فانه من العسير أن يتم أى نوع من التصرف فى هذه المساحة التى من المحتم أن تزرع كقطعة واحدة .

وقضية الأرض الجديدة وان كانت لم تحسم فى حياة القـائد ، الا انه طرح تصوره لها .. وكان يتجه عموما أن تكون امتـدادا للقطاع العام فى الزراعة .

* * *

ان السؤال الذى يطرح نفسه هنا .. هو اذا كان عبد الناصر يرى توسيع قاعدة الملكية فى الزراعة ، فلما لم يتخذ هذا الموقف فى الصناعة بحيث يملك العمال المصانع ..

هذا التساؤل قد أثير فعلا فى حياة القـائد ، واجاب عليه فى اجتماع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى .

وبالرغم من اختلاف نوعية الملكية ، وتباينها بين المصـنع والحقل ، الا أن السؤال قد تجاهل هذا الاختلاف عندما وجهـه احد أعضاء الهيئة على أساس انه يمكن أن يملك العمال والموظفون ٢٥٪ من المصانع التى يعملون بها وذلك بتقسيط ثمنها على عشر

سنوات مقابل جزء من الأجور والأرباح المخصصة لهم ، وفى ذلك حافز لهم على زيادة الانتاج » .

وقال جمال عبد الناصر ردا على السؤال :

« أنا ردى على هـذا نقطتين ، **النقطة الأولى** ان ده مضاد للميثاق ، هذا الاقتراح ضد الميثاق .

« **النقطة الثانية** ان التجارب اللى اتعملت على هذا الاساس فشلت والتجربة الأساسية فى هذا هى تجربة حصلت فى انجلترا فى شركة ملكوا العمال اسهم وجم العمال اتزنقوا آخر الشهر راحوا كلهم بايعين الأسهم خلوا الشركة خسرت عشرين مليون جنيه ، فاحنا بنعمل قطاع عام ، وبنشجع العامل على زيادة الانتاج فنعطيه نسبة مئوية من الأرباح أما تمليك العامل النهاردة معناه رجوع ، حاخلق طبقة راسمالية ، وحا أقلل بهـذا سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الكلام اللى اتقال فى الميثاق . »

وقال العضو الذى سأل انه لا يمكن أن يفكر فى مخالفة الميثاق . ولكنه قدم هذا الراى على أساس انه يتماشى مع تمليك الفلاحين للأرض ولكن جمال عبد الناصر شرح فى اجابته كيف أن هذا أولا يخالف الميثاق .. ثم كيف أنه يستحيل تنفيذه عمليا فقال :

« الجزء الخاص بالميثاق أنا قدامى « وفى مجال الصناعة يجب أن تكون الصناعات الثقيلة المتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب ، واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال ، فان هذه الملكية الخاصة يجب ان تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله ؛ ويجب أن تظل الصناعات الخفيفة بمنأى دائما عن الاحتكار . واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب أن يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشعب ، يجب أن

تكون المصارف فى اطار الملكية العـــامة فان المال وظيفته لا تترك للمضاربة أو للمغامرة ، كذلك فان شركات التأمين لا بد أن تكون فى نفس اطار الملكية العامة صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية ، وضمانا لحسن توجيهها ، والحفاظ عليها .

« وفى المجال العقارى يجب ان تكون هناك تفرقة واضحة بين نوعين من الملكية الخاصة ، ملكية مستغلة او تفتح الباب للاستغلال، وملكية غير مستغلة تؤدى دورها فى خدمة الاقتصاد الوطنى كمـا تؤديه فى خدمة اصحابها ، ده الكلام الخاص بالميثاق فبعد النهارده ما أممت لا أستطيع أن آفك التأميم أبدا ، بعد أى شىء ما دخل الملكية العامة للشعب ، وبعدين آنا أدى للناس ٢٥ ٪ من الأرباح وبا أديهم ١٥ ٪ خدمات و ١٠ ٪ بياخدوه أموال كونى النهارده أوزع عليهم ٢٥ ٪ من **الأسهم بتلخبط كل النظام اللى احنا بنشتغل فيه ، وتدخلنا فى نظام تانى غير النظام الاشتراكى** ، وزى ما قلت لو يروحوا يوم يعنى ، **لو انا بكره أروح أشترى الأسهم** ، لو يزنقوا العمال اللى عندك ويبيعوا الأسهم اللى فى المصانع ، السهم أبو اتنين جنيه بميه وثمانين قرش وبعدين بمية وسبعين قرش وبعدين بمية وخمسين قرش ، تبص تلاقى نزلت الأسهم ، ولكن الملكية العـــامة للشعب معناها ان المصـــنع ملكيته عامة للشعب بما فيهم العمال اللى هم موجودين فى داخل المصنع » .

واكد عبد النـــاصر أكثر من مرة ان نقل ملكية المصـــانع الى الشعب كان ضروريا وفى مجال الحديث حول هذا الأمر كرر اكثر من مرة تساؤلا ماذا يحدث لو اضطر العامل لظروف عائلية بحتة أن يبيع أسهمه .. ماذا يحدث لو تجمعت هذه الأسهم لدى أفراد معينين ..

كان من الضرورى أن تنتقل الى الشعب ككل ملكية الهياكل الاساسية والمؤثرة فى الانتاج الصناعى ، وفى نفس الوقت فقد منح

العمال جزء من عائد عملهم المتمثل فى الربح ليس من أجل تأكيد احساسهم بالملكية فحسب ، بل بالدرجة الاولى لتكون حافزا لهم على العمل .. والابداع ..

* * *

ترك الفكر الناصرى للملكية العقارية للمباني مجالا فى القطاع الخاص ، على أن تتكفل القوانين بأن تخف بها بعيدا عن الاستغلال ، وتضعها فى خدمة الاقتصاد الوطنى .

وفى مجال الاسكان والتشييد عموما أعطى عبد الناصر للقطاع الخاص دورا فيهما يتمثل فى اتجاهين :

●● الاول : هو ملكية المبانى العقارية ..

●● والثانى : هو القطاع الخاص فى المقاولات ..

ففى المجال الأول ملكية المبانى راى الفكر الناصرى أن قوانين الضرائب التصاعدية التى تضع حدا أعلى للدخل ، يمكن أن تجعل نطاق هذه الملكية محددا ، والا تسمح له بالنمو بغير حدود .. حتى لا يكون تراكما راسماليا لدى عدد من الأفراد ..

وبالنسبة لعملية الاستغلال التى تصاحب هـذه الملكية فقد رأى الفكر الناصرى أن قوانين تخفيض الايجارات والقوانين التى تحدد الايجار ، هى ضمان لتقليل امكانيات الاستغلال ..

واذا كان المجتمع قد شـهد أنواعا مبتكرة من الاسـتغلال يمارسها الملاك العقاريون ، فقد شهد فى نفس الوقت محاولات ثورية للضرب على هذه الأنواع من الاستغلال ، كما شهد أيضا تغييرات متتابعة فى قوانين الأسكان تحاول أن تصل الى قواعد تحول دون الاستغلال وتحدد العلاقة بين المالك والمستأجر تحديدا لا يسمح بالتلاعب ..

على أن الملكية العقارية لم تترك للقطاع الخاص وحده ، فقد وضعت الى جانبه :

● ملكية عامة للمباني تتمثل فى عديد من المساكن الشعبية والمتوسطة التى تقيمها الدولة ، وكان نواة لها فى البداية بعض العقارات التى آلت الى الشعب عن طريق التأميم وهى التى كانت مملوكة اما لشركات التأمين وآلت ملكيتها للشعب بالتأميم أو لبعض الراسماليين والاقطاعيين والمنحرفين واتخذت ضدهم اجراءات بتجريدهم من ملكياتهم كوسيلة لتجريدهم من السلاح الذى يمكنهم بواسطته أن يصوبوا أهدافهم المضادة لامال الشعب وتقدمه !

● ملكية تعاونية للمباني وتتمثل فى المساكن التعاونية التى تقام بأموال الافراد وبمعاونة وتشجيع الدولة عن طريق التسهيلات والقروض التى تمنح للجمعيات التعاونية للاسكان الى جانب ما تعطيه لها الدولة من أراضى تساعد على نمو الملكية التعاونية .

ان وجود الملكية العامة فى الاسكان وكذلك الملكية التعاونية الى جانب القطاع الخاص يساعد ولا شك على الوقوف فى وجه محاولات الاستغلال من الملاك ، وهى تكمل ما يمكن أن تقوم به القوانين فى هذا الأمر ..

● أما المقاولات فقد ترك للقطاع الخاص دور فيها ولكن التجربة أثبتت أن هذا القطاع قد تضخم خلال سنوات قليلة بصورة لم تكن متصورة لذلك اتخذت من الاجراءات ما يحول دون نموه الكبير ..

وفى بداية مرحلة التحول الاشتراكي ، ومع الرغبة فى التوسع فى التصنيع واقامة الخدمات ، فى وقت كان القطاع العام فيه ما زال وليدا تمت الاستعانة بالقطاع الخاص فى المقاولات حيث استطاع أن يحصل على ٨٠ ٪ من حجم الأعمال المطلوبة .. وقد كانت نتيجة ذلك أن ظهرت عليه علامات الثراء ، والاستغلال حتى وصل الأمر أنه استغل القطاع العام نفسه وحصل منه على عدد من الاعمال « من الباطن » ، وعن هذا الطريق وذاك كانت النتيجة أن وقف القائد

بعـــد ذلك فى دمنهور ليواجه هـــذه الحقيقة ســـنة ١٩٦٦ ويعترف بها ويتخذ ضدها اجراءات توقفها ، فقد قال القائد حول قطاع المقاولات « القطاع العام النهارده بيقوم بـ ٤٠ ٪ أو يمكن أقل من ٤٠٪ والقطاع الخاص بيقوم بـ ٦٠٪ أو أكثر من ٦٠٪ » .

« وقطاع المقاولات سنويا يزيد العمل فيه عن ٢٠٠ مليون جنيه اذن لا زال جزء كبير من عمليات البناء والتشييد بتروح فى القطاع الخاص ، وبهذا احنا كنا أممنا الشركات والمقاولات عدد كبير من شركات المقاولات يمكن حوالى ٨٠ شركة ورغم هذا اللى معانا لغاية النهـــارده حوالى ٤٠٪ ؟ اذن ٦٠٪ معناها تقريبا ١٢٠ مليـــون جنيه ، معنى هذا ان احنا فعلا بنخلق رأسمالية جديدة .. واذن من الواجب ان احنا نعمل اننا فى خلال ٣ سنوات سننتقل فى قطاع المقاولات من ٤٠٪ للقطاع العـــام الى ٨٠٪ قطاع عام ونخلى ٢٠٪ قطاع خاص » وهكذا .

كان القائد قد نبه الى ظاهرة النمو الراسمالى فى نفس الخطاب فى مجالات اخرى أبرزها مجال التجارة الداخلية .

ففى التجارة حدد الميثاق ــ وحتى سنة ١٩٧٠ ــ وهى فترة تطبيقه حتى يعاد النظر فى خطـــوات العمل التى رسمها على ضوء ما يسفر عنـــــه التطبيق وعلى ضوء رؤية الجمـــاهير ومصالحها وأمانيها التى ستكون قد تبلورت ــ كما رأى عبد الناصر ــ خلال ثمان سنوات كانت هى المدة المحددة لانتهاء الخطة الأولى للتنمية الشـاملة من اجل مضاعفة الدخل القـــومى فى عشر سنوات حدد الميثاق الناصرى فى مجال التجارة أن يحتكر القطاع العام منها ٢٥٪ فقط ، ويترك الباقى للقطاع الخاص والتعاونى وذلك منعا للاحتكار وحتى يمكن أن يعمل القطاع الخاص فى هـــذا الميدان الحيوى ، وخاصة بالنسبة للريف الذى كان يصعب فى تلك الفترة ــ وما زال ــ وصول متاجر القطاع العام اليه ، نظرا لعدة ظروف عديدة من بينها ما هو مرتبط بطبيعة الحياة فى القرية المصرية ذاتها .

فالتجارة الداخلية فى الفكر الناصرى سنة ١٩٦٢ وحتى سنة ١٩٧٠ من المفروض ان يكون للقطاع الخاص دور فيها فى حدود ٧٥٪ من حجمها .. وقد تحقق ذلك ، وربما زاد القطاع العام عن هذا الحجم ذلك أن المقصود هنا ليس بعدد المتاجر ، ولكن بحجم راس المال المستثمر فى هذه التجارة .

ومع ذلك فقد برزت الراسمالية فى مجال التجارة واستطاعت شرائح منها أن تستغل القطاع العام ذاته اما ان تأخذ منه وتتاجر عليه او تحاول افساده بوسائل مختلفة وتلاعبات عديدة مما جعل عبد الناصر يتخذ فى مواجهة الاستغلال فى التجارة عددا من الاجراءات من بينها :

- نقل تجارة الجملة تدريجيا الى القطاع العام .
- الوصول بالتعاونيات الاستهلاكية الى مناطق جديدة ، والى بعض المراكز بل والقرى احيانا .
- أحكام الرقابة على القطاع الخاص فى التجارة ، سواء باصدار القوانين التى تقيد محاولاته للاستغلال وخلق سوق سوداء وغيرها من الوسائل او بالمتابعة والتفتيش
- اتخاذ سلاح التسعيرة لمواجهة جشع التجار ، واتخاذ اجراءات ضد من يثبت تلاعبهم .
- مواجهة الاختناقات التى يسببها القطاع الخاص فى بعض السلع لحجبها عن الجماهير اما طمعا فى مزيد من الربح عن طريق السوق السوداء ، او كجزء من الحرب النفسية ضد التطبيق الاشتراكى .

فليس هنالك شك فى أن شرائح ممن نطلق عليهم الراسمالية

الوطنية الغير متعاونة مع الاستعمار تتطلع الى النمو والى التسلق، والى الوصول الى درجة تمكنها حتى من الاحتكار ، وانها تجد فى المسيرة الاشتراكية اتجاها يعاكس تماما ما تأمله، ويقضى على تطلعاتها لذلك فان شرائح كثيرة منها ليست متحمسة للتطبيق الاشتراكى ، وانها تتخذ منه موقف الحذر اما عن خوف من المستقبل ، ولما رغبة فى عرقلة النمو الاشـــتراكى ، أو تحقيقـا لأكبر قدر من الربح . ولو عن طريق الاستغلال ، فاى رأس مال بطبعه يحتـــاج الى أن يتنفس ، وينمو ، ويكبر .. ويتسع ، وكلما وجـد عرقلة لرغبته أخذ الاتجاه المضاد اما فى محاولة للتحايل على ما يعترض نموه ، واما بالانكماش .

ولقد نبه القائد الى وجود هذه الشرائح من الراسمالية التى تحاول أن تخلق طبقة جديدة فى المجتمع واتخذ منها موقفا على الفور .. ففى نفس الخطاب السابق يقول عبد الناصر :

« أنا قلت فى السويس فى شهر مارس : انه بالنظرة الى المجتمع بنجد ان قطاع الراسمالية بيزيد فعلا .. احنا بنقول الاشتراكية ولكن ايضا بالنسبة للزيادة فى العمل قطاع الراسمالية بيزيد .. بالنسبة للتجارة عندنا تجارة بحوالى ١٤٠٠ مليون جنيه تجارة داخلية هذه التجارة الداخلية كلها فى أيدى القطاع الخاص ١٤٠٠ مليون جنيه عند تجار الجملة ثم تجار النصف جملة بعد كده تجار القطاعى .. »

« اذا سرنا فى طريق الاشتراكية لازم تجارة الجملة تنتقل الى القطاع العام مش معنى كده اننا نأمم تجار الجملة لأن تاجر الجملة موزع لكن بالتدريج فى خلال ثلاث سنوات نستطيع ان احنا نقيم قطاع عام فى تجارة الجملة بالتدريج سلعة سلعة علشان مندخلش فى مشاكل بالنسبة للتوزيع .. ولكن بهذا ننتقل من الراسمالية الى الاشتراكية .. لذا كان القطاع ب ١٥٠٠ مليون جنيه أو ١٤٠٠ مليون جنيه ، فبلفوا كذا مرة فى التجارة تجارة الجملة ونصف الجملة ثم تجارة التجزئة اذن فيه ناس بتحقق أرباح خيالية . »

معنى هذا ان احنا فعلا بنوجد طبقات ، ومعنى هذا ان احنا فعلا بنوجد راسمالية .. معنى هذا ان احنا لازم النهارده نعمل على ان نسير فى طريق الاشتراكية ، وكل واحد ياخد حسب عمله وبيكون زى ما قلنا فى الميثاق التجارة هى عبارة عن عملية توزيع لقاء فائدة محددة » .

حدد الفكر الناصرى أن يكون الاستيراد كله فى مجال الملكيـة العامة للشعب وترك للقطاع الخاص مجـالا يمكن أن يؤديه فى عمليات الصادرات حدده عبد الناصر بربع هـذه **العمليات** حتى يمكن أن يلعب دورا فى تسويق المنتجات والتعامل مع الخارج . وهى عملية لازمة لدعم الاقتصاد ، اما الصناعة فقد حـدد الفكر الناصرى انه **اذا كان من الممكن** أن يسمح بالملكية الخاصة فيها فقد وضع لذلك شروطا :

* أن تكون تحت سيطرة القطاع العام .
* ان تظل الصناعات الخفيفة بعيدة عن الاحتكار .

ولم يكن من المستطاع ان نؤمم كل الصناعات فى ظل ظروف مجتمع الصناعات الصغيرة فيه كثيرة ، ومبعثرة ، وادوات الانتاج فيها متخلفة ومستهلكة ، ولا تساير العصر كما ذكرنا من قبل .

ومع ذلك فقد أعلن القائد انه فكر ذات مرة فى تاميم مدينـة كاملة هى مدينة شبرا الخيمة (١) وذلك حتى يبعد الاستغلال عن مئات العمال المتناثرين داخل عشرات من المصانع الصغيرة ، ولكنه آثر عدم اتخاذ هذا القرار للاعتبارات السابقة .

لقد حدد الفكر الناصرى اذن أبعادا للقطاع الخاص يمكن أن يعمل فيها ولكنه فى نفس الوقت كان حذرا من ثلاثة أشياء :

● **الأول :** هو الاستغلال ، وكانت قضية منع الاستغلال لديه من القضايا الحيوية والهامة ويجيب عبد الناصر فى جلسات المؤتمر

---

(١) اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى .

الوطنى على سؤال حول هذا الأمر .. السؤال هو .. ما هى طريقة تحديد الاستغلال بالنسبة للقطاع الخاص وهل يعتبر من باب الاستغلال ان عمال القطاع الخاص لم يحصلوا على المكاسب التى قررتها قوانين يوليو سنة ١٩٦١ وما هى وسيلة تمكين الرقابة الشعبية من السيطرة على القطاع الخاص ؟ واجابة عبد الناصر هى:

« طبعا كلنا عارفين ما هو الاستغلال . اى حاجة ضد العدل تعتبر استغلال ، أى واحد يستغل العامل علشان يأخذ هو المكاسب ولا يعطى العامل أو الفلاح يبقى ده هو الاستغلال اى واحد بيبيع فى السوق السوداء يبقى استغلال ، اى واحد طبعا عاوز يعمل مكاسب كبيرة فى أقل وقت ممكن بطريق **مشروع أو بطريق غير مشروع** يبقى استغلال » .

● **والثانى النمو الراسمالى وخلق طبقة جديدة** « فالرجعية اقلمت نفسها وحينما أتكلم عن الرجعية المعاصرة أو الرأسمالية المعاصرة شاطرة جدا ، انها تؤقلم نفسها وفقا لطبيعة العصر » .

« ينبغى لنا مهما كان الثمن الا نسمح بظهور طبقة جديدة تظن ان الامتيازات ارثا لها بعد الطبقة القديمة ، وعلينا ان نقاوم **مثل هذا الانحراف ، ونقومه ، ونثور عليه** اذا اقتضى الأمر وأن نجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه (١) .

« وبعد سنة ١٩٥٧ ــ هكذا يقول عبد الناصر فى اللجنة التحضيرية ــ رفع الرجعيون يفط اشتراكيتهم ، وفعلا هم اصلهم بيكسبوا من زيادة الانتاج ، واحد رجعى أو راسمالى مستغل أو أصله اقطاعى ، تلاقيه عامل جوابات ومعلق يفط فى الاشتراكية وكلام .. ليه .. طالما الاشتراكية يفط هم مبسوطين .. طالما الاشتراكية شعارات بس هم زعلانين ليه ؟ ده هم عايزين كده .. مستعدين يقولوا شعارات فى الاشتراكية قد اللى بنقولها عشرين مرة .. بس ما نحطش الاشتراكية موضع التنفيذ ومانطبقهاش » .

وفى السويس سنة ٦٦ يقول عبد الناصر « قطاع الراسمالية

---

(١) مجلس الامة عام ١٩٦٤ م

الوطنية فى بلدنا كبر فى سنة ٦٠ اكثر مما كنا نتصور .. ازاى ..
كل التنمية ، وكل التجارة وكل خطة .. قطاع الراسمالية الوطنية
النهاردة بيزيد وبيزيد فيه فلوس كثير ، بعض النـاس من هـذا
القطاع عنده تطلعات أنه عايز يكون فى وضع طبقى متميز زى
ما كانت الطبقة الراسمالية وطبقة الاقطاع موجودة فى الماضى ..
هو يمكن قبل كده ما كانش عنده حاجة والنهاردة شـايف ان
الظروف ساعدته ، والظروف مكنته انه يعمل ثروة بسيطة أو
ثروة متوسطة عايز يعمل راسمالى او عايز يعمل اقطاعى .. وبهذا
طبعا لا ينظر الى المجتمع الاشتراكى نظرة طيبة ولا نظرة سليمة ،
دول طبعا بيهمهم تضخم المشاكل بالنسبة للقطاع الاشـتراكى
والتجنى على القطاع الاشتراكى ، طبعا التحويل الاشـتراكى
حيحصل ، وبنقول ان احنا الان فى مرحلة الانتقال من الراسمالية
الى الاشتراكية وسنسير حتما الى الاشتراكية .. التى هى شريعة
العدل .. »

« الاستغلال والاقطاع وراس المال والرجعية لها معانى اخرى ؟
معانى ان طبقة مميزة .. طبقة تملك .. طبقة تحكم ، طبقة تستعبد
الناس .. وطبقة مستعبدة لا تجد الكرامة ولا تجد الحرية ..
طبعا هؤلاء الناس اللى النهاردة بيفكروا ان احنا قـد نعود الى الوراء .. بقول ان مفيش فرصة ابدا ان احنا نعود الى الوراء ..
طبعا واحنا بننى لازم بنعمل تحويل اشتراكى كامل .. تحويل
اشتراكى كامل .. ولكن التحويل الاشتراكى لا بد ان يكون اشتراكى
مدورسا »

● وفى عيد الثورة عام ١٩٦٧ يقول عبد الناصر :

لا بد أن نقضى على اية امتيـازات تكون باقية تتجاوز حق
العمل وقيمته ، فى خدمة المجتمع دون اى اعتبار آخر ..

و « ان الشعب كان يطالب بوضع حد للامتيازات التى حصل
عليها البعض بغير وجه حق ، وانا مع الشعب فى هذا ، اننا شعبي

يبنى مجتمعاً اشتراكيا وهذا المجتمع ليس لطبقة مميزة بل هو بطبيعته لا يسمح بامتياز طبقى ، انه يسمح بامتياز العمل وحده ، والعمل وحده ، وكفاءة العمل واقتداره تعطى لصاحبها امتيازا ، لكنه امتياز الكفاءة وليس امتياز الطبقة ، ولعلى اقول لكم اننى فى الايام الاخيرة الغيت كثيرا من الامتيازات التى ظهرت فى المراحل السابقة وسيظهر هذا فى الميزانية الجديدة .

● والثالث : الا يأتى وقت يكون عائد العمل لقلة من الناس يفيض المال لديها لدرجة أن تبدده فى الوان من الترف الاستلاكى يتحدى حرمان المجموع ، فذلك معناه زيادة حدة الصراع الطبقى والقضاء على كل امل فى التقدم الديمقراطى .

وعندما يتحدث الميثاق الناصرى عن رؤية فى وجود القطاع الخاص يضع امامه كل هذه المحاذير فهو اذ يعترف بدور القطاع الخاص فى خطة التنمية ، ووجوده ، فانما يحذره فى نفس الوقت من أن يستغل وينمو على حساب جهد الشعب وعرقه ، فيوجه اليه تنبيها ويرسم له دوره اذ يقول :

« والقطاع الخاص الآن مطالب بأن يجدد نفسه وبأن يشق لعمله طريقا من الجهد الخلاق لا يعتمد كما كان فى الماضى على الاستغلال الطفيلى . »

« ان ازمة التى وقع فيها راس المال الخاص قبل الثورة تنبع واقع الأمر من كونه وارثا لعهد المغامرين الأجانب الذين ساعدوا على نزح ثروة مصر الى خارجها فى القرن التاسع عشر . »

« لقد تعود راس المال الخاص أن يعيش وراء أسوار الحماية العالية التى كانت توفر له من قوت الشعب ، كذلك تعود السيطرة على الحكم بغية التمكين له من مواصلة الاستغلال . »

« ولقد كان عبثا لا فائدة منه أن يدفع الشعب تكاليف الحماية ليزيد ارباح حفنة من الراسماليين ليسوا فى معظم الاحوال غير واجهات محلية لمصالح اجنبية تريد مواصلة الاستغلال من وراء ستار . »

« كذلك فان الشعب لم يكن بوسعه ان يقف مكتوف اليدين الى الأبد أمام مناورات توجيه الحكم لصالح القلة المتحكمة فى الثروة ولضمان احتفاظها بمراكزها الممتازة على حساب مصالح الجماهير . »

* * *

على ان موقف الناصرية عموما من كثير من شرائح الراسمالية الوطنية يرتبط بعدة امور ..

● **الأول :** تعريف عبد الناصر للراسمالية الوطنية عندما قال : معنى .راسمالية الوطنية غير المستغلة هى صغار الراسماليين الراجل اللى ما بيستغلش عمل الاخرين لنفسه « هو ده التعبير الصحيح .. يعنى اللى ما بيستغلش عمل الآخرين لنفسه ، بييجى واحد عنده مصنع ، وفيه عشرة آلاف عامل او الف عامل أو ٥٠٠ عامل . أنا باقول ان دى راسمالية مستغلة ، بعد كده احنا سايبين اللى عنده ١٠ عمال ، وعنده ٣٠ عامل اللى هو بياخد قدر عمله ، والعامل بياخد قدره عمله (١) .

اى ان الموقف يرتبط بمدى الاستغلال الذى تقوم به هذه الراسمالية الوطنية بما يخرجها عن الاطار الذى رسمه لها . ويضعها فى اطار الراسمالية المستغلة .. والاستغلال هنا يعنى كل عمليات الانحراف ، والاستغلال الطفيلى ، والسوق السوداء ، وغيرها ، وهذه امور يرفضها الفكر الناصرى الذى كان يحرص دائما على أن يغرس فى الأذهان ان المعنى الاساسى للاشتراكية انها أولا وبالدرجة الاولى عدم الاستغلال ».

● **الثانى :** ان النسب المسموح للراسمالية الوطنية ان تتحرك فيها كان من المفروض أن يعاد النظر فيها سنة ١٩٧٠ فى اتجاه دعم

---

(١) اجتماع الهيئة البرلمانية .

القطاع العام لولا ظروف العدوان الذى كان يهدف أولا الى تعطيل هذه المسيرة الاشتراكية .

ففى جلسات الوحدة يبدى عبد الناصر رايه اكثر من مرة فى الاشتراكية متعرضا لمسألة الملكية بالذات فيقول :

« احنا مثلا بنفهم الاشتراكية هى **سيطرة الشعب على وسائل الانتاج** .. وبعدين بنعتبر ان السيطرة **ممكن تبتدى** من ٤٠٪ ثم ٥٠٪ ثم ٦٠٪ أو ٧٠٪ أو ٨٠٪ الى آخر الكلام .. ما بنقولش الاشتراكية هى تاميم وسائل الانتاج **فى الحال** »

« يعنى الاشتراكية تعريفها واضح .. الاشتراكية هى سيطرة الشعب **على وسائل الانتاج** .. ده أبسط تعبير على الاشتراكية .. وده ممكن **بناخده على مراحل .. عملنا كده** .. اذن يبقى لازم يبقى فيه خطة .

● **الثالث** : ان عبد الناصر كان يتجه الى اقامة قطاع عام فى الزراعة .

● **الرابع** : ان عبد الناصر يكاد يكون المسئول الوحيد فى مصر الذى مارس حق النقد الذاتى ، فى مجالات متعددة من بينها المجال الذى ترك للراسمالية الوطنية أن تتحرك فيه ، فهو أول من نبه الى خطرها ، وطالب بتصحيح الموقف حتى لا تقوم طبقة جديدة .

● **الخامس** : ان عبد الناصر نفسه لم يكن مالكا لاى شىء ، فقد كان يكره أن يكون مالكا ، حتى البيت الذى يسكنه .. كان مستاجرا طوال حياته فقد عاش دون أن يملك بيتا ومات دون أن يملك قبرا فهو على حد تعبيره فى خطابه بدمنهور « عندنا رئيس جمهورية ماحيلتوش حاجة ومالوش عليه ومالوش عزوة، ومامفيش هيلة حتتحكمنا » وعندنا ابن رئيس الجمهورية زى ابن اى واحد »

● **السادس** : ان عبد الناصر كان يؤكد ان استمرار الثورة ؟

ويقظتها كفيل بالقضاء على كل تسلل راسمالى فهو يقول فى حديث له مع كرانجيا :

« ما دامت الثورة مستمرة فى ايجابية واصرار ، فليس هنالك سبب للخوف من اى شىء ، لكن علينا بالطبع أن نحترس من اى انحراف فى العقيدة او التطبيق ، ولأضرب مثلا .. لقد لاحظنا اخيرا بروزا راسماليا فى قطاعات معينة ، وقد سبب لنا ذلك بعض القلق .

ــ ويقول كرانجيا : كنت أظن لن القطاع الراسمالى قد تمت تصفيته فى الجمهورية العربية .

ويجيب عبد الناصر :

ــ لا بد ان تظهر جيوب وهذه الجيوب الراسمالية ليست فى الواقع ضخمة لكنها كبيرة بالنسبة لاقتصادنا الاشتراكى ، وتمثل اتجاها خطرا لانها تؤدى الى الفساد والى شرور اخرى كثيرة ، ولهذا لا بد أن نبقى دائما على يقظة .

● السابع : ان هذا الموقف وخاصة فى النسب المحددة للقطاع الخاص والمجالات التى يعمل فيها لا ينفصل عن طبيعة المرحلة والظروف الذى صدرت فيها قوانين يوليو الاشتراكية ثم الميثاق الناصرى للعمل الوطنى .

ويقول عبد الناصر فى المؤتمر القومى فى مايو ١٩٦٢ :

« أنا فى شرحى للميثاق قلت اننا بنحط مبادىء أساسية لاشتراكيتنا ، ولكن حاولنا بقدر المستطاع ان احنا نحدد شكل مجتمعنا فى ال ٨ سنين الجاية كل واحد بيعرف من هنا من سنة ٦٢ لغاية ٧٠ وضعه ايه فى هذا المجتمع ونحقق الاشتراكية .»

« ومقلناش انها اشتراكية خيالية ، بل بالعكس قلنا انها اشتراكية بينطبق عليها كذا وكذا ، بعدين قلنا فى الميادين المختلفة

فى الثمان سنين الجـــاية ، حنعمل كده ، وده بيرسم شـــكل الاشتراكية » .

« مش بنجمد لاشتراكية .. يعنى يمكن اننا نترك الاشتراكية لعملية غير محددة بالمبادىء ، كانت بتبان انها اشتراكية خيـالية وكل يفسرها ـ كل واحد ـ بقدر ما يستطيع احنا حطينا المبادىء حتى تحددها ، ثم ردينا فى الايضاح ، وقلنا فى الثمان سنين الجاية حنعمل فى القطاع ده كذا ، وحنعمل فى القطاع ده كذا وحا نعمل فى القطاع ده كذا ، حتى على ما أذكر قلت واذا جاز لنا أن نحدد . »

ولعبد الناصر آراء فى طبيعة مرحلة الانتقال تحتاج الى دراسة اخرى واسعة .. ومن المفروض أن يتعرض لها بالتفصيل الذين يتعمقون فى دراسة فكر عبد الناصر .

فهو يصف مرحلة التحول فى افتتاح مجلس الأمة وفى اجتماع الهيئة البرلمانية سنة ٦٥ وفى عيد الثورة من نفس العام فيقول :

● « احنا مابقناس دولة اشتراكية ولا يمكن ان احنا نقول ان احنا النهاردة دولة اشتراكية ، احنا فى مرحلة انتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .. مش معناها ابدا ان احنا نامم شوية مصـــانع وبس .. لا الاشتراكية ان نقيم مجتمع الكفاية والعدل » .

« القيم اللى كانت موجودة لا زالت موجودة ما تغيرتش ، القيم لم تستقر بعد ، وده طبيعى ، الصلات القـــديمة اللى موجودة ما زالت رواسب العـــلاقات الاجتماعيـــة القـــديمة الاقطاعيـــة والراسمالية موجودة ، بدى اقول أن احنا النهاردة بنمر بمرحلة انتقالية من الراسمالية المستغلة الى الاشتراكية . »

« هل جهاز الدولة اتغير .. جهاز الدولة فى معظم الإحوال فضل زى ما كان ما حصلش الا تغيير قليل » .

● « فيه تناقضات بتقابلنا واحنا بنتحول من مجتمع راسمالى الى مجتمع اشتراكى هذه المصاعب تحتاج منا الى اننا نقابلها بوعى اشتراكى ، وتحتاج من جميع قوى تحالف الشعب العامل أن تتكاتف ، هل يستطيع الشعب العامل ان يتصدى لما فى هذه المرحلة من قوى الاستعمار والرجعية الا اذا تسلح بالوعى .. وعى اشتراكى . »

● « فى مرحلة التحول فان تغيير العلاقات الاجتماعية تقابله مشاكل كثيرة ، فى هذه المرحلة المتناقضات اللى تقابلنا كثيرة .. ليه .. لان رواسب أو بقايا العلاقات الاجتماعية التى تكونت فى زمن النظام الرجعى الاقطاعى الراسمالى ما زالت باقية ما انتهتش .. ولا يمكن أن احنا نتحول من الراسمالية الى الاشتراكية تحول اتوماتيكى فى سنة أو سنتين أو عشرة » .

« فالتحول الاشتراكى فى حد ذاته يتوقف على الاساس الاقتصادى للمجتمع اللى احنا ورثناه بالثورة هو اساس قوى بيكون له تأثير ، واذا كان الاساس متخلف بيكون له تأثير ، طبعا احنا أخذنا أساس اقتصادى متخلف فواجبنا من أجل بناء الاشتراكية أن نضع القاعدة الاقتصادية السليمة ، وعلشان نضع القاعدة الاقتصادية السليمة لن نستطيع أن نحقق التحول الاشتراكى ولا يمكن لنا أن تبنى العلاقات الاجتماعية الجديدة اللى بننادى بيها واللى تنظر لها كهدف من اهداف الاشتراكية ، الا بأن نقيم قاعدة صناعية ، لكن هل معنى قيام هذه القاعدة الصناعية اننا حلينا كل التناقضات لا .. ستظهر دائما تناقضات فى المجتمع تغذيها الرجعية وتغذيها باستمرار القوى التى كانت تسيطر على المجتمع القديم »

● وفى افتتاح مجلس الأمة سنة ١٩٦١ يصف مرحلة التحول فيقول : انبا لن نستطيع أن ننتقل آليا من المجتمع الراسمالى او من الراسمالية والاقطاع الى الاشتراكية ، ان الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، والاشتراكية تعنى وضع وسائل الانتاج فى خدمة الشعب العامل كله ، وفى خدمة الفرد .. ولا يمكن ان يتم الانتقال من الراسمالية المستغلة ، والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل . ونضال الطبقة العاملة ، والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ، ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية تغييرا كاملا » .

وطبيعة مرحلة الانتقال الى الاشتراكية على اى حال تحتاج - كما قلنا - الى دراسة أخرى تفصيلية تكشف كثيرا من جوانب الفكر الناصرى ليس فى مجال الملكية وحدها ، فطبيعة مرحلة التحول ترتبط اساسا بكل مجالات الفكر والتطبيق الاشتراكى عموما فقد كان عبد الناصر يؤمن بفكرة مراحل النضال .. وتاريخه ، يثبت هذه الحقيقة ..

اشتراكية علمية تؤمن بالدين

لعل من أهم ما يتميز به فكر عبد الناصر الاشتراكي ، أنه فى الوقت الذى يصر على أن يطبق الاشتراكية العلمية ، وينادى بها كان يؤكد الايمان بالأديان السماوية ..

وكان يرى انه ليس هناك أى تناقض بين تطبيق اشتراكية علمية ، وبين الحفاظ على الدين وتدعيمه والايمان بالله .. ورسله .. فالأديان عنده قوة تقدمية هائلة ، تحارب الاستغلال ، وتقف فى وجه الجشع .. وتقاوم الاستبداد والطغيان ..

وفى حياة عبد الناصر اتخذت اجراءات عديدة لتعميق المفاهيم الدينية ، والقيم الروحية .

فعبد الناصر هو الذى أصدر قانون تطوير الازهر ونقل به الازهر من جامعة عتيقة تعيش فى القرون الوسطى الى جامعة تخرج الطبيب والمهندس والعالم فى الرياضيات والطبيعة الذى يتميز بأنه درس الدين دراسة وافية ، فهو ليس طبيبا ، ولا مهندسا ، ولا محاميا فحسب ولكنه فى نفس الوقت عالم فى الدين .. يخلصه من الاحتراف ، **ويجعله عقيدة تغرس فى نفوس المسلمين ، ويجوب بها علماء من الأزهر مختلف الأفاق ، يحملون الى جانب عقيدتهم ، مهنا تخدم الانسانية وتصنع الحياة وتنطلق بها الى آفاق التقدم ..**

وفى عهده تضاعفت ميزانية الازهر سبع مرات ونصف وانشئت معاهد ازهرية فى عواصم المراكز .. معاهد متطورة تدرس العلوم الدينية الى جانب اللغات والعلوم الحديثة .

وعبد الناصر هو الذى كان يشير دائما الى ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية فى المدارس ، حتى أصبح الدين مادة اساسية فى معاهد التعليم فى مراحله المختلفة لاول مرة .

وعبد الناصر هو الذى انشأ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ليؤدى رسالة كبيرة فى خدمة الاسلام على المستوى الداخلى والعالمى

وعبد الناصر هو الذى انشأ مدينة البعوث الاسلامية تضم طلابا قادمين من سبعين دولة يتعلمون ، ويقيمون بالمجان .

وفى عهد عبد الناصر ، وبعد اعلان الاشـــتراكية العلمية ، زاد عدد المساجد الحكومية والاهلية من ١١ الف الى حوالى ٢١ الف .. اى انه بنى فى عهده مساجد تساوى عدد المساجد التى بنيت فى تاريخ مصر كلها ..

ففى قضية الدين لم يكتف عبد الناصر بان يتخـذ الموقف النظرى الذى يرى فى الدين قوة دافعة للشعوب . بل لقـد ظهر اهتمامه واضحا بقضية الدين فى التطبيق ايضا ، وهذا الاهتمام يشير الى الايمان الصريح والواضح بأن الدين قوة دافعة للتقدم .

وتعتبر نظرة عبد الناصر للدين مخالفة تماما للفكر الماركسى ، المادى ، الذى يرى فى الدين وسيلة تعوق التفكير العلمى ، وتحدا من انطلاقه « وانه أفيون للشـــعوب » اخترعته ، وحافظت عليه القـوى المستغلة ليمكن لها من الاستغلال ويدفع الشـعوب الى الاستكانة والخنوع ، والذل ، ويوقعها فى غيبيـات تصرفها عن واقعها ، ولا تعطيها الفرصة للنظرة العلمية والموضوعية للأمور ..

عبد الناصر رأى عكس ذلك تماما .. فالمشكلة لم تكن أبدا فى الدين .. ولكن المشكلة كانت دائما فى قوى الرجعية التى تحاول دائما أن تستغل كل شيء لصالحها ، وتحتكر كل الخيرات لمنفعتها

وتهدر كل قيمة من اجل الوصول الى غايتها .. وقد فعلت ذلك بالدين ، عندما حاولت أن تلوى مبادئه لتخدم اهدافها ..

« فالله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر اساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة » ولكن ذلك ما لا تعترف به الرجعية بل وتحاول ان تفسره لصالحها ..

وعبد الناصر يرى « ان رسالات السماء كلها فى جوهرها **كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته** ، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ».

« **وان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة** ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه ، لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية »

« ولقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية : ولكن الرجعية التى ارادت احتكار خيرات الارض لصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم »

« **ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة** ، وفى الحرية بل ان اساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان .. ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها اعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم » (١) .

ويذهب عبد الناصر فى رؤيته للدين الى مدى أبعد من ذلك .. فالدين فى رايه (٢) « **هو دين العدالة ، ودين المساواة بكل**

---

(١) الميثاق

(٢) عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢ م

معانيه . والدين الاسلامى ضد الظلم الاجتماعى ، وضد الاستعمار بكل معانيه ، ان الدين الاسلامى كان اول ثورة وضعت المبادىء الاشتراكية التى هى خاصة بالعدالة والمساواة .. »

وبعد ذلك يرفض عبد الناصر كل المفاهيم الخاطئة للدين ، ويمضى على الطريق يصححها ، فالدين فى رأيه « ليس فقط الصدقة، النبى عليه الصلاة والسلام كان يعتبر الأموال ملك للمسلمين جميعا . المال ليس ملكا لملك .. هناك من يقولون هذا .. هذا تزييف للدين .. الدين ضد هذا ، الأموال ملك للشعب كله » .

كانت رؤية عبد الناصر للدين واضحة منذ البداية .. فعندما يسترجع جذور نضالنا المصرى (١) نجد ان مرحلة هامة ، ومؤثرة قد مرت على شعبنا بدأت منذ الفتح الاسلامى الذى صنع للشعب المصرى ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى .. وعلى هدى مبادىء محمد ـ عليه السلام ـ قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية .. وانه تصدى لغزو استعمارى بربرى جاء مستترا وراء صليب المسيح ، وهو أبعد ما يكون عن دعوة هذا المعلم العظيم ..

وكان الازهر الشريف دائما حصنا للمقاومة ضد الضعف والتفتت الذى فرضته الخلافة العثمانية استعمارا ورجعية باسم الدين .. كان قيادة للكفاح ضد الحملة الفرنسية .. التى حاولت هى الاخرى أن تنفذ الى شعبنا من خلال تدينه ..

ووقف الازهر فى وجه محمد على وظلمه .. وضد التدخل الاجنبى فى مصر .. وضد الاستعمار الانجليزى بعد ذلك ..

كان الازهر يحمل مشعلا يضىء الطريق حرية ، واستقلالا ، ومقاومة للغزاة .. تلك الطاقة الهائلة الكامنة فى شعبنا والتى يفجرها الوعى الصحيح ، والايمان السليم ، بمبادىء الدين ، هى

---

(١) الميثاق .

الطاقة التى تسلحت بها جماهيرنا ازاء اشد المحن والأزمات .. ولم تكن تملك سوى ايمانها الثائر الرافض .. ومقاومتها الباسلة التى يحض عليها الدين .. وخاض شعبنا معارك عديدة .. حتى انتصر .. وكان الفهم الواعى للدين هو القوة الدافعة .. التى تشعل الجذوة فى عروق الجماهير « فالارتباط بين الدين والوطنية وثيق ومتين ، فكل دعوة منهما دعوة دين ، وكل انتفاضة منهما انتفاضة وطنية وهى فى الحقيقة نداء الحرية ، احدهما من نور الله والثانى من انعكاس هذا النور على ضمائر البشر » (١)

هذا الفهم الواعى للدين هو ما كرس عبد الناصر جهده لاظهاره ووضعه امام الجماهير ، واثبات أن الدين لا يتعارض مع تيار التقدم ، ولا مع بناء الاشتراكية العلمية ..

« فالاشتراكية هى الكفاية والعدل ، هى العدالة الاجتماعية .. التخلص من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، الاشتراكية بهذا المعنى هى شريعة العدل .. شريعة الله .. شريعة العدل .. شريعة العدل تأبى أن يكون الغنى ارثا .. والفقر ارثا »

« تأبى أن تكون طبقة .. تتمتع بكل خيرات هذا البلد ، وأن يكون مجموع أبناء هذا البلد جميعا محرومين من كل شىء .. وفى خدمة هذه القلة القليلة ، ٥ آلاف شخص طبقت عليهم القوانين الاشتراكية ، كانوا يملكون ٥٠٠ مليون جنيه ، وكل الشعب ٢٨ مليون .. قد لا يملك عشر هذا القدر .. شريعة العدل .. شريعة الله .. ترفض هذا وتأباه » (٢)

* * *

فلسفة عبد الناصر لها رؤية جديدة للدين ، فالاسلام اول دين نادى بالاشتراكية ، والرجعية

---

(١) فى حفل تكريم مكاريوس ٣ يونيو ١٩٦١

(٢) ٢٥ يونيو ١٩٦٢

مستعينة ببعض ادعياء المعرفة بالدين هم الذين يحاولون دائمـا ان يحـرفوا الأمور بحيث تخـدم أغراضهم .

« فالاسلام فى أول أيامه كان أول دولة اشتراكية ، الدولة التى قامها محمد عليه الصلاة والسلام كانت أول دولة اشتراكية النبى محمد اول من طبق سياسة التأميم فى هذه الأيام »

« فيه حديث عن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه : « ان الناس شركاء فى ثلاث الماء . والكلأ والنار . فيه ناس قالوا نصا الملح .. معنى هذا فى هذه الايام كانت المقومات الاساسية للمجتمع هى المراعى والمـاء ، انهم زعاة يرعوا ويعوزوا الماء والكلأ ، هذه الاشياء كانت حاجة هامة فى المجتمع »

« النبى قال الناس يجب أن يكونوا شركاء فى هذا ، ما يجيش واحد يستولى على المراعى ويقول : هذه ملكى » .

« التأميم لا يختلف عن هذا فى اى شىء ؟ »

« حين نقارن انفسنا بهذا الوقت .. الاول كان المجتمع يعيش قلى المراعى ، يعيش على الماء .. ويعيش على الكلأ .. والنـار كانت مهمة له .. اليوم المصانع هى تمثل الاراضى الزراعية وتمثل المقومات الاساسية فى المجتمع »

« الدولة الاسلامية حينما قامت كانت هى أول دولةاشتراكية والاسلام سار بعد النبى فى طريق الاشتراكية ، وفى أيام النبى ، وفى هذه الايام انصفوا اهل الفقر من اهل الغنى .. فى أيام عمر أمموا الارض ووزعوا الارض على الفلاحين »

« جميع الديانات تنص على العدالة الاجتماعية ... الزكاة التى تمثل ربع العشر فى المال الموجود فى آخر كل سنة

اذن الدين اشتراكي لم تكن الزكاة الا أساس من أسس الاشتراكية .. ولهذا فعلا في هذه الايام لم يكن هناك فقراء .. ولم يكن فيه عجز ، كان فيه تكافل اجتماعي كامل

« الدين عمل من أول الاسلام ، النبي كان يعمل ، وكل واحد كان يعمل .. لم يكن بدا تجارة .. والدين في كل الاديان .. في المسيحية .. وفي اليهودية .. نص على الزكاة التي هي تطبيق الاساس الاشتراكي السليم الصحيح (١) »

ويمضي المناضل جمال عبد الناصر في توضيح أبعاد موقف الدين الاسلامي من التقدم والاشتراكية « فالاسلام لم يكن دينا فقط . ولكنه كان دينا ينظم العدالة على الارض وينظم المساواة ، ويتيح تكافؤ الفرص .. وهذا كله عبرنا عنه لكم في كلمة واحدة هي الاشتراكية » « الاشتراكية التي سنها محمد عليه الصلاة والسلام . الاشتراكية التي سنها عمر بن الخطاب ، الذي كان يخطب بين الناس كان يخاطبهم ، وكان يقول لهم : من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه ، وكانوا يقولون له بكل جراه : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » .

« هذه كانت الحرية .. وهذه كانت الاشتراكية .. وهذا هو الاسلام الحقيقي (٢) .

* * *

وبهذا الفكر الصريح الذي يعكس الايمان بان الدين هو قوة دافعة للشعوب ، واستلهاما من مبادئه السليمة ومن واقع المجتمع المصري المؤمن ، الذي خاض المعارك العنيفة رافعا شعار الدين ، عندما قاده علماء دين ثوريون كان عبد الناصر يؤمن بالدين .

(١) ٢٢ يوليو ١٩٦١

(٢) في كبار علماء الدين باليمن ـ صنعاء ٢٥ ابريل ١٩٦٤.

وبهذه المفاهيم ظل عبد الناصر يؤكد فكرة فى التلازم بين الدين والتقدم ، والتطبيق الاشتراكى .. ولكنه فى نفس الوقت كان يصر على أن نسمى اشتراكيتنا اشتراكية علمية .

« قيل ان كلمة الاشتراكية العلمية تعنى أنها من الكفر وانها ماركسية ، وسمعت انا هذا الكلام ، وأظن منكم ناس كثيرين سمعوا هذا الكلام .. ايه يعنى الاشتراكية العلمية .. **واحنا اشتراكية عربية ما احناش اشتراكية علمية** .. هذا الكلام ان دل على شىء فيدل على مغالطة ، يعنى لما بنفتح الجرايد الصبح نقول بتوع الكورة بيخسروا وعلشان يكسبوا لازم يتدربوا بطريقة علمية .. كل واحد علشان ينجح لازم يمشى بطريقة علمية .. اذا كنا عاوزين اشتراكية سليمة **ناجحة لازم تكون علمية** ، والعكس للطريقة العلمية هى الطريقة الفوضى .

« **فاحنا اشتراكيتنا هى اشتراكية علمية** ، قائمة على العلم اشتراكيتنا علمية وليست قائمة على الفوضى .. مقلناش ان احنا اشتراكيتنا اشتراكية مادية .. ومقلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية ، ومقلناش ان احنا خرجنا على الدين .. بل قلنا ان الدين بتاعنا هو دين اشتراكى وان الاسلام فى القرون الوسطى حقق أول تجربة اشتراكية فى العالم (١) »

ويعود المعلم يؤكد ان اشتراكيتنا علمية .. **وليست عربية** فالاسس الاشتراكية فى العالم واحدة .. والتطبيق هو الذى يختلف .. ولذلك يصر الميثاق الناصرى على أن يسمى ما يجرى فى بلادنا باسمه العلمى الصحيح وهو **التطبيق العربى للاشتراكية** ، حتى لا ينحرف بها البعض ، ورغم هذا النص الواضح الصريح لا فقد كان موضع مناقشة مع الزعيم الراحل (٢) وقد يكون من المفيد

(١) أمام مجلس الامة ١٢ نوفمبر ١٩٦٤
(٢) لقاء الرئيس مع اعضاء المكاتب التنفيذية للقاهرة والجيزة يومى ٧ - ٨ مارس ١٩٦٨

ان ننقل النص الكامل لهذا الحوار الممتع الذى يقول فيه الزعيم المعلم :

« أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية . وعلاقة الاشتراكية بالدين ، فقد تكلمت فى مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة ، وفى التليفزيون وفى الراديو ، وأوضحت الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكيتنا وعددت أسباب ذلك ، ومن مدة عشرة أيام نشر لى حديث فى الجرائد مع الصحفيين العراقيين .. وسبق أن تكلمت فى بور سعيد ، ولاينقصنى الا الصعود لمئذنة القلعة وان اقسم على ذلك ، ورغم هذا ستجد من يتشكك ولا يصدق ، اذن يوجد اناس لا يريدون التصديق أبدا ، وليست هناك فائدة من اقناعهم لان قصدهم هو التشـــكيك فى الوضع الموجود ، ولان مصلحتهم الشخصية تتنافر مع الاشتراكية »

« هل حجرنا على الدين ؟ .. لا .. هل منعنا الصلاة ..؟ لا .. بل بالعكس .. جعلنا تدريس الدين اجباريا فى المدارس .. وجعلنـــاه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب او النجاح فى الامتحان ، وكذلك نبنى الكثير من المساجد ، زاد اهتمامنا بالجامعة الازهرية الى آخر هذه المواضيع »

« وتوجد أيضا بعض الموضوعات التى لها حساسيات بالنسبة للدين ، ففى الاجتماع السابق اشار أحد اعضاء المكاتب التنفيذية الى صدور كتاب يتعرض للدين ، وكان الكتاب هنا مصـــادفة .. فقرانا النص المشكوك فيه ولم نجد به اى تعريض بالدين ، فمؤلفه وهو أستاذ فى جامعة اسيوط يقول انه لا داعى لان نقول اشتراكية اسلامية ، لاننا لا نريد وضع الاسلام فى موضع تجربة قد تفشل وقد تنجح ، وانما الاسلام دين حق ، وفيه كذا .. وكذا .

« هذه هى الكلمة التى فسرها على أن فيها تعريضا بالدين وأنا رأيى ان كلام هذا الاستاذ سليم جدا ، فهو يرى الا نقول اشتراكية اسلامية ، لان معنى هذا انه اذا فشلت الاشتراكية أو

تعدلت التجربة أو التطبيق ، وتجربتنا ليست جامدة وليست منقولة ، فمعنى هذا أن يفشل الاسلام ، فلماذا نعرض الاسلام لمثل ذلك ؟ »

« انا مثلا عندما تكلمت عن الاشتراكية والاسلام ضربت امثلة حتى يعلم الناس انه فى وقت ظهور الاسلام طبقت الاشتراكية والعدالة الاجتماعية فى موضوعات كثيرة »

« فعندما دخل الاسلام العراق طبقت الاشتراكية بالنسبة للارض وكذلك فى الأندلس ، ولم تكن هناك فى ذلك الوقت مصانع ، وما اشبه ذلك »

« وبكل اسف استغلت الرجعية الاسلام طوال السنين الماضية واتخذت من الدين ذريعة لسيطرتها »

« فالملك .. الذى ينادى بالاسلام ، ويدعى الغيرة على الاسلام هل هو مسلم ؟ هل تمكن مقارنته بالنبى عليه الصلاة والسلام أو بأحد الخلفاء ، او بأى قائد اسلامى عادل أو حاكم مسلم اسلاما صحيحا »

« هل كان لدى النبى سيارات ، وكذا مليون جنيه .. هل يمكن مقارنته ... بعمر .. ؟ غير ممكن لان عمر كان يعزل الوالى اذا اثرى ، ويعتبر ثراءه خروجا عن الاسلام ، وكان ينادى بأن الاموال كلها اموال المسلمين ، اذن الاسلام واضح فعلا والمبادىء التى اعطاها لنا واضحة ، ولكن بعد عهد الامويين سارت الامور بخلاف ذلك ، وحاول الاثرياء استخدام الدين لصالحهم »

« فى البلاد الشيوعية ، لم يقضوا على الدين ، ولكنهم اهملوا الدراسة الدينية فى المدارس ، ومعنى هذا القضاء على هذه الناحية فى الاجيال الجديدة تدريجيا ، والامر عندنا بالعكس فنحن ندرس الدين للاولاد فى المدارس ، لو كنت منعت دراسة الدين كان لهم ان يسالونى عن ذلك »

« ولكن جوهر الموضوع الآن هو أن هناك بعض الناس يريدون ان يتخذوا من الدين ذريعة ضد الاشتراكية ، تماما مثل الملك .. فهو يقول ان الاشتراكية الحاد .. لا عن ايمان واخلاص ، ولكنه يريد استخدام الدين لخدمة اهداف الرجعية التى يتبناها ، هذا هو موضوع الدين ، نحن نعتبر الدين وسيلة لحماية الناس من الانحراف ، فمثلا الموظفين وغيرهم ممن نشتكى منهم لو كان عندهم دين . وايمان لما ضايقوا الناس ولا عطلوا مصالحهم » .

« وبالنسبة للتناقض فى التفسيرات الاشتراكية فانا شخصيا ضد الفلسفة والسفسطة المعروفة فى هذه النقطة ، ونحن نميل الى تبسيط الامور الى آخر مدى . وعندنا الميثاق الذى وضح كل الامور ببساطة ، فحدود اشتراكيتنا موضحة فى الميثاق ، وليس هناك ما يدعونا الى تعقيد الامور ، وجلب أمثلة من هنا ، ومن هناك »

« فالميثاق مبسط ، وقد تعمدنا فعلا ان تضعه بطريقة مبسطة، ولم نسترشد بآراء اخرى ، توجد فروق كثيرة بيننا وبين الشيوعية ، وقد نلتقى معها فى بعض الامور ، عندما تقرأ الدستور الشيوعى نجد فيه سبعة عشر أو عشرين مبدأ لا يسعك او اى مصلح الا الموافقة عليها »

« وليس معنى هذا انك شيوعى ، فهل نستغل الناس لنثبت للعالم اننا لسنا شيوعيين ، واننا اصحاب دين ؟ »

« ليس أسهل من هذه العملية انا كهيئة حاكمة فى هذا البلد، ولو سلكنا هذا السبيل كنا قد استرحنا من اغلب المشاكل التى قابلتنا فى السنوات الاربعة عشر الماضية ، لو استندنا الى حكم الطبقة ، وهو الحكم الذى يعتمد على تحالف الاقطاع مع الرجعية لما اعترضتنا اليوم مشاكل الاسعار ، لانه كان سيصبح عندنا عمالا عاطلين ، وعددا كبيرا من الشحاذين كل همهم التسول ، وليس

عندهم وقت للتفلسف ، نتيجة الاعمال الجديدة اننا اوجدنا عددا كبيرا من المتفلسفين ، لقد زاد عدد العمال من ٥ر٤ مليون عامل الى ٥ر٧ مليون عامل يضاف اليهم مليون عامل فى الاصلاح الزراعى ، فيكون مجموع العمال ٥ر٨ مليون عامل . واصبحت اليد العاملة فى الريف قليلة ، ووصل اجر العامل الى خمسين قرشا وجميع خريجى الجامعات يلحقون بالعمل ، وذلك نتيجة للمجتمع الاشتراكى الذى نبنيه فالمجتمع الاشتراكى بناء اكثر منه تاميم ، لان التاميم ياتى فقط فى المرحلة الاولى من مراحل الاشتراكية ثم يتلو ذلك بناء الكثير من المصانع والمشروعات ، واغلب هذه المشروعات لم تعطنا ايرادا فالسد العالى واستصلاح الاراضى ثم المصانع الجديدة انفقنا عليها كثيرا من الاموال ولم نأخذ منها ايرادا بعد ، ولذلك نجد ان العرض اقل من الطلب »

« لو كنا اخذنا النظام الراسمالى والاقطاعى كنا تركنا الاموال لبعض الافراد وحكمنا البلد مع هذا العدد المحدود من العائلات ولكان المجتمع فى ظاهره مريحا ، ولطيفا ، وليس متعبا مثل المجتمع الذى نعمل له ، وندافع عنه . »

« قد اقول خطبة فى الراديو لا يسمعها الا عدد ضئيل او نسبة محدودة ممن ادافع عنهم ، اذ لا اتصور ان عند عمال التراحيل راديو يسمعون به كلمتى ، ولكن اتصور ان ١٠٠ ٪ من الذين اتكلم ضدهم يسمعوننى ، فكيف لذن اجمع هؤلاء الناس ... ؟ العمل الوحيد هو التنظيم السياسى »

وكيف احل مشاكل عمال التراحيل ؟ العمل الوحيد هو التنظيم السياسى ، حتى لا يتكرر ما حدث فى الدقهلية ، من ان احد موظفى المحافظة اغتال التقود لنفسه ، فعدم وجود تنظيم سياسى مهد لوجود الانحراف »

● **ويعود احد الاعضاء ليسال الزعيم المعلم قائلا ان هناك قوى رجعية تحاول اثارة البلبلة عن طريق خلق هذه القضية الفكرية ، هل اشتراكيتنا علمية أم هي اشتراكية عربية ، وما مصدرها ؟**

ويرد الزعيم فى حسم :

« لقد نص الميثاق على **انها اشتراكية علمية ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص عليها فى الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الاشتراكية العلمية بالكفر** ، ولكن اذا كنت تريد السؤال عما اذا كانت ماركسية ، فانا أقول بصريح العبارة انها ليست ماركسية .. وليست ماركسية لينينية ،وسبق أن قلت هذا الكلام بوضوح فى حديثى مع الصحفيين العراقيين (١) ، ومن السهل جدا معرفة الخلاف وسبق إن شرحناه عدة مرات ، فليس هناك داع للدخول فى فلسفة عما اذا كانت اشتراكية علمية او شتوية او صيفية وسبق أن تكلمت فى عيد العلم ، وكان ذلك ردا لما ورد فى الميثاق بالنسبة للعلم (٢) »

« يجب أن تكون اجابتنا قاطعة ، **فالميثاق لم يقل انها اشتراكية عربية** ، ولم يقل انها ماركسية ، ولا لينينية ، وفى هذه الايام توجد اشتراكية صينية ، واشتراكية روسية فى بولندا شيوعية وكذلك فى يوغوسلافيا ، ولكنهم جميعا يسيرون طبقا للماركسية اللينينية وتطبيقها مبنى على اساس دكتاتورية البروليتاريا او حكم الطبقة ثم تصفية المجتمع ، ونحن لم نسر بهذا الشكل »

● **ولكن احد الاعضاء فى نفس الجلسة يعود مرة اخرى ليستفسر من الرئيس عن مضمون الاشتراكية ويبدو انه لم يقتنع**

(١) فى ٢٠ فبراير ١٩٦٦

(٢) قال فى عيد العلم ١٤ ديسمبر ١٩٦٤ « الاشتراكية لا يمكن ان تكون الا اشتراكية علمية »

فيقول فى نهاية سؤاله ، **انا اصر على تسمية اشتراكيتنا بالاشتراكية العربية »**

ويرد المعلم مرة اخرى قائلا :

« عندما تقول اصر .. فانك تعبر عن عقدة نفسية كان اسهل لنا نقول اشتراكية عربية فى مبدأ الامر ، ولكن فى كلامى لم اقل ذلك ، لان الاشتراكية فى الدنيا ،كلها من ناحية المفهوم الاجتماعى هى الكفاية والعدل ، غير أننا نختلف فى التطبيق وفى تصورى اننا متقدمون فى التطبيق الاشتراكى عن بولندا ، وقد اجتمعت مع « أوخاب » وتكلمت معه عن الملكية الزراعية ، وليس معنى هذا اننا شيوعيون أو انه سيدخل معى ضمن الاشتراكية العربية ، لكنه يسير فى خط اشتراكى بتطبيق معين ، وانا اسير فى خط اشتراكى بتطبيق آخر ، **وعندما تقول اشتراكية عربية ، يكون شانك شان من يقول بالحلف الاسلامى** ليس لدينا ما نخفيه بكلمة الاشتراكية العربية ، نحن واضحون كل الوضوح ، وامامنا الميثاق وليس هناك داع للدخول فى صراع وحوار دون مبرر » .

« ثم ان اشتراكيتنا متطورة ، ومعنى ذلك بكل بساطة انها **ستوصلنا فى يوم من الأيام الى منع استغلال الانسان للانسان منعا كاملا** ، هل نحن وقد واتتنا الفرصة نستطيع ان نقصر فى حق الذين لم تواتهم الفرصة »

« نحن ننظر الى هؤلاء ، ونعمل على القضاء على استغلال الانسان للانسان ، وهذا يتمشى مع العدل والدين لان الله لم يخلقنا لكى يستغل احدنا الآخر »

« هذه هى الاشتراكية والسبيل الوحيد الذى يوصلنا اليها هو زيادة انتاجنا ودخلنا القومى وتنظيم انفسنا .. **انا ذكرت لك ان املى قبل وفاتى ان ارى البلد بها ازمة خدم** ، وليس معنى هذا انتهاء استغلال الانسان للانسان ، وانما معناه ان مرحلة من مراحل الاستغلال قد انتهت »

« أنا شاعر بأزمة عمال التراحيل وما يشوبها من استغلال ، ولكنى الان غير قادر على حلها ولكن العملية المتطورة توصلنا الى الحل فما الذى يخيفنى من التطور ؟ »

ويمضى القائد يقاتل دفاعا عن أن ما فى فكره هو تطبيق عربى للاشتراكية .. فيعود السائل بحجة جديدة يقول فيها :

● ليس هناك خوف ، ولكن يهمنى فى مجال التوعية أن الجماهير تشعر بان لاشتراكيتنا طابعا معينا ، ولن يرقى الشك اليها فى اننا سنحرف الى الشيوعية ، ولو نظرنا الى جمال عبد الناصر كمفكر اشتراكى ، نجد أنه قد اضاف مفاهيم جديدة ، مثل الايمان بالدين وعدم تقبل مبدا صراع الطبقات ؟

ويرد الرئيس عبد الناصر :

ـ لا ، الصراع الطبقى موجود فى الميثاق

السائل هو استاذ جامعى يقول :

● ولكننا لا ننص على اننا طبقة ((البلوريتاريا))

الرئيس

ـ لا .. هذا .. موضوع آخر ..

ويقول الاستاذ الجامعى :

● يجب أن يعلم الجميع أن هناك قيادة تضع منهبا جديدا وليست ملتزمة بتطبيق المذهب القديم ، ومع أن جميع الاشتراكيات لها عناصر عامة مشتركة الا أن لكل اشتراكية طابعا خاصا ، ولذلك عندما أقول الاشتراكية العربية ، فلانى مقتنع بان اشتراكيتنا مميزة ، ذات مذهب جديد ، أو هى تطوير كامل للمذهب بفكر جديد ، وأسلوب جديد ..

ويفتح القائد المعلم صدره ، الى أبعد مدى ، ويعود ليقنع الاستاذ الجامعى بان اشتراكيتنا .. **ليست عربية** .. وانما اسمها الصحيح انها « **تطبيق عربى للاشتراكية** » فيقول :

ـ مثلا اذا تغير اسم الجمهورية العربية الى اسم مصر ، وأنا من الذين عز عليهم جـــدا اسم « مصر » كدولة ، فماذا نسمى الاشتراكية حينئذ ..؟

اشتراكية مصرية ؟

ويبدو ان الذى يسال .. مازال لديه ما يقوله .. فهو يعود ليطرح رأيا آخـــر .. استبسالا فى الدفاع عن وجهة نظره .. فيقول :

● **المسالة ، اننا نريد ان نشعر القاعدة الواسعة بان عنـــدنا صياغة جديدة للفكرة الاشتراكية ..**

ويلتقط المعلم الخيط ليقول على الفور :

« ـ **تقصـــد فى التطبيق الاشتراكى** .. يمكن أن أقبل كلامك ببساطة ، ولكنى أريد أن أقنعك بصراحة ، **ان اشتراكيتنا متطورة بهدف الوصول الى الكمال** » .

ويعود الرئيس ليؤكد هذه الحقيقة مرة ثانية للمبعوثين فى مؤتمرهم بالاسكندرية .

فيقول : الاشتراكية عموما هى القضاء على استغلال الانسان للانسان ، ولكن التطبيق الاشتراكى فى كل بلد يختلف عن البلد الآخر ، وفيه ناس تحب تسميها الاشتراكية العربية على اساس ان دى اشـــتراكية لهـــا طابع خاص ، وانا رايى هى **تطبيق عربى**

للاشـــتراكية ، مش هى اشـــتراكية عربيـــة ، واعتقـــد أن فيه اشتراكية واحدة(١) .

* * *

والخلاصـــة ان فلســـفة عبـــد الناصر الاشـــتراكية ترى أن التطبيق الاشتراكى لا يتعارض مع جوهر الايمان بالله ورسله ، وان الاديان كلها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانســـان وسعادته .. وينتج التناقض عندما تحاول بعض القوى الرجعية استغلال الدين لصالحها فتحرفه ليخدم اهدافها ..

ويذهب برؤيته الى ابعد من ذلك، فالدين قوة دافعة للشعوب، ومصدرا من مصادر تقدمها .. والوصول بها الى حياة افضـــل اذ أنه يرفض الاستغلال ، ويهدف الى اقامة مجتمع الفرصة المتكافئة التي تقوم على اساس من العمل ، ويرى عبد الناصر فى الدين أيضا قوة ترفض الذل والاستعمار وتقاوم العبودية والطغيان ، وقد خاض شعبنا حروبا من اجل تاكيد هذه المعانى كلها ..

وهذه هى الصيغة النابعة من واقع مجتمعنا العربى ، مهـــد الرسالات السماوية ، ومن دراسة واقعية ليست لجوهر الدين فقط ، بل لطبيعة المجتمع ، ولظروفه وتفكيره ايضا .

وفلسفة عبد الناصر لا تقف عند هذا الحد ، فالاختلاف لا يجيز لنا ان نطلق على اشتراكيتنا لفظا آخر غير الاشتراكية العلمية .. وهو يصر على تسمية تجربته فى الاشتراكية ، وفكره الاشتراكى باســـمه الصحيح « التطبيق العـــربى للاشـــــتراكية .. وليس الاشتراكية العربية » .

---

(١) مؤتمر المبعوثين بالاسكندرية ١٠ اغسطس ١٩٦٥ .



الوحدة العربية صياغة ، وفكرا .. وعملا من أهم مقومات الناصرية ..

ان القومية العربية كانت موجودة قبل عبد الناصر ، ولكن عبد الناصر ، هو الذى بلورها ، واعطى لها المضمون الثورى .. بل انه هو الذى حمل مسئولية اقامة اول وحدة دستورية بين البلدان العربية بناء على الارادة الشعبية الخالصة .

والقومية العربية قديمة يمتد جذورها الى وجود العرب انفسهم منذ ما قبل الاسلام .. فالامة العربية موجودة .. تملك لغة واحدة ، وارضا واحدة ، وتاريخا واحدا ، وأملا واحدا ، ومصلحة واحدة ، حضارة واحدة .. ومصيرا واحدا ..

ووجود الامة العربية ذاته هو الذى خلق هذه القومية ، ومن البديهى أن يكون الوعى بهذه الحقيقة تاليا على نشوئها .. فارتباط المصالح والأرض ، واللغة قد ساعد على تنمية الوعى بالقومية ، وابرازها ، فهى اذن محصلة لوعى الأمة العربية بضرورة وحدتها ..

● والأمة العربية **تملك لغة عربية واحدة** ، هى وسيلة التخاطب والتفاهم العقلى واحد ادوات الاتصال الرئيسية ، وان اختلفت اللهجات نتيجة لعوامل اقليمية .. الا ان العرب كلهم يتكلمون لغة

واحدة ، تكتب بحروف واحدة .. لها ابجدية واحدة هي لغة تراثهم ، ولغة القرآن الكريم .. وهذه اللغة الواحدة كانت هي الوسيلة الإساسية والوحيدة في كثير من الأحيان لتوصيل الثقافة العربية وتاصيلها ، وانتشار العلم والفكر .. رغم كل عوامل التفتت ورغم اختلاف الديانات التى عاشت ومازالت تعيش في الوطن العربي ..

● وتملك الامة العربية ارضا واحدة تمتد من المحيط الاطلسى الى الخليج الفارسى فى مساحة جغرافية واسعة من قارتين من قارات العالم لا يفصلها عن بعضها أى حاجز ..

على هذه الارض المنبسطة الواسعة المجزأة الاقطار ، والمقسمة الحدود السياسية ، والمجزأة الى اقاليم ودول .. جمهوريات ، وملكيات ، ومحميات ..

على هذه الارض الواحدة الممتدة بما تحتويه طبيعتها من صحراء أو جبال أو سهول أو وديان وانهار .. عليها يعيش شعب يتكلم لغة واحدة منذ قبل نزول القرآن الكريم هى اللغة العربية ..

● وهذا الشعب يملك ايضا التاريخ المشترك .. تاريخ امة كاملة خضعت على مدى قرون طويلة للحكم العثمانى ، ثم للاستبداد الاستعمارى المرتبط به أو الذى انفرد بها وحده .. وفرض عليها تخلفا حضاريا ، ومزقها ، وجزاها .. وصنع لها الحدود .. واستبد بها . ونهب خيراتها ، واستنزف جهد أبنائها .. لقد واجهت الغزو الصليبى .. وواجهت بعده المد الاستعمارى فى صورته العسكرية ، ثم فى صورته الجديدة ، صورة ربطها معه باحلاف .. وكان وما زال يخطط لها على أن ترتبط به .. أو تتمزق .. فكما نظر اليها الاستعمار فى الماضى على أنها كل لا يتجزأ ، فانه ينظر اليها اليوم نفس النظرة ، ولكنه هنا يريدها كلها مربوطة به ، دائرة فى عجلته ، ثرواته تقوم على عرقها ، وجهود أبنائها ، وكنوزها الطبيعية أو منتجاتها الزراعية ..

● وحدة التاريخ في الواقع هو الذي يرتبط به تماما **الضمير المشترك** والمصلحة المشتركة . والمستقبل المشترك .. فان ما يحدث في اي جزء من العالم يرتبط بالجزء المجاور له فورا . . واذا كانت وسائل الاتصال قد الغت المسافات ، والزمن والحدود بين العالم ، وجعلته يعيش في بوتقة واحدة ، لا تنفصل قضية فيه في اية دولة عن العالم بأسره ، ولا تعيش أسيرة وحدها داخل نطاق حدودها ، فانه من المحتم ان يكون الامر اكثر تأثيرا بالنسبة لامة واحدة ، بعضها نفض عنه رداء الاستعمار الثقيل واوثانه والبعض الاخر مازال يقاتل في سبيل حريته ، هذه الامة النامية كلها بما تمثله للعالم الاستعماري تواجه مصيرا واحدا ، والقضاء على التيار التحرري في مكان منها يؤثر بلا شك على جميع المنطقة .. وعلى جماهير الامة العربية كلها التي تملك مقومات عديدة للبقاء ويحدد وجودها الترابط الاقتصادي الذي يسر لها سبيل التكامل . . وان تكون امة واحدة قوية تضم اكثر من مائة وعشرين مليون مواطن يملكون ثروات هائلة لم يستطيعوا بعد ان يستغلوها ، اما لأن الاستعمار اراد لهم ان يتخلفوا في مجال العلوم وغيره من المجالات او لانه يؤثر ان يستغلها هو لمصلحته ولذاته .

* * *

امام الجمعية العامة للامم المتحدة يحدد عبد الناصر مقومات القومية العربية فقد « كانت للامة العربية دائما وحدة **اللغة ووحدة اللغة هي وحدة الفكر** .. وكانت للامة العربية دائما **وحدة التاريخ ووحدة التاريخ** هي وحدة الضمير ، ولسنا نرى اساسا قوميا امتن من هذا الاساس ولا اثبت » .

وفي الميثاق الناصري يبلور هذه المقومات عندما يقول : ان الامة العربية لم تعد في حاجة الى ان تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها .. لقد جاوزت الوحدة هذه المرحلة واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته .. يكفي أن الامة العربية تملك **وحدة اللغة** التي تصنع وحدة

الفكر والعقل .. ويكفى ان الامة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ، ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الامل التى تصنع المستقبل والضمير .. ان الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من اساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون الى الامور نظرة سطحية .. ان مجرد هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .. ان هوة الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى ، واللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى ، هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الامة العربية وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة » .

***

واذا كانت القومية العربية موجودة ، فان الاحساس بخطرها لدى الدول الاستعمارية كان موجودا أيضا ..

وكانت مصر تحمل دورها التاريخى فى مواجهة أعداء الامة العربية منذ زمن بعيد ..

ويوم ارتفع فى مصر شعار مصر للمصريين ايام الثورة العرابية لم يكن يعنى أن تنفصل مصر عن واقعها العربى، كان الشعار مرفوعا فى مواجهة القوى الدخيلة على مصر وعلى العرب . القوى التركية التى تحكمها القوى الاستعمارية التى تساندها ..

لم يكن من المنطقى — حتى مع فرض وجود عمق الوعى — أن يرتفع شعار أن مصر للعرب فى مواجهة المد الاستعمارى الدخيل الذى كان يستهدف شرف وكرامة وحقوق المواطن العربى فى مصر .. مصر للمصريين فى هذا التصور كان يعنى أن مصر لابد أن تكون للعرب المصريين وحدهم — للمصريين الذين يتكلمون اللغة العربية

والذين لم تستطع كل عهود القهر والاستعمار أن تغيرهم .. مصر للمصريين الذين واجهوا مع اشقائهم العرب فى كل مكان الغزو الاستعمارى العثمانى ، والتركى والصليبى .. مصر للعرب المصريين الذين يتطلعون الى مستقبل بلا استعمار وبلا أى تدخل أجنبى فى وقت كانت الامة العربية فيها ممزقة .

صحيح أن بعض الكتاب ، بل والسياسيين رفعوا هذا الشعار فى فترات متقدمة أو متأخرة من التاريخ عن قصد ، ووعى وهدف يرتبط بمصالح القوى المعادية لحركة الشعب وتقدمه ، ولكن ذلك لم يكن فكر الرجل العربى فى مصر .. الذى لا يمكن ، ولا يستطيع الا أن يقول انه عربى .. يتكلم العربية ، ويرتبط تاريخه بتاريخ امته ، كما يرتبط بها مصيره ومصلحته أيضا .

فحركة القومية العربية لم تكن ابدا الا حركة الجماهير الواسعة العريضة .. انها حركة الجماهير العربية الواسعة التى فجرت الثورة ضد الاحتلال الاوربى فى مصر عام ١٩١٩ وفى العراق عام ١٩٢٠ ، وفى فلسطين عامى ٢٠ و ٢٣ ، وفى العراق عام ١٩٢١ ، ولكنها كلها اخفقت لأسباب متعددة منها اغفال القيادات وعلى الأخص قيادة الثورة فى مصر لحقيقة وحدة المصير العربى .

ولقد تنبهت الدول الاستعمارية الى هذه الحقيقة .. فيقف ايدن فى مايو ١٩٤١ ليعلن أن كثيرين من المفكرين العرب يرغبون فى تحقيق درجة من الوحدة بين الشعوب العربية « اكثر مما هو قائم الآن » وفى محاولتهم للوصول الى هذا الغرض تطمع الشعوب العربية فى « مساندتنا » وينبغى الا نقف دون الاستجابة الى مثل هذا النداء ، ويبدو لى ان تدعيم وتقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بل والسياسية بين البلدان العربية انما هو تصرف طبيعى وسليم وحكومة صاحبة الجلالة من جانبها تعطى تأييدها الكامل لاى مشروع فى هذا المجال يحدث عليه اتفاق » ..

فقد حاولت انجلترا التى كانت حتى ذلك الوقت تمثل القوة المسيطرة الكبرى على المنطقة العربية ، ان تحتوى هـذه الحركة ، حتى لا تخرج عنها وحتى تضمنها وهى تتحرك من داخلها لذلك حاولت منذ البداية أن تلتف حول الدعوة الجـديدة ، وتحتضنها حتى تسيرها بعد ذلك وفقـا لما تمليه عليه مصالحها .. بحيث لا يكون هذا النداء الجديد موجها لها بالدرجة الأولى ..

ثم تحاول أن تدفع بأعوانها فى المنطقة ليتبنوا الدعوة المرتفعة قبل أن تنمو وتكبر فى صور مشروعات انجليزية بديلة تحتويها مثل الهلال الخصيب « مشروع نورى السعيد » أو سوريا الكبرى « مشروع الملك عبد الله » وقد كتب لها الفشل لعدة عوامل ، منها ، يقظة الشعوب العربية ووعيها والمصالح الاقليمية الواضحة التى تطل من هذه المشروعات ، وابتعادها عن اى مضمون اجتماعى يحقق آمال الجماهير ..

ويعود ايدن بعد ذلك فى سنة ١٩٤٣ يطرح فكرة اتحاد البلاد العربية لنفس الأهداف ولكنه بالدبلوماسية الانجليزية يقـول : « ان المبادرة فى ذلك يجب أن تأتى من العرب انفسهم » ..

وعندما تنتهى الحرب العالمية الثانية ، ويبدأ المد الاستعمارى برغم على الانحسار عن البلاد العربية يبرز تيار القومية العربية من جديد وينمو .. ويتضح أعوانه ، ومؤيدوه ، ويقف فى مواجهة خصومه .

واذا كانت الجماهير هى صاحبة التيار الجديد الذى يمثـل مصالحها والذى عبرت عنه العناصر الثورية ، فكرا ، ومطالبة ، ونداء .. فان الجانب الآخر الذى يقف فى مواجهة الفكرة يتبلور فى عدة اتجاهات ما زالت حتى الآن هى التى تعترض تيـار القومية العربية الذى لا بد أن ينجم عنه فى النهاية ضرورة وحتمية قيـام الوحدة بين البلاد العربية وهى :

× **القوى الاستعمارية** تقف فى مقدمة صفوف الذين اعترضوا ومازالوا يعترضون تيار القومية والوحدة العربية ، فالاستعمار صاحب المصلحة فى تفتيت الوطن العربى ، لاستنزاف كل دولة على حدة .

والاستعمار الذى يعادى القومية العربية والوحدة العربية ليس فقط الاستعمار العسكرى ولكنه أيضا الاستعمار الاقتصادى بما له من رءوس اموال يستثمرها فى مناطق متعددة من الوطن العربى .. وهو أيضا أحلاف عسكرية .. وقواعد عسكرية ..

انه يمثل المصالح التى يمكن أن تضار اقتصاديا وسياسيا ، اذا تجمعت هذه الدول العربية فانها ستكون قوة يمكن أن تواجهه لذلك فهو يصر على مواصلة سياسته ليس فى التفريق والتمزيق المادى فقط ، بل وأيضا فى التمزيق الفكرى والمعنوى والثقافى أيضا ..

× **الصهيونية العالمية** : وهى فى هذا الأمر ليست مجرد اداة للاستعمار والاستعمار الجديد فحسب ، بل أنها صاحبة مصلحة اساسية فى الوجود بالوطن العربى والامتداد والتوسع ، مصلحة اقتصادية وسياسية .. وايضا عنصرية .. وهى تجد فى القومية العربية القوة الوحيدة والحقيقة الكفيلة بالقضاء على آمالها فى التوسع او حتى فى الوجود ..

لذلك فانها تخوض الحرب الضارية متعاونة مع الاستعمار والى جواره للقضاء على نمو التيار القومى ، وما يستتبعه بعد ذلك من ضرورة المواجهة الحقيقية والمشتركة لآمالهما وأحلامهما ومخططاتها بالنسبة للمنطقة العربية كلها ..

× **القوى الرجعية** .. والقوى الرجعية فى الوطن العربى داخل القصور او خارجها تقف دائما ضد بروز تيار القومية العربية ، وترى ان فى نمو هذا التيار شبحا يهددها ، ويؤرقها ، فالقومية العربية تستهدف القضاء على هذه القوى وعلى ما تمارسه من

استنزاف وضـغوط على الجماهير ، وما تحققه من ثروات على حساب جوع الشعوب وفقرها . . وترى القوى الرجعية أن تجزئة الوطن العربي يعطيها فرصة قوية في تأكيد وحماية نفسها ، وضمانا لاستمرارها في تعطيل تيار التقدم وخوفا من مواجهة لتيار ارادة الشعوب النامي ، فانها بالضرورة لا بد أن تتعاون مع الاستعمار ، تلتمس فيه الحماية ، كما يلتمس فيها معاونته في البقاء . . لذلك فان رغبة الاستعمار ومخططاته في قتل تيار القومية العربية يلتقى بالطبيعة مع رغبة الرجعية العربية وايضا مع مصالحها ويكون هذا الالتقاء حلف المصالح المشتركة الذى يقاتل ضد القومية العربية ، القائمة على وعى الجماهير وارادتها ، لأن هدف القوميه في النهاية هو الوحدة العربية التى لا يمكن ان تتحقق دون مضمون اجتماعى ثورى .

* * *

كانت فكرة القومية العربية موجودة اذن من قبل عبد الناصر ولكن الدارس لهذا لفكر لا بد أن يقف ليسال نفسه سؤالين :

- **كيف نشا الفكر القومي عند عبد الناصر ..**
- **ثم هل استطاعت الناصرية أن تتخذ خطـوات ليأخذ هذا الفكر بعده في التنفيذ .**

واقعتان تاريخيتان يمكن الاستشهاد بهما عند الحديث عن نشأة القومية العربية عند عبد الناصر وبداية احساسه بها

الاولى من كلماته هو . .والثانية من كلمات سياسى عربى هو السيد احمد الشقيرى ..

● عبد الناصر يتحدث بنفسه عن القومية العربية ، ويحدد العالم العربى كدائرة اولى لا بد ان ينطلق منها العمل ويروى في

كتاب فلسفة الثورة ، كيف نشأ الفكر القومى العربى عنده فيقول ..

« ما من شك فى أن الدائرة العربية هى اهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا .

فلقد امتزجت معنا **بالتاريخ وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات** ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك .

وامتزجت هذه الدائرة معنا ايضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الدينى ، فى حدود عواصمها ، من مكة ، الى الكوفة .. ثم الى القاهرة .

ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية .

وانا اذكر فيما يتعلق بنفسى أن طلائع الوعى العربى بدأت تتسلل الى تفكيرى وأنا طالب فى المدرسة الثانوية اخرج مع زملائى فى اضراب عام فى الثانى من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور الذى منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطنا قوميا فى فلسطين اغتصبته من أصحابه الشرعيين .

وحين كنت أسائل نفسى فى ذلك الوقت : لماذا أخرج فى حماسة، ولماذا اغضب لهذه الأرض التى لم أرها ، لم أكد أجد فى نفسى سوى أصداء العاطفة .

ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيرى حول هذا الموضوع لما أصبحت طالبا فى الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة ، وادرس بصفة عامة تاريخ المنطقة وظروفها التى جعلت منها فى القرن الاخير فريسة سهلة تتخطفها انياب مجموعة من الوحوش الجائعة !

ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الاعمدة التى تتركز عليها حقائقه لما بدأت ادرس وانا طالب فى كلية اركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل .

ولما بدأت ازمة فلسطين كنت مقتنعا فى اعماقى بأن القتال فى فلسطين ليس قتالا فى أرض غريبة ، وهو ليس انسياقا وراء عاطفة، وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس ..

ولست أريد أن ادخل فى تفاصيل حرب فلسطين ـ الان ـ فذلك بحث تتشعب فيه الاحاديث ، وانما يعنينى من حرب فلسطين درس عجيب .

لقد دخلتها شعوب العرب جميعا بدرجة واحدة من الحماسة واذن فهذه الشعوب جميعا تتشارك فى شعورها وفى تقديرها لحدود سلامتها .

ثم خرجت منها هذه الشعوب بنفس المرارة والخيبة ، واذن فهى جميعا ، كل منها فى بلاده ، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التى ساقتها الى الهزيمة ونكست راسها بالذل والعار .

ولقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق عراق المنشية وفى حجورها .

وكنت يومها اركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تقف فى ذلك القطاع وتدافع عنه احيانا وتهاجم فى اكثر الأحيان .

وكنت أخرج الى الاطلال المحطمة من حولى بفعل نيران العدو ثم اسبح بعيدا مع الخيال .

وأحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آفاق النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة كلها .

وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة أمام بصيرتى .

هذا هو المكان الذى نقبع فيه ، هذه مواقع كتيبتنا ، وهذه مواقع الكتائب الأخرى المشتركة معنا على الخط .

وهذه قوات العدو تحيط بنا ..

وهذه قوات أخرى لنا ..

هى أيضا محاصرة لا تستطيع الحركة الواسعة وان بقى لها مجال للمناورة المحدودة .

ان الظروف السياسية المحيطة بالعاصمة التى نتلقى منها الاوامر تحيطها بحصار وتلحق بها عجزا اكثر من الذى يصنعه بنا نحن القابعين فى منطقة الفالوجة .

ثم هذه قوات اخواننا فى السلاح وفى الوطن الكبير وفى المصلحة المشتركة وفى الدافع الذى جعلنا نهرول الى ارض فلسطين .

هذه جيوش اخواننا .. جيشا جيشا .. كلها هى أيضا محاصرة .. بفعل الظروف التى كانت تحيط بها والتى كانت تحيط بحكوماتها .. لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ما تحركها أيدى اللاعبين .

وكانت شعوبنا جميعا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية لمؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا ما يجرى ، وضللتها حتى وجودها نفسه .

واحيانا كنت اهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض،فاحس اننى أدافع عن بيتى وعن أولادى ، ولا تعنينى أحلامى الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ !

وكان ذلك عندما التقى فى تجوالى فوق الاطلال المحطمة ببعض اطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصار بعد أن خربت بيوتهم

وضاع كل ما يملكون ، واذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى ، وكنت اراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص الطائش مندفعة امام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة عيش او خرقة قماش ..

وكنت دائما اقول لنفسى :

ـ قد يحدث هذا لابنتى !

وكنت مؤمنا ان الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث ـ وما زال احتمال حدوثه قائما ـ لأى بلد فى هذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الان .

ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها فى تصورى قد أصبحت كلا واحدا .

وأيدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى .

كنت اتابع تطورات الموقف فيها فأجده أصداء يتجاوب بعضها مع بعض .

كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا ، وفى بيروت ، وفى عمان ، وفى بغداد ، وغيرها .

وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى .

منطقة واحدة ، ونفس الظروف ، ونفس العوامل .. بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعا !

وكان واضحا ان الاستعمار هو أبرز هذه القوى .

حتى اسرائيل نفسها ، لم تكن الا اثرا من آثار الاستعمار .

فلولا أن فلسطين وقعت تحت الانتداب البريطانى لما استطاعت الصهيونية ان تجد العون على تحقيق فكرة الوطن

القومى فى فلسطين ، ولظلت هذه الفكرة خيالا مجنونا ليس له ى امل فى واقع » .

« واعود الى الذى كنت اقوله من ان الاستعمار هو القوة الكبرى التى تفرض على المنطقة كلها حصارا قاتلا غير مرئى ، اقوى واقسى مائة مرة من الحصار الذى كان يحيط بخناقنا فى « الفالوجة » وبجيوشنا جميعا وبحكوماتنا فى العواصم التى كنا نتلقى منها الأوامر .

واخذ بدات بعد ان استقرت كل هذه الحقائق فى نفسى ، اؤمن بكفاح واحد مشترك ، واقول لنفسى :

ـ ما دامت المنطقة واحدة ، واحوالها واحدة ، ومشاكلها واحدة ، ومستقبلها واحدا .. والعدو واحدا مهما حاول ان يضع على وجهه من اقنعة مختلفة ـ فلماذا تتشتت جهودنا ؟

ثم زادتنى تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته .

فقد بدات خبايا الصورة تتكشف ، والظلام الذى كان يحيط بتفاصيلها ينقشع .

واعترف انى كذلك بدات ارى العقبات الكبرى التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكنى بدات اؤمن بأن هذه العقبات نفسها ينبغى أن تزول ، لانها من صنع ذلك العدو الواحد نفسه .

ولقد بدات اخيرا فى اتصالات سياسية من اجل توحيد الكفاح مهما كانت وسيلته ، وخرجت بعد شهر من هذه الاتصالات بنتيجة هامة ، هى أن العقبة الاولى فى طريقنا هى « الشك » ، وكان واضحا أن بذور هذا الشك قد بذرها فى نفوسنا ذلك العدو الواحد نفسه لكى يحول بيننا وبين الكفاح الواحد !

واذكر انى جلست فى الايام الاخيرة اتحدث مع اخ من ساسة العرب ، وكان معنا زميل له ، وبدات اتكلم ، وبدأ هو يرد على الذى اقوله ..

وكان يقول العبارة ثم يلتفت الى زميله ليرى أثر الذى يقوله فى وجهه ، بدل ان يحاول استكشاف أثره فى أنا .

وبدأت أقول له : تغلب على كل ما فى نفسك من شكوك ، وقل لى كل ما فى قلبك ، وانظر الى وفى عينى ولا تدر وجهك !

ولست اريد بذلك أن أهون من أمر العقبات التى تحول بيننا وبين توحيد الكفاح ، فلا شك أن بعضها معقد تمتد أصوله الى طبيعة البيئة وظروف شعوبها التاريخية والجغرافية ، ولكن المؤكد أنه يمكن مع شيء من المرونة القائمة على بعد النظر ، لا على التفريط ، ايجاد الخط الذى يستطيع الجميع أن يقفوا فيه ، بلا تحرج ، وبلا عنت ، لمواجهة الكفاح الواحد .

ولست اشك دقيقة أن كفاحنا الواحد يمكن أن يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذى نريده لها ونتمناه .

ولسوف أظل دائما أقول اننا أقوياء ولكن الكارثة الكبرى اننا لا ندرك مدى قوتنا !

اننا نخطىء فى تعريف القوة ، فليست القوة أن تصرخ بصوت عال ، انما القوة أن تتصرف ايجابيا بكل ما تملك من مقوماتها .

وحين احاول ان أحلل عناصر قوتنا لا اجد مفرا من ان اضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب ان تكون أول ما يدخل فى الحساب .

● **اول هذه المصادر اننا مجموعة من الشعوب المتجاورة ، المترابطة** بكل رباط مادى ومعنوى يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة انبعثت فى

جوها الاديان السماوية المقدسة الثلاثة ، ولا يمكن قط اغفالها فى محاولة بناء عالم مستقر يسوده السلام ، هذا هو المصدر الاول

● **أما المصدر الثاني فهو ارضنا نفسها ومكانها على خريطة العالم** . ذلك الموقع الاستراتيجى الهام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم ، ومعبر تجارته ، وممر جيوشه .

● **يبقى المصدر الثالث وهو البترول الذى يعتبر عصب الحضارة المادية** ، والذى بدونه تستحيل كل أدواتها ـ المصانع الهائلة الكبيرة لكافة انواع الانتاج ، وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو ، أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب أو الغواصة المتسترة تحت أطباق الموج ـ تستحيل كلها قطعا من الحديد يعلوها الصدأ لا تنبعث منها حركة .. أو حياة .

واذن فنحن اقوياء ، أقوياء ليس فى علو صوتنا حين نولول ، ولا حين نصرخ ، ولا حين نستغيث ، انما أقوياء حين نهدأ ، أو حين نحسب بالارقام مدى قدرتنا على العمل ، وفهمنا الحقيقى لقوة الرابطة بيننا ، هذه الرابطة التى تجعل من ارضنا منطقة واحدة لا يمكن عزل جزء منها عن كلها ، ولا يمكن حماية مكان منها بوصفه جزيرة لا تربطها بغيرها رابطة ..

* * *

ويوجه الكاتب الانجليزى ديزموند ستيوارت ، سؤالا مباشرا لجمال عبد الناصر فى أول ابريل ١٩٥٥ « عن الوقت الذى بدأتم تشعرون فيه بالعروبة » ويجيب عبد الناصر :

ليس هناك وقتا معينا ، وقد بدأت طلائع الوعى العربى تتسلل الى تفكيرى وانا طالب فى المدرسة الثانوية ، عندما كانت مشاعرى واحساساتى تتفاعل مع كل ما يدور فى الوطن العربى من احداث ، وكان اهم الاحداث التى ملكت على تفكيرى فى ذلك الوقت هى

ثورة العرب فى فلسطين ثم الفظائع الوحشية التى كان يرتكبها الفرنسيون فى سوريا ..

ثم يتحدث الزعيم عن الفوائد التى ستحققها القومية العربية ويقول : تهدف القومية العربية الى استقلال العرب ، وضمان حريتهم وسلامتهم اننا لا ننشد التدخل فى شئون الدول الاخرى وكل ما نريده هو تحقيق السعادة والرفاهية لجميع ابناء الوطن العربى ، **ولقد تبلورت فى ذهنى فكرة القومية العربية** كمذهب سياسى عندما كنا ندرس فى كلية اركان الحرب المشكلات الاستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، وكنت قد قرات **تاريخ العرب منذ اقدم العصور** ، وعرفت انه عندما كان العرب وحدة**متماسكة** استطاعوا رد المعتدين على اعقابهم كما حدث أيام الحروب الصيلبية وبعد أن فرق المستعمرون بين العرب اصبحوا عرضة للهزيمة وفريسة للسيطرة الاجنبية وكانت هذه الحقيقة ماثلة أمام عينى طوال فترة المناقشة التى كانت تدور حول وسائل الدفاع عن مصر ولاول وهلة اتضح لنا أن مصر مثلها فى ذلك مثل كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، لا يمكن أن تضمن سلامتها الا مجتمعة مع كل شقيقاتها فى العروبة فى وحدة متماسكة قوية ..

* * *

نشاة الفكر القومى عند عبد الناصر اذن بدأت مع بدايه تفتحة على الحياة وهو مازال طالبا بالمدرسة الثانوية .

ولكن الاحداث المتتابعة فى الوطن العربى ، واشتراكه فى حرب فلسطين بالذات ، وما أصاب الأمة العربية من هزيمة عسكرية قد وضع امامه أبعاد الصورة .. التى عبر عنها فيما بعد بان هناك من يقول كيف نهزم فىحرب فلسطين مع اننا كنا ٧ دولعربية و٧ جيوش عربية ضد دولة واحدة .. وأجاب على السؤال .. لقد هزمنا لاننا كنا ٧ دول عربية ولم تكن دولة واحدة ، ولاننا كنا ٧ جيوش ولم تكن جيشا واحدا .. والحقيقة ان النكبة التى حلت بالوطن العربى

سنة ١٩٤٨ بالهزيمة العسكرية فى المعركة ضد قيام اسرائيل ، قد زادت من عمق الوعى القومى . تمتد لجماهير العربية التى واجهت كلها شبح الاستعمار الصهيونى الذى يهدد مصيرها ، ووجودها .

كما انه من خلال معركة الحرب العربية العريضة فى سبيل تحرير ارض فلسطين بدات الجماهير العربية من المحيط الى الخليج تفيق ، ويزداد ايمانها بالمصير المشترك ..

ولقد سبق حرب فلسطين وفى سنة ١٩٤٥ انشاء جامعة الدول العربية التى تضم كل التناقضات بين الدول العربية ، وتجمعها فى كيان واحد .. وقد دخلت الجامعة العربية حرب فلسطين .. وهزمت الجامعة العربية فى حرب فلسطين أيضا .

وهذه الدراسة لا تهدف الى توضيح العوامل والظروف التى ادت الى قيام جامعة الدول العربية ، ولكن أردت فى هذا المجال أن اقول شيئا واحدا هو : ان وجود هذه الجامعة فى حد ذاته لم يكن امل الجماهير العربية . ولا مطلبها .. بل لعله ايضا لم يكن مطلب الحكومات العربية .. وانما كان تنفيذا لمخطط رسم خارج البلاد العربية ذاتها .

والجامعة العربية - على العموم - فى فكر عبد الناصر بحكم كونها جامعة للحكومات لا تقدر ان تصل الى ابعد من الممكن .. ان الممكن هو خطوة فى طريق المطلوب الشامل ، ان تحقيق الجزء هو مساهمة فى تقريب يوم الكل ، على ان لا يكون هناك تحت اى ظرف من الظروف وهم تحميلها اكثر من طاقتها العملية التى تحدها ظروف قيامها وطبيعته .. ان الجامعة العربية قادرة على تنسيق الوان ضرورية من النشاط القومى العربى فى المرحلة الحاضرة ولكنها فى نفس الوقت تحت اى ستار وفى مواجهة اى

ادعاء ويجب أن تتخذ وسـيلة لتمجيد الحاضر كله ، وضربي المستقبل به »

* * *

عندما روى السـيد احمد الشقيرى فى مذكراته عديدا من اللقاءات بين الملوك والرؤساء العرب تحدث عن أول لقاء له مع جمال عبد الناصر (١)

فى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤ وذلك بعد ان تحدث الرئيس فى عيد الثورة عن الوحدة العربية ذهب اليه احمد الشقيرى أحد كبار موظفى الجامعة العربية ضمن وفود من العرب « لنعرب له باسم الشعوب العربية عن تقديرنا العظيم لهذا الكلام الواضح الصريح الذى خلع فى دقيقة واحدة القناع عن الثورة المصرية ، وأبان وجهها العربى الاصيل »

« واستقبلنا الرجل بالروب والبيجاما وقد ذهبنا اليـه على غير موعد ، وكان المنزل غاصا بالضباط الاحرار وممثلى الصحافة العربية والاجنبية وتحدث منـدوبو العراق والاردن وسـوريا والاقطار العربية الاخرى مشـددين على وحدة عربية تكون مصر طليعتها ، واصبحنا وكأننا فى مؤتمر عربى عام ولم يبق علينا الا ان تعلن الوحدة ونبادر الى انشاء الدولة العربية المتحدة »

« وسألنى الرجل بصوته الأجش ، ووجهه يطفح طيبة وحمية وما هو مصير الجامعة العربية بعد الوحدة ؟

قلت : تصبح الجامعة دارا للحكومة العربية الاتحادية

وقال : واذا لم توافق بعض الحكومات العربية على الوحدة .

قلت : اذن تبقى الجامعة ، ولكن تكون فيها الحكومة العربية الاتحادية والحكومات العربية الاخرى التى لا تريد الوحدة . وبدلا

---

(١) كتاب حوار واسرار مع الملوك والرؤساء

٣ - العرب فى المشرق بدأوا محاولة الاتفاق على الوحدة فى دمشق بعد الحرب العالمية الاولى ولكن الحلفاء حطموا تلك الخطوة التاريخية .

٤ - الثورة العربية التى قادها الشريف حسين « بعد الحرب العالميـة الأولى » لم يكن هدفها اقامة دويلات وانما اقامة الدولة العربية الواحدة .

٥ - المشرق العربى رفض التجزئة التى فرضـتها الاتفـاقيات الاستعمارية ، فى مؤتمران بدمشق فى ٨ مارس ١٩٢٠ ... والمؤتمر السورى الذى اعلن وحدة ديار الشام ، والمؤتمر العراقى الذى أعلن الرغبـة فى قيـام وحدة بين العراق وسوريا .

٦ - اتسع نطاق المطالبة بتوحيد المشرق العربى فعقد فى أغسطس ١٩٢٩ فى جنيف مؤتمر ضم مندوبين عن الاتحاد السـورى والمؤتمر الفلسطينى ، ومجلس الادارة اللبنانى وممثلين عن الجمعيات العربية فى المهجر ، وكان فى مقـدمة ما اتخذوه من قرارات مطالبة عصبة الامم بالاعتراف بحق هـذه البلاد بان تتحد معا فى حكومة واحدة وأن تتحد بدورها مع باقى البلا العربية المستقلة فى شكل ولايات متحدة .

٧ - ان المسـاومات التى تمت بين بريطانيا وفرنسـا هى التى فرضت الحـدود الدائمة فى المشرق العـربى ومن الأدلة الفاضحة على ذلك انفصال دمشق عن مرفئها التـاريخى بيروت وانفصال شرق الاردن عن دمشق وهو متصرفيه الكرك وانشطرت فلسطين بحدودها عن ديار الشام وهى سورية الجنوبية ، وانفرد العراق ، ولم يكن الا ولاية من الولايات العربية التى تحكمها الدولة العثمانية .

٨ - ليس بين البلاد العربية ما يمنع الوحدة بل أن كل الأسباب تدعو اليها فليس بينها من الفـوارق اللغوية أو العرقيـة

من جامعة الدول السبع تكون جامعة الدول العربية الاربع وكلما قل هذا العدد زدنا قوة وصفة ومنعة .

قال : « وانت تبقى » امين مســـاعد فى الجامعة العربيــة والا ايه ..؟

قلت : أرجو أن يكون لى مكان فى الحكومة الاتحادية

قال : وتختار ماذا من العمل فى الحكومة العربية المتحدة

قلت : أكون مسئولا عن جهاز الاعلام والارشاد القومى

قال : وتعمل ماذا

قلت : ادعو الدول العربية الاخرى الى الدخول فى الاتحاد

وضحك الرجل وضحكنا جميعا »

ثم يروى الشقيرى فى مذكراته كيف طلب منه الصاغ صلاح سالم فى هذه الأيام الأولى للثورة ملفا كاملا عن القضية العربية ، وفى هذه الجلسة قال له صلاح سالم « جمال عبد الناصر هو عقل الثورة المفكر ، وراسها المدبر ، وارى أن تكتب له مذكرة مفصلة عن الوحدة العربية وترسلها الى مدير مكتبه . »

ويقول احمد الشقيرى انه كتب مذكرة طويلة وسلمها باليد الى مكتب جمال عبد الناصر وانه ذكر فيها ٩ نقاط قد يكون من المهم عرضها لانها فى نفس الوقت تعكس تطور فكرة الوحدة العربية وهى :

١ - حركة الوحدة العربية المعاصرة لا تستهدف بناء حياةعربية جديدة ، ولكنها تتطلع الى اعادة بناء الحياة العربية الواحدة

٢ - الاستعمار الاوربى هو الذى خلق هذه الحدود المصطنعة القائمة بين البلاد العربية .وقد كان الوطن العربى على مدى ٤٠٠ سنة فى عهد الاحتلال العثمانى من غير حواجز ولا حدود

او الاجتماعية ما بين شعوب الاتحاد السوفيتى أو بين شعوب بريطانيا العظمى أو الولايات المتحدة وهذا الاتحاد السويسرى الذى يضم اجناسا متعددة تتكلم الفرنسية والايطالية والالمانية ولغة رابعة مجهولة الاصل .

٩ - الوحدات الالمانية والايطالية والأمريكية والروسية تنبىء كلها عن حقيقة مهمة وهى أن الدور الوحدوى يجب أن ينهض به القطر الاكبر والبطل المؤهل وأن مصر هى القطر الأكبر اما البطل المؤهل فأرجو أن يكون واحدا منكم انتم يا رجال الثورة .

ويروى أحمد الشقيرى أنه ارسل المذكرة الى مكتب جمال عبد الناصر ، وبعد اسبوع استدعى لمقابلة الرئيس ، وذهب فى الموعد فوجد المذكرة بين يديه وراى اشارات القلم تحت كثير من سطورها ثم قال له الرئيس :

- يا أخ احمد المذكرة طويلة « أوى » وتحتاج لوقت طويل لدراستها ووقت اطول لمناقشتها وانت تعرف مشاغلنا كثيرة فى الوقت الحاضر ، مشاكلنا فى الداخل ، ومشاكلنا مع الانجليز .

قلت : الوحدة العربية عمل ضخم ، وانى لا اطالب بانجازها غدا **ولكنى اريدها أن تكون فى برنامجكم** .

وقال : هل قرأت كتاب فلسفة الثورة ، **نحن لسنا فراعنة نحن عرب أولا واخيرا** . . هل تعتقد اننا نستطيع أن نبدأ الوحدة العربية عن طريق الجامعة العربية ..

قلت : لقد كان هذا ظن المشتغلين بالقضية العربية وأنا الآن فى الجامعة العربية أجتاز مرحلة التجربة ، غير أنى أخشى أن تصبح الجامعة بديلا عن الوحدة .

قال : انظر الى هذا « الدولاب » فيه آلاف الرسائل والبرقيات من كل انحاء الوطن العربى ، كلها تطالب بالوحدة **ومنذ قامت**

الثورة ونحن نستقبل الوفود العربية فماذا تريد أن نعمل ، وماذا نستطيع ان نعمل فى ظروفنا الحاضرة ..

ويظل الشقيرى يروى تفاصيل الحوار بينه وبين الزعيم ، وينتهى الى ان يقول انه غادر سراى الجزيرة حيث مقر مجلس قيادة الثورة وهو يقول لنفسه « لقد خلقت مصر تلك المدرسة السياسية التى كانت تدعو قبل سنين الى انشاء اتحاد فيدرالى بين مصر والسودان وارتريا والحبشة واوغندا لانشاء دولة حوض النيل تريد الان ان **تبنى دولة المحيط والخليج** » .

هذه الواقعة تقول لنا ان عبد الناصر فكر فى الوطن العربى والقومية العربية منذ بداية الثورة .

واذا كان الفكر القومى قد تبلور عنده قبل قيام الثورة ، فان العمل لتحقيق هذا الفكر ، وبعثه ، وخروجه على الناس ، كان بعد الثورة .. وفى السنوات الأولى لها ..

* * *

مقدمة دستور سنة ١٩٥٦ تقول : نحن الشعب المصرى الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير يقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها .. ثم تقول مادته الأولى :

مصر دولة عربية ذات سيادة ، وهى جمهورية ديمقراطية .. **والشعب المصرى جزء من الامة العربية ..**

كانت هذه هى البداية التاريخية الرسمية نحو تأكيد اعلان موقف مصر من القومية العربية ، ورفعه كهدف .. وكانت مصر مازالت تخوض أعنف معاركها مع الاستعمار ، تلك المعركة التى ظهر

خلالها واضحا أن مصر لا تقف وحدها .. وتبلور احاسيس المصير الواحد والأرض الواحدة ، عند الجماهير فى الوطن العربى ، التى ساندت بكل طاقاتها مصر ، نفسيا ، وماديا ، ومعنويا ، وباجراءات حاسمة ومؤثرة فى مواجهة المصالح الاستعمارية .. ولقد كانت هذه المعركة تستهدف فى الأساس القضاء على القومية العربية .

ويحدد عبد الناصر أحد اسباب العدوان بأنه استهدف خنق تيار القومية العربية ، وايدن نفسه يعرف بهذه الحقيقة فعبد الناصر يقول فى افتتاح مجلس الامة سنة ١٩٥٧ :

« ان القومية العربية هى أمضى أسلحتنا فى الدفاع عن وطننا ، سواء فى ذلك حدودنا المصرية المحلية ، أو حدودنا العربية الشاملة ان القومية العربية نداء عاطفى ، ورابطة تاريخية ، ومصلحةمشتركة ثم هى بعد ذلك ضرورة استراتيجية تفرضها مقتضيات الدفاع العسكرى البحث .. وان الدرس الذى تعلمناه من تجربة العدوان على مصر اكد هذه الضرورة وقدم السند العلمى لها ، وان ما حدث فى سوريا العظيمة مثلا لم يكن مجرد مشاركة فى المشاعر وتجاوب فى الاحاسيس ، بل كان اعمالا عسكرية لها حسابها فى احتمالات ميدان القتال .. »

« كان نسف البترول عملا عسكريا .. وكانت احتشادات القوات السورية على حدودها مع اسرائيل عملا عسكريا وحتى التعبئة العاطفية فى شوارع دمشق وحلب وحمص وحماة كانت طاقات لها تأثيرها العسكرى فى ميدان القتال .. كذلك كانت غضبة الشعوب العربية كلها ، فى السودان ، وفى العراق ، فى السعودية ، وفى الاردن ، فى لبنان ، فى ليبيا ، فى اليمن ، فى الكويت ، فى البحرين ، فى قطر فى تونس ، فى الجزائر ... كان المعنى الهائل لهذه القضية أن جبهة القتال تعد الشعب على المعتدى » .

« لم يكن موقف الامة العربية أثناء عدوان سنة ٥٦ ، موقفا من أجل مصر وحدها بل دفاعا عن القومية العربية ، فالعدوان الذى

دبر فى الظلام ، واختار مصر لينقض عليها ، متعللا وراء تاميم القناة دافعا باسرائيل لتكون مخلبه ، وأداته لتلعب الدور الذى أوجدها من أجله ، وانما كان يستهدف ايضا القضاء على العملاق الجديد على القومية العربية التى بدا صوتها يعلو ، ويرتفع ، وانظار العالم العربى تتجه نحو مصر لتقوم بدورها الطليعى والرائد فى تجميع الامة العربية ، وليس ادل على ذلك من أن ايدن نفسه وقف قبل العدوان الثلاثى على مصر يقول :

« نحن لن نمكن مصر اطلاقا من ان تنجح لأن مصر اذا نجحت معناه نجاح القومية العربية ، وعبد الناصر اذا نجح معنى هذا أن القومية العربية تحقق اهدافها ولن نستطيع الوقوف أمامها بعد ذلك فى الوقت الذى نريد فيه حماية اسرائيل .. »

« اذن غرض ايدن هو اذلال القومية العربية ، والقضاء على القومية العربية وتفتيت القومية العربية » .

وبعد ذلك يشرح عبد الناصر كيف أن الشعوب العربية كلها تعاونت فى رد العدوان واسهمت بطاقاتها مع مصر فى معركتها ومعركة الأمة العربية وأن الاستعمار فوجىء بقوة القومية العربية أثناء العدوان فيقول فى ٩ نوفمبر ١٩٥٦ :

« الشعوب العربية فى كل مكان تعاونت معنا ضد الاستعمار وضد مصالح الاستعمار من العراق الى مراكش .. دخلنا المعركة وكانت القومية العربية كلاما .. وخرجنا وقد أصبحت عملا حقيقيا ، الشعوب العربية عرضت نفسها للخسارة ، ولكنها كانت ضربة قاضية للاعداء .. القومية العربية هى الهدف .. هى الغرض هدف الاستعمار .. انهم يريدون أن يقضوا على هذا التكتل .. ولقد قلت لكم من اشهر أن القومية العربية قد انبثقت .. ان القومية العربية لم تكن كلاما يقال وانما أصبحت عملا فعالا » .

« والاستعمار حينما جند جنوده ليواجه مصر كان يعتقد انه سيواجه شعبا منعزلا ولكنه فوجىء بالقومية العربية تتحفز وتنطلق وتهدد وتعمل لتقضى عليه ، وتقضى على مصالحه » .

● وقبلها مرات ومرات ، وعلى امتداد الأيام قبل عام ١٩٥٦ ، عام معركة القومية العربية المسلحة الأولى كان عبد الناصر يؤكد الخط العربى للثورة ، ويؤكد القومية العربية ففى ٢٦ اغسطس ٥٣ قال عبد الناصر : ان ما ترويه قصة الاستعمار فى مصر هو ترويه فى كل مكان ، وفى كل زمان ، واليوم نرى التاريخ يسطر نفس السطور على أرض مراكش ، وما « الجلاوى » الذى باع نفسه للشيطان ، وابتغى العزة عند المستعمر الا واحدا من كثيرين . ففى كل بلد اكثر من جلاوى ، وفى كل بلد اكثر من منافق » .

« وهيئة التحرير ما قامت الا لتحرير مصر والسودان ، ودعم اتصالاتها مع الشعوب العربية لتحقيق التعاون الفعال بينها فى شتى الميادين ، وتعزيز ميثاق جامعة الدول العربية ليكون أداة لخدمة شعوبها المشتركة . . ايها الاحرار فى كل دولة عربية ايها الأحرار فى كل شعب عربى . . ايها الاحرار فى كل مكان . . هبوا وجاهدوا فى الله حق جهاده » .

● وفى ٤ يوليو ١٩٥٤ قال القائد فى افتتاح اذاعة صوت العرب : أطلقت مصر صوت العرب من قلبكم القاهرة حربا على المستعمرين . . وشوكا يدمى ظهور الغادرين ، اطلقته مصر يعلن ذاتيتكم وقوتكم امة واحدة ، لا تفصلها الحدود ، ولا تمزقها الشهوات ، ولا يقف بينها وبين الحرية تآمر الاستعمار . .

● وفى عيد الثورة الثانى فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٤ قال القائد :

« ان هدف حكومة الثورة ان يكون العرب امة متحدة يتعاون ابناؤها فى الخير المشترك ، وهى تؤمن بأن الموقع الذى يحتله العرب بين قارات العالم ، وخدماتهم العظيمة للحضارة ومواردهم

الاقتصادية القيمة واتصالاتهم بالشرق الاسلامى وبالشرق كله يرشحهم لمكانة كبيرة تتيح لهم التأثير على شئون العالم .. وتؤمن الثورة أيضا بأن مشاكل العرب هى مشاكل المصريين واذا كانت مشكلة الاحتلال استنفدت الى الان الجزء الاكبر من جهد المصريين فانه لم تصرفهم ابدا عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل من اجل تحرير العرب ولا شك ان المستقبل سيشهد صورا جديدة من تعاون المصريين والبلاد العربية فى هذه الرقعة الهامة من العالم . وقد اثبتت رحلات الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد ان ما بين مصر والشعوب العربية أقوى من ان يفسده او يضعفه سعى الساعين أو تضليل المفسدين وان الشعوب العربية جمعاء اسرة واحدة متصلة ومترابطة ومتحابة كقبضة اليد الواحدة ، وانهما تهدف جميعا الى الحرية والى تحقيق العدالة الاجتماعية الى صور رفيعة من التقدم » .

« كما تؤمن الثورة بأن عبء الدفاع عن البلاد العربية يقع أول ما يقع على العرب ، وهم جديرون بالقيام به ، ولا جدال فى أن قدرتهم على أداء هذا الواجب تزداد كلما رفعت العقبات والحواجز التى بين العرب وبين ما يلزم لجيوشهم . من الأسلحة والعتاد .. وهى حواجز وعقبات غير طبيعية لابد ان تزول عاجلا وان حكومة الثورة لتغتبط أعظم الاغتباط لما تراه من توثيق العلاقات بين العرب وباقى اعضاء الكتلة الاسيوية والافريقية واطراد نجاح هذه الكتلة وظهور آثارها فى المجال الدولى ولا يستطيع اى منصف أن ينكر ان هذا عامل كبير من عوامل الاستقرار ، وعنصر خطير من عناصر السلام الدولى فهى بريئة من الاغراض الاستعمارية .. » .

● وفى ٢٩ مايو من نفس العام يلتقى عبد الناصر بوفود الطلاب العرب ، ويقول لهم : « اننى لم اتمكن من التفرقة بينكم ، اى بين الجزائرى والعراقى ، او بين الاردنى والسورى ، لم اتمكن من ان افرق بين الاسماء والأقطار فكلكم قد اجتمع تحت اسم واحد هو

العروبة وقد شعرت في الوقت نفسه شعورا قويا بالأخوة معكم وبأني أخ يقف بين اخوته أخ في الدين وفي القومية العربية والمشاعر والأهداف » .

« هذا الاستعمار الذي لم يتمكن من التفرقة بيننا برسم الحدود وتخطيطها فجاء يعمل بالشعب يحاولون اليوم الدخول في تجربة اخرى هي استعمال الدسيسة والخداع بين الشعوب العربية لقد فرقوا وقطعوا أوصال العرب بعد الحرب الاولى وجاءوا بعد الحرب الثانية فانشأوا اسرائيل ثم بنوا الاحقاد والضغائن بين الامم العربية »

● وفي ٢ فبراير ١٩٥٥ يقول لجموع من اللبنانيين : اني اشعر اليوم ان العرب ، وان الوحدة العربية لا تحتاج الى ميثاق يكتب ولا تحتاج الى كتاب يوقع ، ولكنها موجودة بينكم أنتم العرب اجمعين .. ويجب أن نسير الى الامام بقوة نحمل مشعل القوة من أجل العرب ومن اجل أهداف العروبة ،حتى نتخلص جميعا من الآلام فان آلام مصر من آلام لبنان وآلام لبنان من آلام سوريا ووآلام سوريا من آلا مالعراق ، وآلام العراق من آلام الاردن .. ان هذه الآلام نشترك فيها جميعا » ..

« ان قوتنا في قوميتنا ويجب ان نحافظ على قوميتنا أن قوتنا مواردنا فيجب أن نحافظ على مواردنا يجب ان نحافظ عليها من أجل العرب ومن اجل العروبة » .

● ويقول لوفد الشباب السوري في ٢٦ فبراير ١٩٥٥ : « ان هناك دعايات مغرضة تقول انه لا توجد في مصر روح عربية ، ولكنها خاطئة وبعيدة عن الحقيقة ولعلكم لمستم ذلك بانفسكم والدليل على ذلك وانا شاب كانت تنعكس روحي دائما تجاه العرب وليس تجاه أوربا بالمرة » .

« ان فلسطين ضاعت قوميتها ويجب أن ندافع عن هذا الخطر الذي يهددنا جميعا » .

« لقد مررنا بظروف متشابهة ، واحسسنا دائما احاسيس متجانسة وكافحنا كفاحا خالدا كان له صدى ضخما » .

● **وفى ١٤ مايو ١٩٥٦** يقول « ان المؤامرة على القومية العربية ما زالت مستمرة ، هذه المؤامرة التى بدأت مع وعد بلفور واستمرت حتى ضاعت فلسطين ، وما زالت تتآمر على باقى المنطقة العربية »

● **وفى اول يونيو سنة ١٩٥٦** القى جمال عبد الناصر خطابا تاريخيا فى المؤتمر التعاونى يعتبر من الوثائق الهامة فى دراسة الفكر الناصرى .. وقد قال فيه : « ان الوطنية العربية والقومية تسيران قدما الى الامام ولابد أن تتحقق أهدافهما ، وقلنا للانجليز انه لا فائدة من محاولة بسط نفوذ على مصر أو على المنطقة العربية وانه اذا كان هناك احد سيعتدى علينا من الخارج فنحن أولى بأن ندافع عن أنفسنا » .

● **وفى خطاب تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ : قال جمال عبد الناصر** « ان القومية العربية تتقدم وتشتد .. انها تسير الى الأمام وهى تعرف طريقها وتعرف سبيلها انها تعرف من هم أعداءها ومن هم أصدقاءها ، وان قوتها فى قوميتها ، وانا اليوم اتجه الى اخوان لنا فى سوريا .. سوريا العزيزة .. سوريا الشقيقة ، لقد قرروا أن يتحدوا معكم اتحادا سليما عزيزا كريما .. لتدعم سويا مبادىء الكرامة ولنرسى سويا القومية العربية والوحدة العربية ..

نرحب بكم أيها الاخوة ، وسنسير معا أيها الاخوة متحدين بلدا واحدا وقلبا واحدا ورجلا واحدا .. سنسير معا متحدين لنرسى مبادىء الكرامة الحقيقية ونقيم فى ربوع الوطن العربى استقلالا سياسيا حقيقيا واستقلالا اقتصاديا حقيقيا » .

وقال فى نفس الخطاب كلمته الشهيرة : **« كلنا سندافع عن حريتنا وعروبتنا وسنعمل حتى يمتد الوطن العربى من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى »** .

وعندما يشرح عبد الناصر فى بيانه للشعب بعد ذلك قصة تأميم القناة يقول أنه : « بدأت الاصوات فى العالم العربى تقول انه ليست قناة السويس ولكنها **قناة العرب** .. وبدأت القومية العربية تظهر بأحسن صورها وبأجلى معانيها.. ويقول « انني سئلت. هل هناك خطة موضوعة ومنظمة ومدبرة حتى يحدث ما حدث فى البلاد العربية فقلت أنتم لا تفهمون .. من هو الرجل الذكى الفذ الذى يستطيع ان يقوم بكل هذا التنظيم ؟ انها القومية العربية ، أصبحت حقيقة واقعة .. ان الشعوب العربية تعتبرها طريق وجودها ، وعزتها وكرامتها ، لقد ظهرت القومية العربية بعد تهديد مصر ، هل يستطيع اى انسان أن ينظم هذه المشاعر ، لابد ان نفهم ... العرب اليوم غيرهم بالامس » .

● وبدأت الحرب على القومية العربية .. تنبهت الدول الاستعمارية الى خطر القومية العربية وبدأ عبد الناصر يواجه المعركة ويواجه عدوا شرسا مرة ثانية .. ولم تصبح القومية العربية التى يحاربونها فى فكر عبد الناصر ، هى قضية جمال عبد الناصر ..

فهذه الدعوة لا تتمثل فى شخص أو أشخاص ..

« القومية العربية ليست جمال عبد الناصر ، وليست اى زعيم من الزعماء ، ولكنها اقوى من هذا كله .. انها دعوة امة باسرها تستجمع قواها ، لتنقض على الماضى .. على التخلف ، والتفتت والتجزئة .. على الاستعمار واعوانه .. »

المضمون الثوري للوحدة

لقد كانت الدعوة للوحدة العربية هي التعبير عن القومية العربية وتجسيد كيان هذه القومية في شكل قانوني ودستوري بتحقيق امل الدولة العربية الواحدة وفي هذه المرحلة كان الفكر الناصري يتجه ايضا الي التحالف مع مختلف القوى لمواجهة الاستعمار ..

نفس الفكر الذي انطلق منه في تحركه الداخلي .. ففي الداخل عندما رفع شعار « كلنا هيئة التحرير » ، رفع على المستوى العربي شعار « وحدة الصف » وكانت المواجهة الناصرية للاحلاف الاستعمارية بمواثيق ، واتفاقيات عربية على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية .. وكان في مقدمتها الاتفاقيات العسكرية في مواجهة ما ردده الاستعمار حول ملء الفراغ الذي ينجم عن تركه لقاعدة قناة السويس .. ووقعت اتفاقات دفاع مشترك بين مصر وسوريا ، والاردن والعربية السعودية ...

فوحدة الصف اذن شعار رفع لتجميع القوى الوطنية ، وحشدها في مواجهة القوى الاستعمارية ، رغم كل التناقضات بينها فقد كان تحرير الارض هو الهدف الملح في تلك الظروف ...

ولكن الفكر الناصري بعد ذلك اسقط هذا المفهوم ، مثل ما اسقط صيغة التجمع الوطني ــ بدون عزل اعداء الشعب ــ في الداخل ــ ورفع شعارا اصيلا للوحدة هو وحدة الهدف ..

وبذلك أعطى الوحدة المضمون الاجتماعى الثورى الذى تريده الجماهير .. حدث ذلك بعد تجربة الوحدة مع سوريا كما سنرى، ويعبر عبد الناصر عن ذلك فى الميثاق الناصرى فيقول :

« ان مفهوم الوحدة العربية قد جاوز النطاق الذى كان يفرض التقاء حكام الامة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات » ..

« ان مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ودفعت به خطوات الى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة » .

« ان وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الامة العربية كلها واختلاف الاهداف عند الفئات الحاكمة هو صورة من صور التطور الحتمى الثورى ، واختلاف مراحل التطور . . ان وحدة الأمة العربية قد وصلت فى صلابتها الى حد أنها اصبحت تتحمل مرحلة الثورة الاجتماعية » .

((ان وحدة الهدف لابد ان تكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلته الثورية السياسية الى الثورة الاجتماعية)) .

ولا بد ان ينبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة ، سابقة من النضال الوطنى ، هى مرحلة الثورةالسياسية ضد الاستعمار ..

وانتهى الفكر الناصرى الى قواعد واسس للوحدة العربية استخلصها من تجربته .. فى اروع عمل قام به عبد الناصر فى المجال العربى ، وهى تجربة الوحدة بين مصر وسوريا التى قامت فى فبراير سنة ١٩٥٨ ..

وقبل ان نتعرض لهذه التجربة التى ادت الى عوامل هامة فى الفكر الناصرى بالنسبة للقومية العربية بالذات وكانت سبباجوهريا

فى معرفة انه لا بد من تأصيل فكر الوحدة العربية ،واعطائها المضمون الاجتماعى .. اولا لا بد ان نذكر ان عبد الناصر قد ترجم شعار القومية العربية بما تحمله من مضامين الى اعمال ، فقد ساهمت مصر فى كل معارك التحرير السياسى او الاجتماعى فى المنطقة العربية فى ليبيا وفى تونس وفى الجزائر فى المغرب ، فى اليمن الجنوبية ، فى اليمن الشمالية فى العراق ، وسوريا ، الاردن ، ولبنان .. بل ان من اخلد معارك عبد الناصر ، تلك المعركة الاخيرة التى خسرناه فيها .. وكانت أيضا من أجل القومية العربية من اجل فلسطين ، ولقد عبر عبد الناصر عن ذلك عندما قال : انه ليس هناك علم شريف يرفرف على الارض العربية ، الا وكانت يد الشعب المصرى أول الايادى التى امتدت لتساعد على اقامته ..

* * *

لم يرفع عبد الناصر شعار القومية العربية ، والوحدة العربية ، وانما اتجه بهذا الشعار نحو التطبيق ، لاقامة اول دولة عربية واحدة فى العصر الحديث بوحدة مصر وسوريا الدستورية بارادة الشعبين ، بل باجماعهما .. فالوحدة العربية هى الثمرة والهدف لدعوة القومية العربية ..

لقد كان لذلك الدور التاريخى والمجيد الذى لعبه الشعب المصرى بقيادة عبد الناصر عدة معان :

● فقد أعطى للقومية العربية أرضا جديدة متحررة تقود النضال ضد الاستعمار ، وتصر على حق الشعب العربى فى أرضه .. وانطلاق هذه الدعوة من مصر الثورة بالذات .. اكبر الدول العربية واكثرها مقدرة واستقرارا يعطى للامة العربية قاعدة انطلاق قومى وثورى ، مكن المناضلين من أجل الحرية العربية

والوحدة العربية من أن يتجهوا نحو مصر .. يحملون معها ، ومنها مشعل الكفاح القومي ..

● المعارك المتتالية التي خاضها الشعب المصري وابرزت وجه مصر العربي ، جمعت حولها الشعوب العربية الآملة في التحرر ..

● قيادة عبد الناصر الثورية الواعية ، التي لعبت الدور الأساسي في كل هذه المعارك والتي كانت تؤكد على الوجه العربي لمصر ، وتدافع عن حرية كل البلاد العربية ، فجرت النضال العربي في حركة نضالية واحدة صاعدة تلتقي في الامل والهدف مع ما يسعى اليه عبد الناصر .

● الشعوب العربية المستعبدة من داخلها وخارجها والتي تعاني من الحكومات الرجعية رأت في انطلاقة الثورة المصرية النموذج الذي تنشده ..

ولقد التقى كل ذلك مع امل الشعب السوري الذي كان ينفعل بالقضية العربية ، ويتطلع الى الوحدة ، ويسعى اليها بعد أن كان قد نص عليها في دستوره .

واتخذ البرلمان السوري قرارا بالوحدة مع مصر ..

وفي مصر تم لقاء مع وفد من زعماء سوريا وعلى رأسهم رئيس الجمهورية شكري القوتلي ..

ولم يغادر الوفد المصري الا بعد ان تم اعلان الوحدة .. على اساس أن :

يستفتي الشعب في مصر وسوريا على الوحدة وشخص رئيس الدولة ..

ويقول عبد الناصر في تصريحاته للوفد الصحفي العراقي سنة ١٩٦٦ : « انا حينما اجتمعت مع اخواننا السوريين الذين اتوا الى القاهرة سنة ١٩٥٨ لطلب الوحدة لم أكن على اتفاق معهم ، وكنت اعتقد انهم يسيرون في طريق عاطفي ، فقلت لهم اننا نحتاج الى فترة

تمهيدية مدتها خمس سنوات قبل أن نقيم الوحـدة الدستورية حتى نستطيع ان ندرس المتناقضات ونحلها ، وحتى نستطيع أن نؤمن الوحدة ، ولكنهم الحوا على قيام الوحدة خوفا من انشقاقات فى داخل الجيش وانا كرهت فى هذا الوقت قبول الوحدة رغم انى لست انفصالى ، أنا وحدوى جدا ، ولكن انا كنت أحسب الامور ، وكان تقديرى فى هذا الوقت ان الوحدة بهذا الشكل عمل خطير جدا ولكنى اضطررت ان أقبل حينما وجدت أن عدم قيام الوحدة قـد يسبب تصادما بين الجيش السورى » .

● وكان اصرار عبد الناصر على ان تتم الوحدة بارادة الشعب العربى فى كل من مصر وسوريا .. وهو الاصرار الذى ترجمهعمليا فى ضرورة الاستفتاء على الوحدة ، وفى الموقف الذى اتخذه عنـد الانفصال بمنع كتيبة المظلات المصرية من أن تطلق النار أو تشتبك مع قيادة الانفصال لانه « لا يمكن أن تفرض الوحدة بالقوة .. »

وفى أول فبراير ١٩٥٨ أعلنت الوحدة بين مصر وسـوريا ، ووقف عبد الناصر ليعلن للجماهير ان : هذا اليوم الذى التقى فيه جمهورية مصر مع جمهورية سورية وتتوحد الجمهوريتان لتكونا الجمهورية العربية المتحدة ، هذا اليوم من أيام العمر التى نعتز بها على مر الزمن ونعتز بها على الايام .

« ان الشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر ويعلن مشيئته لقيام دولة جديدة ،دولة عظمى ، دولة قوية تنبع ارادتها من شعبها وتنبع ارادتها من نفسها ، وتنبع ارادتهـا من ضميرها ..

« اليوم الشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر قيام هذه الدولة التى تثق فى قوتها وتثق فى حقها فى الحرية وتثق فى حقها فى الحياة ، هذه الدولة التى تعمل من أجل ارساء قواعد العدالة وارساء قواعد السلام .

« يا اخوانى اننا نشعر جميعا انا استطعنا أن نقيم دولة عظمى

قوية حقيقة لأول مرة فى هـــذا المكان بعـد أن كان الاجنبى يقيم بيننا ويعلن عن نفسـه انه يمثل القوة الكبرى .. ويمثل القوة العظمى .

« لقد كنا نتكلم عن القومية العربية وكانت القومية العربية شعارات وهتافات وكانت القومية العربية نداءات عاطفية ونداءات معنوية ؛ كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها وكنا نشعر بقيمتها كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر ان اعداءنا ارادوا دائما ان يفرقوا بيننا وكنا نشعر أن أعداءنا ارادوا دائما أن يقسموا الامة العربية الى أمم صغرى يتحكمون فيها ويسيطرون عليها وكنا نشـعر ان كل دولة منا تؤثر على مصير الدولة الاخرى وكنا نشعر أن لابد من أن نتضامن ولابد أن نتحد ولابد أن نتآزر ولابد أن نتآخى حتى ندفع عنا أطماع الطامعين وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتي لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ عـلى الوطن ..

((واليوم أيها الاخوة المواطنون بعد ان كانت القومية العـربية هتافا وشعارا اصبحت حقيقة واقعة)) .

« اليوم اتحد الشعب العربى فى سورية مع الشعب العربى فى مصر ، وكونت الجمهورية العربية المتحدة ، هذه الجمهورية المتحدة ستكون سندا للعرب جميعا ، ستكون قوة للعرب جميعا ، ستعادى من يعاديها وتسالم من يسالمها وتتبع سياسة تنبع من نفسها سياسة تنبع من ضميرها » .

* * *

فى مجلس الامة المصرى يشرح عبد الناصر اسباب قيام الوحدة ، ومقومات الدولة الجديدة التي أصبح اسمها الجمهورية العربية المتحدة .. والتى اصبحت تضم الاقليم الشمالى سوريا .. والاقليم الجنوبى مصر .. والتي اصبح لهـا علما مثلث الالوان . ذو نجمتان .. ترمزان الى دولتى الوحدة ..

ويشرح عبد الناصر أيضا الاساس الدستورى الذى تقوم عليه الدولة الجديدة والترابط بين الاقليمين .. ونضالهما .. ويتعرض لمقومات القومية العربية ..

وخطاب عبد الناصر أمام مجلس الامة فى ٥ فبراير ١٩٥٨ .. وثيقة هامة تحكى فصولا رائعة من النضال من اجل القومية العربية وتلقى الضوء الكاشف على جذور هذه القومية ، ومقوماتها .. فيقول عبد الناصر :

أيها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

هكذا ترون الوحدة حقيقة ، حقيقة نسعى اليها ، او حقيقة قائمة بالفعل .

هكذا ترون أن الصراع من أجل القوة ، من اجل الحياة ، يتم ويتحقق بالوحدة ، وترون أن الوحدة لا تتم ولا تتحقق الا بقوة الحياة .

وهكذا ترون أن تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة ، هو بنفسه تاريخ دمشق فى خطوطه العريضة .

ولقد تختلف التفاصيل ، ولكن المعالم البارزة هى نفس المعالم .

نفس المعالم ، نفس الغزاة ، نفس الملوك نفس الأبطال نفس الشهداء .

بل انه لما بدا فى بعض الاحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية ، وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات ، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحت حكم أسرة محمد على باشا ، لم يكن الامر فى باطنه يمثل ما يبدو فى ظاهره :

لم يكن البعد سطحيا ، ولم تكن الحقيقة الا باللسان .

اما الشواهد الحقيقية ، وأما الادلة الاصيلة فكانت تؤكد أن ما قربه الله لا يمكن أن يبتعد وما وصلته الطبيعة لا يمكن ان ينقطع ..

من بين الشواهد والأدلة أن جيش الفلاحين الذى سار تحت قيادة ابراهيم باشا ، ليحرر سورية من الظلم العثمانى كان يسمى نفسه الجيش العربى .

ومن الشواهد والادلة ، أن القاهرة التى سارت فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، الى فتح النوافذ لتيارات النهضة ، تحولت الى قلعة للفكر الحر فى الشرق العربى ، وما لبث رواد الحرية فى سورية ورواد الحرية فى المنطقة العربية كلها ، أن وفدوا اليها يتحصنون بأسوارها المنيعة ، ويبعثون منها اشعاعات الفكر، لتعبىء وتلهم بل ان القــــاهرة تحولت فى مطلع القرن العشرين فأصبحت هى ودمشق ، المركز الرئيسى للجمعيات السرية ، التى راحت تناضل جبروت سلاطين استانبول ، من أجل تحرير الامة العربية ، بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء .

هكذا كانت الوحدة هي الحقيقة ، وكان ما عــدا الوحـــدة اصطناعا ..

هكذا كان واضحا أنه اذا تركت المنطقة تستوحي طبيعتهــا وتستلهم مشاعرها ، وتستمع الى دقات قلبها ، فان اتجاهها الى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه ..

وهذا هو ما حدث .

حين حصلت سورية على استقلالها الكامل تطلعت الى مصر .

وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت الى سورية .

ولقد كان التقارب بل التوافق والتماثل كاملا حتى قبل أن يوقع ميثاق جامعة الدول العربية وحتى بعد أن تم توقيعه وأرادت له بعض القوى أن يبقى حبرا على ورق .

لقد كان فى سورية رد فعل لكل حركة فى مصر كما كانت أصداء الذى يحدث فى دمشق تتجاوب فى القاهرة .

فى مصر وسورية ذلك الفوران الذى أعقب الحرب العالمية الثانية ، وبدأت على أثره حركات التحرر الهائلة فى افريقيا وآسيا.

وكذلك هذا الفجر الذى نشهد اللحظة مطلعه .

ان الليل الذى سبق فجر الوحدة هو ــ دون شك ــ أطول ليالى كفاح أمتنا العربية ، ذلك أن الأمل الذى يتحقق لنا اليوم ، هو أقدم عمر فى تاريخ أمتنا .

قد بدأ معها منذ بدأت .. ونشأ على نفس الارض ، وعاش نفس الحوادث ، واندفع الى نفس الاهداف ، فلما استطاعت أمتنا أن ترسى قواعد وجودها فى هذه المنطقة ، وتثبت دعائم هذه القواعد كان مؤكدا أن الوحدة قائمة ، وأن موعدها بات قريبا .

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة ، هو بنفسه الكفاح من اجل الحياة .

ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة ابرز معالم تاريخ امتنا .

فما من مرة تختلف الوحدة ، الا تبعتها القوة ، وما من مرة توافرت القوة الا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها .

وليس محض صدفة أن اشاعة الفرقة ، واقامة الحدود والحواجز ، كانتا أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن فى المنطقة ويسيطر عيلها .

وكذلك لم يكن محض صدفة أن محاولة الوحدة فى المنطقة لم تتوقف منذ أربعة آلاف سنة ، طلبا للقوة ، بل طلبا ــ كما قلت ــ للحياة .

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة !

ولقد كان اسلوب السعي الى الوحدة يتشكل بالعصر الذى نعيش فيه كل محاولة لتحقيقها ، ولكن الهدف ظل دائما لا يتغير، وبقيت الغاية فى كل وقت ، وهى هذه اللحظات التى نعيشها الآن .

لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح ، هو وسيلة التعبير فى الطفولة الاولى للبشرية واتحدث المنطقة حين بدات رسالات السماء تنزل الى الارض لتهدى الناس .

واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الأخيرة فى دعوة عباده الى الحق .

واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة فى امة عربية واحدة .

واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان .

واتحدت المنطقة تحت دافع السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولا أن يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية . وكان معنى الوحدة قاطعا فى دلالته حين اشتركت المسيحية فى الشرق العربى فى مقاومة الصليبيين جنبا الى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر .

واتحدت المنطقة بالمشاركة فى العذاب ، يوم حلت عليها غارات الغزو العثماني ، واسدلت من حولها استار الجهل ، تعوق تقدمها ، وتمنعها من الوصول الى عصر النهضة فى أوروبا .

بل ان المنطقة اتحدث فيما تعرضت له فى كل نواحيها ، من سيطرة الاستعمار عليها ، وقد كان اتحادها فى الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله ، ومقاومته فى تعدد صوره .

ومع الوحدة فى الثورة كانت الوحدة فى التضحيات ، فان المشانق التى نصبها جمال باشا فى دمشق عاصمة سورية ، لم تكن

تختلف كثيرا عن المشانق التى نصبها اللورد كرومر فى دنشواى ، هنا فى مصر .

فى سورية ومصر هذه الهزات العنيفة ووراءها تغيير الاوضاع تطلعا الى الافضل والاحسن .

فى مصر وسورية ذلك الاندفاع الى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ، ولكن من غير سلاح . ثم كانت فى القاهرة ودمشق تلك الآثار التى ترتبت على حرب فلسطين ، والتى كان أولها تلك اليقظة التى تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق .

ثم فى سورية ومصر نفس المعارك ، ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا أن المعارك التى خاضتها دمشق هى نفس المعارك التى خاضتها القاهرة ، معركة الاحلاف العسكرية معركة السلاح ، معركة عدم الانحياز ، معركة المؤامرات ، معركة التحرر الاقتصادى ..

بل ان سورية خاضت معركة قناة السويس ، بنفس العنف ، وبنفس القوة التى خاضت بها بور سعيد معركة قناة السويس .

وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سورية ، واعصابها كلها فى دمشق ، وأمام أعصابها قطعة من جيشها احتل جندها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سورية .

ولقد كان ذلك كله مدهشا ولكنه لم يكن من صنع الصدف .

لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة ونبيلة وعميقة لهذا الذى ربط مصر وسورية مهدت الطبيعة ، مهد التاريخ ، مهد الدم ومهدت اللغة ، مهدت الاديان ومهدت العقائد مهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية .

كذلك اشتركت فى التمهيد له تجارب من الالم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة : السجن والنفى والمشنقة .

ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذى نشهد مطلعه بعد ليل طويل .

ايها المواطنون أعضاء مجلس الامة :

لقد كان البشير بالفجر هو ذلك القرار الذى اتخذه مجلس النواب السورى ، واتخذه مجلسكم ، بالعمل فورا لتحقيق الوحدة بين مصر وسورية .

كان قراركم هذا تعبيرا عن واقع هائل لا يمكن تجاهله وصدى مستجيبا لنداء قدسى لا نستطيع أن نغلق آذاننا دونه .

ولم يكن هذا الواقع موجودا فى دمشق والقاهـرة وحدهما ، كذلك لم يكن ذلك الداء القدسى فى هذا النطاق وحده لا يتجاوزه ، وانما كان الواقع موجودا فى كل أرجاء الوطن العربى .

وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج ، ذلك التيار الذى شقت القومية العربية كلها مجراه ، وحددت له خط سيره .

وهكذا بدأت القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجى الحقيقة الواقعة .

ولقد كانت هـــذه المحادثات فى القاهــرة تجربة جديدة فى التاريخ .

انها لم تكن اجتماعا يتم بناء على رغبة ساسة أو حكام ،

وانما كانت اجتماعات تمت بنـــاء على ضغط والحاح وارادة عنيدة مصممة صادرة من قلوب الشعب .

ولقد كان خيرا على أى حال أننا تركنا الامور تصل الى هذا المدى .

فلقد كان ينبغى للشعوب أن تأخذ فرصتها كاملة حتى تثبت وحتى تؤكد لها الحوادث والتطورات أن طريق الوحدة هو طريق

القوة ، طريق الحياة . وان الساعة التى تطلع اليها اجدادنا ، وعمل من اجلها آباؤنا قد دقت أجراسها .

وانه قد كتب لجيلنا بعد ليل طويل ان يشهد مطلع صبحها .

كان معناه ان الذى تخيلوه فى المنى قد اصبح واقعا ، وان الذى ذاقوا من اجله الموت قد أصبح هو الحياة نفسها .

كان معناه ان الذى نصبت المشانق لتحول دونه قد اصبحت له وحدة قوة القانون وقدرته .

كان معناه ان الذى اصطنعت الفرقة بينه ، قد عاد الى طبيعته التى اودعها الله فيه ، وكان متجانسا متحدا .

كان معناه أن السلاسل تكسرت ، وأن السدود انهارت ، وان الحواجز سقطت ، وأن الشظايا المتناثرة والأجزاء المتفرقة توشك ان تعود الى بعضها بل الى كلها .

كان معناه ان سوريا ومصر ، قد قررتا تحمل المسئولية التاريخية التى تهيأتا لها ، بصفة كونهما بلدين عربيين خلص زمام الامر فيهما لابنائهما ، وتحققت لهما فى أراضيهما سيادة حقيقية ، واستقلالا كاملا .

كان ذلك هو معنى محادثات القاهرة .

ولقد انتهت محادثاتنا ، الى اعلان الوحدة رسميا وتوقيع هذا الاعلان ، فى يوم السبت الاول من فبراير سنة ١٩٥٨ .

وقد أودع هذا الاعلان التاريخى ، فى مكتب مجلسكم ، وكانت النتيجة الكبرى له هى توحيد مصر وسورية فى دولة واحـــدة ، اسمها الجمهورية العربية المتحدة .

يكون نظام الحكم فيها ديمقراطيا رياسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة ، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين

امامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ويكون لها علم واحد ، يظلل شعبا واحد وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها ابناؤها فى الحقوق والواجبات .

ثم كان اتفاقنا بعد ذلك على المبادىء التالية لتقوم عليها الجمهورية فى فترة الانتقال :

١ - الدولة العربية المتحدة ، جمهورية ديمقراطية مستقلة ذات سيادة ، وشعبها جزء من الامة العربية .

٢ - الحريات مكفولة فى حدود القانون .

٣ - الانتخاب العام حق للمواطنين على النحو المبين بالقانون ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم .

٤ - يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامه يحدد أعضاؤه ، ويتم اختيارهم بقرار من رئيس الجمهورية ، ويشترط أن يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى

٥ - يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية .

٦ - الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ، ومقابل تعويض عادل ، وفقا للقانون .

٧ - انشاء الضرائب العامة أو تعديلها او الغائها لا يكون الا بقانون ولا يعفى احد من ادائها فى غير الاحوال المبينة فى القانون ، ويجوز الغاء هذه التشريعات أو تعديلها .

٨ - القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون .

٩ - كل ما قررته التشريعات المعمول بها فى سوريا وفى مصر تبقى سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند اصدارها ،

١٠- تتكون الجمهورية العربية المتحدة من اقليمين هما : سوريا ومصر .

١١- يشكل فى كل اقليم مجلس تنفيذى ، يراسه رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذى .

١٢- تحدد اختصاصات المجلس التنفيذى بقرار من رئيس الجمهورية

١٣- تبقى احكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سوريا ومصر وبين الدول الاخرى ، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند ابرامها ، ووفقاً لقواعد القانون الدولى .

١٤- تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولا بها فى كل من سوريا ومصر . الى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية .

١٥- يكون المواطنون اتحادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ، ولحث الجهود لبناء الامة بناء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية .

١٦- تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة .

١٧- يجرى الاستفتاء على الوحدة ، وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى يوم الجمعة الموافق ٢١ فبراير

وهنا لا بد لى من وقفة أتحدث فيها عن دستور ١٦ يناير ، الذى كان مجلسكم اعظم نتائجه .

ان هـذا الدستور خالد ، ولم يكن معقولا أن الثورة التي وضعته ، واعلنت قيامه منبثقا من صميم ارادة الشعب ، وخلاصة تجاربه ، ترضى لهذا الدستور أن يسقط او يضيع .

ولكن الدستور ، كما قلت لحضراتكم ، يوم كان لى شرف الحديث اليكم هنا ، فى يوم ١٦ يناير الماضى ، ليس مجرد النصوص الجامدة ، وانما هو الحركة الدائمة اليقظة ، فى اتجاه المستقبل الذى نسعى اليه ، وهو الاطار الذى ينظم هذه الحركة ، ويجمع صفوفها .

ولقد وقعت حركة هائلة جمعت شعبين من أمة واحدة فى جمهورية متحدة وكان لا بد أن يتسع الاطار لكى يستطيع أن يضم النطاق الجديد .

لذلك كان لا بد لدستور ١٦ يناير أن يدخل فى تجربة حياة أفسح وأرحب . وكذلك كان لا بد لمجلسكم ، الذى كان أعظم نتائج دستور ١٦ يناير ، أن يدخل نفس التجربة .

قلت لحضراتكم مرة ، اننا نعتبركم مجلس الثورة الجديد ، باعتبار أن الثورة مستمرة ، وانه لما يدعو الى الامل أن تجربة الشهور القليلة التى مضت ، منذ بدأ مجلسكم يمارس عمله ، كانت تبشر بتعاون كامل ، يستهدف صيانة مصالح الشعب ، ويسعى الى بناء المجتمع الجديد .

وانه لحق علينا أن نقول لحضراتكم فى هذه اللحظة الفاصلة فى تاريخ شعبنا انكم كنتم على خير ما كنا نؤمل ونتمنى ، وأن مشاركتكم لنا فى المسئوليات كانت خير عون لنا فيما مضينا لتحقيقه من الامور .

وانه لمما يسعدنى ، أن التطور العظيم الذى نعيشه ، لن ينهى صحبتنا على الطريق ، وانما هو على العكس ، سيقوى الاواصر

بيننا ، ويشد الصلات ، ويجعلنا فيما نحن مقبلون عليه أكثر اندفاعا واصلب عودا ، واعز وحده وتضامنا .

ايها المواطنون اعضاء مجلس الامة :

على انني أرى أن من واجبي في هذه اللحظات أن أصارحكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم ، ان الطريق الذي نقبل عليه طويل وشاق .

ان رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس .

وانما رحلتنا هي مشاق ومتاعب ، وكفاح وجهاد .

ولكن هذه كلها هي الثمن العادل للامل الكبير الذي نسعى اليه .

ولسوف يضاعف من مصاعب ما سوف نلقاه امامنا على الطريق ان الذين لا تروقهم وحدة سوريا ومصر . ولا توافق اغراضهم ، لن يتقبلوها بالرضى والسكوت وانما ستكون المساعى ، وستكون المحاولات ، وستكون المناورات .

لهذا اقول لكم من الآن . اننا في سعينا على طريق املنا ، يجب أن نظل مفتوحى الاعين منتبهى الحس والوجدان .

ولكن علينا أن ندرك أن لهذه الفترة الرائعة اخطارها أيضا .

وربما كانت شهوات انفسنا أكبر الاخطار التى يتعين علينا مواجهتها ، لقد مرت علينا قرون من الزمان واحلامنا واما نينا ورغباتنا واهدافنا حبيسة وراء الحواجز والسدود التى صنعها الاستعمار .

ولقد تهاوت الحواجز والسدود ، لما زال وجود الاستعمار من بلادنا ، وهكذا بدأت الاحلام والامانى والرغبات والاهداف تنطلق من عقالها وتتدافع بسرعة في مثل تدفق الفيضان .

ولقد كان هذا هو التفسير الحقيقى لسرعة الحوادث فى جيلنا، وهذا أمر طبيعى ، بعد أجيال عديدة مكبوتة . ولكن هذا أيضا تحذير كما هو تفسير .

انه تحذير بان من اول واجباتنا ان نقيم من الحكمة خزانات على أمانينا ثم تفتح عيونها ليمر التيار .. على شكل الفيضان المظم ولا يخر فوق رءوسنا كالطوفان العالى الشديد .

اننى واثق أن التجربة التى نواجهها اليوم ستحقق كل ما يرجوه لها هؤلاء الذين عملوا لمشرق فجرها ، طوال الليل المظلم .

وانه لما يؤكد ثقتى ، ان الله تعالت قدرته ، قد جمع قلبنا بقلب خير رفيق ، وخير أخ ، وخير حبيب .

فقد اكد شعب سوريا بتجارب الايام ، تجربة بعد تجربة ، أنه طليعة القوميــة العربيــة ، وانه رأس الحرية فى اندفاعها ، وانه الحارس الامين لتراثها المجيد .

لقد بزغ امل جديد على افق هذا الشرق .

ان دولة جديدة تنبعث فى قلبه .

لقد قامت دولة كبرى فى هذا الشرق ، ليست دخيلة فيه ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية .

دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، وترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، ولا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق .

وكان طبيعيا ان تقف قوى الاستعمار والرجعية ضد الدولة الجديدة ، التى ابرزت كيان القومية العربية .. والتى وقفت متحررة فى مواجهة قوى الاستعمار والرجعية ..

وبدأت المؤامرات على الدولة الجديدة .. مؤامرات يخطط لها الاستعمار ، ويعهد الى القوى الرجعية فى العالم العربى بتنفيذها او يقوم بها بنفسه

ولم تتمكن الدولة الوليدة من ان تعيش حياة طبيعية بلا مؤامرات من داخلها او من خارجها ..

القوى المعادية بدأت تدفع باعدائها فى الداخل عن طريق الرشوة ، والخداع ، واستخدمت كل الاسلحة .. الحرب النفسية .. الشائعات .. الاموال .. تهريب السلاح .. تجنيد العناصر الخائنة ..

وكانت هناك خمسة عوامل رئيسية الهبت هذه القوى :

● **اولا :** الموقف السافر الذى اتخذته الدولة الجديدة من الاستعمار ، والذى جعل الاستعمار يفقد اعصابه ، ويتحرك بهستيرية ، وخاصة فى بعض الدول المجاورة لسوريا .

● **ثانيا :** صدور القوانين الاشتراكية التى كشفت بوضوح عن الوجه التقدمى للدولة الجديدة .. مما جعل الرجعية العربية كلها تخاف على مراكزها ، وقصورها واستغلت فى ذلك الدين كسلاح .. والحرب النفسية كسلاح ثان .. واخيرا سلاح التآمر ..

● **ثالثا :** كانت الدولة الجديدة ذات اثر مباشر فى الدول العربية . وخاصة الدول المتاخمة لنا .. وكان قمة ذلك هو اسقاط الحكم الرجعى العميل فى العراق .. والقضاء على الحكم الملكى وعلى نورى السعيد بثورة ١٤ يوليو ، وهى الثورة التى استطاعت القوى المعادية ان تحتويها بعد ذلك .. وتضمها ..

الى جانبها ، وتنحرف بها عن غايتها ، وتستخدمها كأحد أدواتها فى محاربة الدولة العربية المتحدة الجديدة .

● **رابعا** : الدور الذى لعبه حزب البعث العربى ، والخلافات التى نشبت بين اعضائه ، وخاصة بعد ان صدر قرار حل الاحزاب .. فمن ناحية لم يلتزم به حزب البعث وظل يمارس نشاطه سرا رغم انه كان يشارك فى الحكم وفى اتخاذ القرارات ومن ناحية ثانية كان التنظيم الجديد « الاتحاد القومى » تنظيما وليدا .. وتسللت اليه عناصر انتهازية انقضت على تجربة الوحدة بعد ذلك .. فقد كان حزب البعث على حد قول عبد الناصر فى مباحثات الوحدة « يضربنا بالسياط ، بالشعارات « العملاء لا الشركاء » و « الاستعمار المصرى » .. وهذا الكلام . » ويقول عبد الناصر « حزب البعث تصادم معانا . معانا فى الجمهورية تصادم .. انا اقول انه كان السبب فى جريمة الانفصال ، بهذا التصادم .. وباطلاق الشعارات ، والتشويه والذى حدث من حزب البعث وانه « وقع حكم بالاعدام من حزب البعث السورى على الجمهورية العربية وعلى جمال عبد الناصر ، ولكن عدل ربنا ووعى الامة العربية لم يمكنهم مما ارادوا .. فلم ينفذ فينا هذا الاعدام ، ولا نفذ فى مصر . ولا نفذ فى عبد الناصر »

● **خامسا** : الاخطاء التى حدثت من الجانب المصرى ، وقد اعترف بها عبد الناصر ، وبأسبابها وقال « احنا برضه عملنا تقييم كبير جدا للعملية ، وبدانا بعد الانفصال على طول .. بحثنا ايه الاسباب .. وايه الاخطاء .. وايه كذا . .وايه كذا .. وتكلمنا فى جلسات على كل هذا » وقال عبد الناصر « احنا انتقدنا انفسنا نقد ذاتى .. » ولقد مارس عبد الناصر عملية النقد للاخطاء التى وقعت من الجانب المصرى فى زمن الوحدة ..

● **سادسا** : الرجعية العربية السورية المتمثلة فى الراسمالية السورية التى أضيرت من عمليات التأميم أو حتى ضربت فى تطلعاتها وخاصة اصحاب الشركات والتجار الذين ساعدوا الانفصال بل

ومولوه لينقضوا على المكاسب الاشتراكية للجماهير

● سابعا : المد الشعبي والجماهيري الذي بدأ ينمو ويعلو في الاقطار العربية المختلفة ، وعجزت عن ايقافه كل وسائل الضغط والارهاب.

واستطاعت القوى الرجعية ان تجهز على اول تجربة للوحدة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ - بعد القوانين الاشتراكية بشهرين اثنين بارتكاب جريمة « الانفصال »

* * *

ولكن اروع مواقف عبد الناصر كانت فى بيانه الذى وجهه الى الامة العربية فى ٥ اكتوبر ١٩٦١ ، والذى تحدث فيه عن انجازات الوحدة فى خلال ثلاث سنوات ونصف ..

كان ذلك عقب نكسة الانفصال الذى حدث فى سبتمبر ١٩٦١ تحدث عبد الناصر عن الوحدة ، وتاثيرها فى المجالات العربية والدولية .. وعن حرية المواطن السورى التى حصل عليها بعد أن تحررت لقمة العيش برفع السيطرة الراسمالية والاحتكارية عنه، بموجب الخطوات الثورية الاشتراكية ، وعن قانون الاصلاح الزراعى وملايين الليرات التى انفقت فى مجالات الزراعة والصناعة ومختلف مرافق الخدمات .. وخطة التنمية واستصلاح الاراضى .. وقال عبد الناصر : انه ليس من المهم أن تبقى سوريا قطعة من الجمهورية المتحدة ، ولكن من المحتم ان تبقى سوريا » ..

وطالب من الجامعة العربية أن تتحقق من ٣ مسائل راى انها هامة وهى :

١ - ان كل احتيـاطى الذهب وغطـاء العملة السورى موجود بسوريا كما كان قبل الوحدة.

٢ - انه رغم دعايات الرجعية والاستعمار فان عدد المعتقلين فى سوريا كلها لم يكن يتجاوز ٩٥ شخصا وانه أمر بحفظ عديد من قضايا التآمر على الوطن السورى

٢ - ان تتحقق لجنة الجامعة العربيـة من ان قوة المظلات التى هبطت فى اللاذقية مساء يوم الانفصال ٢٨ سبتمبر كانت تحمل تعليمات بعدم اطلاق النار ولم يكن معها ملايين الليرات المزيفة كما ادعت عناصر الانفصال .

وكذلك طلب عبد الناصر الى لجنة الجامعة العربية ان تتحقق من طبيعة الاعمال التى كان يقوم بها ابناء الاقليم المصرى فى سوريا وكيف زودت مصر سوريا بحشد من الاطباء والمهندسين والمدرسين لكى تسارع فى دفع عملية التطوير . وان احـــدا منهم لم يذهب ليستغل أو يفتح تجارة او ليجنى ربحا .

* * *

وتبقى بعد ذلك اجزاء من هذا البيان الهام لا بد من الرجوع اليها لانها تعكس فكر عبد النـــاصر حول الوحدة فى أشد لحظات المحنة والازمة . فقد جاء فى هذا البيان :

« اننى أكاد ارى الامة العربية ، مقدمة على محنـــة رهيبة ، واشعر ان واجبى يحتم على ان أفعل كل ما فى وسعى ، كى اجنبه الامة العربية هذه المحنة ، لكى يبقى لها دائما تنبهها الى الاخطار المحيطة بها ، وقدرتها على النضال من أجل أهدافها ، لا يشغلها من ذلك شىء ، ولا يشد اهتمامها منه اى اعتبار مرحلى مؤقت .

« وانى لاقول لكم جميعا ، بضمير راض وقلب مستريح اننى لا اقبل ، مهما كانت الظروف ، ان ارى الشعب هنا ، والشعب فى سوريا ، اطراف معركة واصحاب خلاف وانشقاق .

« لا استطيع ان اتصور فى القاهرة ودمشق ، الا اخوة كفاح ، والا زملاء معركة والا شركاء قدر ومصير ، مع كل عاصمة عربيـــة اخرى ، مع كل مدينة عربية ، مع كل قرية عربية .

« ولقد شعرت خلال الايام الاخيرة ، ان ما حدث كله ، قد فتح فرصة واسعة امام اعداء الامة العربية ، من قوى الاستعمار ، ومن

اعوانه ، ومن قوى الرجعية فى المنطقة ، ومن اعداء تقدم الشعوب »
« ولقد رأيت رأى العين ، فرحتهم جميعا فى هـذه الفرصة ، التى تفتحت منها لمصالحهم ، وعلى حساب المصلحة العربية .

« لقد احسست انهم يريدونها معركة يتقاتل فيها عناصر ابناء الشعب السورى مع بعضهم . معركة تقع فيها الفتنة بين الشعب العربى فى سوريا ، وبين الشعب العربى فى مصر ، معركة تقع فيها شعوب الامة العربية فى حيرة تتوه بعدها فى الظلام .

« انني اذا كنت قد رفضت ان تكون الحرب العسكرية وسيلة الى تدعيم الوحدة فانى ارفض الآن ، أن تكون الحرب الاهلية بديلا لذلك ، لعلكم تذكرون ان الاجماع الكامل كان من الشروط الاساسية لقبول قيام الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨

« وانى اليوم لا ارضى ، بأن تبقى وحدات من الجيش السورى متربصة بالشعب ولا أن تبقى جموع من الشعب متربصة بعناصر من الجيش السورى .

« ان الجيش السورى يتحمل مسئوليات كبرى تجاه العدو المشترك للامة العربية ، ولن أقبل مهما كان من تصرفات الاخرين ، ومن اخطائهم ، بل وخياناتهم ، أن تتحول مهمة الجيش السورى الى عمل بوليسى »

« انكم تعرفون اننى داعية وحدة ، وانكم تعرفون موقفى عندما فرضت الارادة الشعبية السورية الحرة ، هذه الوحدة الشاملة فى فبراير ١٩٥٨ »

« أنتم تعرفون انه كان من رأيى ان الوحدة ، خصوصا فى فترات البناء الوطنى ، عملية شاقة ومرهقة ، وكان من رأيى التمهيد لها تدريجيا ، على سنوات نتمكن خلالها من أن نضع الاسس الحقيقية لها قبل أن نقيم اطارها الدستورى ، لكنى نزلت على الارادة الشعبية السورية ، وكنت أشعر فى أعماقى اننى بهذا احمى الوطنية

السورية ، وأشارك فى انقاذ الوطن السوري مما كان يتهدده من أخطار »

« ولقد احسست بعد اتمام الاطار الدستور للوحدة ، الفرقة الداخلية ، وفى مواجهة ضغط القوى الاستعمارية ، انه ليس امامنا وقت نضيعه ، لهذا فقد كرست جهدى كله لعمليات البناء فى سوريا ، وكان تقديرى أن نمضى فى ذلك باسرع ما نطيق ، لكى يكون هناك أساس للتقدم نحو الرخاء »

« فلقد تمت خلال ثلاث سنوات ونصف من الوحدة ، اعمال حقيقية لم تشهدها سورية فى كل تاريخها ، أقول ذلك لا لكى اتفاخر به أو اتباهى ، وانما اقوله كأمر واقع ، تشهد به الارقام وتؤكد به قدرة الشعب السورى على بناء نفسه ، اذا ما أتيحت له الفرصة لتركيز جهوده واحسان توجيهها . »

« فى هذه السنوات الثلاث والنصف ، حاولنا بكل جهودنا ، توجيه الشعب السورى الى تكريس جميع امكانياته فى اتجاه البناء ، بناء الوطن ، وبناء المواطن »

« اننى اشعر فى هذه اللحظات انه ليس من المحتم ان تبقى سوريا قطعة من الجمهورية العربية المتحدة . ولكن من المحتم ان تبقى سوريا . »

« اننى أشعر ان الذى يشغل بالى ليس هو ان اكون رئيسا للشعب العربى فى سوريا ، ولكن الذى يشغل بالى هو ان يكون الشعب العربى فى سوريا وان يصان له كيانه . »

« ولست اتصور أن اقبل بحال من الاحوال ان أرى فتنة تهدد الشعب السورى أو خطرا يتربص به أو شاغلا يشده ويبعثر طاقته عن ان تتجه بكل امكانياتها الى حراسة المكاسب الشعبية التى حققها فى عهد الوحدة ثم يجد أن ما فى يده يسلب منه يوما بعد يوم ، بينما هو مشغول بقضية فرعية مؤقتة سوف تحسمها فى نهاية المطاف حتمية التاريخ واعنى بها الوحدة .

« لهذا فانى اعلن على مسمع منكم جميعا ، يا أبناء الامة العربية اعلن ما يلى »

اولا : اننى اطلب الى جميـع القوى الشعبيـة المتمسـكة بالجمهورية العربية المتحدة وبالوحدة العربية أن تدرك الان أن الوحدة الوطنية داخل الوطن السورى تحتل المكانة الاولى . ان قوة سوريا قوة للامة العربية وعزة سوريا عزة للمستقبل العربى، والوحدة الوطنية فى سوريا دعامة للوحدة العربية وتمهيد حقيقى لاسبابها .

ثانيا : لقد بعثت الان الى رئيس وفد الجمهورية العربيةالمتحدة الدائم لدى الامم المتحدة بان لا يقف فى وجه طلب قبول سـوريا عضوا فى الامم المتحدة .

ولقـد مر الان اكثر من أسبوع على ما حدث فى دمشق ولم تستطع الحركة التى قامت هناك أن تحصل على إى إعتراف دولى بها ، لم تعترف بما حدث فى سـوريا حتى الان الا خمس دول ، وأسميها بالدول تجاوزا .

وفى نفس الوقت فان العالم المتحرر قد عبر لى بحركات شعوبه وبرسائل زعمائه عن تأييده للجمهورية العربية المتحدة .

وانى أعتبر أن ذلك يكفى ، فلست اريد ان اقيم حصـارا سياسيا أو دبلوماسيا من حول سوريا ، فان الشعب السورى فى النهاية سوف يكون هو الذى يعانى من هذا الحصار ويقاسى .

ثالثا : لقد طلبت الى وزارة الخارجية ان لا تقف الجمهورية العربية المتحدة حائلا دون عضوية سوريا فى الجامعة العربية .

« على أنى ارجو أن تقبلوا بصدر رحب بعد ذلك راينا فى نقطة أخيرة ، تلك هى أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة لن تقبل الاعتراف بأى حكومة فى دمشق من جانبها ، الا بعد ان تتجلى ارادة شعبية سورية حرة تقرر بنفسها طريقها . »

« لا يفوتني في هذه الحفلة أن أوجه شكري العميق وشكر الشعب في الجمهورية العربية المتحدة على العواطف النبيلة التي أبداها الشعب اللبناني وحكومته تجاه ابناء الجمهورية العربية المتحدة الذين اخرجوا من سوريا بطريقة لا املك الكلمات لوصفها، وان كان يعزيني عنها ويعزي الشعب في الجمهورية العربية المتحدة، أن الشعب السوري ودع بدموعه كل ابناء الجمهورية العربية المتحدة العائدين اليها بعد أن خرجوا من سوريا » .

« كذلك لا يفوتني أن أوجه شكري العميق وشكر الشعب في الجمهورية العربية المتحدة الى جميع الشعوب العربية التي وقفت بمشاعرها وتأييدها مع أول تجربة للوحدة العربية . »

« واني لاثق ، نفس ثقتي بالله ، أن هذه التجربة لن تكون الاخيرة وانما كانت التجربة عملية رائدة استفدنا منها الكثير في تقديرنا ، وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربي وللوحدة العربية التي اشعر ان ايماني بها يزيد قوة وصلابة »

« ان التاريخ طويل امام الامة العربية والكفاح مستمر ويزداد عمقا بالتجربة .

« لقد حاولت جهدي ان أؤدي واجبي كجندي في خدمة هذه الامة العربية وحاولت ان لا أدع مجالا لفرقة ولا أفتح طريقا لفتنة **ان عدوي وعدو امتي هو الاستعمار والرجعية المتعاونة معه والقاعدة التي يتحفز منها لضرب آمالنا هي اسرائيل .** ان املي هو حرية الوطن العربي وحرية المواطن العربي . »

« واني لاثق في حتمية الوحدة بين شعوب الامة العربية ثقتي بالحياة وثقتي بطلوع الفجر بعد الليل مهما طال . »

« اعان الله سوريا الحبيبة على أمورها ، وسدد خطاها ، وبارك شعبها ، وستبقى الجمهورية العربية المتحدة رافعة اعلامها مرددة نشيدها مندفعة بكل قواها الى بناء نفسها لتكون **سندا لكل كفاح عربي ولكل حق عربي ولكل امل عربي . »**

يحلل بعد ذلك عبد الناصر اسباب الانفصال فيقرر عددا من الاسباب التي دفعت الى الانفصال وهي .

× اسرائيل وقفت دائما ضد الوحدة وخصوصا بعد ان حاصرتها دولة الوحدة واصبحت لاول مرة بين فكى الكماشة ..

× الاستعمار كان دائما يتصدى للوحدة يتصدى للقومية العربية .. كان الاستعمار يتصدى لفكرة التحرر .

× القوى الرجعية فى العالم العربى تحالفت مع الاستعمار ضد القومية العربية وضد الوحدة

× القوى المعادية للتقدم كلها تعادى الوحدة .. لان الوحدة رفعت شعار الثورة الاجتماعية وحولته الى واقع عندما اتخذت اجراءات بالقضاء على الاستغلال والقضاء على تحالف الاقطاع مع رأس المال واقامة كفاية وعدل ، ومجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

« ولهذا كله فى سنة ٦١ تآمرت كل هذه القوى ضد الوحدة التى قامت سنة ٥٨ بين مصر وسوريا ، تآمر الاستعمار ، مع الصهيونية مع الرجعية من أجل فسخ هذه الوحدة ، وحصلت النكسة فى سبتمبر سنة ١٩٦١ . فهل أثر هذا فى ايمان الجماهير العربية بالوحدة ؟

« ابدا لم يؤثر .. شعرب الجماهير العربية بالحزن ولكنها لم تيأس .. بل سارت فى طريق الوحدة .. فى طريق القومية العربية، فى طريق الامل (١)

عبد الناصر والشعب المصرى لم يكفرا بالقومية العربية ولا بالوحدة رغم تجربة الانفصال المريرة .. وبعد الانفصال تأكد موقف الايمان بالقومية العربية من جديد عمليا عندما ذهب الجيش المصرى الى اليمن ليدافع عن حرية شعب اليمن فبعد نكسة الانفصال وفىسنة ١٩٦٢ قامتالثورة فىاليمن ، وتصدت لها قوىالاستعمار

---

(١) عيد الوحدة ١٩٦٦ .

وتصدت لها قوى الرجعية ولكن كانت وحدة النضال العربي تدعونا الى أن نساند اليمن في وجه الاستعمار والرجعية التي كانت **تحاول بعد الانفصال أن تعزز النجاح وتأخذ مواقع جديدة في العالم العربي .**

« كما ذهبت الى اليمن كنا نشعر اننا نؤدي واجبا علينا تستدعيه المبادىء التي نادينا بها .. وحدة النضال العربي » .

وبعد نكسة الانفصال ، ومع سوريا ، بل وأجلها ، كانت الاحداث التي وقعت في العالم العربي ، واتخذت فيها مصر الناصرية العربية موقفا شجاعا عربيا انتهى في ٥ يونيو ١٩٦٧ وأيا كانت أسباب العدوان ونتائجه التي سوف يكشف الستار عنها ذات يوم فان الحقيقة الكبرى أن الموقف المصري الناصري كان رد فعل ونتيجة مباشرة للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ..

* * *

تجربة الوحدة بين مصر وسوريا .. كشفت عن ضرورة وجود المضمون الثوري للوحدة ، ونبذت الى الابد شعار وحدة الصف ..

فقد كان عبد الناصر يرى « أن الاستعمار الان غير مكانه ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، بعد أن كان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف داخل قصور الرجعية .. أن الاستعمار نفسه دون أن يدري ساهم في تقريب يوم الثورة الاجتماعية وذلك حين توارى بمظاهر ردء العناصر المستغلة يوجهها ويحركها ..

« أن الاستعمار كشف نفسه وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيدا لانتصار الثورة السياسية في بقية أجزاء الوطن العربي ودعما لحق الانسان العربي في حياة اجتماعية أفضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثوري (١) » .

---

(١) الميثاق .

ويحدد الميثاق الفكر الناصرى كل ما يتعلق بالوحـــــدة فى ٦ قواعد هى :

١ ــ ان التقاء القوى التقدمية الشعبية على الامل الواحد فى كل مكان من الارض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الارض العربية ، هو فى حد ذاته دليل على الوحدة اكثر مما هو دليل على التفرقة .

٢ ــ ان الوحدة لا يمكن بل لا ينبغى أن تكون فرضا ، فان الاهداف العظيمة للامم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها

ومن ثم فان القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة

انه ليس عملا غير أخلاقى فحسب ، وانما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم بالتالى فهو خطر على وحدة الامة العربية فى تطورها الشامل .

٣ ــ وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ، لكن الوحدة العربية طريق طويل قـد تتعـــدد عليه الاشكال والمراحل وصولا الى الهدف الاخير .

٤ ــ ان اى حكومة وطنية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى ، **هو خطوة نحو الوحدة** من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الامال النهائية فى الوحدة .

٥ ــ ان اى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبين او اكثر من شعوب الامة العربية ، هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جـــذورها فى اعماق الارض العربية .

٦ ــ ان استعجال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه ــ كما اثبتت التجارب ــ فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعنها من الخلف .

ان تطور العمل الوحدوى نحو هدفه النهائى الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود عمليـة لملء الفجوات الاقتصـادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية ، هذا الاختلاف الذى فرضته قوى العـزلة الرجعيـة والاستعمارية .

ويحدد الفكر الناصرى ايضا دور الجمهورية العربية المتحدة فى العمل من أجل الوحدة فى عدة خطوات هى :

- ان جهودا عظيمة واعية يجب أن تتجه ايضا الى فتح الطريق امام التيارات الفكرية الجديدة حتى تستطيع أن تحدث أثرها فى محاولات التمزيق ، وتتغلب على بقايا التشتت الفـكرى الذى احدثه ضغط ظروف القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين وما تركته دسائسه ومناوراته من رواسب تحجب الرؤية الصافية فى بعض الظروف .

- والجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بانها جزء من الامة العربية ، لا بد لها ان تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى . ولا ينبغى الوقوف لحظة امام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها .

ولا بد لهـا أن تحرص على أن تصبح طرفا فى المنـازعات الحزبية المحلية فى اى بلد عربى . ان ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .

واجبهـا المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنيـة فان هذه المساندة يجب ان تظل فى اطار المبادىء الاساسية ، تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه الى أهدافه وفق التطور المحلى وامكانياته .

- ان الجمهورية العربيةالمتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى .

انها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صبغة محددة لصنع التقدم .

● ان قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال . ان ذلك لا يؤثر ـ ولا ينبغى له أن يؤثر ـ على قيام جامعة الدول العربية .

* * *

عبد الناصر كان يرى أن امل الوحدة بين الشعوب العربية لا يمكن ان يتحقق الا اذا سبقته وتأكدت قبله .. آمال اخرى للجماهير .. الحرية السياسية اولا قبل الوحدة .. والحرية الاجتماعية ثانيا قبل الوحدة ((فهناك ترابط كبير بين الاشتراكية والوحدة .. لذلك نقول باستمرار اننا لن نتحد ابدا مع أى بلد عربى الا حين يطبق الاشتراكية ، ويعلن ماذا يعنى بالاشتراكية))

● وكان **عبد الناصر يرى** « ان القوى المعادية للتقدم فى العالم العربى كلها تعادى الوحدة خصوصا بعد أن منحها النضال الثورى والجماهير مضمونا اجتماعيا » .

● وعبد الناصر كان يرى « ان أهداف الاستعمار من التجزئة والتقسيم واضحة ، ضد العمل الوحدوى ، ومنع الاجزاء الممزقة من تحقيق وحدتها الطبيعية ، والهاء الشعوب كلها بهذا الخطر الذى يزرع فى قلبها واستنزاف طاقتها فى مقاومته .. وتهديدها بعد ذلك عسكريا من هذه القاعدة « اسرائيل » فى كل مرة يشعر فيها الاستعمار أنه على وشك أن يواجه هزيمة التصفية النهائية (١) .

● وعبد الناصر كان يرى « أن التخلف هو الشيء الوحيد الذى يضمن البقاء لاسرائيل على أرضنا الى الابد .. والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل المعركة الفاصلة .. اذا تمكنت الامة

(١) فى حفل تكريم اولبرشت سنة ١٩٦٥ .

العربية أن تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها .. والذى تحاول الرجعية ان تفرضه الان » .

● وضح عبد الناصر عددا من المسائل التى تبلور آفاق المستقبل بالنسبة للوحدة العربية .. بعضها طرحه قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ على الوطن العربى والبعض الاخر طرحه بعد العدوان، تضمن رأيه فى القوى الجديدة التى برزت بعد العدوان ، وفى مقدمتها منظمات المقاومة الفلسطينية وهى :

١ - بعد سنين من الانفصال فرضت ضرورات النضال العربى شكلا من اشكال الوحدة .. « وهى مؤتمرات القمة » « كنا نتساءل هل هذه التناقضات الموجودة بين الدول العربية تعيقنا عن العمل من أجل فلسطين . وكان رأيى أن هذه التناقضات رغم وجودها ، لكن يجب أن ننساها .. ونحاول مع الدول العربية بكل ناقضاتها المختلفة ان نعمل من اجل فلسطين (١)

« وان مقتضيات الدفاع العربى فرضت أن نتناسى الخلافات والتناقضات ونحاول أن نصل الى **وحدة العمل** من اجل فلسطين » .

٢ - معركة وحدة القوى الثورية معركة أيضا متشعبة متعددة الجبهات .. جبهة تعمل فيها القوى الثورية فى داخل أوطانها الصغيرة ، لكى تثبت وجودها وتأثيرها ، وجبهة تلتقى عليها القوى الثورية معا ، وتنسق عملها معا وتحدد اهدافها ووسائلها معا (٢).

والجبهة الثالثة التى تتصادم فيها القوى الثورية مع التحالف المعادى لامال الامة العربية ، التحالف الثلاثى ، الاستعمار والرجعية ؛ على يمين الاستعمار واسرائيل على يساره .

---

(١) عيد الثورة ١٩٦٦

(٢) عيد الوحدة ١٩٦٧

٣ ـ المعركة مع العدو لها الاولوية على اى شيء .. والمعركة تقتضى امة عربية واحدة فهى « تستدعى تعبئة كل بندقية عربية ، وكل جنيه عربى ، وكل فرد عربى .. وكل جهد عربى ، لا بد من جبهة عربية واحدة نواجه بها أعداءنا ..

٤ ـ ان هناك معركة واحدة ، وليس هناك معركة اخرى غيرها فى العالم العربى ، وهذه هى معركة الامة العربية ضد العنصرية الصهيونية المؤيدة بقوى الاستعمار .. لسنا من انصار انشاء محاور عربية ، لا نتدخل فى الشئون الداخلية لاى بلد عربى وانما تهمنا مساهمة كل بلد عربى فى المعركة .. نحن مع كل تغيير يزيد من القوى العربية المحتشدة من اجل المعركة ، وضد اى صراع شخصى او طائفى او فكرى لا يكون من شأنه أن يضيف الى المعركة دائما ولا يأخذ منها »

٥ ـ ان حيوية الامة العربية رجالها ونساءها وشبابها تضغط تلقائيا وتحدث بقوة التطور ذاته معجزات هائلة (١)

٦ ـ بعد ١٩٦٧ وبعد النكسة حينما قال الاعداء ان الامة العربية قد تفتتت وان الامة العربية قد انتهت ، وان روح القومية قد ضاعت وان الثورات التقدمية فى طريقها الى الزوال (٢) بعد هذا شهدت ارض الامة العربية الثورة السودانية . . وحصل النضال العربى على دور ليبيا كاملا لصالح الثورة العربية ولصالح التحرير العربى .. بقيام الثورة فيها .

٧ ـ أن الشعب المصرى لم يكن فى هذه الوقفة التاريخية الرائعة فى جو الحرب .. وامام مخاطر العدوان والارهاب .. وانما وقفت معه امته العربية كلها تدرك دوره فى النضال .. وتوفى له حقه فى تحمل العبء الاكبر من تبعات المعركة المصيرية المدمرة » (٣)

---

(١) مجلس الامة نوفمبر ١٩٦٩م
(٢) ٢٣ يوليو ١٩٧٠
(٣) ٢٣ يوليو ١٩٦٨م

« كانت الجماهير قادرة على التمييز بين الذين يتاجرون بالكلمات . فى اسواق المناورات الضيقة ، ومزايداتها ، وبين الذين يتقابلون مع الموت فى ساحة ميدان القتال . »

٨ - ان الشعب الفلسطيني خرج لياخذ قضيته بنفسه ويدافع عن حقوقه بنفسه . » (١)

« ان البعث الذى حدث لشعب فلسطين ظاهرة تكاد لا تصدق . ولكن هذه الظاهرة دليل حياة لا تموت ، واصالة لا تتحول . ولا نستطيع فى هذا أن ننكر دور جماهير الشعب الفلسطينى . الشعب الفلسطينى الذى يرزح تحت الاحتلال يناضل نضالا مستمرا . »

« ليس هناك معيار اوفى ، ولا ادق ، من الموقف الذى يتخذه اى فرد او اى جماعة ، أو اى حكومة ، من قضية المقاومة ومساعدتها ، والتمكين لها ، ولتدعيم جهودها ».

« لقد ظهرت المقاومة الفلسطينية ، واستطاعت المقاومة ان تحــول الشعب الفلسطينى من شعب اللاجئين ، الى شعب من المقاتلين . واستطاع العمل الفلسطينى أن يفرض نفسه على كل العالم » .

« ان العدو سيحاول دائما ان يفرق بين ابناء المقاومة الفلسطينية ، وبين أبناء الشعب الفلسطينى .

« اننا نرى محاولات الاستعمار واعوانه فى الوقيعة بين رفاق المعركة الواحدة ، شركاء الواقع الواحد ، وكنا نرى فى ضراوة هذه المحاولات وجموحها الاستفزاز الخطير ولكننا كنا فى نفس الوقت ندرك أن اخواننــا يرون من ذلك مثل ما نرى . وان وعيهم بضرورات الموقف اشمل واعمق . بحيث يعطى لنفسه القــــدرة على تطويق كل هذه المحاولات وحصرها . »

---

(١) ١١ يونيو ١٩٧٠ »

● اولا : « المقاومة الفلسطينية ، ومنظمة فتح بالذات في مقدمتها تعتبر من اهم الظواهر الصحية ، في نضالنا العربي .. وهي التجسيد العملي للتحول الكبير الذي طرأ على الشعب الفلسطيني تحت ضغوط القهر وحوله من شعب لاجئين الى شعب مقاتلين .

● ثانيا : « اننا لا نتغافل عن بعض الاخطاء التي يمكن أن تكون قد صدرت عن بعض منظمات المقاومة ، ولكننا نعتقد أن الامة العربية عليها من موقف المحبة . وليس من موقف العداء أن تقوم وأن تصحح . »

« كل القوى في امتنا العربية ، وكل الاطراف بل وكل الافراد عليهم ان يدركوا الى اعماق الاعماق ، أنه ليس امامنا جميعا بديل عن القتال من اجل الحق الذي نطلبه ومن أجل السلام الذي نسعى اليه .. ولا يمكن أن كون الحق تفريطا .. ولا يمكن أن يكون السلام استسلاما .. ومن هنا واجب القتال .. والقتال شيء غير الاقتتال .. والاقتتال رصاص طائش يعرض الاخ لسلاح أخيه .. القتال رصاص وهدف وعدو يحتل الارض .. القتال شرف .. والاقتتال جريمة . »

٩ - « تيار التاريخ يسير الى الامام .. والدول الكبرى التي حاولت ان توقف هذا التيار ، لم تستطع أن تتغلب على التيار الطبيعي للتاريخ ، بالنسبة لشعب آمن بأن القومية العربية والتضامن العربي ، سبيل الامان .. والسبيل الوحيد لحمايته .. والسبيل الوحيد لرفع مستواه .. والسبيل الوحيد لتطويره اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا » (١)

١٠ - « الهزيمة دائما لاعداء التاريخ ، واعداء التقدم . (٢) والنصر دائما للسائرين مع تيار التاريخ .. مع تيار التقدم .. وهذه كلها معارك يتحقق فيها النصر لشعبنا .. ولشعوب الامة

---

(١) ٢٦ نوفمبر ١٩٥٩ بدء تنفيذ السد العالي .

(٢) عيد النصر ١٩٦٦ .

العربية .. ولكن النصر النهائى فى حرب المصير كلها .. يتحقق ويتأكد بالقوة الذاتية الشاملة فى جميع الاتجاهات « ان التاريخ لا يعود الى الوراء .. وان حركة التقدم دائما الى الامام .. مع أماني الشعوب الحقة .. ومع آمالها العزيزة .. ان امتنا العربية قادرة .. ان امتنا العربية لتحرك .. الحرية والاشتراكية والوحدة لها المستقبل على الارض العربية .. معناها ان الاستعمار والرجعية واسرائيل تحارب معركة الماضى .. وانها سوف تذهب مع الماضى مهما طولت ومهما اشتدت ضراوتها .. ومهما جربت أن تتحدى الزمن » (١) .

١١- الناس فى بعض الاحيان .. يعيشون على الاحلام ، وهم بعد ذلك قادرون على تحقيق تلك الاحلام ، لماذا كنا غير قادرين على تحقيق احلام الوحدة بسبب التعقيدات التى تواجهها ، وبسبب الحقبة الطويلة التى عانينا فيها ، فى بلادنا من الاستعمار فان الذين سيأتون بعدنا سوف يكونون قادرين على تحقيق ذلك .. يقولون اننى رفعت شعار الوحدة العربية ، لا .. ان ذلك ليس صحيحا ،ان هذا الشعار قديم وعندما كنت طفلا فى المدرسة الابتدائية ، كنت أقرأ شعار الوحدة العربية ، فهو اذن شيء فى روح العرب .. وفى دمائهم فاذا لم نكن قادرين على تحقيقه ، فان ابناءنا يستطيعون تحقيقه (٢) .

١٢- ليس المهم هو حساب الايام ، ولكن الاهم هو حساب النصر، على الا تكون الايام ضائعة والا تتسرب ساعاتها بين أيدينا ».

---

(١) عيد الوحدة ١٩٦٧ .

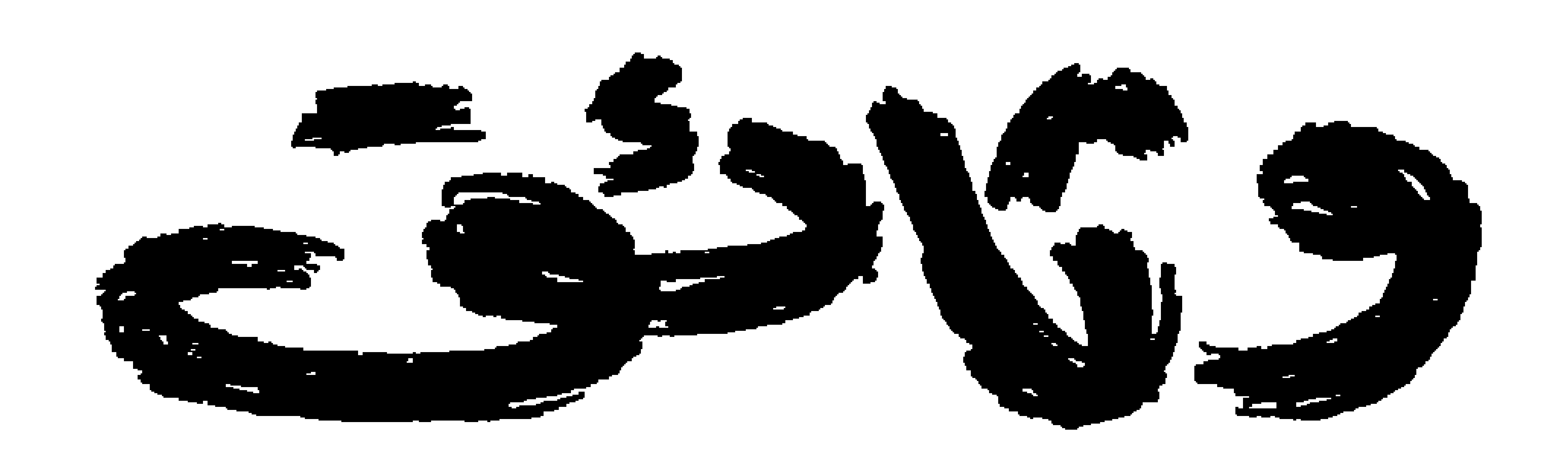
(٢) من حديث مع محطة اذاعة كولومبيا الامريكية ، يوليو ١٩٦٥ .

و .. « ألبت أبناء هذا الشعب دائما « أنهم الامناء .. الامناء بالكلمة .. والامناء بالفعل (٣) » .

لم تكن الحرية والاشتراكية والوحدة ـ بالنسبة له . كلمات .. وانما كانت الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له اعمالا .. كانت كلها بالنسبة له قتالا .. وليس هناك علم شريف يرفرف على الارض العربية الا وكانت يد الشعب المصرى أول الايادى التى امتدت لتساعد على اقامته (٤) » .

---

(١) المؤتمر القومى ٢٢ يوليو ١٩٧٠ .



هـذه مجموعة من الوثائق ، من كلمات واقوال الزعيم الخالد رايت ان اضمنها هذا الكتاب لعدة امور :

١ - انها تعكس بشكل مباشر جذور الفكر الناصرى .

٢ - ان بها من الكلمات ما يكشف تطور هذا الفكر وخاصة تلك الكلمات الهامة التى قالها فى افتتاح اللجنة التحضيرية والتى تعتبر من اهم وأخطر ما قاله الزعيم .

٣ - أن كلماته حول التنظيم السياسى لا يمكن ان يستغنى عنها اى مفكر سياسى ، كما انها تكشف رايه بوضوح فى كل القضايا المتعلقة بالتنظيم ، وقضية التنظيم السياسى من القضايا التى يجب ان يكون فكر عبد الناصر فيها واضحا أمام المشتغلين بالعمل السياسى اولا ، وامام المثقفين بالذات ، ثم امام الجماهير العريضة التى آمنت بفكر عبد الناصر وارتضته طريقا لتقدمها .

مفهوم العمل السياسى

نريد أن نضع أسسا وتقاليد نسير عليها ، ويسير عليها الاتحاد الاشتراكى بجميع مستوياته ..

وحتى نصل الى ذلك فلا بد أن نتعرف على مشاكل البلد ونتعمق فى مشاكل الناس ثم نتحدث عنها ونناقشها ، ونصل الى حلول بشأنها ، ولا بد أن نتكلم بصراحة فى جميع الموضوعات ..

اننا مستعدون أن نسمع هنا أى كلام ، عن أى شىء ، وأى شخص بكل صراحة وبكل وضوح دون أن نجامل أحدا ، لانى اعتبر أن المجاملة تهدم ..

ومن الممكن أن نختلف هنا فى الاراء ووجهات النظر الى أى مدى ، فنحن نريد أن يتكلم كل شخص وأن يبدى رأيه .

يهمنا أن نتعرف على الوسائل العلمية الايجابية ، التى تمكننا من أن ندفع بالاتحاد الاشتراكى ، بحيث يكون فعلا تنظيما يوصل بين القيادة والجماهير ويؤمن بالثورة وأهدافها ، وأن يكون مستعدا للكفاح والنضال ، من أجل تحقيق الاهداف التى أعلنتها الثورة .

لذلك يجب أن نحدد رسالة الاتحاد الاشتراكى ، وأن نحدد واجبه تحديدا واضحا .. حتى يؤدى مهمته الاساسـية وهى : العمل الجماهيرى ، والعمل السياسى . وذلك هو الذى يجعلنا نقول بأن الاتحاد الاشتراكى يشمل البلد كلها .

كنا نعتمد فى الاثنتى عشرة سنة الماضية فى العمل الاشتراكى والعمل الوطنى على الجهد الادارى .. وكان اعتمادنا على العمل الشعبى محدودا .. وقد وصلنا فى المرحلة التى نمر بها الآن ، الى مرحلة التحدى بين القوى الاشتراكية والقوى المضادة للاشتراكية ، وسوف تنشأ فى هذه المرحلة معارك .. فالقوى المضادة للاشتراكية تريد أن توقفنا عند الحد الذى وصلنا اليه ، وهى تعمل باستمرار لتصل الى هدفها ولذلك فهى تتسرب بين تنظيمات الفلاحين وقوى الشعب العاملة الاخرى .

ولهذا نريد أن نضع سياسة تنظيمية جديدة ، يكون أهم شىء فيها هو العمل ولا نريد أن نعمل بطريقة الوزارات والادارات .. نريد أن نعمل بطريقة التنظيمات السياسية نريد أن نغير الوضع ونبتعد عن الاهتمام بعملية الكلام بقدر الامكان حيث أن الناس ملوا من كثرة الكلام دون نتيجة .. نريد النتائج .. ويريد الناس أن يعرفوا ماذا تم من عمل .. !

اننا نعتبر ثورتنا ثورة فريدة فى نوعها ، اذ اننا حاولنا فى بدايتها ان نجمع « نلم » كل الناس من اجل تصفية الاحزاب الاخرى التى كانت موجودة .. وقد نجحنا فى هذا بالنسبة لهيئة التحرير والاتحاد القومى لتحقيق اهداف محدودة .

اما بالنسبة للاتحاد الاشتراكى فان أهدافنا تعتبر بالنسبة له اهدافا واسعة وعميقة لتحقيق المجتمع الاشتراكى الذى نتطلع اليه ..

ولا بد أن يكون مفهوما لنا جميعا أن الاشتراكية ليست مطالب فقط كما قد يفهمها بعض الناس انها مجرد توزيع للاراضى ومنح علاوات وما الى ذلك .. بل ان الاشتراكية أداء اكثر منها مطالب ..

فمن يريد ان يبنى بلده يجب أن يضحى وان يتبنى هذه المبـــادىء عن ايمان ونحن نريد اناسا يؤمنون بهذه المبادىء ، ويتبنونها ، ويحاربون فى سبيلهـــا ويضحون بجهدهم ووقتهم ويعملون ليلا ونهارا فى سبيلها ..

ان العملية ليست مرسومة فى تفكيرى ، فانه من مناقشاتنا سوف نصل الى الخطوات التى نسير فيها لانه كما قيل هنا قد يكون هناك غموض .. ومناقشاتنا سوف تزيل ما قد يبدو غامضا .. وليس فى ذهنى رسم معين للعملية وما هو فى ذهنى أن ننطلق جماهيريا هذا هو الاساس .. فما هو الاسلوب .

لكننى اتصور ان امامنا عمليتين :

عملية التفسير وتنشيط الاتحاد الاشتراكى القائم فعلا .
والعملية الاخرى هى عملية التنظيم السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى .
وسوف نستفيد من عملية التنشيط فى المدى البعيد .

اما عملية استكشاف الناس فى الاتحاد الاشتراكى القائم فعلا فهى عمليـة ليست سهلة .

ان هدفنا ذو شقين : الشق الاول هو أن نحيى الاتحاد الاشتراكى الموجود ، وان نخلق اتصالات كاملة مستمرة ذات اتجاهين : اتصال من القيادة الى القاعدة واتصال من القاعدة الى القيادة .

اما الشق الثانى فهو عملية اختيار الناس الذين يعملون فى التنظيم السياسى الحركيين ، القياديين ، الذين نعتمد عليهم اعتمادا كاملا فى الدعوة والفكر وكل مهام الاتحاد الاشتراكى ويتم ذلك بطريقة غير روتينية .

يجب اذن أن نعمل .. وبسرعة .. ولا يجب ان يكون عملنا مكتبيا فلو عملنا عملا مكتبيا فسنكون وكاننا لم نفعل شيئا ..

اننا نريد ان نتحرك ، فنحن فى حاجة الى أن نتحرك ، ولا بد ان نتحرك .

التنظيم العام

حتمية قيام الاتحاد الاشتراكى :

فى مراحل التفكير الاولى لاقامة تنظيم سياسى برزت لبعض الوقت فكرة قيام التنظيم فى حيز ضيق .. وكنت قد تكلمت عن هذا فى مؤتمر القوى الشعبية للاتحاد الاشتراكى .. ولكن وجدنا استحالة تنفيذ هذا الرأى لاننا كنا سنخلق المعارضة قبل ان يقوم التنظيم نفسه .

فعندما قلنا اننا سوف نكون الاتحاد الاشتراكى من ٥٠ الف عضو فقط تبينا انه عند التطبيق فسوف نبتعد كثيرا عن الناس .. وبذلك ستوجد المعارضة قبل ان يوجد الاتحاد الاشتراكى .

فمثلا ، كانت مدينة بور سعيد كلها تريد الانضمام الى الاتحاد الاشتراكى فاذا قلنا اننا سنختار الفا او الفين منها فقط .. فاين يذهب الباقون ؟.. انهم كانوا سيسقطون بسهولة فى ايدى القوى المضادة للاشتراكية .

وكانت الرجعية ستجد الفرصة حينئذ لتؤثر على الجماهير واجتذاب هذا الجزء الكبير نحوها .

وحينما تأخر تشكيل الجهاز السياسى لبعض الوقت ، وتركنا التنظيم للرجعية استطاعت بالفعل ان تستميل بعض الناس الى جانبها ، حينما زعمت مثلا اننا بصدد تصفية الطبقة المتوسطة .

واننى اخشى على الملايين الستة من الرجعية ، التى بدات تضاعف من نشاطها بعد اطلاق الحريات امامها والغاء الاحكام العرفية .. لان الوضع الطبيعى فى مثل هذه الظروف ان تنشط الرجعية عن ذى قبل ..

فاذا لم ننشط اكثر من الرجعية بحيث نكون على اتصال دائم بهذه الملايين الستة فان الرجعية تستطيع ان تنجح فى اهدافها ..

فيجب ان يكون تنظيمنا قائما على الاتصال بجميع قواعد الاتحـــاد الاشتراكى لاعطائها وجهة نظرنا ، وفكرنا ونتلقى منها وجهة نظرها ، وفكرها ، ونضع مشاكلهـــا امامنا نحل منها ما يمكن حله ونوضح لها الموقف بالنسبة للمشـــاكل التى تستعصى على الحل ..

وفى نفس الوقت يجب ان نقوم بعملية التوعية الاشتراكية ..

فالاتحاد الاشتراكى اذا يشمل العمل الجماهيرى والعمل السياسى ..

وتجربة اقامة التنظيم السياسى بحيث تجد فيه جماهير الشعب المستفيـــدة من التغيير الثورى ، مجالا لنشاطها ، هى تجربة لها امثلة فى البلاد الاخرى ..

فمثلا فى الاتحاد السوفييتى يبلغ عدد السكان ٢٠٠ مليون نسمة ، والذين قاموا بالثورة وهم اعضـــاء الحـــزب كانوا يبلغون عام ١٩١٧ عشرة آلاف شخص ولكنهم اعتمدوا على العمال والجنود والفلاحين كذلك فيما بعد ..

ولو أن الحزب اعتمد على العشرة آلاف شخص وحدهم لما نجحت الثورة ....

تقييم التجربة :

قام الاتحاد الاشتراكى ليكون التنظيم الذى يوصل بين القيادة والجماهير ويؤمن بالثورة واهدافها ، ويكون على استعداد للكفـــاح والنضال من اجل تحقيق الاهداف الاشتراكية التى أعلنتها الثورة .

ولكن هل استطاع الاتحاد الاشتراكى أن يؤدى رسالته ؟

الحقيقة هى اننـــا نشكو حتى الآن ، كذلك البلد كلها تشـــكو ، لان الاتحاد الاشتراكى لم يعمل شيئا .

ونحن فى الحقيقة واجهتنا مشكلة ... وهى ان الثورة لم تقم على تنظيم شعبى ولكنها قامت على عدد قليل من ضباط الجيش ... وكانت البلد مهياة بالفعل للثورة وانا اعتبر ان هيئة التحرير نجحت فى عملها ، لانها تصدت للاحزاب القديمة .. واستطاعت أن تسير الى حد كبير ، وأن تحقق الاهداف المطلوبة منها .

وقد نجحنا بالنسبة لهيئـــة التحرير ، والاتحـــاد القومى ، فى تحقيق اهداف محدودة .

ولكن واجهتنا بعد ذلك مشكلة ، حينما وصلنا الى مرحلة « كلنا هيئة التحرير » ومعنى هذا أن الناس كلهـــا دخلت هيئة التحرير ، بينما لم تكن توجد العنـــاصر

القيادية التى تعمل وتوجه بعد ... ان عملية « كلنا هيئة التحرير » تعطى العملية نوعا من السلبية .

وبالنسبة للاتحاد الاشتراكى ، فان اهدافنا ليست محدودة ، حيث تعتبر اهدافنا بالنسبة له اهدافا واسعة وعميقة .

والمفروض ان تكون المنظمة من عدد او مجموعة صغيرة على اسس معينـــة وتقوم هذه المجموعة بنشر الدعوة ... ثم ينضم اليها اناس آخرون ـ وتكبر المجموعة .. وهكذا ولكننا سرنا على عكس ذلك ..

ان اصعب عملية هى تنظيم الناس ... والتنظيم معنـــاه اننا ننظم الجماهير ونعيش معها ، ونتكلم معها ، ونتفاعل معها ، حتى تتفاعل معنا .. وبدون التنظيم فلن نستفيد الفائدة الكاملة .

ويجب اذن الا نلقى العيب على الناس ، بينما نحن الذين تركناهم وتركنا لجـان الاتحاد الاشتراكى لمدة سنة ونصف ، ولم نحدد للجان العشرين العمل الموكول اليها .

ولو اجرينا انتخابات أخرى بعد ستة أشهر مثلا ، فسوف تكون العملية بالنسبة للاتحاد الاشتراكى هى مجرد عملية شكليات ، ويكون الاتحاد الاشتراكى عبارة عن هرم مرسوم على الورق ...

فاذا لم نجمـــع القوى الاشتراكية ، فلن توجد اية فاعلية سياسية للاتحـــاد الاشتراكى ، وطالما انه لا يوجد بين القيادة والقاعدة ، وطالما لم نحدد للجان الاتحاد العمل الذى تقوم به ، فاى شىء ننتظر من هذه اللجان أن تبحثه ؟ ...

نحن اذن مسئولون عن هذا ، انهم لا يعملون شيئا ...

ولو فرض مثلا وجئنا بشخص يعيش فى مجاهل افريقيا .. وطلبنا اليه ان يتكلم عن الكهرباء فهل يستطيع ذلك ؟ كيف يتكلم عنها وهو لم ير الكهرباء طوال حياته ؟

والملاحظة حتى اليوم ان هناك انعزالا بين القيادة وبين الناس . والذى اريد ان اقوله هنا ، أن تنظيم الاتحـــاد الاشـــتراكى حتى الآن ، هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الاساسية التى عقدت لذلك حينما عقدت المؤتمرات كان يقـول فيها كل شخص اى شىء مهما كان .

وفى رايى ان ما يحدث فى المؤتمرات وغيرها اليوم ، هو نتيجة وجود جميع العناصر الاشتراكية ليست منظمة فان العناصر المعادية للاشتراكية منظمة .

فيجب ان ننظم العناصر الاشتراكية حتى يكون هناك صمام الامان داخل الاتحاد

الاشـــتراكى ، وهو التنظيم الملتزم ... اما الآن فلا يوجـــد فى الاتحاد الاشتراكى تنظيم ملتزم .

يضاف الى ذلك ، اننا نقاسى من محاولة هدم الناس بعضها البعض فكل شخص يلقى اللوم على الآخر ... والحقيقة أنه توجد نغمة يحاول فيها كل انسان ان يزعم انه ملاك طاهر ، وأن الآخـــر مخطىء وانه هو الذى لا يخطىء ... وهـــذا نوع من الانانية فى المناخ الموجود ...

وطبيعى اننا مسئولون عن معالجة هذه الامور فى الامانة العامة ... فانا لا اعتبر أن الدنيا « متوقفة » نتيجة لما يظهر من نقد أو ما يطرأ من بعض المشاكل العارضة فالدنيا بخير ، ونحن اذا استطعنا تنظيم أنفسنا يكون من السهل علينا عمل أى شىء ... ولقد تم بالفعل عمل الكثير الذى يشبه المعجزات .

خطة عمل لتنشيط الاتحاد الاشتراكي :

يجب ان يكون هدفنا هو تنشيط الاتحاد الاشتراكى .. واقامة التنظيم السياسى والا فكما أعتقد أن الاتحاد الاشتراكى سوف ينهار ...

وفى رأيى ان الذين قد يقولون « لا فائدة » اناس مغالطون .. اننا اليوم نبـــدأ من نقطة البداية ...

نبدأ بالتنظيم ... وطالما انه لا يوجد تنظيم فان الناس لا يشعرون بان الاتحاد الاشتراكى قائم وفعال ويعمل من اجلهم .

وفى الوقت نفسه فاننى لا أريد أن نبدأ بعملية سلبية ..

بل يجب أن ننطلق من ناحية الانجاز ، وكذلك لابد ان ننظر الى مشاكل الناس ونحاول حلهـــا ...

وان كنا نريد هنا فى الامانة أن نؤجل الحديث عن المشاكل حتى نضـــع قوائم التنظيم لان المشاكل كثيرة ، وبدون التنظيم فلن نستطيع هنا فى الامانة حلها وطبيعى اننا لا نستطيع ان نترك هذه المشاكل او نهملهـــا دون حل ، انما نحـــاول فى الوقت الحاضر وحتى يقوم التنظيم ان نحلها عن طريق مجلس الامة والاجهزة المختلفـــة ولا نقحم الامانة العامة اليوم فى المشاكل قبل أن نوجد التنظيم .

فالتنظيم هو الذى يجعل القيادة متصلة بمشاكل الناس لتحلها .. والمشاكل لن تنتهى وهى ليست موجودة فى مجتمعنا فقط ، بل هى موجودة فى جميع أنحاء الدنيا وفى كل البلاد المتقدمة كما نقرأ فى الصحف الاجنبية .. وفى الوقت الذى

كنا نناقش هنا فى مجلس الامة مشكلة تطوير التعليم الجامعى مثلا ، كانت صحف انجلترا مثلا تتحدث عن مشاكل كثيرة فى التعليم بانجلترا .. ولا شك أن التنظيم هو الذى يجعلنا قادرين على التعرف على مشاكل الناس لنحلها أو نرد عليها بالصراحة والوضوح والاقناع ..

فنحن لا نستطيع أن نحل مشاكل لا نعرفها ، أو نكون بعيدين عنها .. ان ما قلته فى مجلس الامة يوم ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٤ مثلا ، لم يكن نتيجة وجود جهاز منظم يعرض مشاكل المجتمع لكن ذلك تم نتيجة لاتصالى بالناس عن طريق الرسائل التى أتلقاها .. وما من شك أن عرض هذه المشاكل عن طريق جهاز امين نابع من الاتحاد الاشتراكى يكون أفضل بكثير .

هل الاتحاد الاشتراكى ، قدم لى أو حدد لى شيئا لكى أتحدث فيه ؟ هل ساهم الاتحاد الاشتراكى فى تلمس مشاكل الشعب وقدم لى نقطا لكى أتكلم عنها ، عندما عرف الاتحاد الاشتراكى ولجانه وتنظيماته أننى سأتحدث الى المواطنين عن السياسة العامة فى جلسة مجلس الامة يوم ١٢ نوفمبر ؟.. هل قدم لى أعضاء مجلس الامة ـ والمجلس ينبثق من الاتحاد الاشتراكى موضوعات لكى أتناولها فى حديثى ؟ لم يحدث .

فيجب ان نصل الى وضع المشاكل تحت نظر قيادة الاتحاد الاشتراكى حتى يمكن دراستها وحلها وحتى تتم التوعية السليمة تجاه المشاكل التى لا يمكن حلها .

الأمانة العامة والأمانات الفرعية :

اعتقد أن وجود الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى قد ملأ جزء من الفراغ .. فعندما تجتمع الامانة العامة كل يوم أو اثنين فى الوقت الحاضر فستكون هناك الفرصة لمقابلة الناس لنفتح لهم قلوبنا ـ ونتعرف على أمورهم وآرائهم ومشاكلهم .. وهذا أمر أعتبره من الواجبات التى يجب أن تقوم بها مكاتب الاتحاد الاشتراكى .. والامانة العامة هى التى تعمل و « تشغل » الاتحاد الاشتراكى وتخلق الحيوية والحركة فيه ..

ان اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى ترسم السياسة ، ولكن العمل الفعلى الحقيقى هو من عمل الامانة العامة .

ليس هناك ما يمنع من ضم بعض الاعضاء الآخرين الى الامانة العامة بحيث نستطيع ان نمثل جميع النواحى والقطاعات فى الامانة العامة .

وهذا التمثيل الكامل سيساعد على ان يكون هناك اتصال بكل فئات المجتمع ..

ولما كان الاتحاد الاشتراكي هو منظمة للمجالس الشعبية ولكل المنظمات فانه اذا فقدت هذه المنظمة اتصالها بالشعب ومختلف فئات الجماهير فانه ينتهى كل شىء بالنسبة لها ..

هنا لابد ان نتساءل : ماهو التنظيم السياسى ؟

اعتقد انه اتضح لنا جميعا الآن أن التنظيم السياسى هو الجهاز الذى يخلق اتصالا مستمرا واميناً بين القاعدة والقيادة ، بحيث تحس القيادة بطلبات القاعدة وبحيث تحس القاعدة باتجاهات القيادة وفكرها ..

ولقد كان السبب فى الفراغ السابق أنه لم تكن توجد أمانة عامة ((متفرغة)) تمثل ((الطلمبة)) الماصة الكابسة التى تعطى وتأخذ من الوحدات .. ومن ناحية أخرى فنحن لا نستطيع أن نحقق أى نجاح فى الاتحاد الاشتراكى على اساس أن نجتمع هنا ونكتفى بأن نقول ((قررنا كذا وكذا))

ان كل شخص فى الاتحاد الاشتراكى يريد ان يعمل ، وان نشعر به وهو يعمل مع الجماهير ومن مواقعها ..

فلا بد لذن أن يكون هناك اتصال بين الوحدات الاساسية والامانة العامة وهذا يحقق لنا الكثير مما نرجوه ..

نستطيع مثلا أن ننظم وصول التقارير الى القاعدة باستمرار ووصول التقارير الى القيادة دائما ..

يمكن مثلا أن تكون هناك مبرقات ((اجهزة تيكرز)) فى الاتحاد الاشتراكى وفى كل محافظة كما هو الحال فى وكالات الانباء وفى الاحزاب الامريكية ، حيث تصل التقارير بسرعة الى الجهاز المركزى ..

ولقد كان الرأى فى اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى أثناء دراسة فعالية التنظيم بين المحافظات والمركز الرئيسى ، على اساس أنه لا بد ان ترسل تقارير يومية من المحافظات الى المركز الرئيسى ، ومن المركز الرئيسى الى المحافظات وأن تكون هناك اجهزة ((تيكرز)) متصلة بالمحافظات لاقامة هذا الربط المستمر ..

والذى أتصوره بالنسبة للامانات الفرعية بعد ان شكلت الامانة العامة ان يكون فى محافظة القاهرة أمانة للعمل مثـــلا وكذلك محافظة الاسكندرية ، والغربية ، وبور سعيد وهكذا ..

وستكون علاقة الامانة العامة بامانات العمال عن طريق امانة العمال لان الامانة

العامة لا تستطيع أن يكون عملها المباشر بكل الامانات الفرعية فى المحافظات للعمال والفلاحين والشباب وهكذا ، ويتم ذلك عن طريق الامانة الفرعية الرئيسية لكل فئة ..

وفى رأيى أن يكون فى المحافظات والمراكز والاقسام نفس التقسيمات الموجودة فى الامانة العامة ، أى أن تكون هناك امانات فرعية لاوجه النشاط المختلفة .

ويجب ان نساعد هؤلاء الذين سيعملون فى المحافظات ونمدهم بكل الامكانيات للعمل المثمر ، لاننا لا نستطيع ونحن هنا أن نعمل بالنسبة لكل عمال الجمهورية مثلا ..

وفى نفس الوقت فان الشخص الذى يكون مسئولا عن العمال فى محافظة كمحافظة القليوبية مثلا ، يعطى أمانة العمال البيانات عن شئون العمال واحوالهم وأفكارهم بالنسبة لمحافظته كما يعطى امين المحافظة للاتحاد الاشتراكى الذى يمثل التنظيم ككل ، لان أمين المحافظة يجب ان يلم بكل نشاط المحافظة وأمورها .

بهذا تسير العملية فى الناحية الاقليمية وفى الناحية العامة فى وقت واحد .. وما يتم بالنسبة للعمال مثلا يتم كذلك بالنسبة للشباب والفلاحين وهكذا ..

والموضوع الآخر ـ الذى احب ان أعرض له هنا هو العمل ـ وكيفية ممارسة العمل وايجاد مكاتب للعمل ومقار هذه المكاتب حتى يحضر الناس اليها فى اى وقت يشاءون .

يجب أن تكون هذه المكاتب مفتوحة ليلا ونهارا بصفة مستمرة ، وهذه المكاتب تقوم الى جانب وجود الاماكن الاخرى مثل النوادى وغيرها حتى يجتمع الناس ويتحدثون عن أمورهم المحلية ويتناقشون فى امور بلادهم .

ونريد كذلك ان نحدد اختصاصات كل مكتب ، وان يتم اختيار الاشخاص الذين سيعملون بها حتى يبدأ العمل فورا بحيث يقوم المسئولون عن قطاع العمل مثلا بتحديد المسئولين عن قطاع العمال فى المحافظات ، ثم تحديد المسئولين فى المراكز والاقسام حتى نصل الى الوحدات الجماهيرية أى يجب ان يوجد تسلسل فى خطة العمل والمفروض فى كل مسئول عن قطاع أن يعمل بين الجماهير .

وعلى كل أمانة فرعية ان تضع لها برنامجا وتقوم بعملية الاستكشاف ولا تعمل فى المكاتب حيث لا ينقصنا الجلوس فى المكاتب ، ونريد عملا من خلال الجماهير ويجب ان تعمل الامانات الفرعية مع بعضها بحيث تتكلم لغة واحدة فى تناسق وبحيث توجد وحدة فكرية ولا تختلف على التعاريف .

ولا بد ان يجتمع اعضاء الامانة العامة معا ويتم الاتصال بينهم ، حتى ولو كان ذلك في مقابلات خاصة ، لانه لو عمل كل مكتب في الامانات منفصلا عن المكاتب الاخرى فسوف تكون العملية غير سليمة .

ان الوحدة الفكرية ضرورية .. وهكذا يستدعى انشاء معهد اشتراكى ، وان تقوم بتفسير النقاط التى يتساءل الناس عنها .. فالطلبة في معسكراتهم مثلا كانوا يتساءلون عن معنى الاشتراكية العملية لان البعض يقول انها الماركسية والبعض الآخر يقول انها هى الشيوعية .

ويمكن ايجاد مكتب يكون مسئولا عن الدعوة بالاضافة الى المكتب المسئول عن المعهد الاشتراكى بحيث لا يخرج أى شخص بدون دراسة ولا يصدر كلام لا يفهمه الناس ـ وفى رايى ان يكون بامانة البحوث كل المراجع المطلوبة ويكون لديها جميع الوثائق .. فمثلا لو طلب عمل بحث في موضوع معين مثل موضوع النقابات فسوف نقدم هذه الامانة دراسات مقارنة عما هو في الاتحاد السوفييتى مثلا ويوغوسلافيا وغيرهما .

وهذه البحوث ليس من الضرورى أن تنشر وانما تكون بحوثا ودراسات مقارنة .. وبهذا فان عمل أمانة البحوث مختلف عن عمل أمانة الدعوة .. وانا اعتبر ان العملية خطيرة جدا بالنسبة للمعهد الاشتراكى وبالنسبة للدعوة ، ولذلك يجب أن نسير فيها خطوة خطوة .

اننا نستطيع ان نخصص اوقاتا في التليفزيون مثلا لتذاع ندوة كل حوالى اسبوعين تتكلمون فيها مع الناس وتشرحون لهم .. ويمكن في الصحافة نشر موضوعات بهذا الشكل .. وفى رايى ان الذين يكتبون في الاشتراكية اليوم يعقدون الموضوع ولا بد أن نبسط الامور للناس .

وبالنسبة لتشكيل الامانات الفرعية فنحن نعمل على اساس شعبى .. ولذلك فان العمل الواجب بالنسبة للامانات الفرعية والذين يعملون فيها ، هو العمل القيادى بين الجماهير .. وانا اتصور ان لجنة الامانة الفرعية قد يصل عدد اعضائها الى عشرة ويجب ان نكون مرنين في هذا الموضوع .. وبعد ذلك يمكن ان نقسم كل امانة فرعية الى مكاتب فرعية بكل منها عدد وليكن عشرة ايضا ..

اننى أرى أنه كلما زاد العدد كلما كان ذلك افضل ، لان هذا معناه اننا ندعم قاعدة العمل في الاتحاد الاشتراكى .

اننا نسير ونستكشف ، وفى سيرنا لا مانع من التغيير اذا اقتضى الامر ذلك .. فمثلا بالنسبة لتنظيمات القاهرة سيكون التنظيم على مستوى الاقسام . فاذا لم نتمكن من عمل التقسيم على مستوى الاقسام فيمكن أن يتم على مستوى المناطق ، وتكون عندنا لجنة للمنطقة وكذلك الحال بالنسبة للاسكندرية .. وقد يكون للقاهرة اربع أو خمس لجان وتكون هناك لجنة لكل منطقة من هذه المناطق .

وما يتم فى القاهرة يجب أن يتم فى الاسكندرية فقد تكون هناك منطقة لشرق القاهرة ومنطقة لغرب القاهرة ومنطقة لشمال القاهرة ومنطقة لجنوب القاهرة الى آخره .. وبدلا من ان تكون هناك لجنة واحدة تكون هناك خمس لجان ، وبدلا من ان يكون فى لجنة القاهرة ثلاثون عضوا يصبح بها مائتان او ثلاثمائة عضو .. واعتقد أن هذه اللجان التى ستكون فى القاهرة سوف تساعد على تنشيط الاتحاد الاشتراكى لانه سيكون لكل خمسة اقسام مثلا لجنة .. وبذلك نجد أننا بدأنا نعمل فعلا ونتوسع .

ولكن يجب أن نعرف أولا ما هو العمل ؟

ان مسئوليتنا ان نجمع كل الناس فى جميع القطاعات .. فنحن عندما نعقد الآن مؤتمرا فاننا نجمع فيه الاشتراكيين مع العناصر المضادة للثورة وقد تكون العناصر المضادة للثورة على درجة من القوة على أساس ان البلد بطبيعتها محافظة ، والناس بطبيعتهم محافظون ، فعمليتنا الاساسية هى أن نجمع العناصر الاشتراكية .

ففى قطاع المهنيين مثلا .. نبدأ بعمل أمانة للمهنيين وبعد ذلك نبدأ بعشرة من المحامين وعشرة من المهندسين وعشرة من الاطباء .. وعن طريق هؤلاء نخلق الوعى ونكتل القوى الاشتراكية بالاضافة الى القوى السليمة التى ليست مضادة للثورة .

وهنا أريد أن اعبر عن اهمية اختيار الاسماء .. وهذا يستدعى ان اقول لكم تصورى للمؤتمر القومى العام ..

انني أتصور أن المؤتمر سيضم اعضاء الامانة العامة وأعضاء المكاتب الفرعية والامانات الفرعية وتصورى للمؤتمر اجمالا أنه سيضم أيضا لجان المحافظات وجميع اعضاء مجلس الامة ويمكن ان نضم للمؤتمر أيضا عضوا من كل لجنة او قسم أو مركز .. بالاضافة الى اللجنة التنفيذية العليا والوزراء .. والمحافظين .. على اساس انهم الجهاز التنفيذى .

هذا هو الشكل الذى أتصوره اليوم اذا اردنا أن نعقد مؤتمرا قوميا عاما للاتحاد الاشتراكى العربى .. وهذا يستدعى أن يكون اختيارنا للاسماء اختيار

دقيق جدا لان الشخص الذى سنختاره سيسير فى العمل السياسى ويكون عضوا فى أكبر تنظيم سياسى .

وفى بحثنا لموضوع العناصر التى ستحمل هذه المسئولية ، ناقشنا فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا موضوع اعادة النظر بالنسبة للامناء فى المحافظات وانهم لا بد أن يكونوا متفرغين ويمكن أن يحصلوا على مرتبات تساوى مرتبات المحافظين على أساس أن يكونوا حركيين ومتفرغين ومقيمين فى محافظاتهم وان تعتبر العملية كانها وظيفة على مستوى المحافظة .

اما بالنسبة لاعضاء مجلس الامة واختيار بعضهم كأمناء للاتحاد الاشتراكى فى المحافظات فان عضو مجلس الامة مشغول بعمل المجلس حيث يمكث ثلاثة أو اربعة أيام فى القاهرة للعمل بالمجلس .. فاختيار عضو مجلس الامة لهذا العمل عملية صعبة .

وبعد أن يتم هذا فى المحافظات نبحث الموضوع على مستوى المراكز والاقسام .

وهذا لا يمنع بعد مدة أن نعيد تنظيم انفسنا .. اى يجب ان نكون فى عملنا فى منتهى المرونة بحيث لو سرنا فى التنظيم ووجدنا ما يستدعى اعادة تنظيم انفسنا فسوف نغير التنظيم اى اننا لا نضع تنظيما جامدا او خالدا ..

وبوجه عام فلا مانع من عملية التنظيم ، من ان نستفيد بالتنظيمات التى نجحت فى البلاد الاخرى .

رقابة ومتابعة :

لا بد أن يفهم الناس أن هناك رقابة وان من ينحرف سيفصل .. لنفرض أن هناك أناسا انحرفوا فى الاتحـــاد الاشتراكى ، فهل نتركهم ؟.. ان كل الذين يتاجرون فى السوق السوداء مثلا ، أعضاء فى الاتحاد الاشتراكى ، فهل اتخذ اجراء بفصل هؤلاء الناس من الاتحاد الاشتراكى ؟.. لذلك يجب أن نقول أن هناك رقابة ويمكن أن تجرى تحقيقات بواسطة مكتب الرقابة والمكتب له اختصاصان : الرقابة على كل الاتحاد الاشتراكى باجهزته ، بحيث يبلغ عن أى انحراف أو خروج عن رسالة الاتحاد الاشتراكى ، سواء بالنسبة للافراد أو المنظمات الفرعية .. وفى تصورى انه يوجد مكتب للرقابة بالقاهرة وكذلك بالاسكندرية وفى المحافظات ويكون هناك اتصال بين هذه المكاتب . والاختصاص الثانى بالنسبة للمحافظات حتى نعيد النظر للاستغناء عن العناصر الغير نشطة ، وانا اتصور ان تكون هناك لجنة خاصة لاعادة النظر فى لجان المحافظات ولا مانع من استبعاد السلبيين والذين لا يلتزمون .

وعملنا هو تكوين وايجاد لجان سليمة للاتحاد الاشتراكى على مستوى البلد كلها .. ولو وجدنا امينا غير صالح نستبعده ونأتى بغيره .. ولو وجدنا لجنة غير صالحة نعيد تشكيلها ويكون ذلك على مستوى المحافظات والاقسام والوحدات الاساسية واذا وجدنا بعض الناس الصالحين نضمهم الى اللجـان فورا على اى مستوى من المستويات المذكورة .

مجال عمل الاتحاد الاشتراكى :

يجب ان نحدد للجماهير عمل الاتحاد الاشتراكى ، فاننا اذا حددنا مجالات هذا العمل فان الامور تصبح امامهم سهلة وواضحة .. لا بد ان نقول لهم ما هى السياسة فى الوضـع الجديد وفى المرحلة التى نمر بهـا .. مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية نقول لهم مفهوم السياسة الآن ومفهومها قبل ذلك .

ونحن اذا حددنا للناس موضوعات معينة للتباحث فيها غير الموضوعات اليومية مثل قصر التكلم على مؤتمر عدم الانحياز او مؤتمر القمة الافريقى فسوف نقضى على اللجان بالتجمد .

اذن يجب ان نهتم بالناحية الشخصية لرفع الظلم عن الناس .. فاذا لم نبحث عن كل هذه الامور فسيكون كل ما نقوله « كلام فى الهواء » .

فواجبنا اذن ان نحدد رسالة الاتحاد الاشـتراكى بالتفصيل .. هل له ان يبحث المشاكل ام لا ؟.. واى شىء تبحثه اللجان ؟ لقد قرات مقالا عن الصين والتنظيم الصينى جاء فيه انه توجد لجنة شارع وقد اجتمعت هذه اللجنة وقررت طرد بعض الاشخاص من الشارع لفساد اخلاقهم ويعلن الكاتب ان الناحية الاخلاقية فى الصين تسير على ما يرام .. وقد يعتقد بعض الناس ان الاشتراكية لا تؤثر فى الناحية الاخلاقية .

ولا مانع من قيـام الاتحاد الاشتراكى بالبحث فى مثل هذه الامور الاخلاقيـة واللجنة عليها مسئولية دراسة ما يصلها من حالات وقد يتضح من الدراسة انها عملية تشهير او انها عملية حقيقية .

يوجد العشرات فى الشركات والمؤسسـات مثـلا سلوكهم غير اشتراكى ؟ فهل يقوم الاتحاد الاشتراكى بعملية الرقابة ؟

وهناك نقطة يجب الا تغيب عن اذهاننا .. فقد تظهر اشاعات .. وواجبنا ان نقوم باستمرار باصدار تفسيرات وتعليمات وبيـــانات للوحدات الاساسية عن كل شيء .

فاذا اتصلنا بالناس يوميا وأعطيناهم التفسيرات فسوف نسد الطريق امام مروجى الاشاعات فالمطلوب أن نتصل بقواعد الاتحاد الاشتراكى باستمرار ونرد على استفساراتهم ، فاذا تم هذا الاتصال بيننا وبين القواعد فلن تستطيع اية دعاية أن تنجح لانه يمكن ان يكون لدينا باستمرار التفسير الصحيح .

واذا كنا نريد للاتحاد الاشتراكى قيمة رهيبة فيجب أن يتم الاتصال بقواعد الاتحاد الاشتراكى .

فاذا كان هناك اتصال بحيث تعرض الخطة فى المحافظات وتناقش ليعرف كل شخص فى المحافظة عدد المدارس التى ستنشا فان احدا لن يطلب انشاء مدرسة غير مدرجة فى الخطة لان المدرسة التى يطالب بانشائها سياتى دورها فى وقت معين ..

وبالنسبة للاجور مثلا يجب أن تكون الخطة معروفة للمنظمات بحيث يكون معلوما اننا سنعطى أجورا قيمتها كذا ولن نزيدها لان امامنا عملية تشغيل عمـــال عاطلين ويكفى اننا أوجدنا لهم عملا ولا نستطيع لهذا ان نرفع الاجور .. اى انه يجب أن نوضح كل العمليات للناس ، وهذا يحل المشاكل العديدة .

نحن نعمل لمصلحة العمال والفلاحين ولكن العمال والفلاحين فى حاجة الى ان يفهموا أن مصلحتهم فى « كذا وكذا » وان هذا هو النظام البديل لتحالف الاقطاع مع الرأسمالية ..

ولكن ليس من الضرورى ان يتدخل الاتحاد الاشتراكى مثـلا لرفع الجزاءات عن العمال لان هناك عمالا يستحقون فعلا هذه الجزاءات ، ولهم تاثير سيىء على الانتـــاج .

كذلك يستطيع الاتحاد الاشتراكى ان يقول لنا ان ناحية معينة فيها تعطل وان قصورا أو خللا فى هذا القطاع أو ذاك اى بين اللوائح التى تؤخر والتى تعقد والتى تسبب المشاكل لكى نستطيع تغييرها .

يجب علينا اذن أن نعمل ، ولو نخطىء ، ولكن علينا الآن ان نوعى الناس وأن يشعروا انه يوجد عمل ونشاط .

وعمل الاتحاد الاشتراكى وارد فى الميثاق ومفروض ان ننفذ الجزء الموجود فى الميثاق ..

القيـــادات والـــــكوادر

حتمية ايجاد القيادات على كافة المستويات :

اذا بدانا اعمالنا بالاهتمام أولا بتنظيم ستة ملايين شخص فانها ستكون عملية مستحيلة ونحن يهمنا أن ننظم أولا القيادات والكادرات .. والعملية التنظيمية مبنية على القطاعات المختلفة .

ان العملية لابد أن تنجح ، لانه لا يمكن ان نقوم كل يوم بتجارب جديدة ونحكم عليها بالفشل ولذلك فالعملية فى حاجة الى دفعة قوية لتنجح ولكن لابد من وجود خطة عمل ..

وامامنا ثلاثة امور لا بد من تحقيقها :

اولا : العمل الاشتراكى .

ثانيا : يجب أن يشعر الناس أن مصلحتهم فى التحول الاشتراكى ، ويجب أن تقتنع القوى العاملة بأن هذا التحول الاجتماعى كان فى مصلحتهم دائما .

ثالثا : يجب أن يكون هناك وعى اشتراكى .. وحتى يكون هناك وعى اشتراكى يجب أن توجد قيادات اشتراكية ، تسلك سلوكا اشتراكيا ، وتناضل من اجل التوعية الاشتراكية ، ومن اجل تثبيت الاشتراكية .

ان العمل السياسى هو ما نحتاج اليه فعلا ، حتى نتحرك ونسير فى طريقنا .. لان أى خطـا قد يحـدث ، سوف يستغل وتحاول القوى المعادية للاشتراكية أن تضخمه .

كذلك فان المجتمع المصرى بطبيعته مجتمع محافظ لا يتحمس قسم كبير منه فى بادىء الامر للتحول الاشتراكى ـ ومن تلقاء نفسه دون قيادة وتوعية .. فكيف يمكن العمل اذن بدون قيادات تؤمن بالعمل الاشتراكى وتقنع الناس أن التحول الاشتراكى فى مصلحتها ، وتناضل من اجل توعية الشعب بالاشتراكية ؟ خاصة وانه قد تكون هناك استجابة لما تقوله القوى المضادة للاشتراكية ..

فمثلا : عندما قمنا بتنفيذ تجربة التجميع الزراعى بمحافظة كفر الشيخ كانت القوى المضادة للاشتراكية تنشر بين الناس ان هذا ليس تجميعا زراعيا ولكنه تاميم للارض ، والفلاحون معذورون اذا صدقوا هذا لانه لم يحاول احد أن يوضح

للناس حقيقة الامر ويبين لهم فائدتهم من ذلك خاصة وانه كانت توجد دائما تناقضات بين الشعب وبين الحكومات المتعاقبة منذ قبل الثورة .

ولا ننسى ان هناك بقايا كثيرة لهذه التناقضات ، ولا يمكن أن نترك هذا التناقض دون ان نزيله عن طريق توعية الناس ، كذلك فقد علمت أن بعض العمال يتساءلون « لماذا ندخر بينما الحكومة ستاخذ هذه المدخرات قيل هذا من بعض العمال فى لجنة الاتحاد الاشتراكى بالقاهرة فما معنى هذا ؟ ان معناه ان العمال لا يفهمون الاوضاع ولا يدركون ان التغيير الذى حدث انما حدث لمصلحتهم .. وان اولاد الطبقات التى كانت غنية ومتحكمة فى ثروة البلد ، كانت لديهم وحدهم فى الماضى فرص التعليم والحياة والميسرة أما العمال وأولاد العمال فاين كانوا يذهبون ؟ .

لا بد أن يفهم العمال حقيقة الاوضاع ويدركوا أن هناك توسعا ، وتنمية وتصنيعا وان كل هذا لمصلحتهم ولمصلحة أولادهم .. وهذا لا يتاتى الا بالتوعية عن طريق القيادات الواعية المؤمنة وفى الحقيقة هذا هو الاساس الذى يجب أن نعمل عليه .

لا بد من تحريك الناس لنعرف النواحى الايجابية والنواحى السلبية .. والمفروض ان الكادر او القيادة هو الشخص الذى يقوم بهذا ويجب ان يكون هناك قياديون صالحون فى كل مكان يقومون بهذه العمليـة ويمنعون الانحرافات التى نواجهها .

لماذا يحدث اليوم مثلا فى مؤتمرات الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى ان تدور المناقشات ، ويقال كلام يعتبر خارجا عن الموضوع ؟ وليس هناك سبب واحد الا انه لا توجد هناك عناصر قيادية .. فتستطيع العناصر القيادية الواعية فى الوحدات الاساسية أن توجه هذه الوحدات وتوجه الجماهير .

ان الجماهير موجودة .. فمثلا عندما نسافر الى بور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر كل عام يستقبلنا الناس ، ونجتمع بهم ثم ينفض الاجتماع فى نهاية اليوم . فمن الذى يقوم بالدور القيادى للجماهير بعد هذا ؟ .. لا يوجد احد يقوم بهذا الدور القيادى .

خصائص العنصر القيادى :

كيف اذن ان نوجد الشخص القيادى فى كل وحدة اساسية ليستطيع توجيه الناس الوجهة الصحيحة ؟

لو كان هناك اتصال بين القيادة والوحدات الاساسية عن طريق القيادات ، العناصر القيادية فاننا نستطيع توجيه الجموع الشعبية الاتجاه السليم ، وفى نفس الوقت كنا نسمع لهم ، ونتعرف على أمورهم وناخذ منهم مشاكلهم وكذلك كنا نوجههم عن طريق هذه القيادات الاشتراكية .

لقد كنا دائما نلتقى بالكثيرين من العناصر غير الصالحة لان العنصر الانتهازى بطبيعته يدفع نفسه ليحاول الظهور والتسلق .. اما الاشخاص الصالحون فليس من السهل التعرف عليهم والاساس اذن ان نحدد « من هم الاشتراكيون ؟ » . لان ذلك يساعدنا على أن نعمل بسرعة ولا بد ان نعمل بسرعة حتى يقف الاتحاد الاشتراكى على قدميه ويؤدى دوره الايجابى المنظم .

واليوم لا بد من ايجاد الكادر السياسى ، دون ان ننتظر تنظيم العمل الجماهيرى حتى لا تكون العملية صعبة معقدة .

والمطلوب فى الشخص القيادى أن يكون مؤمنا بالاشتراكية ، مخلصا وان يكون حركيا . واذا كان الشخص قادرا على التنظيم ، وقياديا ، وواعيا ، فسوف يكون عصبيا .... ومن المصلحة بالطبع ان يكون العنصر القيادى ، جماهيريا ، وفاهما .... ونحن اذا نظرنا الى اى حزب فى دور التكوين ، نجد انه يلتقط العناصر التى تتوافر فيها هذه الصفات ، ثم تقوم هذه العناصر بقيادة العمل الجماهيرى .

وليس هناك اتصال قائم بالقاعدة اليوم .. فاذا ما طلبنا من الوحدات الاساسية ان تحدد لنا الشخصيات القيادية ، فما الذى يضمن هؤلاء ؟ بل اننا لا نعرف كثيرا من أعضاء لجان المحافظات .

اننى اعرف بعض العمال مثلا تحدثوا فى لجان الاتحاد الاشتراكى عن رفع الاجور وبعضهم طالب بمطالب خاصة .. الى آخر هذا الكلام . ولو ان هؤلاء جاءوا معنا هنا واستمعوا الى ما نقول عن الادخار وأثره على المصالح المباشرة التى تمس حياتهم والمصالح المستقبلة فسوف يقولون عن ايمان انهم لا يريدون لبنا ولن يطالبوا برفع الاجور .

واذن فالامر يحتاج الى شخص جماهيرى وقيادى يدرك حقائق الاحوال والامور يكون على صلة دائمة بهؤلاء ، ولا بد ان يكون العنصر القيادى « من فوق » على مستوى المسئولية القيادية حتى يقود هؤلاء الى الوجهة الصحيحة ويكون هو الكادر القيادى ..

ان شخصا أو شخصين يمكنهما توجيه آلاف الناس الوجهة التى يريدونها وهذا ما ينقصنا والحقيقة ان عدد الاشتراكيين قليل ، وكذلك فان عدد الحركيين قليل كما ان العدد الذى ، يهتم بالعمل العام قليل ايضا .. ولكنه من ناحية اخرى فان القيادة لا تحتاج فى الواقع الى اعداد كبيرة من الناس . فالقياديون فى اى تنظيم ليسوا بالعدد الكبير ، ولكن القياديين دائما يكونون عددا محدودا فى كل مجموعة .

وسائل اختيار القيادات الاشتراكية :

فكيف اذن نجمع القوى الاشتراكية وننظمها ؟ وما هى سبل تجميع العناصر الاشتراكية ووسائل استكشاف هذه العناصر القيادية ؟..

قد تكشف هذه العناصر عن طريق المعرفة الشخصية ، وعن طريق السماع، وعن طريق الاختيار .

والنقطة الصعبة هى فى كيفية اختيار الكادر السياسى وتحديد هذه العناصر لان هناك عشرات من الناس يصلحون ككادر قيادى ولكن كيف يتم الاختيار ؟.. ان لذلك وسيلتين :

الاولى : تتم على أساس المعرفة الشخصية لاشخاص يرشحون لهذا الكادر .
الثانية : هى ان يتم الاختيار على أساس العمل الجماهيرى والمعرفة اثناء ممارسة العمل نفسه .

وبالنسبة للوسيلة الاولى فان الاختيار سينتهى الى المعارف الشخصية مهما خلصت النيات والاساس فى الحقيقة هو وجود عناصر يمكن اختيارها اثناء العمل .. ولكن الاختيار اثناء العمل يتطلب وجود العمل اولا .. وتلك هى الصعوبة فى المسالة لاننا نقول انه لا يوجد عمل لعدم وجود قيادة .. ثم نقول لا بد من العمل حتى يمكن ان نكتشف القيادة اثناء الممارسة .

اذن فالعمل الاساسى هو ان تبدأ القيادة الموجودة بالفعل ، وان كانت قليلة العدد بالمبادرة الى ايجاد مجالات للعمل ، والاتصال الفعلى المباشر بالجماهير ، وتستطيع هذه القيادة القائمة بالفعل من خلال هذا ، ان تختار العناصر التى تثبت انها تصلح للقيادة وترى ذلك سواء عن طريق لجنة العشرين او خلال المؤتمرات المختلفة .. وفى رأيى ان المؤتمرات التى عقدت حتى الان قد ابرزت ان هناك عناصر صالحة يمكن التعرف عليها من بين الاشخاص الذين لعبوا دورا أساسيا فى هذه المؤتمرات .

وبذلك نبدأ بالقدوة المختارة أولا وان كانت قليلة العدد .

وليس أمامنا اليوم الا عملية الاختيار الشخصي في هذه المرحلة ثم نمارس الاختيار من خلال العمل الجماهيرى لان لجنة العشرين مثلا دخلها اشخاص كل همهم أن يصبحوا اعضاء في لجنة العشرين للاتحـــاد الاشتراكى وعن طريق ذلك يستطيعون حل مشاكلهم الشخصية والوصول الى أغراضهم وتطلعاتهم واذن لا بد أن نبدأ على اساس شخصى ، وليس أمامنا حل بديل لهذا الا اذا كنا نريد أن ننتظر فترة اخرى وانى أرى أن الامور لا تسمح بالانتظار .

فلا بد أن نعتمد على الناحية الشخصية وفى نفس الوقت نختار العنـاصر الاخرى من خلال العمل الجماهيرى .

وأريد هنا أن أعرض لنقطتين :

● النقطة الاولى :

ان العنصر الجيد الصالح لا يعرف الاشخاص السيئين ، فاذا عرفهم فانه يعرفهم بصفاتهم السيئة هذه . الا اذا كان شخصا ساذجا ولا يستطيع أن يحكم على الناس .

والعنصر الصالح تكون مجموعته صالحة .. ولهذا اذا تم اختيار العنـاصر الصالحة منذ البداية اختيارا سليما فسوف نضمن عملية الاختيار بعد ذلك *. انها قائمة على اسس وقاعدة صالحة .. فالناس بشر ، وهم عبارة عن مجموعة من العوامل فاذا كان الاختيار الاول سليما فغالبا يكون الاختيـــار الثانى ســليما والثالث سليما كذلك وهكذا .

● النقطة الثانية :

لو تم الاختيار بواسطة النواحي الادارية فسوف نصل الى النتيجة التى نحن فيها اليوم ونريد أن نغيرها .

اننا نختار بعض الناس مهما كان العدد قليلا من مختلف انحـــاء الجمهورية ثم يقوم هذا العدد القليل بتجنيد نفسه لاختيار عدد آخر على مسئوليته ، وسوف نجد انفسنا قد نجحنا في العملية اكثر من طريقة الاختيار بواسطة الناحيـة الادارية .. والامثلة على ذلك كثيرة فبعض الشباب تم اختيارهم بواسطة المدرسين وقيل بان هؤلاء الشباب ممتازون وكل ما فعله بعض هؤلاء انهم حضروا المعسكرات واخذوا بدل سفر وتنزهوا .

ولقد اتضح ان الطلبة مثلا يعرفون بعضهم أحسن من المدرسين لان الطالب يعيش وسط الطلبة وفى المعسكرات ويبدو سلوكه واضحا لمثله من الطلبة .

كذلك فان اختيار الطلبة مثلا عن طريق بوليس الجامعه عملية خاطئة ، بل وتبدد الثقة ولو اخترنا اى شخص فى آية محافظة مثلا وطلبنا منه ان يجند عشرة اشخاص فانه سيجند هذا العدد ويختار أحسن مما لو طالبنا المحافظ بالاختيار لان المحافظ سيوكل العملية الى سكرتير المحافظة ، وهذا بدوره سيختار الاشخاص الذين يتملقونه ((يمسحون له جوخ)) ويعملون على خدمتــــه .. أما الاشخـــاص الاخرين الذين لهم راى صريح وحر فى المحافظة فسوف يحاربهم .

وفى كل محافظة نلمس هذا الانقســام بين الناس شلة وبطانة للمحافظ ومجموعة اخرى لا يحبها المحافظ .

ونحن غير مستعدين لان يكون الاتحاد الاشتراكى مجردا من شخصيته وكرامته او يكون عبارة عن شلل وبطانات او شيئا من هذا القبيل ، بدلا من ان يكون قائما على عناصر اشتراكية وقيادية منزهة .

ويمكن اختيار القيادات فى المحافظات حسب العمل الذى ستقوم به ، ولكن لا يجب أن نوكل هذا للمحافظين أو للنواحى الادارية ، لان مثل هؤلاء سيختارون من تربطهم بهم صلات ..

فاذا اخذنا القيادات الصالحة فى لجان المحافظات ثم نمضى فى عملنـــا فسوف نصل بعد ذلك الى مستوى المركز والقسم .. ومن طريقهما نستكشف العنـاصر الصالحة الموجودة فى القرى . بحيث لا نبحث ولا نستكشف عن طريق النواحى الادارية ..

واعتقد انه اذا ما تم تكوين قيادات المحافظات فسوف تكون العملية سليمة .. ومن السهل بعد ذلك ان نصل الى مستوى المركز والقسم ، لكننا لا نستطيع أن نبدأ العمل على اساس مستوى الوحدات الاسا سية لانها عملية غير ممكنة فى البداية ولكن يجب ان يكون معروفا لنا من هو الاشتراكى ومن هو غير الاشتراكى .

وخلال الاثنى عشر عاما الماضية ، تجمعت عنــــدنا معلومات مثلا عن العمـــال وغيرهم من القطاعات الاخرى . ونستطيع ان نحدد الصالح وغير الصالح ومن له ((شلة)) من العمال ومن هو اشتراكى ثورى .. أى ان عملية الاختيـــار لا تعتبر أنها تبدأ من الصفر .

كذلك الحال بالنسبة للاطباء والمحامين لو سئلنا عن المحركين منهم فسوف نستطيع تحديدهم .. والحال كذلك بالنسبة للجامعيين والصحفيين والمهندسين .. الى آخر القطاعات العاملة .

وهذه العملية قائمة على المعرفة الشخصية او التجربة او السماع ، بعد عمل سنوات الاثنتي عشرة الماضية . والتجربة هي معرفة مواقف الاشخاص ..

اما بالنسبة للسماع فهي حيث نسمع عن سمعة الشخص الطيبة .

وعملية تجميع الكادر الذى سيكون هو التنظيم الاساسى القائم بالفعل ، هى فى الواقع بمثابة تجميع و « لم » العصب الذى يجب ان يكون فى الاتحـــاد الاشتراكي لانه بدون هذا العصب فلن يكون للاتحاد الاشتراكي التاثير الكافى .

أهمية الاختيار :

ان ايجاد القوى القيادية التى تمثل طلائع الاتحاد الاشتراكى والتى تعتمد عليها هو أساس نجاحنا .

وهناك نقطة هامة هى اننا ثورة أخذت الحكم ولم يكن لديها تنظيم شعبى ولكن نحن لدينا فى الوقت نفسه سلطة الدولة وهى ضرورية لتنفيذ التحول الاشتراكى وتحقيقه ماديا وهى لازمة لدفع خطى العمل الوطنى ، فليس من الصعب أن نكون التنظيم ومعنا السلطة فى الدولة وليس من الصعب أن نكون القيادات ونجمعها .. فاذا استطعنا أن نستكشف القوى القيادية ونجمع الكادرات والقيادات فى أقل وقت ممكن فاننا نكون بذلك قد وفرنا على البلاد مشكلات كثيرة سوف تواجهها بالضرورة بسبب وجود الفراغ القائم لعدم تنظيم القيادات والكادرات .. وهذه المشاكل هى نتيجة حتمية للتطورات الداخلية فى المجتمع مع التحول الاشتراكى ..

فيجب اذن أن نتحرك بسرعة واذا أخطأنا ـ وسوف نخطىء ـ فى اختيـــار بعض الاشخاص فذلك لا يعيقنا ولا يجعلنا نتردد . وفى الوقت نفسه نتدارك كل خطأ .

ان الشخص الذى لديه استعداد لان ينقلب على الثورة بين يوم وليلة لا يصلح ان يكون قياديا لانه ليس اشتراكيا .. فالشخص الذى نأتى به ونضعه فى الامانة العامة أو فى اللجنة الفرعية ، ثم بعد ذلك يظهر له اتجاه آخر يشد به فينقلب ، فهذا الشخص ليس اشتراكيا بالمرة لانه يعبر عن الانانية شخصية ، ولا يعبر عن تجرد للعمل الاشتراكى من أجل الهدف الاشتراكى الذى نسعى اليه ..

اننى اعتبر أن مثل هذا الشخص انتهازى أكثر منه وطنى .. فلو قررنا مثلا اننا سنخفض عدد اعضاء هذه الامانة بحيث يقل العدد خمسة اعضاء فهل معنى هـذا أن يتحول هؤلاء الخمسة غدا الى اشخاص معـادين للاشتراكية أو للعمل الاشتراكى ؟؟

كذلك فان القيادة القائمة الان هنا ، فى حاجة الى ان تعمل من خلال الناس . اذ ان كل أمين حينما يمارس عمله من خلال الجماهير فسوف يعرف ماذا يجرى فى قطاعه وما هو تصرف كل شخص ممن اختارهم وطبيعته ونفسيته .

واذا تم اختيار عشرة أشخاص فى كل أمانة فرعية مثلا ، واختار كل واحد من العشرة فى محيطه عشرة آخرين ، فسوف يكون لكل امانة فرعية مائة شخص ويختار كل واحد من المائة عشرة فيرتفع العدد الى الف ، أى أن تكون كل امانة لها تنظيم - .. لكن يجب أن يتم الاختيار من خلال الناس لا بالوسائل المكتبية ، فلو اختيرت العناصر القيادية بالطرق المكتبية فقد يأتى شخص يجلس امامك من المكتب ويبدو لك لطيفا وفى منتهى الذوق ، لكنه وفى محيطه قد يكون حكم الناس عليه من سلوكه ، ان خلقه عكس مايظهر تماما . واذن فلا بد أن يكون عملنا من خلال الناس لا من خلال أنفسنا لان العمل من خلال نفس الواحد يجعلنا نعيق التقدم الاشتراكى .

واعتقد انه بعد ان نقيم الكادر القيادى فانه يمكننا أن نعقد مؤتمر الاتحاد الاشتراكى . ان المطلوب منا اساسا هو أن نجد اناسا أو عناصر قيادية او كادر ثورى ان اماكن عقد المؤتمرات أو الاجتماعات ليست مشكلة .. فاننا نستطيع ان نعقد مؤتمرا سواء كان فى الجامعة أو فى الشارع او فى شادر .. ولكن طالمـا أنه لا توجد الكادرات الثورية فان الناس سيحضرون ثم ينصرفون ولا شىء غير ذلك .

اننا نريد أن نبدأ فى تكوين الكادر الثورى الاشتراكى على الاسس التى اتفقنا عليها وبذلك نجمع القوى الاشتراكية الموجودة .

اننا نتساءل اليوم عن الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكى فى اى بلدة او مدينة فلا نعرفه وحينما كنت فى يوغوسلافيا مثلا نزلت من المركب الى احدى البلاد مع الرئيس تيتو ولم يكن هناك برنامج معد لزيارة هذه البلدة ، وبعد دقيقة واحدة من نزولنا الى أرض البلدة جاءت اللجنة التى تمثل الحزب ، وهو يعرف اعضاءها بالاسم ، لانهم محددون ومعروفون ولهم نشاط .. وجلسنا معهم حوالى ساعة ..

وهنا فى اسيوط مثلا من هم اعضاء اللجنة ؟ الاشخاص الثوريون الملتزمون

الذين نعرفهم أين هم الاشخاص الذين يدافعون عن الاشتراكية على اساس انهم اصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية .

قد يقول قائل انهم كل اهل البلد .. ولكن أين القيادات التى يمكن ان تتقدم وتقود كل البلد .

لا شك انه يوجد الاشتراكيون ولا نعرفهم ، ولهذا يوجد انعزال بيننا وبينهم .. الاشتراكيون موجودون فى كل مكان.. لكن يجب ان نجمعهم وننظمهم ٠. يجب أن نعمل وأن يتحدد من خلال العمل من الذى يعمل مع الثورة ، ومن هم المقتنعون بالاشتراكية ولكنهم تائهون .

ولهذا السبب فاننى أقول ، اننى لا اتصور أنه يمكن اجراء انتخابات اخرى او عقد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى الان .. لان هذا معناه ان العملية لا تخرج عن كونها عملية اجراءات .

وقبل ان تجرى عملية الانتخابات الجديدة يجب ان نستبعد غير الاشتراكيين ويدخل اللجنة الشخص الاشتراكى الكفء .. كل اشتراكى كفء نظيف يريد ان يعمل وان يدخل اللجنة يجب أن تتاح له فرصة الدخول ، لان عضو لجنة الاتحاد الاشتراكى يجب ان يكون شخصا قياديا يناضل من اجل تدعيم الاشتراكية .

ولا يجب ان يغيب عن اذهاننا ونحن نبدأ فى عملية تجميع العناصرالاشتراكية اننعرف بأن الرجعيين يتجمعون ٠. ولو ذهبنا الى نادى الجزيرة نجدهم هناك نجدهم فى النقابات وفى البيوت وعلى الموائد .. نحن نعرف الرجعيين .. وانا لو سئلت عن الرجعيين فسوف أسرد اسماءهم لكن لو سئلت عن الاشتراكيين فاننى لا اعرفهم كلهم لانه لم تأت فرصـــة ممارسة العمل الســـياسى بواسـطة الاشتراكيين حتى نعرف هؤلاء الاشتراكيين .

تنظيم العناصر القيادية :

ان لدينا مشكلة عويصة وهى ان العناصر المضادة للثورة والاشتراكية موجودة بالفعل داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر حركية .. ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى وجود العناصر الحركية المخلصة بشكل منظم .

وفيما يتعلق بما يقال هنا عن وجود بعض المشاكل المفروض أن يكون لدينـا اناس يقولون بصـــدق ونزاهة عن هذه المشاكل ويقولون لنـــا كذلك الحل الذى يفكرون فيه .

ولا شك ان كل هذه المشاكل تواجهنا اليوم ولا نعلم عنها ، يمكن أن تحل ان كان لدينا كادر أو حزب داخل الاتحاد الاشتراكى يتكون من الناس حركيين مخلصين يقودون الاتحاد الاشتراكي الذى يمثل الجماهير فعلا .. لانه لا يمكن ان نقوم بتوعية ٦ مليون شخص بمفردنا ولا يمكن فى الوقت نفسه أن نعتبر ان الستة مليون عضو كلهم حركيون ومخلصون .

ومهما فعلنا فلن نستطيع ان نجعل من الستة مليون كلهم حزبا لاننا سنجـــد شخصا يؤيد الثورة اليوم ، وقد ينقلب غدا عليها لمجرد أنه لم يعين فى وظيفة ما والمفروض ان الشخص المخلص الاشتراكى الحقيقى العقـــائدى ، لا تؤثر عليه عمليات بهذا الشكل مثل التعيين فى وظيفة ويتطلع اليها أم لا .

هناك أشخاص يتحدثون اليوم عن الغلاء مثلا ، علما بانهم ـ طبقيا ـ لا بد أن يكونوا مع الثورة التى أعطتهم الفرص وعملت وتعمل لمصلحتهم .. فبعض العمال مثلا يقولون ان الغلاء يؤثر عليهم .. لمـاذا يقولون هذا ؟ لانه لا يوجد من يقول لهم حقيقة الوضع هى «كذاو كذا » حتى يتبينوا حقائق الامور وسيرها ، وانها لمصلحتهم ومصلحة غيرهم ممن لم يجدوا فرصة العمل بعد .

ويجب ان يتم التجميع مع التوعية لان التجميع بدون التوعية والاتصـال المستمر يعتبر عملا سلبيا ، وكما ان التجميع يساعد على التوعية فان التوعية أيضا تساعد على التجميع .. وذلك بالاضـــافة الى العنـــاصر التى نعرفها ونسمع عنها .

ان مشاكلنا الرئيسية التى تظهر او تطفو هى نتيجة انعزال القيادات عن الناس ووجودنا فى حلقة صغيرة .. علينا أن نوسع هذه الحلقة وسنجد عند وضع العناصر موضع الاختبار انه قد ظهر الشخص الاشتراكى وظهر أيضـا الشخص الغير مؤمن بالاشتراكية ولكنه يرددها اسما وشعارا فقط .

السلوك القيـــادى :

ان العمل او الواجب بالنسبة لهـــذه الكادرات فى الامانات الفرعية ، والذين يعملون فيها هو العمل القيادى بين الجماهير .. أى أنه عندما نختار احد المحامين مثلا يجب أن يتوافر فيه شرطان أ ان يكون قياديا حركيا ، وأن يكون مؤمنا بالنظام الاشتراكى ومخلصا له ..

قد يستدعى العمل أن يتفرغ لهذه العملية .. فالذى نختـــاره من المحامين

مثلا ، يجب ان يكون قادرا على تجنيد أناس من المحامين المرتبطين بالثورة وبعد ذلك نستطيع أن نوجه وأن نسمع .. فيجب أن يكون الشخص المرتبط بالثورة والاشتراكية قادرا على أن يعطى التوجيهات وأن يبلغنا أيضا بالاراء الموجودة فى القاعدة .. هؤلاء هم الذين نريدهم .. لا نريد اشخاصا يجلسون فى المكاتب يقرءون اوراقا ويرسلون تقاريرا فقط ، اننا نريد اناسا يعملون فى وسط الجماهير ..

وبدون هذا فلن نستطيع أن نتشعب فى وسط الاجهزة المختلفة والجماهير المختلفة الموجودة فى المجتمع .

والذى أتصوره ان اللجنة الفرعية للامانة العامة اذا اختارت واحدا من المحامين مثلا فلا بد ان يكون معه عشرة افراد او اكثر ، من الذين تنطبق عليهم نفس الخصائص القيادية لاننا لا يمكن ان نعمل فى قطاع المحامين مثلا بشخص واحد فقط .. وكذلك نفس الشيء بالنسبة للاطباء وهيئة التدريس والعمال .. وهكذا ..

اما اذا خترنا واحدا من كل طائفة ومن كل قطاع مثل المحامين او الاطباء ثم اتصلنا بالمحامين ككل أو الاطباء ككل فكأننا لم نفعل شيئا .

ولكى نعمل فى وسط هيئة التدريس مثلا يجب ان يكون للتنظيم اشخاص يمثلون كل جامعة وعناصر تمثل كل كلية .. وبذلك نجد ان التنظيم فى حاجة الى اكثر من خمسين اسما .. فاذا وجدنا الخمسين شخصا فيمكن أن نقول بحق أنه امكننا ان نشكل القيادات والكادرات فى كل الجامعات .

وعندما نختار اشخاصا يمثلون كلية الحقوق فلا بد ان نضع فى الاختبار ان نختار الاشخاص الذين تنطبق عليهم الصفات المعروفة وأن يكونوا هم فعلا الذين يقودون فى كلية الحقوق . وانهم الاشخاص القياديين المرتبطون الاشتراكيون .. وهذه بالطبع عملية تختلف عن عملية الانتخابات .

وفى رأيى اننا نعتمد فى هذه العملية الاولى ، على المعرفة السابقة ونتيجة الممارسة التى استمرت اثنتى عشرة سنة . فاننا لسنا غرباء عن البلد ونحن لا نعيش فى قارة اخرى ولا فى ابراج عاجية . اننا نعيش فى مصر ونسمع عن كثير من الناس ولدينا امكانية كبيرة جدا لكى نفهم هؤلاء الناس الذين سمعنا عنهم موضع الاختبار العملى واعتقد ان نتيجة الاختبار ستكون ٩٠ فى المائة سليمة .

اننا لا نستطيع الاختيار المباشرة والعمل اولا ثم نختار لاننا لا بد ان نعمل

بسرعة والحقيقة اننا لسنا قادمين او مقبلين على العمل من لا شيء أو من فراغ تام لاننا نعرف الناس ولنا اختلاط بهم .

وحينما نبدا فى اختيار هذه العناصر القيادية فكاننا نبدأ من نقطة البداية بالنسبة للتنظيم السياسى *. فاذا انتظرنا الممارسة والعمل حتى نختار الذين سيؤلفون التنظيم السياسى فاننا سنحتاج الى وقت طويل .

وفى رأيى ان العملية فى حاجة الى ان نسرع بالاختيار ، فليس امامنا الان أن نعمل على أساس الممارسة السابقة ، وعلى اساس اتصالاتنا السابقة وفى نفس الوقت ندخل فى الممارسة والعمل فى التنظيم السياسى .

ويصح بعد سنة من الممارسة ان ننحى بعض الناس .. وقد يصح أن يحدث هذا بعد أربع سنوات فننحى شخصا قام بعمل انانى .. والتجديد الذى يحدث يكون نتيجة الممارسة ومعاملة الناس .. فان معاملة الناس هى اصعب ما يمكن فقد يظهر شخص ممتاز فى البداية ثم قد يصاب بطبع الانانية نتيجة عوامل وظروف بشرية كان يجد نفسه وصل الى شيء ، فيتطلع الى الوصول الى شيء اكبر .. مثل هذا الشخص سوف ينحى .* اى اننا فى تعاملنا مع الناس سنضطر الى تنحية بعض الناس على اساس سلوكهم وعملهم .

وحدث مثلا ان كانت هيئة من اساتذة الجامعات اختيرت فى أول الثورة على انها ستكون النواة « الخميرة » الطيبة والقيادات ، وهذه المجموعة من هيئة التدريس كان المفروض انها « ملتقية » مع الثورة الاشتراكية .. وكان هؤلاء مندفعين مع الثورة اندفاعا كبيرا .. ولكن حينما حدثت أزمة ١٩٥٤ انقلبوا على الثورة وانفضت هذه المجموعة ووقفت موقفا معاديا باستثناء عدد قليل منهم لا يتجاوز الاربعة أشخاص .

كذلك حدثت فى احدى الكليات خلال المؤتمرات ان تخيل بعض الناس انه توجد فرصة فى وقت ما ، ولذلك اخذوا يطالبون « بكذا وكذا .. وهذا السلوك ان دل على شيء فانما يدل على ناحية اخلاقية غير سليمة ولا يمكن ان شخصا من هؤلاء يكون اشتراكيا مؤمنا .. ان العملية ليست مسالة حساب « ضعف وقوة » وانتهاز فرص للضعف والقوة ؛ فقد كنا نستطيع ان نتخذ اجراءا صارما وشديدا ضدهم لكن العملية ليست ابدا مناورة « ضعف وقوة » انما هى عملية مبادىء ، وايمان ، وسلوك ، وعقيدة ، وتمسك بهذه العقيدة *.

تنظيم الجهاز السياسى

التنظيم الملتزم ضرورة :

نحن نعمل عملا ذا شقين .. الاول أن نحيى الاتحاد الاشتراكى ولجانه ولكن فى رايى أننا مهما احيينا هذا الاتحاد الذى يضم ستة ملايين شخص والذى لا يمكن أن نعتبره الركيزة السياسية التى نعتمد عيها ، فانه لا بد ان يكون العمل قائما على اساس جهاز سياسى موجود فى داخل الاتحاد الاشتراكى .. وهـذا هو الشق الثانى لعملنا .

والحقيقة ان هناك نقطة تسبب لنا مشكلة باستمرار وهى نقطة تستحق التفكير وتتعلق بالتنظيم على مستوى الاتحاد الاشتراكى ، لانه مهما عملنا على مستوى الاتحاد الاشتراكى ، فلن يكون هناك التزام كامل .

ان المشكلة هى ان العناصر المضادة للثورة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر « حركية » ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه العنـاصر الحركية المخلصة .

والحل الذى يؤدى الى ذلك هو ان يكون لدينا كادر او حزب داخل الاتحاد الاشتراكى الحزب الاشتراكى المرتبط الذى يحرك ويوعى الجماهير ، أما الستة مليون عضو فاننا مهما فعلنا لا نستطيع أن نجعلهم كلهم حزبا .

يجب اذن أن نعمل على اساس هدف .. هل الهدف أن نقيم تنظيما على الورق .. طبعا لا .. لان وجود التنظيمات عـلى الورق لا يحقق هدفنـا .. وانا اعتقد أن الهدف الاساسى هو ان ينشط الاتحاد الاشتراكى كاتحاد جماهيرى يجمع كل الجماهير .. وفى نفس الوقت نخلق تنظيما سـيـاسيا مبنيا على تجميـع الاشتراكيين الحقيقيين .. اننا نطبق الاشتراكية بدون اشتراكيين وانا لا استطيع ان اقول اننا نطبق الاشتراكية باشتراكيين.. والحقيقة أننا نطبق الاشتراكية ونريد ان نوجد الاشتراكيين بعد ذلك .. ونتيجة لهذا فانى اتساءل : هل الاتحـاد الاشتراكى سيعطينا ـ كاتحاد ـ امكانية تكوين تنظيم « اشتراكى ؟.. اننى اقول لا .. اذن من اجل تحقيق هذا الهدف ، لا بد أن نقيم تنظيما سياسيا ثم نبحث كيفية ربط هذا بذلك .

انني اكرر ما سبق ان قلته .. ان امامنا هدفان .. احياء الاتحاد الاشتراكى وفى نفس الوقت تكوين حزب اشتراكى داخل الاتحاد الاشتراكى .. اقولها بصراحة .. وبدون هذا سنظل دائما نلف فى حلقة مفرغة .. فبالنسبة للعمال مثلا يوجد الصالحون وغير الصالحين وبالنسبة للنقابيين ايضا نفس الشىء . فعندما نجمع النقابات تكون قد جمعنا الصالح مع غير الصالح جمعنا العنصر الاشتراكى والمضاد للثورة والانتهازى معا .. فهل هذا هو المطلوب ؟ ان المطلوب هو تشكيل العناصر الاشتراكية .. وهنا يأتى الجهاز الذى عبرنا عنه فى الميثاق بأنه الجهاز السياسى .. ومعنى ذلك أن يكون عندنا تنظيمان .. التنظيم العام وهو الاتحاد الاشتراكى .. والتنظيم الخاص وهو الجهاز السياسى .. وفى تصورى بأن الجهاز السياسى لا بد أن يكون عبارة عن حزب اشتراكى .. وهذا هو الذى نقصد به ان يكون لدينا فى كل مصنع لجنة تمثل الجهاز السياسى ولجنة تمثل الاتحاد الاشتراكى وبذلك يكون لدينا تنظيمان .. تنظيم عام يجمع كل الناس .. وتنظيم خاص يجمع الصفوة من الاشتراكيين الذين يمكن ان يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشتراكية ، والذين يعتبرون بمثابة العمود الفقرى للاشتراكية .. ولكن مهما حاولنا العمل الثورى القيادى على أساس الاتحاد الاشتراكى كله فسنجد انفسنا نلف فى حلقة مفرغة لان العملية عملية انتخاب واسترضاء ثم تنقلب فى النهاية الى عملية مطالب ولا يمكن بالنسبة للستة ملايين ان نوجه التزامات اما بالنسبة لعشرة آلاف مثلا فان ذلك ممكن اذا تم تنظيمهم .

اذن يكون هناك اتحاد اشتراكى يجمع الناس كلها وفى نفس الوقت يكون هناك اشتراكيون منظمون .

ومثل هذا موجود فى يوغوسلافيا مثلا حيث يوجد اتحاد الشيوعيين والاتحاد الاشتراكى واتحاد الشيوعيين يضم عددا قليلا واستطاعوا بذلك ان يسيروا الاتحاد الاشتراكى .

والذى اريد ان اؤكده اننا يجب الا نتصور ان عملنا اليوم فى التنظيم المقسم الى وحدات اساسية ووحدات مراكز واقسام ومحافظات اهم من التنظيم السياسى .

اننا نريد الحزب الاشتراكى داخل الاتحاد الاشتراكى وبدون هـذا الجهاز السياسى الذى اسميه الحزب الاشتراكى فلن نستطيع ان نقود الجماهير أو نتصدى للقوى المضادة .

ان التنظيم المطلوب فيه ان ننظم هذا الحزب الاشتراكى الذى يعتبر الجهاز السياسى فى كل المستويات .. والاتحاد الاشتراكى هو كل الجماهير .. والجهاز السياسى هو الحزب السياسى الاشتراكى المبنى على تجميع القوى الاشتراكية ، وهو ما نركز عليه كهدف والا فانه سيكون لدينا جنود بدون قيادات او قيادات بدون جنود .

كيفية تكوين الجهاز السياسى :

انا نظرنا الى العالم كله نجد أن الاشتراكية فرضت فرضا عن طريق قلة من الافراد ، وحتى أصحاب المصلحة فى الاشتراكية تستطيع الرجعية التى تكونت على مدى الاف السنين ان تؤثر عليهم .. فالعمال والفلاحون هم أصحاب المصلحة .. ولكن هل هم اشتراكيون ؟ .. هل نستطيع ان نعتبر كل عامل عنصر اشتراكى ؟.. انا فى رأيى ان الاشتراكية تفرضها القلة التى تستطيع ان تقود .. ففى العالم كله نجد دائما فى كل دعوة من الدعوات أن القلة هى التى استطاعت أن تكافح وتقود .. ففى بداية الاسلام مثلا لم يكن يوجد مسلمون .. كان يوجد محمد وقلة من المسلمين .. وكان اعدى اعداء الاسلام هو أبو سفيان وقد اسلم فى النهاية وأصبح احفاده مسلمين وكذلك نجد ان المسيحية بدأت بعشرة أو اثنى عشر فردا ثم سارت الدعوة بعـــد ذلك وانتشرت .. فاى دعوة لا بد ان تبدأ بقلة من المؤمنين بها ..

فاذا أردنا ان ننجح فى بناء قاعدة اشتراكية فلا بد أن ننظم على مستوى اصغر من الاتحاد الاشتراكى الذى يجمع كل الجماهير .. وانا اعتبر أنه قد آن الاوان لكى نواجه هذه النقطة مواجهة صريحة .. وحتى تاريخنا لم يستطع احد أبدا أن يقيم فكرة معينة على أساس جمع كل الناس فمثلا فى المسيحية والاسلام كما ذكرت قد يؤمن كل الناس أخيرا أو قد يؤمن اغلبهم بها .. ولكنا نجـد دائما ان الذى يدعو الى الفكرة ويعمل لها عدد قليل .

ومثلا بالنســـبة للثورة المصرية نجد أنه قام بها عدد قليل لا يتعدى مائة ضابط من أربعة آلاف ضابط .. ولو كنا قد حاولنا أن نجمع الاربعة آلاف ضابط لكنا ما نزال نجمع فى هذا العدد حتى الان .. وفى الحقيقة ان عملية التركيز على القلة عملية مطلوبة .

والاشتراكيون موجودون فى كل مكان .. ولكن كيف نجمعهم وننظمهم ؟.. هذا هو عملنا .. وواجبنا ان نعمل ونستكشف هؤلاء الناس ..

وعلى هذا الاساس فانه يجب علينا فى اتصالاتنا بالفلاحين او بالوجه البحرى او الوجه القبلى ان نعمل على ايجاد ركيزة الحزب الاشتراكى فى كل محافظة .

ونحن الآن سوف نعمل على مستوى الجمهورية وسوف يكون فى كل جهة امانة فرعية وبعد ان ننتهى من هذا يمكن ان يشكل هؤلاء التنظيم السـياسى ويكونون هم اعضاؤه .. والخلاصـة ان نبدأ بعدد صغير ثم يكبر بعد ذلك .. ويمكن ان نقول على هؤلاء انهم العمود الفقرى للتنظيم السياسى .

وقد قلنا ان اعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى يختارون بالانتخاب ولم نقل ذلك بالنسبة للجهاز السياسى بل سننتقى اناسا اشتراكيين .

وأرى انه يمكن تجميع الناس وتكوين الجهاز السياسى ليقوم بمهمته وسط الجماهير ولقد بدأ الحزب الشيوعى الروسى مثلا بعشرة آلاف شخص واصبح الآن يضم عشرة ملايين شخص وكلنا نعلم كيف تم هذا ؟..

واعتقد ان وضعنا اسهل .. لقد قال بعض الناس اننا اخذنا السلطة ومن الصعب ان ننظم الجماهير .. وانا اقول العكس .. ان السلطة سوف تساعدنا على التنظيم .. وهدف أية مجموعة مهما كانت صغيرة هى ان تستولى على السلطة فى النهاية .. واذا عملنا جميعا كدعاة فسوف نجد الناس .. على ان يعمل كل واحد فى مجالاته عملا مستمرا .. وكلما وسعنا دائرة الموجودين فى هذه القاعدة المختارة فسوف نسير بسرعة اكبر وكلما وسعنـا دائرة اللجان الفرعية فسوف نقطع خطوات اكثر .

اننى اعتبر وكاننا سنبدأ من نقطة البداية ونركز على عمليـة التنظيم ، فاذا خلقنا التنظيم ، نستطيع أن نحقق اى شىء بعد ذلك .

تنظيم تحالف قوى الشعب العاملة

ان الشعور بالتحالف بين قوى الشعب العاملة امر غير موجود .. وان قيام هذا التحالف بالفعل لا يمنع أن كل فئة او كل واحد من قوى الشعب العاملة يشعر بمصلحته .. ولكن علينا أن نضع هذا التحالف موضع التنفيذ ، ونحدد نظامنا ونجتمع بقوى الشعب العاملة ونجمعها .

ومن الامور الهامة التي يجب أن نضعها فى خطة العمل ازاء تجميع قوى الشعب العاملة وتنظيمها وتحقيق هذا التحالف بينها بالفعل ، هو مقابلتنا للناس والعمل من خلالهم ، ولا بد أن يفتح كل قلبه للجماهير .. وبهذا يثق بنا الناس .. فاذا لم يتم ذلك فسيكون كل كلامنا عن تحقيق التحالف بين قوى الشعب العاملة مجرد كلام على الورق .

التناقضات الطبيعية :

ولنبدأ فى هذا الموضوع من نقطة البداية وهى ان هناك تناقضات بين فئات قوى الشعب العاملة وبعضها .. هذا التناقض موجود بالفعل ، وسوف يستمر هذا التناقض رغم وجود الاتحاد الاشتراكى .. فالعمال مثلا لهم مصالحهم الخاصة وكذلك الفلاحون لهم مصالحهم الخاصة .. ولذلك سنجد هناك تناقضا بين العمال والفلاحين .. وسنجد تناقضا آخر بين المثقفين من جهة وبين العمال والفلاحين من جهة اخرى . بل سنجد نفس التناقضات بين أبناء الفئة الواحدة وهم العمال مثلا .. فالعامل الصناعى يحصل على أجر أكبر من العامل الزراعى .. ومع ذلك يريد العامل الصناعى أن يزيد أجره ، والعامل الزراعى يريد أن يزيد أجره كذلك .. وسيطالب المثقفون دائما بالمزيد رغم أن العمال مثلا موجودون فى أوضاع اقل منهم .

وسنجد ان هناك تناقضا آخر بين كل قوى الشعب العاملة وبين الحكومة وهكذا سوف يظل هذا التناقض لكننا نعتبر انه تناقض طبيعى .

اما اذا بلغ حد التصادم فان ذلك يكون خطأنا .. ولا بد أن نصلح خطأنا في هذه الناحية على وجه السرعة .. ولكن لن نستطيع أن نمنع هـذا التناقض اننا يجب ان نحاول دائما ان نحل التناقضات ونقضي على حدته !.

ولسوف تظهر تناقضات جديدة كلما قمنا بحل التناقضات القائمـة ، لان العمال مثلا سيطلبون المزيد من الحكومة .. وكل شخص يريد أن يصل الى احسن مستوى في اقرب وقت .

ان مسئوليتنا ان نحد من هذه التناقضات ، لكننا لن نستطيع ان نمنعها لان الاوضاع التي ما زلنا فيها لا تمكننا من تحقيق كل احتياجاتنا في اقرب وقت . ولذلك سيستمر هذا التناقض الطبيعي .. وأنا أعتقد ان ذلك لن ينتهي الا اذا وصل المجتمع الى درجة كبيرة جدا من التقدم .. وهـذه التناقضات تختلف من التصادمات التي نلاقيها بيننا كاشتراكيين وبين الرجعية والراسمالية المستغلة .

مصالح القوى العاملة في المجتمع الاشتراكي :

يجب ان يكون تفكيرنا ملتزما بوضوح الاسلوب .. وعلى هذا فيجب ان يعرف الناس انه يوجد صراع طبقي .. ومن استفاد وهم اعضـــاء القوى العاملة للشعب فواجبهم الحفاظ على هذه المكاسب وتدعيمها .. فاذا فقدت هـــذه المكاسب فسوف يرجع عامل اليوم الى عامل مستغل بواسطة صاحب العمل .. وكذلك الفلاح والمثقف وكل القوى العاملة .

أي ان عملية الايضاح والتوعية عملية اساسية بالنسبة لوضع تحالف قوى الشعب وتنظيمه موضع التنفيذ .. وهذا يستدعي الوحدة الفكرية لم تكتيل الناس الذين يمثلون قوى الشعب العاملة من اجل النضال في سبيل المكاسب التي حصلوا عليها .. ونعطيهم الفرصة لابداء آرائهم .. وهذا يخلق نوعا من الحيوية ..

ويجب أن يكون ابداء الاراء داخل اللجان دون شعور بأي تهديد ، حتى نقضي على الخوف والتردد الذي يشيع عنه أعضاء الاشتراكية .. فهذا هو السـبيل الوحيد لبعث الحيوية اللازمة لتحقيق الاحساس بقيام التحالف بين قوى الشعب العاملة .

فاذا لم نهتم بكلام الناس وآرائهم فان البيروقراطية تنشأ ، ولا تكون هناك فائدة من عملنا .. اما اذا خلقنا الكادر ووجد الوعي ووصل الى القرية مثلا فاننا نكون قد نجحنا .

ولو وجد الكادر بين قوى الشعب العاملة فسوف يقوى بتوصيل الرغبات والاراء والمشاكل الى الاتحاد الاشتراكى الذى يستطيع ان يوصلها الى القيادة .. وعن طريق السلطه التنفيذية يمكن أن نحل هذه المشاكل بعد دراستها .. والكلام عن هذا سهل ولكن التنفيذ هو الامر الصعب لانه لا يوجد الان كادر او حزب .. ولو وجد الحزب فى كل مكان فلن نجد كل الناس يقولون « كلنا اتحاد اشتراكى او كلنا هيئة التحرير » فهذا يعطى العملية نوعا من السلبية بين قوى الشعب العاملة ويضعف حيوية التحالف بينها ..

ونحن مسئولون عن تنظيم الناس وتنظيم هذه القوى العاملة ..

تجميع القوى العاملة ووحدة الفكر :

أريد أن اتى نقطة حول خطة العمل وفكره عقد مؤتمرات فى هـــذه المرحلة للفلاحين والعمال والمثقفين والرأسمالية الوطنية .. الخ .

اننا اذا عقدنا اليوم مؤتمرات دون ن نوجد التنظيم السياسى ، فاننا نكون قد اتجهنا الى غير الاتجاه الذى يلزم لخلق الحيوية فى تحالف قوى الشعب العاملة وأخشى ان ينقلب الامر الى اقامة اجهزة بيروقراطية اذا لم نعرف ما هو هدفنا .

ان هدفنا هو جمع الناس .. الناس الاشتراكيين فى كل قطاع .. وانا لا اتصور اننا عندما نبحث موضوع المهنيين مثلا او المثقفين نقوم بعقد مؤتمر وتجمع اعضاء النقابات لان هذه العملية لن تعطينا اية نتيجة ولن تحقق التحالف بين قوى الشعب العاملة . بمعنى ان المؤتمر فى هذه الحالة سيجمع العناصر الاشتراكية والعناصر المضادة للثورة وقد تلبس العناصر المضادة للثورة قناعا زائفا فلا نعرفها ولا نتبينها ..

وكذلك بالنسبة للعمال ، فانه يوجد عمال صالحون وعمال غير صالحين .. وبالنسبة للنقابيين نفس الشىء .. فاذا عقدنا لهم مؤتمرا نكون بذلك قد جمعنا الصالح مع غير الصالح .. فهل هـــذا هو المطلوب ؟ .. ان المطلوب هو تكتيل العناصر الاشتراكية فى قوى الشعب العاملة وجمعها حسب خبراتنا ومعرفتنا ونستطيع بعد ذلك أن نقسمها الى نوعيات ..

فعن طريق العشرين الذين نختارهم من كل نقابة مثلا نستطيع ان نأخذ ١٠ أو ١٥ ، أو ٢٠ شخصا آخرين .. وبذلك نكون قد اوجدنا حزبا داخل العمـال هو الحزب الاشتراكى الذى نستطيع عن طريقه ان نوجه وأن نقود وان نوعى ..

حتى يكون الحزب المنتشر بين قوى الشعب العاملة هو الحزب الاشتراكى الذى يستطيع أن يتكلم ونسمع لكلامه ونحن مطمئنون الى أن كلامه غير مغرض .. وبدون وجود هذا الحزب فاننا سنظل نردد بالكلام فقط عبارات « تجميع وتكتيل قوى الشعب العاملة »

انه من الخطأ فعلا ان البعض نادوا بعقد مؤتمر لهيئة التدريس لبحث مشاكل التعليم العالى لان وزير التعليم العالى هو الذى يعقد مثل هذا المؤتمر الذى يحضره كل من يريد أما نحن كاتحاد اشتراكى فلا نستطيع أن نفعل ذلك لاننا نملك التنظيم داخل هيئة التدريس حتى الآن . فاذا وجد هذا التنظيم فلا مانع من جمع هيئة التدريس لان كل من سيتكلم منهم سوف يتكلم وهو مخلص وراغب فى العمل الاشتراكى وفى انجاح هذا العمل .. لان الموجودين سيمثلون حينئذ قوى الثورة .

أما جمع هيئة التدريس عن طريق الاتحاد الاشتراكى فان هذا المؤتمر سيجمع القوى المضادة للثورة مع القوى الاشتراكية .. والقوى المضادة للثورة سوف تحاول خلق المشاكل باستمرار .

كذلك الامر بالنسبة لفئات الفلاحين فالمطلوب هو تكوين الحزب الاشتراكى فى كل محافظة .

وفى رأيى أن الاتحاد الاشتراكى بوضعه الحالى لا يستطيع أن يقوم بالعمل السياسى ولا بتحقيق تحالف قوى الشعب العاملة .. لان الاعضاء الموجودين فيه اليوم يمثلون عناصر ثورية وعناصر مضادة للثورة .. وعلى هذا الاساس فانه يجب فى اتصالاتنا بالفلاحين أو بالوجه البحرى او القبلى ـ أن نعمل على ايجاد ركيزة الحزب الاشتراكى فى كل محافظة تمثل تكتل القوى الاشتراكية .

وانا اقول حزبا لكى أوضح الموضوع وبذلك يكون هناك اتحاد اشتراكى يجمع كل الناس وفى نفس الوقت يكون هناك اشتراكيون منظمون .

وانا اعتبر أن عملنا يجب أن ينحصر فى العمل السياسى فى الوقت الحاضر حتى نستكمل تشكيل هذا الحزب .

وهكذا نستطيع ان نجمع الصالحين فى النقابات والمحافظات وفى كل مكان وهم الذين لا نعرفهم جميعا حتى اليوم .

استكشاف العناصر الاشتراكية :
بين قوى الشعب العاملة :

يجب ان تضم مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى تحالف قوى الشعب العاملة وليس تحالف قوى الشعب المضـادة فتتصادم هذه القوى المضـادة مع قوى الشعب

العاملة .. ويجب أن نجعل الناس يحسون بالاطمئنان وهم يدلون بآرائهم بصراحة ووضوح حتى نسمع تفكيرهم وآراءهم .

ويجب أن ننظم العناصر التى مع الثورة ولا ننزعج من اى راى تقوله هذه العناصر ما دمنا نثق فى ايماننا بالاشتراكية وفى سلوكها .

وفى رأيى أن مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى اليوم هى مؤتمرات تضم القـوى العاملة للشعب والقوى المضادة للشعب العامل .. والقوى المضادة عبارة عن مجموعة متكتلة ومتمرنة وتستطيع ان تؤثر على قوى الشعب العاملة بما عندها من وسائل وامكانيات وخبرة فى التضليل . .

الاتصال المستمر مع قوى الشعب العاملة ضرورة :

ان عمليتنا الاساسية فى هذه المرحلة بالنسبة لتحالف قوى الشعب العـاملة هى عملية تنظيم مع حل بعض المشاكل التى قد تعوقنا فى التنظيم .. فمثلا علينا أن نوضح رأينا بالنسبة للنقابات المهنية ، وهذا يحل لنا مشاكل كثيرة .. وفى الوقت نفسه يمنع الرجعيين والعناصر المضادة من استغلال النقابات .. ان توضيح الراى بالنسـبة لاى مشـكلة يمنع الرأسمالية او الرجعيـة من استغلالها ، أو تضليلها .

فنحن لا نستطيع ان نقول أننا سنلغى النقابات المهنية ، لانه يمكن للنقـابة المهنية ان تكون موجودة فى المجتمع الاشتراكى ، ولكن على الاساس النقابى الحقيقى بان يشترك فيها كل من يعمل فى المهنة باجر .

ولا يمكن أن نقول موقفنا من النقابات المهنية هو الالغاء .. والحقيقة أن هناك كلاما كثيرا يقال بالنسبة للنقابات المهنية .. ولذلك فمن واجبنا أن نوضح لهم موقفنا بهذا الشكل .

وما قيل عن الجمعيات التعاونية والمشاكل فى قطاع الفلاحين يرجع الى أنه ليس هناك اتصال وهذا ما يدعونا الى أن نسير فى عملية التنظيم ونركز عليها ، فلو حدث أن قمنا بتنظيم قطاع العمال .. والفلاحين فى محافظة ما وكونا التنظيم والجهاز السياسى فسوف نجد أن هذه المشاكل تبلورت وتحددت فيمكن حلها .. ولا يمكن أن نتفرغ فى الامانة الآن لحل المشاكل واستعراضها ودراستها قبل أن نوجد التنظيم الذى هو الاداة السليمة للاتصال .

الرجعية والراسمالية الوطنية :

ولكن هنـاك عملية أساسية هامة نضعها موضـع الاعتبار ، بالنسبة لاحدى دعامات قوى الشعب العاملة وتلك هى الطبقة المتوسطة التى نسميها « الراسمالية الوطنية » .

هذه الطبقة لها مشاكل عديدة ومن الاجدى أن تثار بصفة خاصة مشاكل هذا القطاع على مستوى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ولا مانع من الاتصال بشأنها بالسيد رئيس الوزراء .. لكن يجب أن تثار هذه المشاكل هنا فى الامانة العـامة حتى تكون لدينا فكرة ومعرفة بمشاكل هذه الطبقة ، خاصة وانه ستجدد امامنا المشاكل العديدة نتيجة وجود القطاع العام مع القطاع الخاص .

يجب علينا ان نحل هذه المشاكل .. والحقيقة ان الصعوبة التى واجهتنا حتى اليوم بالنسبة لمشاكل هذا القطاع ، هى أننا لا نعرف هذه المشاكل الا عن طريق الشكاوى فقط .

ان عملية الراسمالية الوطنية هى عملية « جمع » أكثر منها عملية تنظيم ، وهدفنا أن لا تتمكن الرجعية من هذا القطاع بالتضليل حتى تنفصل عن تحالف قوى الشعب العاملة .

والواقع أن الرجعية تحاول بكل الوسائل ان تفصل هذا القطاع وتنزعه من تحالف قوى الشعب العاملة .. ولذلك أعتبر أننا فى شبه صراع بيننا كاشتراكيين والراسمالية الوطنية جزء من تحالف قطاعات المجتمع العامل ـ وبين الرجعية والقوى المضادة للثورة بل اننى اعتبر أن الرجعية قد نجحت الى حد ما فى هذا الامر لان الرجعية حتى الآن أنشط من الاشتراكيين .

وساعد على نجاح الرجعية فى محاولاتها لفصل هذه الطبقة عن تحالف قوى الشعب بعض الاخطاء التى وقعت فى تطبيق الاجراءات الاشتراكية مثل ما حدث فى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ..

فلقد وضعنا للجمعيات التعاونية الاستهلاكية هدفا ، ثم تركناها تنفذ لتصل الى هذا الهدف ، ولكنها انحرفت عنه .. اننا انشانا الجمعيات الاستهلاكية على اساس أن نمنع السوق السوداء وان نوازى التجارة فى السوق ، ولكنها انحرفت عن هذا الهدف المحدد لها فمارست هى الاحتكار بدلا من منع المحال التجارية من ممارسة الاحتكار أو من رفع الاسعار .. وينتج عن مثل هذه الاخطاء ان تنشط الرجعية وتستغل هذه الاخطاء لتضخمها لكل هذه الطبقة ـ التى هى جزء من

قوى الشعب العاملة ـ تميل الى الرجعية وتنفصل عن القوى الاشتراكية لتكون مع القوى المضادة للاشتراكية وترتمى فى أحضان الرجعية بعد إن تشعر بسبب هذه الاخطاء ان الاشتراكية تحاول ان تصفيها ان تقضى عليها .. بينما نحن فى الواقع نريد تنظيم هذه الطبقة لمصلحتها حتى تكون قوة حيوية من قوى الشعب العاملة . واذا لم تكن هذه الطبقة مع الاشتراكيين فمعنى ذلك ان تأخذها الرجعية فى صفها وستجد فيها آلات صالحة لنشر كل ما تريد ان تنشره من تضليل ومحاولات للعمل المضاد للثورة وفى رايى ان الكثيرين من العناصر الرجعية الذين كانوا مختبئين من قبل قد بدءوا يظهرون ويمارسون نشاطهم ومحاولاتهم بعد الغاء الاحكام العرفية واطلاق الحريات .

ووجد هؤلاء فى بعض الاخطاء التى وقعت فرصة لتكون حججا يثيرونها ويحاولون بها أن يمارسوا عملياتهم مثلما حدث فى موضوع التموين وخلافه ..

واكثر من ذلك فان الرجعية تحاول أن تمارس جهودها ونشاطها ، حتى فى محيط العمال والفلاحين انفسهم الذين هم ركائز القوى العاملة للشعب وركائز الاشتراكية والثورة .

ان المشاكل او الاخطاء التى حدثت مثل موضوع بنك التسليف او الاخطاء التى حدثت فى تطبيق التسويق التعاونى .. كل هذه الاخطاء وغيرها تجعل ركائز تحالف قوى الشعب العاملة ((تكفر)) بما نقوله عن الاشتراكية ، فى الوقت الذى تتربص الرجعية وتتلمس مثل هذه الاخطاء لتنشط فى كل اتجاه وتبدى استعدادها مثلا لاعطاء الفلاحين نقودا مقدما على محاصيلهم .

وهناك خطأ آخر له صفة الانحراف يضعف من تحالف قوى الشعب العاملة وذلك الخطأ هو ظاهرة البيروقراطية .. لقد كان الفلاحون مثلا يأخذون احتياجاتهم الزراعية بتسهيلات فى الدفع ، ولكن بمجرد أن وجد القطاع العام فانه اصبح لا يعطى الفلاحين الا نقدا .

فالاخطاء فى التطبيق والانحرافات التى تحدث الى جانب البيروقراطية كلها عوامل تساعد الرجعية فى نشاطها لتفتيت تحالف قوى الشعب العاملة بل وأن تكسب الرجعية الى جانبها بعض الناس الذين هم الدعائم لتحالف قوى الشعب العاملة فى مجتمعنا الاشتراكى .

ونحن لم ننشط بالنسبة لمواجهة هذا الموضوع وواجبنا الان ان ننشط وان نوضح الامور باستمرار وان نحل المشاكل باستمرار وان نفهم الناس دائما بالاوضاع والاهداف فى صراحة ووضوح ..

مستقبل تحالف قوى الشعب العاملة :

فالمهم ان نحقق التنظيم لتحالف قوى الشعب العـــاملة وان يقوم الانسجام والتفاهم بين الناس .

والذى اتصوره انه بعد فترة من الزمن سوف نلغى كل هذه التنظيمات النوعية التى نعمل على اساسها حتى لا توجد ضغائن .. فالضرورة هى التى تجعلنا نسير مرحليا بهذا الشـكل لاننـا فى حاجة الى تنظيم .. ولكن فى تصورى انه يجب الا نعمق التناقضات بين قوى الشعب العاملة .. لانه فى النهاية سوف لا نجد تنظيما واحدا عندنا .. انما سنجد عدة تنظيمات اذا ما تعمق التناقض بين القوى العاملة .. اننا نرجو ان يذوب كل هذا التقسيم الطائفى بعد فترة تصل الى سنوات .. وما جعلنا نسير فى البداية بهذا الشكل هو اننا نعمل كحزب تقابله احزاب تعمل فى البلد الآن .. فانه توجد فعلا قوى مضادة للثورة تعمل وتنشط .

وعلى هذا الاساس قسمنا انفسنا نوعيا الى عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية وغير ذلك من قوى الشعب العاملة .. لكننا لن نسير على هذا التقسيم باستمرار .. فهل سنبقى على هذه التقسيمات التى تخلق حساسية بين هذا وذاك ؟..

ستكون هناك لجنة للاتحاد الاشتراكى فى المصنع ولجنة فى القرية وفى النهاية لا بد أن نذيب هذه التقسيمات النوعية والطائفية كلها .

ولذلك ففى رايى ان عملنا لا يجب أن يسير على اساس طائفى .. ولقد كانت اسهل طريقة للعمل فى التنظيم هى أن نقسم انفسنا الى قطاعات او طوائف .. فاذا نجحنا فاننا نستطيع أن نقيم جهازا سياسيا يمثل تحالف قوى الشعب العاملة معا بدلا من جهاز لكل طائفة على ان تذوب هذه التقسيمات وتنتهى .

علاقة الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات الأخرى

لا بد أن نحدد العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الدولة لاننا لا نستطيع ان نفصل الدولة عن الاتحاد الاشتراكى . ولا يمكن ان ننسى ان هناك تناقضا فى المجتمع ولا يمكن ان نترك هذا التناقض .

فقد يجتمع الاطباء فى وزارة الصحة مثلا ويقولون انهم مستقلون ان مستشفى القصر العينى ـ بما فيه من فساد مستقل أيضا ـ وكيف تكون الدولة مسئولة وكل واحد فيها يقول انه مستقل ؟.. ثم .. ما هو الاستقلال ؟.. أن استقلال القضاء مثلا الذى يتردد كثيرا نجد فى حالته ان رئيس الجمهورية هو الذى يعين رؤساء المحاكم وله حق توقيع الحركة القضائية لاعتمادها ، وله كذلك الا يعتمدها .. ووزير العدل هو الذى يعرض هذا الموضوع .. فهل هذا تدخل فى استقلال القضاء ؟ ان استقلال القضاء مقصود به الا تتدخل الدولة فى حكم القاضى والا تهدده بالفصل مثلا اذا لم يحكم بشكل معين فى قضية ما .. هذا هو استقلال القضاء .. وهو اساس التعامل بين الناس ..

اما قلنا ان الجامعة مستقلة والقضاء مستقل فانه لا داعى لوزارة التعليم العالى ووزير التعليم العالى اذن .. وكذلك فانه لا يكون هناك داع لوزير العدل .. بل لا يستطيع مجلس الامة ان يناقش موضوعا مثل موضوع الجامعة لانه لا يوجد مسئول عن الجامعة فى السلطة التنفيذية وبالتالى لا يمكن أن يوجه المجلس سؤالا الى الحكومة عن التطور الجامعى كما حدث مثلا لان الجامعة مستقلة عن الحكومة وعن الدولة .

ان الدولة الاشتراكية مسئولة عن كل شىء .. والجامعة مثلا يمكن أن تكون مستقلة لو كانت تدار براسمال خاص والحقيقة أن الدولة هى التى تمول الجامعة وتشرف عليها .

بل اننا لم نترك اليوم مصنعا مستقلا استقلالا ذاتيا كاملا فنحن نرسل ميزانية كل مصنع الى مجلس الامة لكى يراجعها .. فكيف يمكن ـ فى هذه الدولة المسئولة عن كل شىء ـ أن نقول أن الجامعة مستقلة ولا شان للدولة بها .

ولو كانت الجامة مستقلة فانه لا يمكن ان يناقش موضوع الجامعات فى مجلس الامة لانه على هذا الاساس كيف نناقشه والجامعات مستقلة ؟.. ونقول ان القضاء مستقل لكنه مستقل من ناحية الاحكام .. أما التنقلات والتعيينات واختيار اعضاء مجلس القضاء الاعلى وكل هذه الشئون فانها تسير وفق التنظيم العادى .. أى أن

الامور فى هذه النواحى تخضع للناحية التنفيذية والقضاء مستقل من ناحية الاحكام وضمانها ..

كذلك فانه لا توجد اية جامعة فى العالم مستقلة لا فى الدول الراسمالية ولا فى الدول الشيوعية .. فالجامعات فى الدول الراسمالية يديرها أصحاب النفوذ فى الطبقة الراسمالية وتتبع الجامعات فى الدول الشيوعية نفس الشىء ، أى يسيطر عليها اصحاب النفوذ والسلطة فى الدول الشيوعية .

الاتحاد الاشتراكى والنقابات :

ثم ما هو وضع الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للنقابات ؟.. ان هناك تناقضات بينهما .. ان التناقض قائم لوجود المنافسة بينهما .. والذى أتصوره أن يكون هناك عدد كبير من اعضاء الاتحاد الاشتراكى اعضاء فى اللجنة النقابية .

واذا كانت هناك عناصر قيادية فى كل مؤسسة جماهيرية فان هذه العناصر هى التى ستدخل لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية .. والا فان عملية النقابات والاتحاد الاشتراكى وصلتهما ببعضهما سيكون بها خلل .

ولكن لا بد أن نعرف أن الاتحاد الاشتراكى هو المنظمة الاساسية ، واعضاء اللجنة النقابية اصلهم اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى . والتناقضات الموجودة الآن بين الاتحاد الاشتراكى والنقابة يجب ان نحلها والا فاننا سنصل الى الدرجة التى نتساءل فيها هل نلغى الاتحاد الاشتراكى ؟.. أم نلغى النقابات ؟.. هذا اذا ما تركنا التناقضات تستفحل وتزيد .

ولو استطعنا أن نخلق قيادات تقوم بالتوعية فانه لا يحدث مثل هذا التناقض ولقد كانت هناك مشاكل كثيرة فى الماضى بالنسبة للنقابات .. اما اليوم فلا توجد الا اسباب فرعية ومشاكل بسيطة مثل الخصومات والعقوبات وما الى ذلك .

وبالنسبة للترشيحات للاتحاد الاشتراكى والنقابة فانه لا يمكن تحديد عدد المرشحين للنقابة ولو تقدم عشرة افراد للترشيح لعضوية اللجنة النقابية فيجب ان يتم ترشيح العشرة .. اما الاتحاد الاشتراكى فالوضع يختلف بالنسبة للترشيح لعضوية لجنته .

ولا بد أن ندرك ان عمل النقابة هو عمل الاتحاد الاشتراكى ، وان كان الاتحاد الاشتراكى هو المنظمة الام .. وليس من الضرورى ان يكون الاعضاء هنا هم نفس الاعضاء هناك .

وانى اقول لا بد من احياء اللجان الموجودة فى القرى والمصانع اولا وخلق الاتصال بيننا وبينها ، وبعد ذلك نخلق الكادر المسئول فى المصنع او القرية ..

اليس اعضاء الجمعية التعاونية مثلا اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى ؟.. وكذلك اعضاء مجلس القرية ؟ وهذا يكون الاتحاد الاشتراكى هو التنظيم الاساسى .

فاذا كان الاتحاد الاشتراكى قوة فان كل من يتصدى له سيفصل ، واذا كانت لجنة الاتحاد الاشتراكى قوية وتستطيع أن تتصدى لكل من يخرج عن دوره أو ينحرف فان كل الناس سوف يدخلون فى كنف لجنة الاتحاد الاشتراكى ، ومن يحارب الاتحاد الاشتراكى أو يخرج عن مبادئه فيجب أن يفصل .. بل ان الجمعية التعاونية مثلا اذا قامت بأعمال خارج نطاق دورها وتتعارض مع الاتحاد الاشتراكى أو تنحرف فيجب أن تحل .. وكذلك لجنة النقابة .

وهكذا بالنسبة لعضو النقابة الذى يرفض حضور لجنة الاتحاد الاشتراكى أو الاجتماع الذى تدعو اليه .. لو أن لجنة الاتحاد الاشتراكى فصلت عضو النقابة هذا لما اقدم عضو فى اللجنة النقابية على التاخير او الامتناع .

أى أن العملية تكون : هل لجنة الاتحاد الاشتراكى لها شخصيتها واحترامها أولا ؟.. وبهذا سيظهر الاتحاد الاشتراكى انه الصورة الاساسية وانه القوة .. اما اذا كانت لجان الاتحاد الاشتراكى ضعيفة « كذا وكذا » الى آخر ما نسمع فستكون الصورة بالعكس .

اريد أن يكون عندنا تصور للعمل .. فنحن نريد أن نجمع الناس وان يكون لنا تنظيم فى النقابات مرتبط بالتنظيم السياسى .. واذن فالتنظيم السياسى هو الاهم وهو الموضوع الاول وليست النقابة مثلا هى الموضوع الاول فى الاهمية .

بهذا يكون التنظيم السياسى له تأثير فعلى على النقابات ويكون هناك تفاعل بين النقابات وبين التنظيم السياسى وليس تناقضا أو منافسة كما هو الحال الآن .

ونحن اذا اخذنا النقابات بشكلها الحالى فسنجد ان هناك انفصالا بين النقابات والتنظيم السـياسى .

وبالنسبة للعمل الحزبى فانه حتى قبل الثورة كان لكل حزب من الاحزاب عدد من الاعضاء فى كل نقابة مهنية .

فعندما نختار احد المحامين مثلا يجب ان يتوافر فيه شرطان .. أن يكون قياديا وحركيا وان يكون مؤمنا بالنظام الاشتراكى مخلصـا له ويجب أن يكون قادرا على تجنيد الناس من بين المحامين ليرتبطوا بنا .. فلو اعلنت اننى سأزور نقابة المحامين غدا على سبيل المثـال فسوف يذهب كل المحامين الى النقـابة .. ولكن من منهم مرتبط بالثورة والاشتراكية ؟ .. الحقيقة ان هذه هى العملية التى تنقصنا .

وفى كل انتخابات يجب أن يكون العمل السـياسى هو صاحب التاثير الاول . ونحن لا نستطيع ان نقول اننا سنلغى النقابات المهنية فى الوقت نفسـه ولكن يمكن ان نعمل على تطوير النقابات .. ويمكن للنقابات المهنية أن تكون موجودة فى المجتمع

الاشتراكي . ولكن على الاساس النقابي الحقيقي بان يكون المشترك فيها هو كل من يعمل باجـر .

واذن فان العملية الاساسية مع النقابات هي عملية تنظيم مع حل بعض المشاكل التي تعوقنـا في التنظيم مثل توضيح الرأى بالنسبة للنقابات المهنيـة وهذا يمنع الرأسمالية المستغلة او الرجعية من استغلال النقابات المهنية وخلق جو الشك في اذهان أعضائهـا .

ولذلك يجب ان نلتقى بالناس ونفتح صدورنا لهم ونقول لهم ما هى السياسة في الوضع الجديد وفي المرحلة التي نمر بها .. مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية نقول لهم ما هو مفهوم السياسة الآن ومفهومها قبل ذلك .

ويجب الا نلقى العيب على الناس بينما نحن الذين تركناهم ، ولا نقول ان العيب على العمال مثلا او على مجالس الادارة لاننـا لم نقل للعمال ولا لمجالس الادارة ان العلاقة هي كذا وان عمل لجنة الاتحاد الاشتراكي هو كذا وعمل مجلس الادارة هو كذا ، بحيث يعرف كل واحد دوره .. ويجب أن نحدد لهم عمل الاتحاد الاشتراكي وهذا سيسهل الامور لكل الناس ولكل التنظيمات .. بل نقول للنـاس .. ما هى السياسة .. ان احد مجالس الادارة مثلا قال للجنة الاتحاد الاشتراكي ان عملهـا منحصر في السياسة ... فهل السياسة هى ان ترسل اللجنـة برقية الى الرئيس جمال عبد الناصر بتاييد مؤتمر عدم الانحياز مثلا ؟ .. لابد ان يعرف الناس ما هى السياسة في المجتمع الجديد .

النقابات او لجان الاتحاد الاشتراكي باى شكل من الاشكال .. فهذا هو صمام الامان حينما يدخل الاشتراكيون هذه التنظيمات .

واعتقد ان الاشتراكيين قد يكونون قلة .. ولكن اعتقـد ان هناك اشتراكيين وعناصر طيبة لم تظهر الى الآن وبعض الناس يمكن ان يؤمنـوا بالاشتراكية ويكونوا عناصر اشتراكية صالحة وقد يكون من هؤلاء نقابيون فمن يكون اشتراكيا هو الذى يعمل معنـا .

الخلاصة ، اننا لو بدانا بعدد صغير فهذا افضل من الانتظار .

فالوضع الآن هو انه يوجـد عمال صالحون وعمـال غير صالحين .. وكذلك بالنسبة للنقابيين فهناك العناصر الصالحة والعناصر غير الصالحة .. فحينما نجمع النقابات اليوم فكأننـا قد جمعنـا الصالح مع غير الصالح .. جمعنـا العنصر الاشتراكي والمضاد للاشتراكية والانتهازى معا .. فهل هذا هو المطلوب ؟ ان المطلوب هو تكتيل العناصر الاشتراكية وجمعها في التنظيمات المختلفة ، وفي النقابات حسب خبرتنا ومعرفتنا للاشخاص ، ولاعمالهم وعن طريق العدد الذى نحصل عليه من كل نقابة وليكن عشرين نستطيع ان نضم ١٠ او ١٥ او ٢٠ آخرين .. وبذلك نكون قد

اوجدنا حزبا داخل العمال وهو الحزب الاشتراكى الذى نستطيع عن طريقه ان نوجه وأن نقود داخل جميع هـذه التنظيمـات والمؤسسات .. ولذلك فيجب ان نجمـع الناس الصالحين الموجودين فى النقابات .. وهم الذين لم نعرفهم ونريد استكشافهم وتنظيمهم .

ان تجربتنا جديدة .. وهذا يقتضى منا ان تكون صدورنا واسـعة لكل النـاس ويجب الا نخشى أن يتكلم الناس فى أى مكان فى البـلد .. ويجب الا تكون عنـدنا حساسية من احاديث اعضاء مجلس الامة مثلا وغيرهم فهذه علامات الصحة .. لكن لابد أن نعمل .. ولابد أن يفهم الناس المشاكل والا فان الرجعية تستطيع ان تضم اليها العمال والفلاحين والموظفين وكل القوى التى نعتبرها ركائزنا .

علاقة الاتحاد الاشتراكى بالمجالس الشعبية ومجلس الأمة :

والاتحاد الاشتراكى له السـلطة على الاجهزة التنفيـذية عن طريق المجالس الشعبية حيث ان المجالس الشعبية من الاتحاد الاشتراكى وهى التى تحدد العلاقة بين السلطة التنفيذية وبين السلطة الشعبية .

وعندما تكون المجالس الشعبية فانها تستطيع القيـام بدور كبير ستكون لها سلطات هامة .. وفى رايى أن المجالس الشعبية ليست الا تعبيرا عن سلطة الاتحـاد الاشتراكى فى المنطقة .. فتوصيات الاتحاد الاشتراكى اليوم يمكن أن تدخل فيهـا الطلبات الشخصية ... اما فى المجالس الشعبية فان العمليـة ستختلف عن هـذا لانها ستكون مثل مجلس الامة بالنسبة للدولة ..

وفى رايى أنه يجب أن نترك لمجلس الامة حرية الكلام كما يشاء .. ليتـكلم من يشاء من الناحية الدينية مثلا أو غيرها .. ويجب أن نترك الفرصة حتى لو اشتط البعض .. اننى اريد ان ياخذ المجلس وضعه كمجلس نيابى ..

لقد قيل عن مجلس الامة مثلا انه سيكون مجلس « نمر » صورى وقد سمعنـا هذا الكلام لكن المجلس اخذ وضعه كمجلس نيابى .

وفى نفس الوقت يمكن أن يجرى بحث موضوع انشاء اللجنة البرلمانية وستنبثق منها لجنة تنفيذية تضم اعضاء مجلس الامـة الموجودين فى الامانة بالاضافة الى عدد آخر من الاعضاء .

لقد استمعت الى المناقشات التى تدور بالمجلس وحول الموضوعات المختلفة وفى رايى أنه احسن مجلس نيابى بالنسبة للمجالس السابقة .. ونحن نهدف فى خطواتنا دائما ان تكون هناك اجهزة قوية لا اجهزة صورية .. وفى رايى ان المجلس يستطيع فى المستقبل ان يوجه .. بمعنى ان الحكومة حتى بالنسبة للامور التى هى من سلطتها

يمكن ان نأخذ برأى المجلس ، طالما ان هناك تنظيما داخل المجلس وعلينا أن ننظم .. ننظم انفسنا وننظم العمل داخل المجلس والذى أريد قوله هو انه لا يجب أبدا ان « تكلبش » المجلس او نقيده ، ويكون مجلسنا بحق أحسن مجلس فى البلاد العربية من المحيط الى الخليج .. وهو بالفعل أحسن مجلس .

ان أى حزب له لجنة فى البرلمان تدرس للعضو الموضوع الذى يتكلم فيه وتساعده هذه اللجنة . ونحن لدينا نقص فى هذه الناحية فالعضو يعتمد على جهوده الخاصة لكى يتكلم فى أى موضوع .

اما فى الاحزاب والتنظيمات الحزبية فى الخارج فان العضو فى البرلمان يعتمد على الحزب أو التنظيم الحزبى الذى يعد له كل شيء .. وبهـذا يكون الكلام الذى يقال فى المجلس كلاما له قيمة .

نحن نعطى مجلس الامة كل امكانيات ممارسة العمل الديمقراطى ويمكن أن يكون فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى أكبر عدد من أعضاء مجلس الامة .. كما انه يمكن أن يكون أعضاء بمجلس الامة الموجودين معنا لجنة تبحث الامور بحثا موضوعيا

ولكن يجب الا نطلب من الاعضاء تأييد الحـــكومة فقط .. دون الوقوف موقف المعارضة فهذا كلام خطأ .

لكن يجب معرفة حدود الموضوع الذى يثار فيه الكلام وابعـــادها وجوانبها من اولها الى آخرها .. بحيث اذا ما تعرضنا لمناقشـة موضوع الاسكان مثلا فى مجلس الامة نناقش الموضوع بكل حرية فتتضح جوانبه المختلفة .

واذن فالاســـاس فى العملية هو ايجـــاد التنظيم الملتزم بحيث لا نكون جامدين متزمتين ويمكن مثلا ان يكون للحكومة موقف معين وينتقد أعضاء مجلس الامة موقف الحكومة .. ولكن يجب ان يكون هذا فى حدود الديمقراطية السليمة ، ولهذا فأرى ان تشكل لجنة من اعضاء مجلس الامة الاعضاء فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .. ويمكن أن ينضم الى هذه المجموعة عدد آخر من أعضـــاء مجلس الامـة لبحث كل موضوع بحثا موضوعيا .

وفى رأيى ان مجلس الامة يجب أن يترك لاعضائه حق الكلام وحرية المناقشة كما يريدون حتى نزيل العقد الموجودة فى النفوس وفى نفس الوقت ننظم انفسنا داخل جميع التنظيمات القائمة .

ولقد كشفت ممارسة الديمقراطية السليمة فى مجلس الامة خلال المناقشات التى دارت حتى اليوم أن هناك تعاونا تاما بين الحكومة وبين مجلس الامة لانهما جهازان يمثلان تنظيمين فى هيئة واحدة .. ويجب أن يشعر الناس اننا جميعا نعمل لهـدف واحد ومن اجل مصلحة واحدة .

ولكل عضو حرية الكلام .. وابداء الرأى ولن يترتب على ذلك اية مشاكل .
وانا اعتبر ان مجلس الامـة هو جزء من التنظيم .

الديمقراطية الاشتراكية والمفاهيم العالمية

يوجد فى العالم نظامان هما الرأسمالية والاشتراكية ...

ونحن فى اجتهادنا للتعبير عن ممارسة الديمقراطية والاشتراكية يجب أن لا ننقل تعاريفا من الكتب انما يجب ان يكون لدينا نوع من التصور للبحث عما يلائم ظروفنا نحن وما نمارسه بالفعل ...

والاشتراكية مثلا يمكن أن تطبق باشكال لا أول لها ولا آخر طبقا لظروف كل بلد وكل مجتمع ...

ونحن لنا طريق الى الاشتراكية منفرد لا ننقله من احد انما نمارسه وفق أحوالنا وظروفنا وطبيعتنـــا ...

فما هو طريق الديمقراطية الاشتراكية اذن ؟

انى اقول ان الاشتراكية شىء واحد ولكن الطريق الى تحقيقها يختلف ... ونحن نختلف عن الدول الشيوعية وعن الدول الاشتراكية الاخرى .... فالنظـــام الشيوعى قائم على اساس ديكتاتورية البلوريتاريا اى حكم الطبقة العاملة ونحن نقول وننادى « بديمقراطية كل الشعب » ... وفلسفتنا ليست مبنية على ديكتاتورية أى طبقة لكننا نصل الى اهدافنا بطريق ديمقراطى ... وتجربتنا هى اذابة الفوارق بين الطبقات ولذلك فهى تجربة فريدة ومختلفة عن الآخرين ...

فلو طبقنا ما يطبق فى الدول الشيوعية فان ذلك لا يلائمنـــا .... ولذلك فان التعاريف والمفاهيم المنقولة بالتالى لا تتفق مع ما نمارسه بالفعل ...

والنقطة الهامة اذن أن تعاريفنا تختلف عن الآخرين ...

فنظام البلوريتاريا حينما يطبق لابد من ان تكون هناك عملية « كسر وبتر » وقطع خالص ... ولكننا سرنا ونسير بعملية « تفتيت مع لم وجمع » ...

اننا نقول ديمقراطية كل الشعب ولا نقول ديكتاتورية طبقة ...

كذلك فنحن لا نقول « ديكتاتورية الشعب العامل » ولكن نقول « ديمقراطيـــة الاشتراكية اى تحقيق الاشتراكية بالوسيلة والطريق الديمقراطي ، وهذا ما جعلني اقول ان ممارستنا للتجربة نقوم فيها بعملية « تفتيت مع جمع ولم » ...

ولا نستطيع أن نقول أن تجربتنـــا اصبحت كاملة مائة في المائة ولكنهـا تجربة ديمقراطية الاشتراكية واعتقد انها تجربة فعلا ...

اننا نسير على أساس ديمقراطي في جميع مستوياتنا وجميع مراحل الممارســـة واختلافنا في التجربة لا يتوقف على النظام الشيوعي فقط ، بل انه يختلف كذلك عن الدول التي تعمل لتحقيق الاشتراكية في مجتمعاتها ... بل اننا نختلف عن الطريقة المتبعة في الجزائر ...

ففي الجزائر تسير التجربة بالنسبة للانتخابات على أساس المرشح الواحد ... اما بالنسبة لتجربتنا تجاه الانتخابات وحتى تمارس الديمقراطية في شكل جوهري هو ان ينزل عدد كبير في الانتخابات كمرشحين ...

فنحن نؤمن ان عملية الانتخابات على أساس قائمة « تصدر وعلى الناخبين ان يقبلوا من في القـــائمة أو يرفضوهم فتعد لهم قائمة اخرى فان ذلك يعني قبول احتكار السياسة بواسطة مجموعة من الناس دون غيرهم ..

فنحن نؤمن ان عملية الانتخابات على أساس (مكررة) .

وأنا اعتبر ان الناحية الديمقراطية والممارسة عملية أساسية بالنسبة لنا كدولة وكمجتمع ..

وهناك ناحية هامة اخرى ، لا بد من وضعها في الاعتبار ، حتى لا تدخل في ديكتاتوريه أخرى ..

اذا لم ننشر الوعى حتى يمارس كل مواطن الديمقراطيــة السليمة فاننــا سنجد انفسنا فى مواجهة ديكتاتورية الحكومة ..

حقيقة ان الحكومة ليست طبقة ، ولكنا نرفض أى نوع من انواع الديكتاتورية.

ويجب الا ننظر الى حاضرنا فقط ، ولكن نظرتنا الى المستقبل تحتم علينا ان نعمل على الا تقع بلادنا تحت اى سيطرة سواء كانت ســيطرة طبقة او افراد او هيئات ..

لنفرض انه تولى السلطة شخص له نزوات ، فانه سوف يسىء استخـدام السلطة .. وكذلك الحال بالنسبة للطبقة او الفئة او الجماعة ..

واذن طريقتنا التى نسير عليها هى العمل من اجل تحقيق الاشتراكية عن طريق الممارسة الديمقراطية ..

وسوف نواجه متاعب كثيرة فى ذلك ، ولكنى اعتقـد انه بدون هذا السبيل، فقد نجد انفسـنا فى مجاهل ومتاهات لا نعرف ابعادها ونهاياتها ..

وانا اقول واحــذر اننــا اليوم موجودون وغد نحن غير موجودين : والحل الوحيد لضمان الامان وتأكيد الكرامة لشعبنا والسلامة لبلادنا ومجتمعنا هو ان نسير فى طريقنا على درجات ونخطو على هدى وبينة ونحقق ما نريد على خطوات :

الخطوة الأولى :

اننا فتحنا الابواب امام الجميع ، فباب الانتخابات مثلا مفتوح .. وهذا لا يمنع ان يظهر شخص يبين ان تناقضا موجودا ويكون هو نفسه تعبيرا عن هذا التناقض ..

ويجب الا يخيفنــا ذلك فى ممارســتنا لتجربتنا فنحن نعتبر مثل هــذا من علامات الصحة وليس من علامات المرض ..

الخطوة الثانية :

اننا جعلنا العمل السياسى حق للجميع فنحن لا نريد أن يكون العمل السياسى احتكارا لفئة معينة لان ذلك يسبب جمودا ويقودنا الى صور الديكتاتورية التى لا اول لها ولا آخر ..

ان سبيلنا الى تحقيق الاشتراكية هو ممارسة كل اعمالنا بالطريق الديمقراطى واذا احجمنا عن ذلك فسوف يقودنا ذلك الى المحسوبيات والانحرافات الكثيرة ..

وفى الوقت نفسه فهذا السبيل هو ضمان المستقبل .. فطالما أن الديمقراطية قائمة بالفعل فلن يستطيع أحد أن يفسد او يغتصب أو ينحرف بالمجتمع ..

واذا كنا نفترض أن هذا هو أساسنا لتحقيق الاشتراكية فلا بد ان نفتح ابواب العمل السياسى للناس .. وسوف يخلق ذلك مشاكل وتناقضات كثيرة الا أنه من الواجب علينا أن نحل هذه المشاكل ونعالج هذه التناقضات .

ولا شك ان المشاكل ستزداد فى المستقبل ، لاننا فى الواقع ـ كما يقول الكثيرون نسير فى عمليات تطوير اكثر مما نتصور . وهذا وحده يخلق بالتالى مشاكل اكبر مما نتصور .. وفوق ذلك نسير فى تجربة فريدة نواجهها نحن ونمارسها ولكن يجب ان يكون معلوما لنا جميعا أننا نسير فى خطى تطويرنا دون أى ضغط أو حتميات الالزام ..

وما دمنا قد آمنا بديمقراطية كل الشعب وحق كل مواطن فى العمل السياسى وممارسته فلا بد أن يفهم الناس حقيقة المشاكل وابعادها ..

ان السد العالى سيعطينا مثلا مليونا ونصف مليون فدان وهذه المساحة غير كافية .. أريد ان يفهم الناس .. كل الناس ذلك ويدركون أنه لا بد من العمل حتى نحقق الكفاية والا فان البلد ستنقسم الى طبقتين :

طبقة تعمل وتأكل .. وطبقة لا تجد العمل ولا تجد الاكل ..

كذلك فان قوى الشعب العاملة لا بد أن تفهم عن عقيدة ان التغيير الذى لم ويتم فى صالحها رغم ما واجهنا وما يواجهنا من مشاكل وصعاب ..

فاذا قام الاتحاد الاشتراكى بدوره فى التوعية فان الطبقات العاملة التى ترتكز عليها كقوى اشتراكية سوف تفهم ماهية هـــذه المشاكل وطبيعتها وسنعرف عن

ايمان ان التغييرات التي حدثت في المجتمع لصالح هذه الفئات ولصالح الشعب العامل ككل ..

هكذا يتضح انه ليس امامنـــا في السبيل الذى نســـير فيه اذا كنا حقا نريد عملا اشتراكيا وديمقراطية سليمة ..

اما اذا خلقنا ديكتاتورية من ألف شخص مثلا فان هذه العملية لا تفيدنا ولا تتفق مع مجتمعنا ومصلحتنا .. ولو حدث ذلك فاني اخشى ان ثروات البلد ستذهب الى الاقارب والمحاسيب والشلل والاصدقاء وبطانات الالف شخص .

ان طريقنا ليس هو طريق ديكتاتورية البلوريتاريا لتحقيق الاشتراكية ولكنه طريق الديمقراطية .. ديمقراطية كل الشعب ..

وليس معنى القول بان تجربتنا فى تحقيق الاشتراكية هى تجربة فريدة ان نغلق على انفسنا الابواب ولا نقبل معرفة الاتجاهات والافكار الاخرى فان هـــذا هو الجمود نفسه .

علينا ان نقرأ ونطلع ونبحث وناخذ ما يمكن ان يطبق عندنا بالتصرف الذى يلائم ظروفنا وتجربتنا ..

بل ليس لدى مانع من ان ناخذ من ماركس او من اى شخص ما يتناسب معنا ..

فنحن مثلا عندما نقول « اشتراكية علمية » فمعنى ذلك ان كل شيء يجب ان يسير على أساس علمى .. فيمكن اذن للجنة الدعوة والمعهد الاشتراكى أن يحددوا لنا التعاريف والمفاهيم التى تتمشى مع وضـــعنا وطبيعة تجربتنا وسلوكها وسبليلها ..

ولكن لا أريد أن نقحم انفسنا فى موضوعات عقيمة بحجة التعمق لاننا أولا نريد خلق الوحدة الفكرية بين الناس .. والوحدة الفكرية لم توجد بعد .. ولذلك أسباب منها أن الذين يقومون على التلسير لهم ثقافات مختلفة .. وهذا هو السبب اننا نجد كلا منهم « يفسر على كيفه » وكلا منهم يقول وجهة نظره التى تختلف عن الاخرين ..

وسبب آخر ان مجتمعنا نفسه كان عبارة عن تناقضات اجتماعية وفكرية ومن اجل ذلك فلابد ان ندخل ابواب الفــكر الاشتراكى بتمهل ، وبســاطة .. فاننـــا فى مرحلة حساسة جدا وتلك هى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ..

وطالما أننا فى مرحلة التحول والانتقال ، فسوف يوجد الفكر أثناء التطبيق وهذا هو ما يدعونى الى القول بأن نتمهل ونتبسط فلا داعى للتعمق طالما اننا فى مرحلة التحول الاجتماعى والتحول الفكرى كذلك خاصة واننا فى المراحل الاولى للتطبيق ..

الا ان الاساس قائم والسبيل محدد وسوف يزداد التعمق وسيزداد التفصيل كلما خطونا فى طريقنا الى الاشتراكية على مدى الايام ..

وانى أرى ان الميثاق الذى وضعناه واضحا لا يحتاج الى التفسير والاجتهادات العقيمة التى لا نحتاجها فى الوقت الحاضر .. وعلينا أن نجعل الميثاق هو الاساس لاى موضوع من الموضوعات ..

وحينما نرجع الى الميثاق ، فسنجد فيه ردا على كل شىء مع التبسيط .. فاذا كانت هناك نقاط تحتاج الى تفسير فلا بد أن يشترك فى ذلك اكبر عدد بل يجب أن نناقش هذا ونتحدث عنه فى اللجنة التنفيذية العليا وفى الامانة العامة ..

ومن الممكن ان يعد لنا المعهد الاشتراكى ، موضوعا للمناقشة او نحدد نحن فيما بيننا هنا موضوعا لمناقشته فى جلسة من الجلسات . بحيث نحدد نحن بتصورنا وواقعنا وتجربتنا التفسيرات لطريقنا الى الاشتراكية ..

وكما قلت ، يجب أن نبسط للناس كل شىء فى هذه الفترة .. وكلما قمنا بهذا التبسيط فان المفاهيم سوف تكون أسهل بالنسبة للجميع .. اما التعقيد فانه يتأتى عن وجود افكار اشتراكية قديمة ومتباينة فى نفوس بعض الناس ..

وهدفنا فى الوقت الحاضر هو أن نحقق وحدة الفكر .. فكيف نصل فى الصحافة وأجهزة الاعلام مثلا الى هذا الهدف فى تحقيق وحدة الفكر .. اذا كان كل واحد من القائمين على هذه الاجهزة والاقلام يتكلم حسب اجتهاده وحسب ما التقط فى قراءاته من الافكار والاراء النظرية ..

وطالما ان القائمين على الفكر والاعلام والتوعية غير منظمين فانه لا يمكن تحقيق وحدة الفكر ..

كيف تسير العملية فى الاذاعة مثلا ؟

انهم يجتمعون ويتناقشون ثم يخرج كل واحد ، ليقول ما يريده هو ، وهذا سببه أنه ما زال هناك قصور فى التنظيم ..

فعندما نصل الى وحدة الفكر بالنسبة للامانة العامة ثم نصل الى وحدة الفكر بالنسبة للامانات الفرعية فان هذا يساعدنا مساعدة كبيرة جدا على ان تتسع وحدة الفكر فى المجتمع وعن طريق التنظيم الذى نقيمه فى الصحافة واجهزة الاعلام يمكن أن نجعل من ينظم هو الذى يقول وجهة نظرنا التى التقينا عليها ..

ويمكن أن ناخذ أناسا من التليفزيون والاذاعة والصحافة ودور النشر ونجعلهم دعاة وننظمهم .. وبمجرد قيام التنظيم ستوجد وحدة فكرية ..

ولكنى ارى أن الشيوعيين ليسوا هم الذين يقومون بعملية التفسير أو الدعوة لاشتراكيتنا لان هناك اختلافا بيننا وبين الشيوعيين .. وحتى الشيوعيون نوجد بينهم اليوم خلافات .. والمناقشات الطويلة بين الاتحاد السوفيتى والصين ترجع الى وجود خلافات كبيرة بينهما بالنسبة لديكتاتورية البلوريتاريا .. وديمقراطية كل الشعب .. فالصينيون يقولون اليوم ان الروس انقلبوا الى « بورجوازيين » .. ورأى الصين مثلا انه لا داعى ابدا ان ينتقل الاتحاد السوفيتى الى مرحلة أكثر رخاء طالما انه توجد دول شيوعية اخرى لا زالت تقاسى وفى رأيهم أنه لا بد ان تكون لحقيق الخطوات الى الاشتراكية فيها مشاركة وان يســاعد الاتحاد السيوفيتى الدول الشيوعية الاخرى التى لا زالت تقاسى .

وكذلك ترى الصين ان من مصلحتها ان تبدا مرحلة الديمقراطية لكل الشعب وان تنتهى ديكتاتورية البلوريتاريا .. بينما اليوغوسلافيون يقولون انه لا بد أن تبدا مرحلة اضمحلال الدول والحزب وقالوا هذا فى البرنامج الذى أعدوه عام ١٩٥٨ بالنسبة للادارة .

ومن ناحية اخرى فان الروس كما نشرت جريدة ازفستيا بدءوا يوزعون أرباحا على عمال النسيج بالذات أى انه حدثت تغييرات فى الاتحاد السوفيتى بعد ٤٥ سنة من تطبيق النظام الشيوعى ..

وقد غيرت يوغوسلافيا التعاريف وقابلتها فى ذلك مشاكل كثيرة ..

وبالنسبة للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية مثل حزب جى موليه بفرنســا فانى أعتقد انه انحرف وسار فى طريق اليمين ونحن نعتبر متقدمين عنهم .. ولكن هذا لا يمنعنا من ان نعمل معهم ونتصل بهم .. والحزب الاشتراكى الايطالى كذلك ..

لا مانع من اجراء اتصالات بالاحزاب الشيوعية مثل الحزب الشيوعى الايطالى

ونتصل ايضا بحزب المؤتمر الهندى وغيره .. وعلى هذا الاساس نستطيع ان تكون على صلة بالحركة الاشتراكية فى اوروبا وآسيا .

وهناك نقطة لا بد ان تتضح لنا فى رايى وهى ان اية خطوة اشتراكية تقدمية فى اية دولة وخاصة الدول العربية لا بد ان نساندها . فلا بد ان يكون مبدؤنا الاشتراكى واضحا وليس معنى مساندتنا لخطوة اشتراكية اننا نؤيد حزبا او جماعة اننا نحن نؤيد العمل الاشتراكى ايا كان مبعثه .. اننى لا اقول اننا نؤيد حزب البعث مثلا وانما نحن نؤيد الخطوة الاشتراكية التى اتخذت فى سوريا مثلا .

وهذه نقطة تحتاج ان نعرفها جيدا وهى ان حرصنا على الديمقراطية السليمة لا يعنى ان نسمح لاى حزب او لاى تنظيم ان يقوم او نسمح للشيوعيين بأن يعيدوا تنظيم انفسهم باى حال من الاحوال فان كان الشيوعيون فى بلادهم لا يسمحون لاحد بان يشكل تنظيمات فهل نسمح للشيوعيين بذلك فى بلدنا ؟..

هل يستطيع خروشوف الان مثلا ان ينظم اى تشكيل فى الاتحاد السوفيتى ؟..

طبعا لا يمكن .. هل هو شيوعى او غير شيوعى .. طبعا شيوعى .. ولكنه مع ذلك لا يستطيع ان يقيم تنظيما فى الاتحاد السوفيتى .

ان تربتنا فريدة ولا بد ان يكون لدينا تصور وابتكار ونحن نحققها فى خطانا .. ولكن عند المناقشة يجب ان يكون الكلام مبنيا على اساس الميثاق .

فنحن مثلا نقول اننا لسنا ضد الدين .. وكوننا نقول ان الاســلام دين اشتراكى لا يمنع ان تكون اشتراكيتنا قائمة على الميثاق .

ممارسة الديمقراطية :

اننى لا اريد ان تكون الصحف كلها نسخة واحدة .. اننا نريد ان يجتهد الناس فى اى موضوع من الموضوعات لان الشعور السائد بين الناس ان الجرائد مراقبة وهى فى الحقيقة لا تخضع لرقابة .. ويجب ان يفهم الناس ذلك .. ويجب ان يترك باب الاجتهاد مفتوحا بالنسبة للكتابة فى الموضوعات الاشتراكية .

ويجوز ان تكون للناس آراء مختلفة .. فمثلا فى المجلة التى تصدر فى براغ تنشر فيها آراء مختلفة جدا عن آراء الحزب الشيوعى .. ونحن يجب ان نسمح بنشر الاراء المختلفة عنــا حتى يشعر النــاس بانه يمكن لكل شخص ان يبــدى رايه ويمكن ان يتبينوا النواحى المختلفة .

نريد اشخاصا يتحدثون بصراحة عن كل شيء وعن كل شخص مهما كان مركزه وحتى الان لا يوجد هؤلاء الاشخاص والسبيل الوحيد لهذا هو الديمقراطية .. مثلا الكلام الذى قيل عن خروشوف بعد عزله من الحكم بخصوص تعيين زوج كريمته رئيسا لتحرير جريدة برافدا ، لم يكن احد يجرؤ ان يقوله عندما كان خروشوف فى الحكم ، لان النظام هناك فيه عيوب .. ونحن نريد نظاما يستطيع اى فرد ان ينتقد حتى رئيس الجمهورية اذا اخطأ ..

ولكن لا داعى ابدا لنشر اخبار مجهولة او مقنعة كان ينشر ان مؤسسة حدثت فيها سرقات قد يكون هذا الخبر صحيحا وفى هذه الحالة لا مانع من أن ينشر اسم المؤسسة بالتحديد ..

حرية الصحافة اذن مكفولة ونحن اذا قيدنا العملية فان صحافتنا سوف تفقد قيمتها ، وليس هنا فقط وانما فى العالم العربى أيضا ..

ونحن فى الحقيقة خلال ممارستنا للديمقراطية السليمة نهدف ان تكون لدينا أجهزة قوية لا أجهزة صورية .. وليس الامر قاصرا على الصحافة فقط .. فمجلس الامة يجب ان ياخذ وضعه كمجلس نيابى صحيح وسليم ولكل عضو حرية الكلام وابداء الرأى .. ولن يترتب على هذا اية مشاكل .

فاذا كانت هناك احزاب فان الرجوع فى موضوع التعليم العالى الذى ناقشه مجلس الامة يعتبر هزيمة للحزب الحاكم ، اما نحن فموقفنا يختلف .. اذ يوجد تعاون تام بين الحكومة والمجلس وهما جهازان يمثلان تنظيمين فى هيئة واحدة ..

طالما انه لا توجد احزاب فلا مانع من ان نضرب الامثلة على انه يمكن ان تستجيب الحكومة لراى المجلس كما حدث بان تؤجل عملية التعليم العالى لمدة سنة وان تاخذ الاراء كلها وتعيد النظر فى العملية .. ان هذا لا يؤثر على الحكومة بل هو بالعكس من ذلك فان الموقف يؤدى الى تقوية وضع المجلس .

بل اننى لا امانع ان يقف عضو مجلس الامة الذى يقولون انه لا يريد ان يطالب بتحديد الملكية الزراعية بخمسة وعشرين فدانا .. بل اكثر من ذلك لا مانع من ان يطالب العضو الاخر الذى تقولون عنه بتاميم الارض الزراعية ..

فعندئذ ستحدث مناقشة فى هذا اوضوع .. ستظهر آراء قد تكون خافية .. لم يوافق المجلس اولا يوافق على هذا الكلام .. وتلك هى الديمقراطية السليمة .. ديمقراطية كل الشعب .. من اجل تحقيق الاشتراكية ..

شرح للميثاق.. قبل أن يصــــدر

يسعدني أن التقى بكم في هذه القاعة وأنتم على وشك أن تبــدءوا مهمتكم الكبرى في خدمة امتكم المناضلة التي اخذت على عاتقها بشرف وبسالة ان تطــور حياتها في جميع المجالات ، وأن تزيل عن كاهلها أثقال قرون طويلة من الظلم والقهر لتبني مجتمعا سعيدا تسوده الرفاهية على اسس من العدل والحرية .

امتكم التي نذرت نفسها برغم ما تحمله من أثقال وما نواجهه من مسئوليات ان تكون قاعدة لتحرير الامة العربية كلها سياسيا واجتماعيا .

وامتكم التي تقف في كل مكان على الارض بقدر طاقتها حامية لشرف الانسان ولحقه في الكرامة والسلام .

أمانة الخطوة الأولى :

في خدمة هذه الامة ، تبدءون اليوم مهمتكم الكبرى في التحضــير لمؤتمر وطني يمثل القوى الشعبية وتجاربها في شتى الميادين من ان يضع ميثاق العمل الوطني الذي يكون بدوره اساس الانتخابات العامة القادمة بعد انتخاب القواعــد الشعبية التأسيسية للاتحاد القومي والتي ينبثق منها بالانتخاب الحر المؤتمر العام للاتحاد القومي الذي يضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحــدة . ويضاعف من خطورة المهمة التي تقومون بها اليوم في خدمة امتكم اعتباران ، أولهما : انكم بهــذه المهمة التي اوكلت اليكم تحملون أمانة الخطورة الاولى التمهيدية لقيــام التنظيم الشعبي القادر على دفع الثورة الاجتماعية التي آن اوانها في وطننا بعد اســتغلال للجماهير طال مداه .

وثانيهما : أن الظروف تحتم عليكم الفراغ من مهمتكم الكبرى في مدى لا يتجاوز

---

(١) خطاب الرئيس في افتتاح اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ .

شهرا من الزمان على حد ما جاء فى البيان السياسى الذى صدر بتحديد خطوات العمل السياسى بتاريخ السبت الخامس من نوفمبر .

مهمتكم اذن دقيقة فى التطور الثورى لامتكم لم هى ايضا دقيقة بحكم الجهد الذى يتعين عليكم بذله فى فترة محدودة مركزه من الزمان .

لكنى اثق ، واظننى فى هذا اعبر عن رأى الامة ، بان فى طاقتكم جميعا ، جهودا قادرة على الخدمة العامة باخلاص وشرف .

تجربة الثورة فى معاركها :

وفى الحقيقة ، اننى لا أريد هنا أن القى خطابا افتاحيا لاعمال اللجنة : وانما الذى اريده ، هو أن امامكم تجربة العمل الثورى فى وطننا ، كما رأيتها ، وكما بدت لى طوال الفترة الاخيرة التى عشتها مع نضال هذا الشعب العظيم ، خلال سنوات حافلة ، مليئة بالاعمال الكبرى ، مليئة بالمعارك الكبرى فى نفس الوقت ، بغية تحقيق هذه الآمال .

معارك مع الاستعمار ، متعددة الالوان تبدأ باطلاق الاكاذيب وتنتهى باطلاق القنابل .

معارك مع الرجعية ، المتعاونة مع الاستعمار متعددة الاساليب ، تبدأ بمظاهر المحبة وتنتهى بطعنات الظهر والظلام .

معارك مع التخلف الطويل ، الذى ارغمنا عليه ، والذى ورثنا منه ما يعانيه شعبنا من المشاكل الهائلة ، التى يتحتم علينا حلها ومواجهتها مواجهة عملية مستنيرة لكى تتيح لشعبنا ان يحقق انطلاقاته الكبرى ، فى مجالات الانتاج وحتى توزيع فائضه وهو ما يعبر عنه بالكفاية والعدل .

معارك مع انفسنا . مع نقط الضعف فينا ، حتى لا ننسى على الطريق ، أهدافنا الاصيلة ، وحتى لا تخدعنا مظاهر الامور عن حقائقها . وحتى لا ننسى اننا فى الاصل والاساس جيل حمل مسئولية العمل الثورى ، ولا بد له تحت كل الظروف ان يتمسك بعزيمة الثوار ، وبتجرد الثوار ، اية مرحلة هى المرحلة القادمة ؟... اية مرحلة التى يتمر بها الثورة ؟

مبادىء ثورة ٢٣ يوليو :

مرحلة الثورة الاجتماعية ، هذه المرحلة لها بنورها ، هذه المرحلة لها خط

سيرها ، هذه المرحلة لها ترابط فى كل شىء مررنا فيه ، هذه المرحلة نتيجة كفاح طويل ، ونتيجة وعى وتصميم من الشعب .

قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وكانت هذه الثورة ، هى حصيلة كفاح الشعب من اجل الحرية ، ومن أجل الاستقلال ، ومن اجل العـدالة ، العـدالة الاجتماعية .

فى أول يوم من أيام الثورة ، أعلنت مبادىء الثورة المبادىء الستة : القضاء على الاستعمار وأعوانه ، القضاء على الاحتكار ، اقامة عدالة اجتماعية سليمة ، اقامة جيش وطنى قوى ، اقامة حياة ديمقراطية سليمة .

سنة ١٩٥٢ كان فيه انجليز فى بلدنا ، كان فيه ٨٠ الف عسكرى انجليزى ظللنا ٨٠ سنة بنحاول ان نخرجهم من بلدنا بدون شىء خلاف الوعود من بريطانيا ، كنا بنحاول بالمفاوضات وكنا بنحاول بالمساومات والاتفاقات والمعاهدات ، ولكن وصلنا فيهم الى معاهدات ووصلنا الى اتفاقات ولكن لم نصل الى أن نتخلص من الاستعمار.

ثورتنا سياسية اجتماعية :

يوم ٢٣ يوليو كانت هناك ثورة سياسية ضد الظلم وضد الاستبداد السياسى ومن اجل التخلص من الاستعمار واعوان الاستعمار .

وبدأت فى نفس الوقت ثورة اجتماعية ، تهدف هذه الثورة الى تحقيق العدالة الاجتماعية ، واحنا من قبل الثورة كنا نحس ، ونشعر ، ونرى دواعى هذه الثـورة والثورة الاجتماعية . ولكن منذ أول يوم من ايام الثورة بدانا أيضـا فى الثـورة الاجتماعية ، ولكن معالم الطريق لم تكن واضحة تمام الوضوح .

من أول يوم فى الثورة قلنا ان احنا بنجابه ثورتين : ثورة سـياسية ، وثورة اجتماعية ، فى كتاب فلسفة الثورة ، والخطب اللى قلتها من أول يوم من أيام الثورة ان علينا ان نجابه ثورتين ، ثورة سياسية وثورة اجتماعية ، مرة قلت ان علينا أيضا ان نجابه ثورة ثقافية لان الثورة الثقافية لازمة لنا علشان ندعم ثورتنا السياسية ولازمة لنا علشان ندعم ثورتنا الاجتماعية ، وقلنا ايضا من الاول ان الثورة السياسية بتحتاج الى تجميع قوى البلاد ضد الاحتلال وضد الاستعمار وضد اعوان الاستعمار ، وقلنا ان الثورة الاجتماعية بتفرض ان نمنع الاستغلال وان نعيد توزيع الثروة ، وكان هناك تضارب بين طبيعة كل من الثورتين .

الثورة السياسية والثورة الاجتماعية لان الثورة السياسية كانت تستدعى ان

تجمع جميع القوى حتى نقضى على الاستعمار وحتى نقضى على اعوان الاستعمار وحتى نقضى ونتخلص من الاحتلال .

صدام للقضاء على الاستغلال :

أما الثورة الاجتماعية فكانت تحتم علينا أن نصطدم مع قطاعات مختلفة فى الامة من اجل اقامة العدالة الاجتماعية السليمة ، ومن أجل القضاء على الاستغلال بكل معانيه ، الاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى ، وهذا نوع من التضارب عانينا منه ، فى بلدنا وعانت بلاد أخرى كثيرة من البلاد التى استقلت حديثا والتى ارادت أن تضع الثورة السياسية وتضع الثورة الاجتماعية فى نفس الوقت موضع التنفيذ .

تجربة ثورة ٢٣ يوليو :

تجربة ٢٣ يوليو ، انا لما بقول على هذه التجربة اللى مرت فى العشر سنين اللى فاتت باقولها علشان بنشوف الدروس اللى احنا قدمناها ، ولكن كنا نعبر عن امل الشعب فى القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم أعوان الاستعمار ، ولكن لم يكن فى خاطرنا ابدا ان نحكم كنا نعتقد اننا قد نستطيع ان ننفذ المبدا السادس او الهدف السادس من اهداف الثورة وهو حياة ديمقراطية نطمئن لها ويطمئن لها الشعب .

محاولة مع الأحزاب :

كان بيبان لنا من أول يوم أنه عمل سهل خصوصا بعدما خرج الملك وبعدما تخلصنا منه وطلبنا من حزب الوفد ان يطهر نفسه من المستغلين ، ثم طلبنا منه أن يستعد ليتولى الحكم باعتباره كان قبل كده يمثل الاغلبية . ولكن كان لنا طلب واحد وهو اننا حين ننفذ الهدف السادس او حين نضع الهدف السادس من اهداف الثورة او من مبادىء الثورة موضع التنفيذ وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، لم يكن لنا باى حال من الاحوال ان نهمل الاهداف الخمسة الاخرى ، والتى تقضى بالقضاء على الاستعمار وأعوان الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى ، فطالبنا ان تتعهد الاحزاب وان يتعهد الوفد بالذات بوضع هذه الاهداف موضع التنفيذ .

اجتماعات مع سراج الدين :

وكانت البلورة الاولى لاقامة حياة اجتماعية سليمة او اقامة عدالة اجتماعية البلورة كانت تحديد الملكية او تنفيذ قانون تحديد الملكية ، حصلت اتصالات مع

الوفد . اجتمعت مع فؤاد سراج الدين اربع مرات من اجل بحث هذا الموضوع ...
اجتمع مجلس ادارة الوفد مرة واثنين وثلاثة واربعة ليبحث طلبنا . طلبنا كان تحديد الملكية ، تحديد الملكية بـ ٢٠٠ فدان و ١٠٠ فدان للابناء ، يعنى تحديد الملكية كان ٣٠٠ فدان .

كانت ايه النتيجة ، طوال هذه الاجتماعات ، كانت هناك محاولات من جانبنا لاقناعهم ، وكانت هناك محاولات من جانبهم لاقناعنا .

نظراتنا للارض ونظرتهم :

احنا كنا بنطالب بتحديد الملكية وتوزيع الارض على الفلاحين على اساس ان هذه هى الوسيلة الوحيدة التى تحرر الفلاح الذى نشأ فى الارض ، ملازم للارض والذى اعتبر سلعة فى الارض ، عبد للارض ، ملك لمالك الارض ، ملك للاقطاعى . هم كانوا بينظروا للارض نظرة اخرى ، كانوا بيقولوا اذا كنتم عايزين تحددوا الملكية طيب ما تفكروا فى اسلوب آخر ، فكروا فى الضرائب التصاعدية ، قد تساعدكم فى رفع دخل الخزانة وتساعد فى رفع دخل الخزانة وتساعد فى رفع ميزانية البلاد ، كان مفهوم بيختلف عن مفهوم ، كنا بنقول ان احنا مش عايزين فلوس للخزانة ولكننا نريد ان تحرر الانسان ، هم ماكانوش بيفهموا معنى تحرير الانسان بالكلام اللى احنا بنقوله وبيعتبروه كلام شعارات ، كلام مابيجيش منه ناتج ولا عائد ، ولكن الناتج والعائد يمكن ييجى من الضرائب التصاعدية ، وعلى هذا الاساس لم نستطع ان نتفق ..

ما اتفقناش ابدا . هم كانوا بيفكروا بعقلية واحنا كنا بنفكر بعقلية ، احنا كنا بنقول نريد الفلاح ان يمتلك حتى يكون حر ويستطيع انه يقول ايوه او لا طالما هو متملك الارض يشعر بحريته ، والحرية مش معناها باى حال من الاحوال برلمان وقبة برلمان وشعارات ديمقراطية ، ولكن الحرية هى حرية الفرد . اذا استطاع الفرد انه يقول ايوه واذا استطاع الفرد انه يقول لا يبقى حر ، لكن الفرد اللى ملازم للارض وملازم للاقطاعى واللى بيشتغل فى الارض مع الاقطاعى زيه زى البهايم اللى موجودة عنده لا يمكن بحال من الاحوال انه يشعر بالحرية ولا يمكن الا ان يكون تابع للاقطاعى وتابع لصاحب الارض ليسير وفق هوى صاحب الارض وليست لارادته اى قيمة .

على هذا الاساس رفضو هم تحديد الملكية الذى طلبناه ، رفضوا انهم يحكموا رفضوا ان يعودوا الى الحكم على اساس تحديد الملكية . طبعا احنا كنا نصمم على تحديد الملكية . وكان الامر بالنسبة لى فى هذه الايام غريب كل الغرابة ، ولكن بعد كده طبعا تبينت ان العملية لا تحتاج الى غرابة ومافيهاش الغاز ومافيهاش عقد يعنى

حال من الاحوال . ازاى الواحد يقعد يتفاوض مع الاقطاعى وصاحب الارض علشان تحديد الملكية ويطلب منه صك على اخذ ارضه وتوزيع املاكه ، وكان حزب الوفد فى هذا الوقت عايز يمثل طبقة من ملاك الارض ، من طبقة الاقطاعيين ، وده طبيعى انهم لن يقبلوا الوضع الطبيعى انهم يرفضوا هذا الكلام . واحنا فعلنا فى الاخر ان احنا كنا بسطاء جداً حينما طلبنا من الاقطاع ان يقبل بنفسه ان يوقع صك القضاء على الاقطاع وتحرير الارض وتحرير الفلاح ، لان معنى هذا حتى من الناحية السياسية ، القضاء على الحزب نفسه لان الحزب كان بيعتمد على الاقطاعيين فى كل بلد وفى كل مديرية فى هذا الوقت كانوا بيعتمدوا على الفلاحين اللى بيشتغلوا عندهم انهم يدوهم اصـــواتهم .

معركة الاصلاح الزراعى :

بعد كده كان لا بد لنا ان ناخذ خطوة حاسمة فى الموضوع واصبحت معركة قانون الاصلاح الزراعى فى أول الثورة ، وكلكم تعرفوا ، اصبحت معركة عنيفة لانه فى الوقت اللى احنا كنا بنتكلم والوقت اللى كنا بنتفاوض كانوا اصـــحاب الارض بيعملوا رابطة ، كان رئيس الحكومة فى هذا الوقت بيعطف على أصحـــاب الارض ، مجلس الوصاية أيضا فى جانب أصحاب الارض وعقدت هنا فى مجلس الوزراء اجتماع مجلس الوصاية من أجل اقناعه بقانون الاصلاح الزراعى ، ولكن ايضا مجلس الوصـــاية كان يريد ان يقنعنا بشىء ضد قانون الاصلاح الزراعى ولم يكن الاصلاح الزراعى فى ذلك الوقت كان دليلا على الحاجة الى الثورة الاجتماعية وعلى الالحاح فى طلبها أجتمع مجلس الثورة بعد كده وقرر اقالة الوزارة المدنية الموجودة اللى كان يرأسها على ماهر واقامة وزارة اخرى تنفذ الاصلاح الزراعى ، واقيلت الوزارة ونفـــذ قانون الاصلاح الزراعى .

وانتصر الفلاح :

بتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى مرينـــا فى معركة تدل على صـــعوبة الثـــورة الاجتماعية ، الثورة السياسية اسهل بكثير من الثورة الاجتماعيـــة ونرى ما قلت دلوقت لم تكن الثورة الاجتماعية باى حال من الاحوال هى قانون الاصلاح الزراعى ، ولكن قانون الاصلاح الزراعى كان تعبيرا عن الحاح وكان تعبيرا عن الحاجة الى هذه الثورة الاجتماعية ، وكان تعبيرا عن آمال الفلاح وكفاحه الطويل من اجل التحرر من ربقة الاقطاع .

موقف الرجعية من معارك الثورة :

بعد كده دخلنا معركة مستمرة . بدانا اول معركة من أجل تنفيذ الهدف الاول من اهداف الثورة ، القضاء على الاستعمار واعوانه . القضاء على الاستعمار واعوانه معناه ان ندخل مع الانجليز فى معارك مستمرة سواء من الناحية السياسية او فى منطقة القنال اذا دعا الامر الى حرب العصابات . دخلنا معارك مع الانجليز من اجل الجلاء ، معارك مع الانجليز من اجل الاستقلال . كان ايه موقف الرجعية واحنا نجابه الانجليز سواء من الناحية السياسية او نجابههم فى منطقة القنال ؟ الرجعية كانت دايما متخوفة ، والرجعية كانت دائما تعتقد بان المساومة هى السبيل الوحيد للحصول على اتفاق ، بأى طريق كان مع الانجليز . والثورة الاصيلة لا يمكن باى حال من الاحوال ان تعرف المساومة .

الانجليز فى رأى عبود :

وانا اذكر اول ايام الاتفاق مع الانجليز والحملات اللى بدات على الانجليز وانا شفت ناس من اللى كانوا بيتعاونوا مع الانجليز ، شفت واحد ، شفت عبود مثلا ، عبود كان بيقول لى ، يعنى ، انت صغير يا جمال بك انت مش عارف الانجليز أبدا ، الانجليز دول دوخوا الدنيا ، ازاى احنا نقف قصاد الانجليز اذا كنت بتتفاوض مع الانجليز ، ما تنساش ان دول انجليز ، الانجليز اللى كسبوا الحرب العالمية الثانية ، الانجليز اللى دوخوا المانيا ، الانجليز اللى عملوا ، الانجليز اللى سووا ، اذن الواقع اللى كان موجود فى بلدنا او التراث اللى كان موجود فى بلدنا له اثر . السياسيين الآخرين بيعتبروا أن منطق المساومة هو المنطق المفروض ، كانت الرجعية لغاية دلوقت بتعتقد ان السفير الانجليزى او السفير الامريكى يستطيع ان يؤثر أو يستطيع أن يكون له دخل فى الوزارة . كلنا نعرف قبل الثورة كل شهرين أو ثلاثة كانت تيجى وزارة ، ويوم السفير البريطانى ما لقى معاهدة مع على ماهر قبل الثورة سقطت الوزارة . كانت الرجعية لا زالت تجد فى الانجليز حماية ، حماية لها وحماية لاستغلالها وحماية لتحكمها ، وحماية لسيطرتها . لان الانجليز باستمرار فى الماضى كان الانجليز بيحموا الرجعية ويعتبروا الرجعيين هم اصدقاؤهم الطبيعيين وهم رجالتهم .

وجاءت أزمة مارس :

اما الرجعية حتى فى كفاحنا مع الاستعمار البريطانى كانت دائما متخوفة ، تبث روح التردد ، تدعو الى المساومة ، هل انتهى دور الرجعيـــة من اول يوم من ايام

الثورة ؟. لم ينته باى حال من الاحوال . فى ازمة مارس ، الازمة اللى حصلت فى مجلس الثورة واللى وقف فيها محمد نجيب فى جانب والثـــورة فى جانب ، كانت اساسا بفعل الرجعية . بعد نجاح الثورة جاء محمد نجيب ، بعد نجاح الثورة عين محمد نجيب رئيس لمجلس الثورة . بعد نجاح الثورة بدات الرجعية تسعى الى محمد نجيب حتى تبث بذور الفرقة .

ونجحت الرجعية واثرت واستطاعت ان تقنعه بانه يستطيع ان يحكم البلد لوحده . وحصلت ازمة مارس . كلنـــا نعرف ايه هذه الازمة . ايه اللى حصل فى ازمة مارس ؟. خرجت الرجعية كلها من جحورها من اجل ايه ؟ طبعا اولا من أجـل الحفاظ ، او من اجل حماية مكاسبها ومن اجل استغلال الفرصة حتى تقفز لتستغل وتؤمن النظام الراسمالى المستغل اللى كان موجودا قبل الثورة .

وخرجت الرجعية من جحورها :

خرجت لتحكم ، لتحكم بمن ، تحكم بواسطة السياسيين ، والرجعيـــة عمرها ماكنتش بتحكم بنفسها ، عمرنا ماشفنا اصحاب ملايين رؤساء وزارة بلدنا ، ولـكن اللى كانوا بيبقوا رؤساء وزارات هم اللى بيشتغلوا عندهم بمرتبات شهرية ، اما فى الشركات ، يا اما محامين للشركات ، يا اما مستشارين للشركات .

اذن كانت الرجعية بتتربص دائما بالثورة ، لتجد اى فرصة ، او تنتظر اى فرصة لتنقض حتى تستطيع ان تحكم .

وزى ما قلت فى خطاباتى قبل كده ان الرجعية لا تستطيع ان تشعر بالطمانينة باى حال من احوال ، الا اما كانت تحكم ، والرجعية دائما تحكم بطريقة غير مباشرة .

الرجعية تستطيع ان تكيف نفسها وفق العصر ، ترفع شعار الديمقراطية ، اذا كان شعار الديمقراطية يجذب الجماهير ، لان سلاح الرجعية هو الجماهير ، الشعب نفسه ، تخدعه ، ترفع الشعارات ، بعد كده متكبلة ، بعد كده حينما تصـــل الى هدفها ، طبعا بتتناسى هذه الشعارات .

وانتهت الازمة :

وانتهت ازمة مارس ، وبدا موقفنا فى السياسة الخارجية يتضح ، وابتدانا نعلن بعد ذلك سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى . وبدا الانجليز فى الجلاء عن مصر ، جلاء كامل لاول مرة .

ما هو موقف الرجعية ؟. الرجعية فى هذا بيمثلوا السياسيين القدامى بيمثلوا الاقطاع ، بيمثلوا الراسمالية المستغلة ، كان موقفهم واضح من اول يوم ، التشكيك ان احنا وقعنا فى الوقعة اللى مش حاننفذ منها ، نفذنا من السلاح ونفذنا فى سياسة عدم الانحياز .

ازاى نستطيع أن نتبع سياسة عدم الانحياز ؟. ازاى نستطيع ان ندافع عن بلدنا ؟. الشعارات اللى كانت بترفعها الرجعية ، كيف يمكن أن نحمى بلدنا ضد اسرائيل .. كيف يمكن أن نحصل على السلاح ؟ كيف يمكن أن نعتمد على انفسنا فى اى مجال من المجالات ؟. وكان التشكيك ، كلنا نذكر فى سنة ١٩٥٥ ، التشكيك فى سياسة عدم الانحياز وما يمكن ان تجره هذه السياسة على البلاد من اضرار ، وبعد كده حينما فتحنا الطريق الى الشرق ، وحينما بدانا الاتفاقات مع الدول الشرقية ، أول ناس على طول كيفوا نفسهم حسب الوضع ، وتعاملوا مع الدول الشرقية ، أكثر ناس كسبوا من التجارة مع الدول الشرقية هم الراسماليين اللى كانوا بيعارضوا قبل كده ان احنا نكون لنا سياسة حيادية ايجابية غير منحازة ، فى كسر احتكار السلاح كان للرجعية موقف ، وانا اذكر ازاى الرجعية شعرت بالخوف ، ازاى فيه بعض الناس ذكرونى بجواتيمالا . ازاى قالوا لى جواتيمالا اخذت سلاح من الشرق ، امريكا ماسبتهاش ، امريكا مش حاتسيبنا ، امريكا لازم حاتخلص علينا ، امريكا لازم حاتقضى علينا ، باى حال وباى وسيلة .

التفكير الرجعى باستمرار هو المؤثر ، فى تاميم قنال السويس ، موقف الرجعية ايضا من يوم ما اعلنت تاميم قناة السويس ، بدأ التشكيك والفرحة .. من عمليات قبل كده ، نفذنا من سياسة الحياد ، اذن الانجليز والغرب مش ممكن يسيبنا باى حال من الاحوال ننفذ بقناة السويس .

مفاوضة مع الانجليز :

بعد تاميم قناة السويس ، حصل العدوان ، ليه حصل ؟. الشعب كله هب ليدافع عن بلده ، وعن أرضه وعن شرفه ، ولكن كان الرجعيون او الفئات الرجعية المعروفة ، تجتمع لتهمس وتتكلم ، وتبحث كيف تنتهز هذه الفرصة لتخدع الشعب تضحك عليه ، وابتدوا يقولوا انهم حايرفعوا عريضة ، تحت شعار انقاذ ما يمكن انقاذه ، وانهم حايطلبوا انهم يتفاوضوا مع الانجليز ، سمعنا احنا هذا الكلام ، وانا سمعت هذا الكلام وكنت موجود فى هذا المبنى المجاور لمجلس الامة ، وانا قلت ان اى واحد حاييجى يقدم عريضه بهذا الشكل سيعتبر خائن ولا يحتاج الى محكمة وانما الواجب على انا ان انفذ عليه حكما فورا فى حديقة مجلس الوزراء ..

لان اى تردد بالنسبة لهؤلاء الناس قد يضر بالبلد وهم فاكرين ان البلد تستطيع ان تحتمل الاساليب اللى سارت او اللى ساروا عليها فى الماضى .

طبعا اختلفوا على شىء واحد ، وهو مين اللى ييجى يقدم هذه العريضة .. بعد كده احنا سبناهم ، ماكانش فيه اى داعى ابدا باى حال من الاحوال ان احنا ناخذهم على هذا الكلام او ناخذهم على الهمس ، او ناخذهم على الامل اللى شعروا بيه . او ناخذهم على المنى فى الحكومة حماية الانجليز ، هم حاييجوا يحكموا تحت حماية الانجليز او تحت حماية الاستعمار .

وكان شعارنا او شعورنا الاساسى هو ، ان لا داعى باى حال من الاحوال ان احنا نلوث كفاحنا الباسل ، وكفاح الشعب فى هذه المعركة واستشهاده واستبساله بان احنا نخرج هؤلاء الناس علشان نحاكمهم على تآمرهم وتركناهم ولم نصبهم باى شىء .

الرأسمالية والشركات المصرة :

فى الحصار الاقتصادى بعد كده ، تراجع الحصار الاقتصادى بعد معركة قناة السويس .

الرجعية ايضا لها دور ، حرضوا العمال بالاضراب ، بعدين لما أعلنوا تأميم الشركات البريطانية او الفرنسية ، مش تاميم ، اعلنا تمصير على طول اتلموا على بعض وقدموا يفط وجه القيسونى وجايب كشف متقدم له بيد الراسماليين ، وكل واحد فيهم عايز يخبط شركتين ثلاثة من الشركات المصرة سواء فى اللى اصلها فرنسية او اصلها انجليزية . وانا فى هذا اليوم قلت له : ان جميع الشركات بتروح للقطاع العام ، وان احنا من الشركات اللى اتوضعت تحت الحراسة لن نستطيع باى حال ان احنا نخلى الراسماليين يزيدوا من تحكمهم بانهم ياخذوا ايضا ممتلكات فرنسا وممتلكات انجلترا .

كانت الفرصة طبعا لينا فى هذا الوقت ، ان احنا نقيم القطاع العام ، ونبدا قطاع عام فعلا على اساس واسع ، ونبدا فى تطبيق الاشتراكية بمفهومها الحقيقى اللى يبدا بخلق قطاع عام فى الصناعة وفى التجارة .

راس المال الجبان :

التصنيع ، بدانا فى التصنيع ، باستمرار كل كلامهم ان كل هذه الاجراءات مابتطمنش ، راس المال خايف ، راس المال كاشش ، راس المال جبان ، راس المال عايز يطمئن . وطبعا مين راس المال ؟. هم عايزين نسيب لهم كل شىء .

راس المـال الاجنبى موش حايسلمهم ابدا طالما فيه اجراءات طيب ازاى احنا نطمئن واحنا ثورة ؟.. دا كنا بنلغى الثورة ، الحل الوحيد هو ان نعلن انتهـاء الثورة عشان نطمن راس المـال الخايف وراس المـال الكاشش وراس المـال الجبـان .

وكل هذه كانت شعارات بترفع ، وكانت كلمات بتتقال علشان تفت فى عضدنا وعلشان تخوفنا ، وعلشان تخلينا نستجيب لرغباتهم . سعر الجنيه كان بينزل بره لانهم هم يعنى عايزين ايضا يحكموا ليطمئنوا اطمئنـان كامل ، وليزيدوا اسـتغلالهم .

راس المـال الخايف ، راس المـال الكاشش ، راس المـال بعد الثورة ، اللى غير مطمئن ، عمل ايه قبل الثورة ؟ سنة ١٩٥٢ حصـل ايه ؟ ايه الاموال اللى استثمرت من اجل التصنيع ؟ قبل الثورة ١٩٥١ كل اللى استثمر من اجـل التصنيع ٢ مليون جنيه و ١٠٠ الف كمان ، او ١٢٠ الف ، كل الفلوس اللى صرفت فى الصناعة من القطاع الخاص السنة اللى فاتت استثمر من اجل الصناعة ٨٨ مليون جنيه ، تقريبا ٤٤ مرة او اللى بيستثمر قبل كده .

الغرض من الكلام ده كان دايما ان احنا بنخاف ، ان احنا بنحاول ان نلقى اليهم بمقاليد الامور . المخاطرة ، بيقولوا ان راس المـال عايز يطمئن ، احنا كنا راس المـال بنعقد الاتفاقات فى الخارج ، راس المـال بنوفر له العملة الصعبة ، بنوفر له جميع التسهيلات علشان يعمل . وهو كل اللى بيعمله كان انه بياخد ارباح المصانع ، ايه المخاطرة اللى فى مقابلها راس المـال كان بياخد كل هذه الفوائد ؟ . مفيش مخاطرة باى حال من الاحوال . مشروعات طبعا تحولت الى ارباح شخصية كلنا نعرف ان المشروعات الصناعية حققت ارباح كثيرة فى السنين الاخيرة . نظـرا لمنع استيراد جميع البضائع الاستهلاكية ، واحنا بنستورد فى استهلاك ١٠ ٪ ، ولكن ١٠ ٪ تبان لان احنا الاستيراد بتاعنا بيزيد ، ولكن البـاقى ، ال ٩٠ ٪ بنستورد المولد الخام او السلع .

المعركة كانت من أول يوم :

انا حبيت اقول هذا السر علشان ابين ان المعركة كانت من اول يوم ، من سنة ١٩٥٢ ، وهى معركة فيها شد وجذب وفيها صراع طبقى ما نقدرش نقول ان مفيش صراع طبقى ، طالما فيه فلاح بيشتغل عامل تراحيل ومش لاقى ياكل ، وفيه واحد بيكسب فى السنة نص مليون جنيه وبيجيب العشا بتاعه من مكسيم من باريس بالطيارة . يبقى لا بد انه يكون فيه صراع طبقى ، والا لذا ماكنش فيه صراع طبقى

ما يبقاش هذا الشعب ، شعب حى ، ولكن ان دائما هذا الشعب ، شعب حى ، وكافح ، وقاتل ، وقبل الثورة فيه قتلى ، فيه اراضى البـدراوى وكان فيه قتلى . كلنا نعرف حصل ازاى ان الفلاحين ثاروا من اجل كرامتهم ومن أجل انسانيتهم ، كان فيه قتلى رغم التحكم ، ورغم أنه كان معروف ان اللى حايعصى حايموت ، واللى حايعصى حايتخرب بيته ، لان هؤلاء الناس هم اسياد البلد .. اذن كان فيه صراع طبقى .. ما نقدرش نقول انه مفيش صراع طبقى انى انا لما بقول فيه صراع طبقى ، انا باعمل صراع طبقى فى البلد ، انا من أول ماتشات فى هذا البلد ، وانا طالب شاعر ان فيه صراع طبقى . وانا فى ثانوى شاعر ان فيه صراع طبقى وانا بعد كده فى كلية الحقوق كنت شاعر ان فيه صراع طبقى ، وبعد كده وانا فى الجيش لم أنعزل عن هذا الشعب ، كنت شاعر ان فيه صراع طبقى لان كان فيـه ظلم اجتماعى وكان فيه طبقة تسود وتتحكم وكان بقية الناس بيشعروا انهم حرموا من ابسط الحقوق . طبعا الصراع الطبقى كان موجود دائما . وانا من أول يوم من أيام الثورة كنت اشعر بهذا الصراع الطبقى ، ومن الدوافع التى دفعتنا الى أن نعمل على وضع قانون الاصلاح الزراعى موضع التنفيذ من أول يوم ، هو هـذا الصراع ، وهذا التنافس الكبير الموجود بين فئات الشعب ، فيه اقلية بتاخـذ كل شىء والاغلبية محرومة من كل شىء .

دور الثورة الاجتماعية :

بعد تراجع الاستعمار فى سنة ٥٧ ، بعد الحصار الاقتصادى وهزيمة الحصار الاقتصادى ، كان من الواضح ان دور الثورة الاجتماعية قد جاء .

الثورة السياسية حققت نصر كبير ، حققت مرة واحـدة خروج الانجليز مرتين مرة فى الجلاء ومرة بعد العدوان على بورسعيد . ثم معارك قنال السويس ، ثم تمصير معظم المصالح البريطانية والفرنسية فى مصر .

ده تراجع ، بعد انتصار القوى الشعبية فى معركة السويس ، طبعا كان هنـاك اثر ورد فعل كبير فى جميع انحاء المنطقة اللى بنعيش فيها . وسقطت عروش ، واهتزت عروش ، فى هذه المنطقة ، لم تقيمها ارادات الشـعوب ، وانما اقيمت غصبا عن ارادات الشعوب . بالنسبة لينا احنا بعد النصر فى المعركة السـياسية كان من الطبيعى ان ننتقل الى المرحلة الثانية ، الثورة الاجتماعية اللى تكلمنا فيها من اول يوم ، واللى بدانا فيها ، عمل ما يعتبرهوش كبير ولكن عمل بسيط ، من أول يوم ، ولكن اللى اخذناها من أول يوم ، اعلنا من اول يوم ان فيه ثورة سـياسية وثورة اجتماعية . الثورة السياسية واضحة المعالم ، الثورة الاجتماعية لم تكن

واضحة المعالم ، ولم يكن قانون الاصلاح الزراعى الا توضيح لهذه الثورة السياسية .

معركة العدالة الاجتماعية :

بدات معركة ثانية ، اللى هى معركة العدالة الاجتماعية اتكلمت فى سنة ٥٧ فى راس السنة دى ، بيقولوا الله ده الحاجات دى مفاجآت بتطلع مفاجآت ، فى ٥٧ اتكلمت فى الجامعة فى مؤتمر التعاون ، مفيش حاجة ماقلتهاش واللى يرجع لهذه الخطبة فى سنة ٥٧ حايجد الكلام اللى انعمل سنة ١٩٦١ بالتفصيل . وهو كان مفروض أنه يتعمل سنة ٥٨ ، الكلام خاص بالنسبة للاستغلال ، والرأسمالية المستغلة ، ودكتاتورية راس المال ، وعدالة التوزيع ، والتوزيع فى التجارة ، مفيش كلمة ما اتقالتش .

بدانا فى سنة ٥٧ نتكلم عن الاشتراكية ، وندعو للاشتراكية . وبدانا فى سنة ٥٧ برفع شعار اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى ، على أساس رفع هذا الشعار من سنة ٥٧ ، بدانا نركز على هذا الشعار . وقلنا ان المعركة قبل كده . يمكن فى سنة ١٩٥٦ أول مرة بدأناه ، فى العدالة الاجتماعية فى معركة من اجل الكفاية ، ومعركتنا من أجل العدل ، من أجل الكفاية ان احنا نتوسع فى الانتاج ، فى كل ناحية من نواحى الانتاج ، ثم تكلمت ايضا عن الحاجة الى عدالة التوزيع وان يوزع الدخل القومى بطريقة عادلة بين ابناء الامة بدلا من ان تستأثر به طائفة محدودة كما كان الحال بالنسبة لنا فى الماضى .

كانت الاشتراكية برضه زى ما قلت فى هذه الايام ، هى طريقنا الى العدل ، أو كان الشعار اللى رفعته هو اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى هو طريقنا الى العدل ، وكان من الواضح ان العدل الذى كنا ننادى به هو فعلا شريعة الله ، وأن شريعة الله هى من أول يوم بتنادى بالعدل ، وتنادى بالمساواة ، وتنادى بتكافؤ الفرص .

وكان رأينا أنه اذا كان للحرية السياسية مفهوم ، ان يكون للمواطن الحق فى نصيب من ثروة وطنه طبقا لجهده الخاص .

الرجعية أقلمت نفسها :

الرجعية عملت ايه ؟. الرجعية بعد هذا اقلمت نفسها ، خصوصا بعد ان اعلنا تكوين الاتحاد القومى فى دستور ١٩٥٦ ، وبدات الرجعية تستغل تفسيرنا للاتحاد القومى ، ايه تفسيرنا للاتحاد القومى ؟. انه بيكون المواطنين كلهم اتحاد

قومى من اجل بناء الوطن ، وبعدين انا بينت فى خطبى ان الاتحاد القومى لا يمثل حزب ولا يمثل احتكار لفئة من الناس ، ولكنه بيمثل ابناء البلد كلهم . وان احنا عايزين فى داخل اطار من المحبة والوحدة الوطنية ان تجمع البلد كلها ، بجميع طبقاتها ، وأن تحل التناقضات بوسائل سليمة . وافقوا جدا على هذا الـكلام . كان كمان يجد قبول ويجد استحسان . وبعدين قلت أيضا أن فيه صراع طبقى . ولكن ماكناش عايزين نحل هذا الصراع الطبقى بالعنف ؟. ولا بالقوة . ولا بالدم. ولا بحمامات الدم . ولكن عايزين نحل هذا الصراع الطبقى فى داخل الاتحاد القومى فى اطار من الوحدة الوطنية ، وقلنا احنا عايزين نعايش سلمى بين الطبقات وعايزين فى نفس الوقت نحل الخلافات فى داخل الاتحاد القومى .

ما بعرفش الرجعية هل صدقت هذا الكلام أو اعتبرته شعارات غـير قابلة للتنفيذ ، ولكن كل اللى اعرفه ان الرجعية وجدت أن هناك فرصة لها لكى تفرق فى داخل الاتحاد القومى ولكى تسيطر على الاتحاد القومى .

وواضح كل الوضوح ان الرجعية اقلمت نفسها ، والرجعية مشيت فى الاتحاد القومى ، وبعدين مابقناش نقول ان ده رجعى . كنا بنقول والله ده راجل طيب وماشى . العملية مش فلان رجل طيب ، لان هو فى العملية دى بيستغل مثـلا عشرة الاف جنيه ويعمل غدا ، ويوم الجمعة يعمل فول نابت وشوية عيش بخمسة جنيه ويلم الناس ، وكل الناس يقولوا ان فلان الفلانى ده راجل طيب . يعنى ويجيب الناس اللى هو واخد فلوسهم وواخـد عرق جبينهم ويوكلهم أكلة ويقولوا والله الراجل ده راجل طيب ، دبح لنا دبيحة ، العملية مش عملية حسنة ، ولا عمليـة صدقة باى حال من الاحوال ، العملية عملية حقوق ، وعملية واجبات . والله بكل أسف احنا برضه فكرنا فى هذه الطريقة وانضحك علينا تمام زى ما انضحك على الفلاحين اللى بيدبحوا لهم دبايح كل جمعة وبيغدوهم او بيعشوهم وقلنا والله فلان ده راجل طيب وفلان ده راجل فيه شىء لله .

حلول بالوسائل السلمية :

وابتدانا ، يعنى حسن النية كان من جانبنا متوفر ١٠٠٪ ، وهم استغلوا ذ بقوا يقولوا الثورة دى رحيمة ، الثورة ... يعنى بقوا يقولوا نكت ، يقـولوا ما هو اللى بيعمل حتى مؤامرة . اذا نجحت يبقى رئيس جمهورية ، اذا ما نجحش بيروح شركة ، رئيس مجلس ادارة ، الكلام ده معروف يعنى كله ، وأنا باسـمعه وعارفه .

استغل هذا الكلام استغلال كامل ، واستغلت العاطفة ، يعنى معروف يعنى ، تلاقى لوحد اعتقــل مننا ، تلاقى يوم عارفين أبص الأقى ولاده ومراته بعتين لى جوابات ، واللى جايين ، يقولوا والله دى نقطة ضعف وهم عارفينها ، اللى هى الرحمة والعملية اللى زى كده .

لكن من ناحيتنا ، طبيعى لا بد ان يكون هناك رحمة لان احنا مسئولين واحنــا مسئولين عن الكل ، مسئولين عن المجموع من ناحيتنا ضرورى ان احنا نحــاول بكل وسيلة من الوسائل أن نحل الخلافات فى اطار من الوحدة الوطنية .

من ناحيتنا ضرورى ان احنا ما نكنش باى حال من الاحوال البادئين بالعدوان ولكن يجب ان احنا نحل مشاكلنا بالوسائل السليمة ، ونحل مشــاكلنا باقل ما يمكن من الخسائر من ناحيتنا كان لازم نأخذ هذا الاسلوب .

من ناحيتنا كان لازم ندعو الى المحبة ، ولكن هل كان ممكن مثلا ان احنا نتصور ايه اللى فى قلب الاخرين باى حال من الاحوال ، ولكن باستمرار بنفترض حسن النية ، ونفترض انهم يقابلوا هذا بنفس الشىء او بهذا الشعور بشعور مماثل ..

مع الشعارات فقط :

الرجعية اقلمت نفسها ، وحينما الكلام عن الاقلمة ، الرجعية المعاصرة ، او الراسمالية المعاصرة ، شاطرة جدا ، انها تؤقلم نفسها وفقا لطبيعة العصر .

بعد سنة ١٩٥٧ ، رفع الرجعيون يفط الاشتراكية ، وفعلا هم اصلهم بيكسبوا من زيادة الانتاج ، واحد رجعى او راسمالى مستغل ، او اصلا اقطاعى ، تلاقيه عامل جوابات ومعلق يفط فى الاشتراكية وكلام ... ليه ؟. طالما الاشتراكية يفط بس هم مبسوطين ، طالما الاشتراكية شــعارات بس هم زعلانين ليه ؟. ده هم عايزين كده .... مستعدين يحطوا اشعارات فى الاشتراكية او اللى بنقولها عشرين مرة، بس ماتحطش الاشتراكية موضع التنفيذ ومانطبقهاش .

رشوة وخيانة للامانة :

بعد كده بدا الانحراف ، انحراف ازاى ؟. بقى فيه قطاع عام ، يعنى فيــه قطاع خاص ، القطاع الخاص عايز يكسب ، الصناعة اللى كانت بــ ٢ مليون جنيه بقت بــ ٨٨ مليون جنيه ، الباقى اللى كانت فى سنة ١٩٥٢ ، الحكومة بتبنيها بــ ٥ مليون بتيجى فى سنة ١٩٦٠ ، الحكومة بتنزل ١٦٠ مليون جنيه للعمليــات اللى فى المشروعات الحكومية لا أول لهــا ولا آخر الراسمالية المستغلة بتنفذ وتريد ان تربح ، مش الربح الحلال اللى مفروض انهم يكسبوه ، ولكن الربح الحرام ،

ليبيا على طول عملية الرشوة ، اذا كان عملية هو حايكسب فيهـــا ٠٠٠ر١٠٠ او ٠٠٠ر١٥٠ جنيه ، ماعندوش مانع يدفع ٠٠٠ر٢٠ جنيه او ٠٠٠ر٢٥ جنيه علشان يأخذ هو هذه العملية حصلت عمليات ، بعض الناس رفضوا آلات من انتـــاج مصانعنا لانها غير مطابقة للمواصفات ، واخذوا آلات جيه من الخارج وقبض فيها عملة صعبة احنا في اشد الحاجة اليها من عند جورج فهوم . لان جورج فهـــوم مديهم رشوة . وصل الامر الى حد التخريب ، وصل الامر الى ان المقاولات ترشى والمقاولين يرشوا وبقوا اللى بيشتغلوا في التجارة بيرشوا .

في التوريد بيرشوا ، في التصدير بيرشوا ، او في الاستيراد بيرشوا ، ليه ؟. لانه حايحقق ارباح ، وعايز يحقق ارباح ، بالنسبة لى ، كان عندى فرصة لان امسكت حادثة وامشى وراها وكل حادثة عايزه شهر او شهرين والخمسين حادثة عايزين لهم ١٠٠ شهر اتمسك ناس ، واتحبس ناس ، اتحبس وكيل وزارة الاصلاح الزراعى موجود في السجن ، المهندس اللى معاه ، اللى بياخد ٢٪ ، واللى بياخد ١٪ .

مش احنا بس المجتمع الوحيد اللى فيه ناس بتسول لها نفسها انها تاخــد رشوة او تخرق الامانة ، وفي كل مجتمعات الدنيا ، ومنذ قامت الخليقة فيه الفاسد والطيب ، ولكن احنا اعلنا ان نوضع النظام اللى يمنع هذا ، وتوضع الاسس اللى تقضى على هذا الكلام قضاء كامل .

حانحل ازاى ؟. بالرقابة الادارية بنحل ازاى . بالنيابة الادارية ، مفيش فايدة لانها عمليات لا اول لها ولا آخر . فيه علة ظهرت ، فيه الرأسمالية المستغلة موجودة في البلد . فيه مشروعات كثيرة بتقوم بيها الحكومة ، هم عايزين ياخذوا هذه المشروعات والنفوس الضعيفة موجودة في كل مكان ، وبكل بساطة بيقـدروا يوصلوا للنفوس الضعيفة ، بعض الهدايا او بالرشوة .

عمليات للافساد :

اذا كان لا بد من عمل جذرى للقضاء على هذا ... فيه الناس اللى انحرفوا ايضا ، الناس اللى قالوا انهم وطنيين ، اللى فتحوا مكاتب الاستيراد والتصـدير بعد كده ، واللى ابتداوا يستوردوا فحم يستوردوا سكر ، كنا بنستورد ٠٠٠ر٢٠٠ طن فحم ، او ٠٠٠ر١٠٠ طن سكر وياخد في طن الفحم جنيه يعنى بيطلع بعشرين الف جنيه ، ليه ؟. هو كانت مهيته ايه ؟ ماهيته ٧٠ جنيه يبقى فيه انحراف بنقابلة في مجتمعنا .

ازاى بنحل هذا ؟ . بنقضى على كل هذه العمليات ، اللى بيدوروا لهم عـلى حد من الاقارب او حد من المعارف علشان يفتحوا لهم مكاتب تصدير ، عمليات اللى

انا شفتها فى اخر سنة ١٩٦٠ ، كانت عمليات تدل على أن الرجعية الراسـمالية المستغلة بتندفع بكل قوتها فتقضى على كل معنى من المعانى التى ننادى بها . وانا وجدت نفسى عاجز ان اقابل هـذا الهجوم باى طريقة من الطرق المعروفة ، عارف لكن عاجز لانه حيروح النيابة ، بيروح النيابة بيطلعوا بكفالة عشرة جنيهات بيوضع فى الاعتقال بعد كده ، طيب وبعدين ؟. العملية طبعـا اللى بيثبت عليه فى النيـابة اهو بيروح ، لكن العمليات دى اثباتها خصوصا عملية الافساد بالذات صعبة .

الرأسمالية تتسلل :

فى سنة ١٩٦٠ انا كنت اشعر ان احنا يمكن الدفع الثورى غير قائم ، الثورة بدات تتعثر ، الراسمالية المستغلة بدات تنفذ ، وبدات تتهـرب وتتسلل الى الصف .

والامثلة كانت امامى واضحة ، وكانت أمامى باينة ، كان الخطر فى ايه ؟ . الراسمالية المستغلة والرجعية توشك ان تجند الوطنية ، او تلم الثورة الوطنية لحسابها الخاص . وكنا بنقابل ده ، هنا طبعا فى مصر ، وكنا متعثرين فى ايه اللى بنعمله ، لانه كان عندنا فى مصر غير الظروف اللى كنا فيها فى سوريا . واحنـا اجلنا حاجات كثيرة بالنسبة لمصر ، لاننا كنا بنقول ايه تاثير ده بالنسبة لسوريا ، وكنا بنعطل الاجراءات اللى ممكن تتخذ ولكن كنا فى نفس الوقت بنجد ان الرجعية هنا بتسلل وبتبتدا تاخد مراكز على درجة كبيرة من الخطورة . يعنى تقريبا انا فى يوم من الايام قلت ان الرجعية والراسمالية المستغلة بدات تخط للثورة والثورة اللى قامت سنة ١٩٥٢ ضاعت ، والعمل بهذا الشكل الامور مش حاتمشى ، بتبص فى الاتحاد القومى بنلاقى الرجعية المتصدرة فى الاتحاد القومى ، بنبص فى التجارة بنلاقى الرجعية متصدرة التجارة ، نبص فى الارباح السنة اللى فاتت ، انا قبـل يوليو طلبت الناس اللى ارباحهم بتزيد عن ١٠٠٠٠ جنيـه السنة اللى فاتت والسنة اللى قبلها ، وجدت الارباح بتزيد عن ١٠٠٠٠ جنيه تضاعفت فى سـنة واحدة ، طبعا كل واحد كان متتبع الظروف الاجتماعية الوضع الاجتماعى فى لجنـة كان بيقدر يشوف هذه الامور ، وبيشوف الارباح الخيالية اللى كان مستلف ٣ مليون جنيه او عليه دين للحكومة ٣ مليون جنيه سددهم على سـنتين . طيب السدوا ازاى فى السنتين وهو ماكانش عنده فلوس ؟. قطعا مش معقـول دفع ضرائب ، مش معقول حصل على هذه الاموال بطريقة شريفة ، لانه انا كان عنـده ٣ مليون جنيه ارباح ، عشان يسدد منها حاجات بهذا الشكل وفقا لقانون الضرائب

هذه الارباح لازم بيعود منها جزء كبير جدا للحكومة ، نرجع طبعا للدفاتر ما تعرفش .

اذن في سنة ١٩٦٠ كان من الواضح ان الثورة اللى قامت فى سنة ١٩٥٢ الثورة الوطنية اللى قامت سنة ١٩٥٢ ، على أن تكون ثورة سياسية ، وعلى أن تكون ثورة اجتماعية ، خلصت دورها فى الناحية السياسية ولم نستطع ان تندفع فى دورها فى الناحية الاجتماعية ، وطبعا فيه اسباب كثيرة لهذا ، ومبررات كثيرة لهذا ، لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تمنع الدفع الثورى لوضع الثورة الاجتماعية موضع التنفيذ .

البلد يملكها ٥٪ :

فيه ناس كثيرة النهاردة ، بعد القوانين اللى انتشرت فى الجرايد ، بيقولوا لله امال كانوا ساكتين ليه من سنة ١٩٥٢ ؟ . طبعا سنة ١٩٥٢ كنا نواجه ثورة سياسية كان فيه ٨٠٠٠٠ عسكرى انجليزى ، طلعوا سنة ١٩٥٦ ، فى شهر يونيو ، رجعوا تانى فى شهر نوفمبر . طلعوا تانى فى شهر ديسمبر . سنة ١٩٥٧ قابلناه بعد كده ، حصار اقتصادى سنة ١٩٥٨/٥٧ بعد كده دخلنا على الوحدة مع سوريا بدأنا نتعثر ، بدأنا نجابه موقف غير الموقف اللى كنا فيه البلد مين اللى كان بيملكها ؟. اللى بيقرأ القوائم اللى طلعت دى بيجد أن البلد مش ملك ابنائها بأى حال من الاحوال . البلد ملك لفئة قليلة لا يمثلوا خمسة فى المائة اقل من ٥ ٪ ، والباقى هم بيشتغلوا علشان يحققوا أرباح لهذه الفئة القليلة .

سيطرة رأس المال :

فى سنة ١٩٦٠ انا كنت تملى اتكلم واقول سيطرة راس المال على الحكم ، سنة ١٩٦٠ أنا ابتديت اشعر بالخوف أو الخطر من سيطرة راس المال على الحكم ، زى ما قلت لكم مش معنى سيطرة راس المال على الحكم انى اجيب اللى ابيبقوا الراسماليين والمليونيرات ويكونوا وزارة بأى حال من الاحوال .. لا .. ولكن دول كانوا زمان بيروحوا للوزراء معروف انهم بتتعمل وزارة ، ده من شركة فلان ، وده من شركة علان ، ابتدلوا دلوقتى ينفذوا الى كبار الموظفين القضية اللى حصلت مثلا فى مديرية التحرير . دى تبين فعلا ان فيه خطورة من سيطرة راس المال على الحكم . لانه اصلا اللى كان فى الوزارة استاذ او استاذ مساعد فى الجامعة ، وجه وتولى مسئولية بهذا الشكل ثم بعد هذا قبل ان ياخذ رشوة وهو بعد ما بقى وكيل وزارة يبقى الواحد ساعات بيشعر بالقلق ، والخوف على مصانا وناس

مشيوا بهذا الشكل . وبيبقى ده نوع من سيطرة راس المال على الحكم ، لان رد انتاج مصانعنا والحصول على انتاج مصانع خارجية رغم اننا فى حاجة الى كل مليم من العملة الصعبة ، ده أيضا بيمثل ان هناك خطر كبير لان راس المال يريد ان يسيطر على الحكم وينفذ ، مش قادر يسيطر من فوق أهو بييجى يسيطر من اى حلقة من الحلقات بيجدها ضعيفة .

محاولة استغلال للثورة :

ما كانوا زمان بيرتبوا الوزارات وبيبقى رئيس الوزارة أو الوزير هو الشخص اللى بيحقق أهدافهم وبيحقق لهم أغراضهم ، مش قادرين النهاردة ان يؤلفوا وزارات يبقى يتعاونوا من بعض افراد الجهاز الحاكم .

اذن حاولت الرجعية ان تستغل الثورة الوطنية لحسابها ورفعت شعارات الاشتراكية طالما كانت هذه الشعارات غير مطبقة .

وطبعا كان لا بد للثورة الوطنية ان تاخذ طريقها ، ولا بد للثورة الوطنية ان تاخذ طريقها .

من الواقع لينا ايه هو هدف الثورة الاجتماعية ؟. هدف الثورة الوطنية شيء واضح ، تحرير الشعب لبناء الوطن ، تحرير الشعب من الاستغلال ، تكافؤ الفرص.

ناس كتير بيقولوا ، ماعندناش نظرية ؟ بدنا والله تقولوا لنا نظرية . فين النظرية اللى احنا ماشيين عليها .؟. بيقولوا اشتراكية ديمقراطية تعاونية ، ايه هى النظرية ؟. ايه هى حدود النظرية ؟. انا باسال ايه هى اهداف النظرية ؟. أنا باقول انى ماكنتش مطلوب منى ابدا فى يوم ٢٣ يوليو ، انى اطلع يوم ٢٣ يوليو معايا كتاب مطبوع واقول ان هذا الكتاب هو النظرية . مستحيل لو كنا قعدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ، ماكناش عملنا ٢٣ يوليو ، لان ماكناش نقدر نعمل العمليتين مع بعض .

اللى بيقولوا ايه هى النظرية بيعقدوها اوى وبيصعبوها ، يعنى عملية تعجيز وربنا ادانا مثل فى هذا عشان نطبقه فى الحياة .

فى الاسلام ، كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع متجلد ويقول له ادى النظرية ، ادى القرآن ، ادى العقيدة ، ماعملش كده ، ليه ماعملش كده ؟. عشان تدينا فى حياتنا عبرة لينا وعظة لينا نتبعها .

ابدا الاسلام اشهد ان لا اله الا الله وان سيدنا محمد رسول الله جملتين ، مابداش ابدا بكل ما هو موجود فى القرآن .

خطوة وراء خطوة :

ثم بدا بعد هذا ايضا ، فى الاسلام ، تدينا عظة وعبر فى حياتنا ، فى الاول عن الخمر قال نتزل سؤال عن الخمر ، الخمر فيها اثم يعنى مسموح بيها ، بعد كده قال : ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ، معنى كده ان طول النهار محدش بيشرب الخمر ، ولكن بعد صلاة العشاء بيقدروا يشربوا ، بعد كده حرم ، وقال انما الخمر والميسر الى آخر الآية .. رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . حرم تحريم قاطع طيب ليه ما قالش الآية الاخيرة من الاول ، ما يقعدش فى الاول ، اباح وقال فيهما ضرر ، اداتنا فى هذا طريق للعمل ، اداتنا فى هذا دليل للعمل ، اداتنا فى هذا وسيلة للعمـــل .

بيمشى مرحلة ورا مرحلة ورا مرحلة ، لغاية ماجه فى الآخر وحرمها ، وفعلا كانت الناس مقتنعة بالتحريم .

٢٣ سنة لغاية ما نزل القرآن ، وتم نزول القرآن ، ليه ربنا عمل كده ؟ .

حتى يعطينا الفرصة والدليل والوسيلة التى نقدر نعمل بيها فى حياتنا وفى دنيانا ، فى جميع الديانات تمشى الامور بهذا الشكل ، مفيش نبى نزل عليه كل شيء مرة واحدة ، باستمرار خطوة ورا خطوة .

يوم ٢٣ يوليو الكلام اللى انا باتكلمه النهاردة ، لو كنت قعدت معاكم يوم ٢٣ يوليو ما كنتش اعرف الكلام ده ، لانى ما كنتش مشيت فى تجربة العشر سنين اللى انا اتوجدت فيها فى العشر سنين اللى فاتت . كنت اقعد يوم ٢٣ يوليو وتقولوا لى عايزين محاضرة فى التكتيك اقول لكم محاضرة فى التكتيك . او فى موضـــوع عسكرى تقولوا لى اتكلم عن الثورة او فى المعطيات اللى احنا بنتكلم فيها النهاردة كان طبعا الموضوع يبقى من الصعب على أن انا أتكلم فيه .

مبادىء الثورة الستة :

ولكن كل هذه المبادىء الستة ، المبادىء الستة لما بنفسرها بنجد فيها كل حاجة : القضاء على الاستعمار واعوان الاستعمار ، القضاء على الاقطاع ، القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى قوى ، اقامة حياة ديمقراطية سليمة . كل شيء بيدخل ضمن هذه

المبادىء الستة ، هى المبادىء الستة لو فصلناها او فسرناها بنبص تلاقيها بتدينا النقطة دى . واحنا ظروفنـــــا حتى ان التطبيق الثورى ، تطبيقنا الشـورى يمكن سابق النظرية ، يعنى ايه النظرية . النظرية هى دليل العمل ، بعدين من اى شيء بتيجى النظرية ؟ .. عن دراسة المشاكل . ولكن اللى بيقعدوا يقـولوا ما فيش نظرية وعايزين نعرف النظرية هم عايزين يحطوا عقد وبس باى وسيلة من الوسائل وباى شكل من الاشكال نحل العقد دى ازاى يقولوا لنا حلوها انتم باه . تكلم اى واحد يقولك ما فيش نظرية ، ايه النظرية ، حددلى النهاردة نقف فين . انا ما اقدرش احدد ح نقف فين ، الشعب هو اللى بيحدد ح يقف فين . انا ايه اللى يخلينى وايه اللى ح يمكننى من ان احدد . بالنسبة لى انا ، انا يعنى لن أستطيع ان اقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان وكل واحد اصبح يشعر بفرصة متكافئة مع الاخر . ده شـــعورى وده احساسى وده املى من يوم ما كنت طالب ومن يوم ما كنت باطلع فى الشوار عفى هذه البلد ، وباعتبر ان ده يمكن كان احساس وامل كل واحد فيكم فى كل ظرف من الظروف وكان بالنسبة لى بيعتبر منى ، ويمكن ساعات الواحد يحلم احلام يقظة ويشعر بانه فى الخيال .

مشروع للميثاق الوطنى :

بنعمل محاولة ان شاء الله فى المؤتمر بعد ما تخلصوا شغلكم ، بعد ما يتكون المؤتمر ، بنحاول نقدم مشروع للميثاق الوطنى بيبقى هو دليلنا للعمل . بعد كده كل سنة بنغير ، النظرية او ميثاق العمل الوطنى لن يكون الا نتيجة لدراسة مشاكل المجتمع . اى واحد يقول ان مشاكل المجتمع فى بلدنا درست دراسة كاملة ثم وضعت لها الحلول يبقى مبالغ جدا . مشاكل لم تدرس حتى الان كاملة .

وانا برضه ح اقدم الميثاق فى المؤتمر وباقول مع تقديرى ، ان الميثاق ح يتقدم للمؤتمر ومشاكلنا كلها لم تدرس . وعشر سنين المشاكل الموجودة عندنا لم تدرس والحلو لهذه المشاكل لم توضع ، ولكن واجبنا رغم هذا ان احنا باستمرار نوضع الحلول . بنقدم الميثاق ، بنقدم البرامج السياســـية والاقتصادية والثقافيـــة والعسكرية من دراسة المشاكل ، هل هذه هى الدراسة ح تكون مستوفاة ميه الميه . هل هذه الدراسة ح تكون كاملة . ما اقدرش اقول ابدا ان الدراسة كاملـــة او دراسة مستوفاة لانى لنا النهاردة طالب راس المال الاجنبى اللى بيستثمر فى مصر من أول الثورة ، بقى لهم ٣ أيام ما هملش عارفين يجيبوا راس المال المستثمر الاجنبى من أول الثورة ١٩٥٢ لغاية النهاده . ولسه لا زالت عندنا اجهزة يجب ان تكون مستعدة تمام الاستعداد . مش عايزكم تتصوروا ان الحكومة بقت مكنه ، وانهـــا

بتشتغل بالديزل او بتشتغل بالكهرباء مش ح تعطل ابدا . لسه ما وصلناش لهذا الكلام ..

الثورة الثقافية مهمة :

لسه فيه خلل ، فيه نواحي مختلفة فى الاجهزة اللى احنا بنشتغل فيها ح نتعرض لها النهارده ، ونتعوض له ايضاً فى المؤتمر . وانا بالمناسبة باقول ان الثورة الثقافية مهمة جدا . فيه عدد كبير منكم هنا من اساتذة الجامعة ، فيه عدد كبير يستطيع ان ينقل هذا ، ثم فى النقابا توفى كل النواحي . الثورة الثقافية هى اساس الثورة السياسية واساس الثورة الاجتماعية . اذا كنت انا باقعد هنا باقول ان فيـــه ثورة اجتماعية وان احنا عايزين نعمل ثورة اجتماعية ، والراسمالية مستغلة وبتيجوا فى كلية الحقوق بتدرسوا فى الاقتصاد السياسى نظرية آدم سميث .. وان العرض والطلب والكلام ده احسن كلام فى الدنيا وان نظرية كذا وكذا يبقى هو ده الشيء التالى بيطلعوا الناس يبصوا لنا كده ويستغربوا ويقولوا الله الكلام اللى احنا اتعلمناه فى كلية الحقوق غير الكلام اللى هو يطبق هنا ، انا باقول لا ، العملية مش نظرية عرض وطلب ، احنا داخلين بنظام جديد لازم علشان تبقى ثورة ثقـــافية لازم احنا نؤلف فيه كام واحد الف كتاب اقتصاد عن بلدنا مش اقتباس طبعا من بلد ثانية ، فيه كام واحد ؟ فيه ميت الف كتاب اقتصاد عن الاقتصاد اللى احنا بنقوله النهاردة ؟ . ولما نؤلف هذا الكتاب نقول ان احنا عملنا نظرية .

ولكن اما نجيب كتاب عن الانظمة الاقتصادية المعروفة والانظمة الاقتصـــادية المقارنة والانظمة الاقتصادية المعاصرة ، آلاف الكتب موجودة . ما بنقدرش نقــول ان احنا عملنا النظرية ، المثقفين هم اللى عليهم يعملوا نظرية ، يوم ما الاقى فيــه كتاب اقتصاد طالع عن الاقتصاد بتاعنا والتجربة بتاعتنا وايه اللى يجب انه يحصل فيها ، باشعر ان هذا الكتاب هو جزء كبير من النظرية وان احنا ابتدينا نرسو ويوم ما الاقى كتاب الاقتصاد او عبارة فيه تكرد اللى بناخده فى كلية الحقوق ســـنة ١٩٣٦ الواحد بيصاب بخيبة امل لا اول لها ولا آخر ، لان احنـــا فعلا اتغيرنا ، اتغيرنا فى التجربة ، اتغيرنا فى الممارسة ، بنعمل تجربة بتاعتنا ، اذن انتم عليكم تعملوا الاقتصاد بتاعنا . اذن الثورة الثقافية هى أســــاس للثورة السياسيه او اساس للثورة الاجتماعية .

التطبيق سابق الانظمة :

اذا كنت اخذ الاقتصاد كمثل ، فيه امثلة كثيرة فى الدستور ، نفتح كتـــاب الدستور ونلاقيه برضه زى الكتاب الدستورى اللى كان بيديه وايت ابراهيم فى

سنة ١٩٥٦ او فلان الفلانى سنة كذا ، بيبقى على طول احنا ما تحركناش ، تطلبوا منا المستحيل ، وانتم كل واحد فيكم يقعد فيه مجال بعمل الثورة والنظرية لان النظرية مش حا تبقى كتاب منزل ، النظرية مش حا تبقى مجموعة هـــذه الكتب ومجموعة هذه الابحاث اللى كل واحد فيكم بقاعد فى جهته وفى حيزه الخاص المحدود انه بيشتغل فيه

بالنسبة للناحية الدستورية فيه طبعا خلافات . وبالنسبة للنظام العربى له شوه دستورى . بالنسبة للكتب اللى بتدرس فى جامعة لندن وجامعة باريس عارفين هم بيقولوا ايه فى هذه الكتب علشان طبعاً يحسنوا الانظمة بتاعتهم ، وبالنسبة لنظامنا ، وبرضه بنقول نظامنا ايه ونقول عيوبه ايه وحسناته ايه .

وانا ما عنديش مانع كل واحد بيقول العيوب العملية وحسناته ايه واقتراحاته ايه ، لان احنا لا زلنا نسير فى التجربة . واحنا بالنسبة لثورتنا اساسا التطبيق سابق النظرية ، فاذا ادلونا النظرية علشان تمشى مع التطبيق ، وطبعـــا الــكلام مش باقوله لكم بس باقوله لكل النـــاس اللى سامعننا دلوقت واللى حا يقدروا هذا الكلام ، يبقى فعلا كل واحد بيشتغل فى ميدانه عمل هام جداً .

تكافؤ الفرص :

ايه هدف الثورة الاجتماعية ، زى ما قلنا تحرر الشعب ، تكافؤ الفرص ، تحرر الشعب من الاستغلال ، هل ممكن ان احنا نوجد تحـرير الشعب وتكافؤ الفرص بان انا اقف اخطب واقول ، ان احنا عايزين الحرية للشعب والفرص المتكافئة وبس مش ممكن .. مش ممكن ابداً مستحيل ، ليه ، لان احنا اتخلقنا وورثنا نظام ، فلان الفلانى اتولد فى البيت الفلانى ورث الف فدان او عشرة الاف فدان والف جنيه او عشرة الاف جنيه . التانى اتولد فى بيت آخر وورث الفقر وورث التعب وورث المصايب والبلاوى والعيا ، طيب نقول تكافؤ الفرص ازاى ، واحد ورث السلطان والسلطة والتانى ورث البلاء طبعا ده نتيجة تطور المجتمـع من آلاف السنين ، ابن الخولى بيطلع فلاح وابن الاقطاعى . ابن الباشا بيطلع سعادة البيه . طيب فيه تكافؤ الفرص بين ابن الخولى وابن الباشا ، مفيش مش ممكن يعنى . ورثنا هذا الاساس . اتخلقنا كده .. المجتمع طلعنا فيه كده .. طيب ليه ابن الباشا بيروح للدكتور وليه اولاد الخولى ما يشفوش الدكتور . ليه ده عايز بنسلين بيلاقيه او اى ادوية والتانى لا . هل دى العدالة ، هل دى شريعة الله ، فى رايى لا ، فى رايى اذا اردنا ان احنا نعمل ثورة اجتماعيـــة لازم كل واحد يبقى له الفرصة متكافئة .. فى انه يتعلم ، فرصـــة متكافئة فى انه يشتغل .. فرصة متكافئة فى انه يتعالج ، فرصـــة متكافئة فى انه يعيش . بعد كده فيـه

ناس مجدين حسب الجد ، حسب جدهم بيتطوروا ، وفيه ناس غير مجدين طبعا بياخذوا نصيبهم .. لكن تكافؤ الفرص يجب ان يبدأ بعملية جراحية ما نقدرش نقول عايزين تكافؤ فرصة بخطبة او بكلمة لان نبقى نضحك على نفسنا وبنضحك على عقولنا .

علينا واجب للفلاحين :

ما اقدرش اقول انا بقيت رئيس جمهورية ولازم هم حا يطلعوا اولاد رئيس الجمهورية والكلام ده انساه ، مش ممكن لان انا بقيت رئيس جمهورية علشان هذه المبادىء وعلشان آمنت بهذه المبادىء وعلشان سرنا فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وباعتبر ان ده ايضا بينطبق عليكم وعلى جميع المتعلمين اللى وجدوا الفرصة انهم يتعلموا ، جميع المتعلمين اللى جم من القرية واللى جم من الريف ، مش بس بنى مر ، كل المتعلمين جم من القرية وجم من الريف عارفين ، مفيش حد مالوش قرايب بيشتغلوا فى القرية ، ومفيش حد مالوش قرايب النهاردة يعنى يمكن ملاهى الحياة بتخليه ينسى ، لكن احنا كلنا علينا واجب بالنسبة لهؤلاء الناس لابد ده المجتمع ، ده اللى يمثل الشعب بمجموعة ، كل واحد عليه واجب بالنسبة لنفسه وعليه واجب بالنسبة للاخرين .

د ى الثورة اللى قالوا عليها بتخوف وبتمنع راس المال الاجنبى ، اللى صرف من راس المال الاجنبى من اول يوم فى الثورة ، بقوا بقولوا لا نعمل الشىء الفلانى ده ، لا ده راس المال جبان . اما ابتداوا يلبشونا من اول يوم ، الواحد ما بقى عارف يشتغل ابدا باى وسيلة من الوسائل .

خرافة المال الاجنبى :

انا جيت فى يوم من الايام وقررت ان اقرا اربع ساعات او خمس ساعات علشان اعرف ان العمليات دى بالتفصيل ويعنى ما ابعاش باقبل الكلام ده ، كلام قطعى وآخذ بس براى الفنيين واقول ايو ٥حاضر طيب . بنعمل قوانين لتشجيع راس المال الاجنبى سنة ١٩٥٣ ، آه بنعمل قوانين . بنديهم ايه ؛ بنديهم ، تعرفوا راس المال الاجنبى اللى دخل مصر للاستثمار من سنة ١٩٥٢ لغاية ٦١ قد ايه ؟ . ٨ مليون جليه ، منهم للاستثمار فى البترول ١ر٥ مليون اهو ده كل راس المال الاجنبى ، قعدنا نحايل فيهم ونسايس فيهم ونطبطب عليهم ونقول لهم تعالوا طيب حا نعمل لكم قانون ، حا تضمن لكم ، ده سنة ٥٣/٥٤ بعد كده انا مش عايز راس مال اجنبى خالص يدخل للاستثمار لانى حسيت ان احنا

بناخد فى هذه الامور خازوق كبير جدا لان هو بيدخل بيجيب عشرة آلاف جنيه او عشرين الف جنيه بيعمل مصنع وبعدين بيحول كل ســـنة الى الابد ارباح ، يعنى بياخد العشرة آلاف جنيه او «العشرين الف جنيه او الثلاثين الف جنيه ، بياخدهم فى خمس سنين ، وبعدين كل سنة بقروض طبقا لهذا القانون انى احول له ارباحه للخارج بالعملة الصعبة ، اذن يعنى كتب علينا ان احنا ناخذ من عرقنـا واحنا فى حاجة لكل ناتج هذا العرق ونحوله الى الخارج ، ولهذا انا اعلنت بعد كد «انى ضد اى استثمار الا اذا كانت هناك ضرورة ماسة لذلك ، واللى على اساسه يمكن وافقنا على استثمار راس المال الاجنبى فى بعض شركات الادوية لان عندها معامل للابحاث . بعض الحالات الاخرى ، ولكن قلنا ناخد قروض ، قروض بنسددها فى عشر سنين اتناشر سنة ، خمستاشر ســـنة وتخلص ، راس المال الاجنبى بنفضل نحول له ربح كل سنة الى الابد طبعا الخـــرافة اللى كانت بتقولها الرجعية والاساطير عن راس المال الاجنبى مش شايف .

بل راس المال الاجنبى لما بييجى ما بيرضاش يدخل فى صناعات اساسـيـة او صناعات ثقيلة هو اما بييجى يدخل او بيقدم صناعات قده علشان يحقق ربح سريع وربح عاجل وعلشان يحول هذا الربح بسرعة . واما احنا اتجهنـا الى القروض وعدم فتح بلادنا لاستثمار راس المال الاجنبى اتكلمت فى الاول ايضـا على طمانينة راس المال الخاص ، وراس المال الخاص بيخاف وبيكش وقلت لكم مفيش فايدة بكل الوسائل اللى بنعملها ، راس المال الخاص مش ممكن يعمل صناعة حديد ، مش ممكن يعمل صناعة ثقيلة . راس المال الخاص عايز يعمل صناعات سريعة تجيب عائد سريع ، لانه بيفكر اولا فى مصلحته قبل ان يفكر فى مصلحة البلد كبلد ، بيفـــكر فى ربحه لان راس المال عايز يشتغل بالطريقـــة الراسمالية ، يكسب ١٠٪ اذا كان يقدر يكسب ١٥٪ فى السنة اذا كان قدر يزودها الى ٢٠ ٪ يزودها ٢٠٪ ، وانا يعنى بهذه المناسبة انا مش ضد راس المال الخاص حين يعمل ولكن انا ضد راس المال الخاص حين يستغل . فرق وراس المال الخاص انه بيستغل وانه يحجب الفرصة عن الاخرين ويسلبها منه .

كيف يمكن ان تباشر الثورة الاجتماعية تاثيرها ؟

يمكن قبل ما نسال هذا السؤال وكان يجب قبـل ما نتكلم عن الثـورة الاجتماعية كان لا بد نسال نفسنا سؤال .. هو احنا عايزينها تنشىء راسماليـة او اشتراكية والاجابة طبعا ببساطة ان الراسمالية على الطريقة القديمة اصبحت

مستحيلة ، والراسمالية حتى على الطريقة المفيدة اصبحت مستحيلة ، لن البلد فعلا بدات فى التحويل الاشتراكى اللى هو باقصد به العدالة

الأوامر لا تكفى :

فده موضوع طبعا مش موضوع نقاش ، يعنى موضوع مفروغ منه ؛ ولكن حا نطبقه ازاى ، حا نسير فيه الزاى ، ده اللى احنا نتكلم فيه ، فى المؤتمر حا نتكلم فيه وحانبحثه . كيف يمكن أن تباشر الثورة الاجتماعية تاثيرها . الثورة مش العدالة الاجتماعية وكيف يمكن ان نحقق المرجو منها .

فى رايى ان احنا ما نقدرش نحقق ده بالاوامر وبس . سواء فى هذه الاوامر الادارية أو التشريعات او اللوائح اللى بيطلعوها والمذكرات والكلام اللى عارفينه . وسيلة واحدة تمكن الثورة الاجتماعية من أن تباشر تاثيرها وهى الحرية الكاملة للشعب ، لان احنا عايزين نعمل الثـــورة الاجتماعنة دى مش عشانا احنـا يمكن احنا فى مستوى اجتماعى بيتغير اعلى من المتوسط ، عايزين الثورة الاجتمـاعية للشعب ، اذن الشعب هو صاحب المصلحة الاصلية للثورة الاجتماعية ، والشعب صاحب المصلحة الاصلية فى الثورة الاجتماعية لابد أن تكون له الحـرية الكامـلة والديمقراطية الكاملة حتى تنجح هذه الثورة الاجتماعية بدون الحرية الكاملة ، وبدون الديمقراطية الكاملة للشعب بنبص نلاقى نفسنا انفصلنا وانعزلنا والشعب فى وادى واحنا فى وادى ، الشعب له مشاكله واحنا ما احناش عارفين هـــذه المشاكل بنحل فى طلاسم وبنقعد نوضع فى نظريات بس ده شىء واللى هو مطلوب ده شىء آخر ، هو مش المطلوب الواحد يقعد يحل أى مشكلة ، مفروض الواحد يقعد يحل المشكلة اللى بتجابه الناس ، مشاكل الجماهير نجد لها حل .

طبعا لما نقول ندى الشعب كل الديمقراطية ، واما نقول عايزين ندى الشعب كل الحرية ، على طول يخطر فى بالنا شىء ، ايه العقبات اللى على الطريق .

عقبات موروثة :

قطعا فيه عقبات ، ما نقدرش نقول ما فيش عقبات ، السبب ان احنا ورثنا مجتمع ، هذا المجتمع كان فيه الخير كله لاقلية والشعب محروم من كل شىء ، الاستغلال بكل معانيه سواء فى هذا الاستغلال السياسى او الاقتصادى او الاجتماعى أو الاقطاعى ، الاحتكار طبعا ، راس المال المستغل ، الرجعية عندهم الفرصـــة ، ورثوا الفلوس ، الفلوس بالنسبة لهم السلاح والطيارات والدبابات ـ الفلوس هى الاسلحة السرية ، الارض هى الاسلحة الذرية بالنسبة لهم ؟ النفوذ «مثـل

السلاح ، يمثل القوة . فيه صراع طبقى ما ننساش ان مهما حاولنا او حاولوا هم مفيش صراع طبقى ، لا فيه . فيه صراع طبقى فى كل حتة ، صراع طبقى فى كل مكان ، فيه صراع بين الشخص اللى شايف ان عمله بيروح بأجر محدود وقام يطالب بانه بياخد حقه . فيه صراع بين اللى ورثوا الجهل والمرض والفقر والقلب . مهما غمضنا عنينا هذا الصراع موجود . وبعدين بدى اقول ان الصراع تملى اما نفكر فيه يتهيأ لنا انه من الطبقة الرجعية ، علشان تستطيع ان تتحكم ، مش بس ييجى فى الطبقة المغلوبة على امرها ، صراع من هذا ومن هنا ، كل واحد عنده اسلحة . طبعا الطبقة الرجعية أو الراسمالية المستغلة أو الاقطاعية عندها سلحة قوية تمكنها من هذا الصراع وتعطيها كل الوسائل اللى تمكنها من انها تنجح . اما بنقول عايزين ندى الحرية كاملة للشعب وعايزين ندى الديمقراطية كاملة للشعب على طول بنفكر فى العقبات . الشعب طيب ما هو ورث دى فى الماضى ، اقطاع غرر به ، مش كانوا بياخدوا الفلاحين فى اللورى يودوهم يصوتوا للمرشح ويدوله كل الاصوات مين هم ؟ هم دول الشعب ، وكان الفلاح اللى ما يديش صوته بيطردوه هو وعيلته بره القرية وبره البلد اذن تطلع بعد كده اما نقول عايزين ندى الحرية للشعب ندى الديمقراطية للشعب ، لازم نسأل نفسنا سؤال من هو الشعب ، مين هم الشعب اللى احنا حنديهم الحرية كاملة مين هو الشعب اللى بنتكلم من اجله بنقول ان احنا عايزين نقيم مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى .

مرحلة بناء الاشتراكية :

علشان نعطى الحرية للجماهير بلا قيد ولا شرط ، عشان ندى الديمقراطية للجماهير بلا قيد ولا شرط لا بد أن نحدد من هم الشعب مين هم اللى عايزين الثورة الاجتماعية هم دول الشعب طبعا فيه تناقض واضح بين الشعب اللى عايز الثورة الاجتماعية وعايز مجتمع متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى وبين الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى وبين الاقلية .لنى عايزه مجتمع فيه استغلال سياسى وفيه استغلال اقتصادى ، وفيه استغلال اجتماعى ، فيه تناقض واضح . طبعا كلمة الشعب بتختلف باختلاف الظروف واختلاف المفاهيم .

النهارده فى ثورتنا الاجتماعية بنستطيع ان احنا نحدد الشعب ، زى فى ثورتنا السياسية ما حددنا ، الشعب هو كل من وقف ضد الاستعمار من اجل الاستقلال ومن أجل الحرية . الشعب اللى كل واحد واقف من أجل تحقيق المبدأ الاول للثورة . انتهت المرحلة السياسية وبدأت المرحلة الاجتماعية ، ولو ان قطعا فيه

طيب ، اذن هم دول اللى لديهم الحرية الكاملة بعد كده نلاقى الناس اللى هم ضد العدالة الاجتماعية وضد الثورة الاجتماعية ، الناس اللى هم ضد التحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، الناس اللى هم بيهدفوا دائما الى الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى . دول ايه ، الناس اللى عايزين السلطة علشان يحكموا أو الناس اللى بيمثلوا الطبقة التى باشرت النفوذ فى الماضى ويمثلوا اقلية . هل هم الشعب ؟

الشعب وأعداء الشعب :

فى رايى انهم لا يمثلون الشعب ، ولكن يمثلوا شىء آخر فى صراعنا ضد الاستعمار كان الشعب يكافح الاستعمار واعوانه من الخونة ، وقلنا كده ، القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين اول مبدأ من مبادىء الثورة وأول هدف من اهداف الثورة ، وحددناها بدون لف ولا دوران ، الاستعمار وأعوانه ، وقلنا اذا لم نقض على أعوان الاستعمار لن نقضى على الاستعمار لان الاستعمار يرتكز على أعوانه ، النهارده لازم نكون واضحين بدون لف ولا دوران .

الشعب هو عبارة عن مجموع الفئات التى تساند الثورة الاشتراكية ، مثل اليفط الاشتراكية تساند الثورة الاشتراكية ولا تساند الثورة الاجتماعية والبناء الاشتراكى هم اعداء الشعب ، اذن اما بنيجى النهارده ونقول كل الحرية للشعب وكل الديمقراطية للشعب لازم احدد وأفراد وافصل واخصص ايه هى قوى الشعب العاملة ،ايه هو الشعب ، أعداء الشعب جميع القوى والجماعات التى تناهض هذه الثورة الاشتراكية والثورة الاجتماعية واللى هدفها طبعا القضاء على هذا النظام الاشتراكى والعودة الى النظام راسمالى او مستغل او نظام مبنى على اساس دكتاتورية رأس المال ، زى ما كان موجود قبل سنة ١٩٥٢ كان فيه برلمان وفيه قبه برلمان وفيه ديمقراطيه ولكن كان هناك ظلم اجتماعى صارخ .

واظن كل واحد فينا يعنى يذكر هذا ويعلم هذا . فانا بدى أقول ان هناك اصبح خلاف واضح بين الشعب واعداء الشعب فى هذه المرحلة .

حاولنا نحل بالوسائل السلمية ، حاولنا نحل فى اطار من الوحدة الوطنية ولكن النية كانت من طرف واحد . لان هناك خلافات اساسية وخلافات جذرية ولقينا الرجعية اما بتستكين بتسكين حتى تجد الفرصة وبتسكين لغاية الوقت المناسب وبتتزلف وبتتملق علشان تحمى فلوسها وبتحمى نفسها ، ولكن

بتستنكين للوقت المناسب ، ولكن هل نجح الكلام اللى قلناه ، هل نجح الكـلام اللى قلناه ان احنا عايزين نحل المتناقضات فى داخل اطار من الوحدة الوطنية بالطرق السلمية ، لاما نجحش . من جانبنا احنا كانت نوايانا يمكن سليمة وكنا بنقول عايزين نعمل محاولة جديدة نبين طيبة الشعب نبين عمق هذا الشعب الاصيل فى الحضارة . ولكن لايمكن ان يتم عمل النية على اتمامه من جانب واحد ، اما الجانب الاخر فهو ينتهز أو ينتظر الفرص المناسبة .

علشان تكون عنـدنا حرية وتكون عندنا ديمقراطية لازم نفرز ونحـدد أعـداء الشعب ، الرجعية بنحدد ونوضع الشعب وبين اعدائه ونحقق الهدف ، الهدف هو بوضوح وبنحدد الشعب ، تعيين الحدود بالضبط بين تجريد هذه الرجعية واعداء الشعب من اسلحتهم ، الغاية من هذا ان فيه خلاف بين الشعب وبين اعداء الشعب . خلاف بين الشعب وبين الرجعية .

حماية العمل السلمى :

وعايزين نحل هذا الخلاف . نجـرد الرجعية من أسلحتهـا . طبعـا ده اسلوب ، هناك أساليب اخرى ايضا نصل الى المحاكمة ، تصـل الى حرمان نصـل الى نواحى كثيرة . وبهذا نبقى حلينا هذا الخـلاف الكبير بين الشعب هناك وسيلة اخرى ان احنا بنحل ايضا بالطرق السلمية ، لان احنا ولو احنا حسبنا ان الطرف الاخر مش مستعد بحل بالطرق السلمية ، لكن احنا لازلنا على استعداد أيضا ان احنا نحل المتناقضات بالطرق السلمية ، ولكن لسـنا على استعداد باى حال من الاحوال ان احنا نسمح بوضع العراقيل فى وجه ثورة الشعب الاجتماعية باعطاء الرجعية فرصة علشان تضرب ثورة الشعب ، أو تضرب الثورة الاشتراكية ، من واجبنا ان نحمى كفاح الشعب ونحمى مكاسب الشعب . من واجبنا أن احنا نحمى الدولة ونحمى الشعب من النشاط الهدام سواء من الخارج أو من الداخل أو من الاستعمار والرجعية المتعاونة مع الاستعمار .

من واجبنا ايضا أن احنا نحمى العمل السلمى للشعب كله حتى يستطيع الشعب ان يعمل فى البنـاء الاشتراكى ويبنى دولة اشتراكية ذات صناعة حديثـة وزراعة حديثة يشعر فيها الانسان بالحرية والسعادة .

لا نريد خونة :

بالاختصار يجب أن تكون سياستنا واضحة تجاه اعداء الشعب . كل الحرية وكل الديمقراطية للشعب . ولا حرية ولا ديمقراطية لاعداء الشعب . من هنـا نحدد عملنا . باعتبر دى نقطة الاسـاس . اذا قمنا الحرية ، يتبقى حرية الكلام ،

حرية النقد ، حرية الاجتماع ، وما نخافش . فى مناقشات كثيرة لى كنت اشعر من بعض الناس خوف . اما نقول فيه لجان ، يقولوا اللجان وبالنسبة لاى لجان اتحاد قومى ، بيقولوا يعنى نعين جزء مننتخبش . انا رايى ان الشعب لازم . اذا عزلت الرجعية بآخذ الفرصة كاملة ويغلط ويصلح غلطته . واللى كان بيلخبط علينا الامور الحقيقية فى الفترة اللى فاتت ايضا عدم هذا ، الغريب بنفرز وبنحدد وبنقول .. هذه هى الرجعية ، وبعدين ان احنا نضمها الى الشعب كل واحد بيسير على يعنى مفيش ، احنا موش عاوزين خونة للبلد ولا عايزين ابدا نخلق أعداء كل واحد بيسير فى الطريق السليم أهلا وسهلا بنرحب بيه ، يعنى بنعمله حفلة وبنحتفل بيه ، كل العمليات دى . يعنى احنا مش عاوزين أعداء لان احنا اساسا ، كنا عايزين نلم كل واحد ونحل خلافاتنا الطبقية بنحلها بيننا وبين بعض بالتراضى ، بالتفاهم ، ولكن كان من العسير ان احنا نحل هذه الخلافات بالتراضى ، ولا زالت من العسير برضه لغاية دلوقتى ، يعنى هل الارض بتتأجر بسبع امثال الضريبة فى كل حته بيقولوا لى ..ما تتاجرش بسبع أمثال الضرية . بالتفاهم نأجر بسبع امثال الضريبة حنضطر نحلها بطريقة تانيه غير التفاهم وغير التراضى ، انا حاضطر أعمل هذا وكل واحد مسئول فى هذه البلد حايضطر . بنقول الايجارات بتبقى كذا ، بيقولوا لان خلو الرجل . وكذا . وكذا .

اعادة الحقوق المسلوبة :

بنقول يا جماعة تعالوا نتفاهم على الايجارات ، مفيش بيعملوا وسائل تانية . اما التفاهم ما ينفعش حا نضطر ناخذ اجراءات تانية علشان التفاهم ما نفعش . باقصد من هذا ان احنا والشعب ، أما بقول احنا يعنى الشعب ، قلبه مفتوح وصدره مفتوح للتفاهم والوسائل السليمة وطول عمرنا شعبنا رحيم ، شعبنا طيب ، عمره ما كان شعب حقود أبدا . بيقولوا ان جمال عبد الناصر عنده حقد طبقى . حقد طبقى ليه . وانا بقيت رئيس جمهورية وموجود وقاعد وعندى عربية كاديلاك وكويس والحمد لله . بس ازاى نيجى لغاية هنا ونقول حقد طبقى . ابدا ده مش حقد طبقى ، مش حقد على طبقة معينة ، انا والله ما أعرفهم ولا شفتهم ولا قعدت معاهم ، لكن شفت التانيين ، شفت الشعب ، شفت العمال الزراعيين ، شفت عمال التراحيل ، شفت الفلاحين ، شفت الشعب اللى طلعنا منه كلنا ، الشعب اللى فى كل حته ده اللى شفته ، فهى العملية مش حقد طبقى على اللى ماشفتهومش العملية هى اعادة حقوق مسلوبة من الناس اللى بياكلوا فى حقوقنا وكان بمكن يتقال ، زى ما حصل زمان ان اعادة الحقوق تنتهى لأن الواحد هو بيعيد حقوقنا يبقى هو رئيس الجمهورية بياخذ يعنى ، فى اعلى المناصب بس هل ده الفرض .

ثورة ١٩ طلعوا يعيدوا حقوق الشعب المسلوبة ثم بعد كده نسيوا الشعب وكل واحد ابتدأ بدل ما يرفع مستوى الشعب رفع مستوى نفسه ، ومستوى الشعب راح فين ، بعد كده باستمرار كل واحد كان بيقول ابتدى بكذا وبينتهى عارف الوزارة حاتقعد ست اشهر والا ثمانية اشهر وبيرفع مستوى نفسه ومستوى عيلته الوزارة ما تروح وبعد كده الكلام بيبقى كلام اسطوانات وكلام انتخابات وكلنا عارفين العملية دى . العملية ان احنا عايزين نعيد الحقوق المسلوبة وده هدفنا وده واجبنا الاساسى والرئيسى والذى من اجله وجدنا فى هذا العمل .

وانا مابعتبروش عمل ، انا باعتبره حياة كاملة لانه مش شغله ، مش وظيفة بنخلص منها واحدة ونص ، احنا عايشينها اربعة وعشرين ساعة عمل مستمر اربعة وعشرين ساعة .

اذن صراع طبقى موجود ، العملية مش حقد طبقى ، العملية واحد محروم من حقه وعايز يسترد حقه ، احنا كلنا مسئولين ، مثقفين مسئولين قبل اى واحد متعلمين مسئولين قبل أى واحد ، كل واحد متعلم فى رقبته اللى ماتعلموش فى البلد بيرجع لهم حقوقهم ، لان هو وجد الفرصة انه يتعلم والتانيين ما وجدوش الفرصة انهم يتعلموا . كل واحد يرجع بلده يلاقى فيه زملاؤه اللى كان بيلعب معاهم فى البلد .. فى القرية وهو جه اتعلم ، بقى مهندس قد الدنيا وتعلم فى حته كويسة وبيرجع يلاقى اللى كان بيلعب معاه بيشتغل فلاح ، هو أخذ فرصة التانى ما اخدهاش ، فرصة التعليم ، كل واحد متعلم فى رقبته دين لكل واحد ماتعلمش فى هذه البلد وعليه انه يرد هذا الدين .

حل جذرى كامل :

احنا بنتكلم عن الخلافات فتكلمنا عن الخلافات بين الشعب واعداء الشعب ، وقلنا انه يجب أن تحل حل جذرى وحل كامل والفرز هو الوسيلة الوحيدة .

بعدين قلت أن فيه ناس بيقولوا ان الشعب بيحتاج الى ارشاد ولن ممكن مايديش الحكم السليم ، لكن زى ما قلت لكم فى رأيى بنترك للشعب انه يغلط ويصلح ، ويغلط ويصلح حايعرف ، الناصحين قوى بيعرفوا فى اى حته بيعرفوا كل واحد ، واما بنقول بندى الحرية الكاملة للشعب وبندى الديمقراطية الكاملة للشعب بعد عزل اعداء الشعب بيبقى لازم هنـدى الحرية الكاملة للشعب مع وجوب أن نضع فى حسابنا ان هناك خلافات وهناك ايضا متناقضات فى داخل الشعب ، لن تنتهى مطلقا ، ابدا . باستمرار فيه خلافات تختلف عن الخلافات اللى بين الشعب واعدائه ، خلافات بينه وبين بعضه ، زى الخلافات اللى موجودة فى العيلة .

بين الراجل وزوجته وعيلته واولاده فيه خلافات . ناس بيقولوا عايزين نروح السينما خمس مرات ، الثانيين ، الاولاد عايزين يروحوا السينما خمس مرات في الشهر ، رب العيلة بيقول لهم لا روحوا مرتين ، بيبقى فيه خلاف كل واحد بيحسب الحكاية بطريقة مختلفة في العيلة الواحدة ، فيه هذا الخلاف . في الشعب بقى نفسه من باب اولى حايبقى فيه خلاف . في العيلة لما صاحب البيت بيقول بتروحوا السينما مرتين ، والاولاد عايزين يروحوا خمس مرات وبعدين صاحب البيت يعنى بيدخلوا في مناقشة ، هل تصل الى عداوة ؟ عمرها ابدا ما تصل الى عداوة ، بتتحل بيروحوا ثلاث مرات او بيروحوا ، او يمكن يقولوا له طيب بنوفر ونروح مرة واحدة ، منروحش مرتين .

الخلافات لا تصل الى العداوة :

في داخل الشعب فيه خلافات وفيه تناقضات ولكنها لا تصل ابدا الى مرحلة العداوة وده اللى ساعات بيخوفنا واللى بيسبب عندنا نوع من القلق وبعض الناس بيعتبروا انه لا بد في شيء من التوجيه و لابد من الارشاد او التدخل في كل حته فيه تناقض مصالح . تعالى في القرية ، الشعب ، التاجر الصغير ، الفلاح العامل الزراعى ، الثلاثة بيدخلوا ضمن تعريف الشعب لكن بين الثلاثة فيه تناقض لكل مصلحة متضاربة مع مصلحة الآخر . ولكن لا يصل هذا التضارب الى درجة الخصومة العنيفة او الى درجة العداوة ، بتنحل .

اذن هذه الخلافات لا بد أن نقابلها ولا بد أن نحلها ولا وسيلة لحلها الا بالديمقراطية الكاملة في داخل الشعب ، طبعا فيه فرق بين التعارض والخلاف بين الشعب والرجعية لان الرجعية بتمثل المعارضة للثورة الاشتراكية ، الرجعية بتمثل المعارضة التى اذا وجدت الفرصة بتهد كل شيء اشتراكى لتقيم حكم مبنى على ديكتاتورية راس المال وعلى استغلال راس المال . لكن الشعب والخلافات بينه مش متجهة ابدا الى القضاء على الاشتراكية بس كل واحد له وجهة نظر ، العامل مثلا له وجهة نظر في الاشتراكية ، الفلاح له وجهة نظر اخرى . العامل عنده نقابات للعمال ، الفلاح ، الفلاح ما عندوش نقابات . ده سلم مرحلة وده سيار مرحلة اقل ، اذن حتى يمكن الفلاح اما يقعد مع العامل بيبقى فيه تناقض فيه خلاف ، خلاف بين العمال وبين الفلاحين في التفكير .

الاختلاف او التناقض بين الحكومة او بين الشعب ، الحكومة عايزة تنفذ موضوع لمصلحة المجموع وبعض الناس بيفكروا بس في المصلحة الشخصية ، على طول تبص تلاقى فيه اختلاف ، عايزين مثلا يهدوا بيت للمصلحة العامة ، صاحب

البيت مختلف ويقول انا مظلوم والحكومة ظلمتنى الى آخر هذا الكلام ، لكن هل معنى هذا ان هو مستعد يتخلى عن الاشتراكية طبعا انا عايز اقول بيت صغير مش عمارة ، هل يتخلى عن الاشتراكية ، والا ينتقل الى معارض بالقصد ان كل هـذه الخلافات اللى بنجدها فى داخل الشعب بيننا وبين انفسنا ، هنا اما حانقعدوا نجتمعوا مع بعض حانجدوا هذه الخلافات .

خلافات كثيرة :

خلافات كثيرة لا اول لها ولا آخر . وتقعدوا تتناقشوا فى اللجان وكل واحد حايبقى فيه راى وكل واحد حتى بيعبر عن مصلحة معينة او بيجد المصلحة المعينة فى الشيء الفلانى بيبقى فيه تعارض وتضارب واختلاف وتناقض .

ولكن ده الاختلاف والتناقض والتعارض اللى بيوجد فى العيلة الواحدة واللى لا يؤثر باى حال من الاحوال على سير الشعب فى ثورته الاشتراكية مثقفين وفلاحين برضه تجد ده فيه تناقض . اى واحد مثقف حتما بيروح الريف او متعلم حتى عايز بيت يعيش فيه مش ممكن حايقعد فى البيت اللى موجود فى القرية . فيه خلاف . لكن الفلاح واخد على البيت اللى فى القرية ، بمعت الموظف عايز بيت ، لان فيه اختلاف فيه خلاف ، بعدين حتى ساعات بيحصل اختلاف بين القيـادة والقاعدة بين الحكومة وبين الشعب .

المصلحة العامة والخاصة :

زى ما قلت بين المصلحة العامة او المصلحة الخاصة احنا نبص لموضوع المصلحة العامة نيجى فئة معينة تبص للموضوع من مصلحة خاصة بين الموظفين والجماهير تشتكى من الجهاز الحكومى ومن الروتين و .. و .. الى آخر هذا الكلام ولكن ده خلاف او تناقض موجود فى داخلنا . اذا كان الجهاز الحكومى فيه اعداءنا نبقى احنا اللى غلطانين اللى نخليهم فى داخل الجهـاز الحكومى يبقى لازم اعداؤنا عن اعداء الشعب او من اعداء الاشتراكية او من الرجعية فيه ناس موجودين بجهاز الحكومة على طول بندخلهم فى عملية الفرز وبيسيبوا الجهاز الحكومى ، بعـدين نمسك الجهاز الحكومى على انه من الشعب ونبتدى نحل خـلافاتنا وتناقضاتنا ومشاكلنا طبعا فيه مراحل مع الراسمالية الوطنية مع صغار التجـار او نيجى وبنقول التاجر ده صغير ولكن بنروح له برضه ما يعملكش بالتسعيرة ، بتبص انته كمستهلك بينك وبينه فيه تناقض كبير على اساس استغلال الراسمالية الكبيرة ولكن استغلال صغير . هروبه مثلا ، عدم تنفيذ التسعيرة بيبقى تناقض ، القصـد

ان احنا فى داخل الشعب حانجد باستمرار تناقضات وخـــلافات وتعارضـات واختلافات ، ولكن علينـــا احنا ان نحل هذا بالطرق السلمية ولن تنتهى . مش حاتنتهى هذه الخلافات باى وسيلة من الوسائل ولكن من واجبنا احنا عشـــان نخفف اثرها ان احنا نحلها . وبنحلها بالطرق السليمة ، وبنحلهـــا هى بايه ؟ بالديمقراطية والحرية والنقاش والتصحيح والفهم وتحـديد الخطأ وتحـــديد الصواب والعمل الدائم علشان نعرف فين الخطأ وفين الصـــواب ، ونحل امورنا ونصحح الخطأ .

ديمقراطية سليمة :

طبعـــا ده يستدعى ان يكون الشعب فى عمل متواصل ويســـتدعى ان نسير فى تنظيمنا الشعبى بطريقة بتخلى الفرد العادى هو خلية ثورية ، وتستدعى ايضا ان احنا نغير بعض الاساليب أو كثير من الاساليب التى ورثناها . الديكتـــاتورية اللى احنا قاسينا منها تحت اسم الديمقراطية ديكتاتورية راس المال ، ديكتاتورية الاقطاع . ديكتاتورية الاقلية تحت اسم البرلـــان ، وقبة البرلمان بتغيرها بديمقراطية ســـليمة لاغلبية الشعب ، مش ديمقراطية للاقلية علشـــان تشتغل وتتاجر . مش ديمقراطيـــة ليتحـــكم تحت اسمها الاقطـــاع وراس المـــال المستغل ، لا ، ديمقراطية للفرد الفلاح العامل فى القرية ، وللعامل فى المصنع ولكل فرد من ابناء الشعب .

لا يمكن للديمقراطية السياسية انها تبقى حقيقة ابدا الا اذا كانت هناك عدالة اجتماعية ، الا اذا توافرت الديمقراطية الاجتماعية ، الا اذا تكافات الفرص الا اذا تمت المساواة . فى المجتمع الراسمالى فين الفرصة المتكافئة بين الراسمالى والعامل الاجير ، مفيش ، مفيش فرصة متكافئة .

حتى ده عنده فلوس يمكن يتعشى كويس ، والتـــانى ما عندوش فلوس يمكن ما يتعشاش ، لا يمكن ان تكون هناك فرص متكافئة . ولكن بتيجى الراســـمالية المستغلة والاقطاع بيطلعوا شعارات الديمقراطية ويبداوا يعملوا انتخابات عـــلى طريقة الغرب ، والطريقة الغربية هى طريقة الراسمالية والاقلية المستغلة صاحبة الجاه والسلطة والفلوس اللى بتستغل اللى بتكسب بتاخد الحكم ، الاغلبيـــة عبارة عن احزاب لمصالح الاقطاعيين أو لمصالح الراسماليين . هل ده النظام اللى يناسبنا لان احنا جربناه قبل ٢٣ يوليو وجـــدنا انه كل كام شهر بتيجى وزارة بيغيروا الوزارات بخمسين الف جنيه وبثلاثين الف جنيه . الياس اندراوس وكلنا عارفين الفلوس اللى كانت بتندفع ورؤساء الوزارات اللى كانوا اعضاء فى مجالس ادارة الشركات .

ديمقراطية الاقطاع :

الثورة قامت عشان تغير الكلام ده .. اذن ما ينضحكش علينا ابدا ان الرجعية تقف تركز وتقول الديمقراطية يعنى الديمقراطية للرجعية ان تحكم الرجعيــة وان تستغل وان تسيطر ، تستغل اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

فى بعض المناقشات بعض الناس قالوا ايه ، قالوا طيب نعمل حزبين ، بحزبين يدونا مقدار كبير الحرية ، ونعمل نظام زى النظام البرلمانى الغربى ، حزب يحكم وحزب يعارض . لكن يمكن انه برضه فى ٥٦ فكرت فى هذا الموضوع قبل الدستور تفكير عابر ، قبل دستور ١٩٥٦ وبعدين انا رديت على نفسى قلت ان احنا نسـينا ان فيه ثورة وان فيه ثورة سياسية وثورة اجتماعية وان عملية الحـــزبين او الديمقراطية اللى بيتكلموا عليها الشـعار اللى فضلوا يركزوا علينــا ليس تعبيرا عن ديكتاتورية راس المـال ليه ، لان الحرية كل الحرية لراس المـال . ولا يمـكن باى حال من الاحوال تامين الحرية والحقوق للشعب ، للطبقة العاملة اذا كان فيه ديمقراطية للراسمالية المستغلة وللاقطاع وعندهم اسلحتهم وعندهم اموالهم وعندهم نفوذهم ، لا يمكن ان تكون هناك ديمقراطية للشعب للطبقة العاملة . انا بدى افتكر برلمـانات قبل ٥٢ دخل فيها عامل مين ، دخل فلان فلاح ازاى . مش فاكر . دخل فلان باشا وفلان بيه ومعروف صرفوا وكانوا بيصرفوا قد ايه عــلى الانتخابات ويستردوا الانتخابات وما دخلوش بعد كده الا بعض النـــاس اللى انتموا لبعض احزاب . ومن الواضح انه طالما ان الطبقات المستغلة عندها الحزبية لتســتغل الشعب العامل ، والشعب العامل او الطبقة العاملة ليس لها حرية عدم الخضوع لهذا الاستغلال مفيش حرية . الشعب العامل ليس له الحرية فى عدم الخضوع لحد ، لانه اذا ما خفش مش حايلاقى ياكل ، مش حا ياخد اجرته ، مش حاياخد مرتبـــه .

ليس امامه الا ان يخضع . اذن الديمقراطية الراسمالية الديمقراطية الاقطاعية اللى مارسناها هنا فى سنة ٢٣ مثلا من النظام الغربى لم تكن الا ستارا ، واللى بتمارس فى بعض البلاد واللى بيقعدوا يطنطنوا بالديمقراطية .. الديمقراطية ليست الا ستارا من اجل حماية الراسمالية والاقطاع والفســاد والاستغلال ، الاســتغلال الاجتماعى والاستغلال الاقتصادى بكل معانيه .

وسيلة لا غاية :

مين اللى بيقدر يمول الانتخابات زى ما قلنا ، مين اللى يقدر يعمل حماية ؟ الراسمالية المستغلة والاقطاع .

اذن الحقيقة مش ممكن يمشى على أساس الحرية المجردة أو ديمقراطيــة مجرده . التفكير ان احنا نعمل حزبين بحرية مجردة وديمقراطية مجردة معناه ان الثورة بتنتهى . التفكير لازم يتجه الى ان فيه ثورة وفيه اهداف لهذه الثـورة مجــردة .

وعمر ما ينطبق ثورة اجتماعية بحرية مجردة ، عمر ما قام برلمـان راسـمالى حصلت ثورة اجتماعية . ما حصلش . قامت ثورة حققت ثورة سياسية .

اللى بيطالبوا بالحرية المجردة أو بيطالبوا بالديمقراطية المجرده يمكن بينخدعوا ببعض الكلام وبيعتبروا الديمقراطية غاية وما يسلموش بان الديمقراطية وسـيلة . وليست غاية لاقامة مجتمع ترفرف عليه الرفاهية .

مجتمع فيه تكافؤ الفرص ، لانه كيف يحقق الشعب بالديمقراطية المطلقة اهدافه فى الكفاية والعدل ، اهدافه فى العدالة الاجتماعية طالمـا ان الراسمالية المستغلة والاقطاع هى اللى ورثت عناصر القوة فى المجتمع على مر السنين .. أما الشـعب فحرم من جميع عناصر القوة . اذن الفكرة اللى مرت عابرة بنعمل حزبين يبقى عايزين ، اللى بيقول فى الشــكل مش فى الجوهر ، بيفــكروا فى اليافطـــة ، مش الثورة ، الثورة الاجتماعية اللى حانعيد للانسان حقه وللفرد حقه . وبعدين باطلع من هذا باقول ان أحنا من انصار الحرية الكاملة والديمقراطية على أن تكون الحرية للشعب لا لاعدائه من الرجعيين وعلى ان تكون الديمقراطية للشعب اى تكون هذه الديمقراطية ديمقراطية سياسية اجتماعية للشعب لا لاعدائه من المستغلين والرجعيين اللى نهبوا حقوقه فى المــاضى واللى عايزين ينهبوا حقوقه دلوقت واللى عايزين يحرموه من كل شىء الا من اقل شىء يمكنــــه من ان يعيش . واطلع ثانى بالنتيجة نفسها لا بد من عملية فرز من أجل تحقيق الثورة الاجتماعية ... حزبين والناس اللى تكلموا بهذا الشكل بيبقوا بيفكروا هناك ديمقراطية للشعب للطبقة العاملة . انا بدى أفسر ولا بد من عزل أعداء الشعب . أما الخــلافات فى داخل الشعب فهى مستمرة ولا نهاية لها وحنحلها . ولكن نحلها بالحلول الديمقراطية مش بأساليب الضغط ولا بالاوامر فى القرية وفى المدينة وفى كل حته بنحلهـــا بالاساليب الديمقراطية على اساس ان الديمقراطية الكاملة للشعب وان الحرية للشعب وكل شىء مبنى على الاقناع ومبنى على الفهم المتبــادل . وده ضرورى لان الرجعية دائما فى تعاونها مع الاستعمار تحاول ان تستغل الخلافات او التنــاقضات الموجودة فى داخل الشعب لتزرع الخصام ونقيم الفتنـــة وتبث التفرقة وتستغل علشان تحرض الشعب اللى الثورة الاجتماعية بتعمل لمصلحته من اجل ان تحقـق الرجعية والاستعمار خططها الغادرة . أى ان العوامل الخارجيــة الاستعمارية

والداخلية اللى هى مناهضة للثورة الاجتماعية مش حاتسكت ابدا حاتلعب دورها حاتلعب بمين حاتلعب بالناس حاتلعب بالشعب اذن الديمقراطية الكاملة والحرية الكاملة هى الحماية للشعب من ان يقع فريسة لمحاولات الاستعمار والرجعية .

الانقلاب الرجعى :

فيه نقطة اساسية فى الموضوع ، نقطة مبدئية تحتاج الى تفاصيل . يمكن نتكلم بعد كده فى جلسات ثانية فى هذه التفاصيل .

فيه ناس قالوا الانقلاب الرجعى فى سوريا هو اللى فجر الثورة الاجتماعية . قالوا هنا فى مصر . طبعا ده كلام لا نصيب له من الصحة لان احنا بننادى بالثورة الاجتماعية من اول يوم . يمكن الانقلاب الرجعى فى سوريا ادى امل وادى امانى للرجعيين فى مصر انا اوافق على هذا ، وهم انتشوا وقالوا الله اذا كان ده حصل فى سوريا ممكن يحصل فى مصر واذا كان الاستعمار تآمر فى سوريا ، ما هو لازم ح يتآمر فى مصر . طبعا طمعوا وهدوا بعضهم واعتبروا ان الثورة الاجتماعية بتنتهى والثورة الاشتراكية بتنتهى وان الاسد البريطانى يمكن ينجدهم هنا زى ما كان بينجدهم زمان . كلام طبعا بس مش ابدا الانقلاب السورى وهو اساس الثورة الاجتماعية ولا القوانين اللى اعلنت فى يوليو ١٩٦١ ، واللى اقدر اقوله ان الانقلاب الرجعى فى سوريا كان رد فعل رجعى للثورة الاجتماعية التى اعلنت فى يوليو من اجل مصالح الشعب ومن اجل مصالح الجماهير . الانقلاب الرجعى فى سوريا بيدينا يمكن امثلة ، اخدنا منه عظة . واخدنا منه دروس كيف تسللت الرجعية وكيف شكلت نفسها . ازاى مامون الكزبرى كان مثلا رئيس لجنة اتحاد قومى ولما ييجى وبيرفع يفط اشتراكية واو انه مثلا مناسب الشركة الخماسية . ازاى وزير الداخلية القوتلى كان يمكن من ٤ اشهر موجود هنا فى مؤتمر المحامين ، او ٦ اشهر وانا شفته فى قاعة الاحتفالات فى الجامعة وازاى دخل خطب واخوانا المحامين الموجودين هنا يمكن فاكرين الكلام ده . بس ده بيديك مثل ازاى تسللت الرجعية دروس عشر سنين :

مش بس حتى فى النواحى المدنية ، حتى فى الجيش ازاى هى شكلت نفسها للفرصة المناسبة ، خدنا دروس ايضا من رد الفعل اللى حصل فى سوريا ، دروس طبعا من اللى حصل فى سوريا ، ووجدنا ان عدد اللى اعتقلوا بعد كده ، ما اعتقلوش الا لانهم يعنى اظهروا الامانى ، اللى هم عيلة البدراوى وعيلة سراج الدين ، كلنا عارفينهم ، بيشتموا من اول يوم فى الثورة لغاية دلوقتى عشر سنين . بس بيسبوا بقينا نقول يسبوا ، وبيشتكوا لكن الثورة ماشية فى سكتها . العملية مش شتيمة

ولا عملية سب . بناخد منه ٢٠ الف فدان ، اهو الريس بيدفع قصدها شتيمة تساوى . والله لم اكن اتاثر بهذا ولكن فيه فرق بين الشتيمة وبين التآمر

الشتيمة فى جمال عبد الناصر مقبولة ، التآمر ضد الشعب مش معقول ابدا باى حال من الاحوال وباى وسيلة من الوسائل .

رد فعل الانقلاب :

ده رد فعل الانقلاب الرجعى . شوية من البدراوية على شوية من سراج الدين على شوية من حامد زكى واللا زكى عبد المتعال كل واحد ان فيه حاجة يقدر اهو يخبط فيها اى حاجة . سمعوا شوية اشاعات من محطات الاذاعة الاجنبية . قالوا ده جمال عبد الناصر قدموا له انذار ٢٢٠ ضابط راحوا قدموا له انذار بقيادة الفريق على عامر . صدقوا الاسطول فى الاسكندرية عمل ثورة ، صدقوا ، دمشق ابتدت بتذيع هذه الاذاعات وعمان واسرائيل ان الجيش فى فايد اعلن ثورة ، وبتاع ، بتنتعش آمالهم ، بيقول لك يا سلام يعنى يكون ، اسكندرية اعلنت الانفصال هى كمان بعد سوريا ! دخل الكلام ده فى نفسهم وصدقوه . طلعوا وشدوا حيلهم وابتدوا قالوا ، نسيوا ، نسيوا العشر سنين دى كلها ونسيوا التغيير الكبير اللى حصل فى العشر سنين ، وافتكروا ان العملية زى زمان ، وانا قلت سبوهم برضه يبانوا يطلعوا ويدونا درس . ابتدت اشاعات ، اللى فيكم فى النوادى طبعا سمعوها وعارفين اللى كانوا بيروجوا الاشاعات واللى بره واللى هنا . طبعا ما كان لوش اى تأثير ، يمكن انا اكثر مرة حسيت فيها ان البلد صلبة . البلد كانت فيها نوبة فلسفة . كل واحد بيتفلسف وكل واحد بيتكلم ، لكن ده يدل على الصلاح ويدل على ان كل واحد مهتم . وانا كنت باقول فيه سلبية ولا مبالاة ابدا . البلد ما فيهاش سلبية ولا مبالاة ، البلد فيها اهتمام . نوبة الفلسفة اللى كنا حاسين بها كانت تدل على اهتمام كل واحد فينا . الجوابات اللى بتتبعت ، والتعليقات والوعى اللى كان موجود ، ما فيش سلبية ابدا يمكن مافيش تنظيم لكن فيه شعب ، الشعب اللى طلع واتسلح سنة ١٩٥٦ علشان يحارب الانجليز . انتم مافيش لا مبالاة فيه اهمية وفيه اهتمام . واد ايه انا كنت سعيد بنوبة الفلسفة اللى كانت موجودة فى هذه البلد واللى كنت باشوفها فى الجوابات اللى بتيجى لى لان معناه ان الناس بتهتم بكل امر من الامور .

انكشفت الرجعية هنا :

اذن اللى حصل فى سوريا ماكنش ابدا هو سبب الثورة الاجتماعية . اللى حصل فى سوريا كشف الرجعية هنا وادانا فرصة علشان ناخد دروس مستفادة .

وادانا فرص لان احنا نعرف ان قسم من جماهير الشعب فى سوريا خدعته القوى الخارجية المعادية والقوى الداخلية المعادية للثورة الاجتماعية وللثورة السياسية وان الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى سوريا ارادت ان تسلب مكاسبه . قالوا بعد الحركة الانفصالية الرجعية او الانقلاب الانفصالى الرجعى فى سوريا ان سوريا ماكنش فيها اقطاع . بيضحكوا علينا والا بيضحكوا على انفسهم ؟ اذا كان فيه ملكيات بتصل الى مليون دنم يعنى ربع مليون فدان ، و ٢ مليون دنم ، نصف مليون فدان الجزيرة ، يبقى ازاى مفيش اقطاع اذا كان الفلاحين قاموا بثورات فى سوريا لا اول لها ولا آخر من اجل قانون العمل الزراعى وماقدروش ينفذوه ابدا الا بعد الوحدة . يبقى ازاى سوريا مافيهاش اقطاع . وقالوا ان مصر فيها راسمالية ، سوريا مفيهاش راسمالية الشركة الخماسية . يعنى الخماسية اللى يملكها خمسة افراد اللى هى كانت باستمرار امال ده ايه ؟ الاحتكارات والتحكم فى الاسعار امال ده ايه ؟

سيطرة راس المال . لما الشركة الخماسية تعين الوزارة وتعين الحكومة ، امال ده ايه ؟

قالوا ان سوريا مافيهاش اقطاع ومافيهاش راسمالية وماتحتاجش اذن لثورة اجتماعية . مع انى انا رحت سوريا وشفت فى القرى . شفت فى القرى الناس بتشرب الميه بالطين . مية الصرف ماعندهمش بير مية . شفت فى القرى الفلاحين مالقدتش فى دمشق خرجت بره وشفت .

كان لا بد من ثورة اجتماعية ، كان لا بد من اصلاح زراعى ، كان لا بد من تحديد الملكية ، كان لا بد من ان توزع الثروة بين الناس بالحق . وما كنش بيقولو لى مافيش سيطرة راس المال . جينا نطبق فى سوريا سياسة العدل ، حينما نطبق فى سوريا سياسة العدل ، حينما يطبق فى سوريا سياسة التسامح قلنا فى سوريا بنلم البلد كلها فى اطار من الوحدة الوطنية . وسوريا كلنا نعرف كانت متعرضة لمؤامرات مستمرة . تتجاذبها نواحى متعددة . كانت المؤامرات مستمرة . كانت مؤامرات من نورى السعيد ومؤامرات من الدول الاستعمارية وكلنا نعرف عن هذه المؤامرات .

قضية الدندشى :

مش عايز احكى قصة الوحدة ، كلنا عارفين قصة الوحدة .

بعد الوحدة جت لى قضايا كانت موجودة . فترددت هل ح نبتدى بعد الوحدة نفتح تانى هذه المحاكم ونفتح هذه الصفحات ؟ وقلت عفى الله عما سلف بنحاسب على ما يحدث من اول يوم فى الوحدة .

فى اواخر سنة ١٩٥٨ بعد ما تكونت الحكومة المركزية عملنا اجتماع للحكومة المركزية والمجالس التنفيذية طالب بعض الوزراء السوريين بمحاكمات كان فيه قضية الدندشى . كان المتهم الاول فى هذه القضية مامون الكزبرى اللى جابوه رئيس وزارة ، وكانت القضية تتجه الى عمل انقلاب ، القضية دى قبل الوحدة . والدندشى ده اعترف على النـــاس اللى خدوا فلوس ، ابطالها كانوا مامون الكزبرى وصبرى العسلى . صبرى العسلى ما استقلش احنا اللى طلبنا منه أن يستقيل .. لما جت لى هذه القضية بعد الوحدة وبدأت عملية بغداد ، طلبنا منه أن يستقيل .. ولكن فى مجلس الوزراء طالب بعض الوزراء السوريين بعمل محكمة لمحاكمة مامون الكزبرى وصبرى العسلى وآخرين لقضيــة الدندشى وقضايا بغداد .

وانا فى الحقيقة رفضت وقاومت هذه الفكرة وقلت ح نبتدى نفتح محاكم شعب تانى انا باعتبر ان احنا اخذنا مبدأ عفى الله عما سلف . المؤامرة دى كانت موجودة ، مؤامرة بتاعت قضية الدندشى كانت قبل الوحدة .. وكان مامون الكزبرى احد اعضاء الوزراء اللى وقعت على الوحدة .. وقلت لهم عفا الله عما سلف وينسى كل حاجة وتبتدى من أول وجديد فى اطار من الوحدة الوطنية .

النوايا من جانب واحد :

طبعا دى كانت نيتنا . وبكل اسف النوايا كانت من جانب واحد . اما الجانب الآخر فكان بيدبر ، بيتصلوا بالدوائر الاستعمارية ، الملك حسين ، اعوان الاستعمار كلهم علشان ، علشان ايه ؟ علشان ايه ؟ علشان نعيد الرجعية حكمها واستغلالها لسوريا .. التدبير ده كان قبل القرارات الاشتراكية . ولكن القرارات الاشتراكية طبقت بالنسبة للعمال ، بالنسبة لمشاركتهم فى الارباح بالنسبة للعمال ، لمشاركتهم ادارة نتيجة العمل . بالنســـبة التأميم . اللى دفع مكاسبه ، القـــرارات الاشتراكية معناها ايه ؟ معناها ايه معناها ان الاستغلال انتهى الاحتكار انتهى الرجعية انتهت ، لما رحت سوريا السنة اللى فاتت وشفت البنوك ، طلبت مجالس ادارات البنوك واتكلمت مع اخواننا هناك وقلت لهم اللى بيقرا مجالس ادارة البنوك ، يحس ان البنوك اللى عندكم فروع لبنوك اخرى بره بتحول فلوس لبره بيحس ان الفصاحة اللى بتتكلموا عليها مش موجودة فى هذا الموضوع ودائعه مثلا ٥٠ مليون ليرة . بيسلف ١٠٠ مليون ليرة الباقى الفرق جايبه من البنك المركزى اذن الحكومة هى اللى بتسلف والبنك فرع أجنبى بيسلف اللى عايز يســـلفه ، اللى بيتعاملوا معاهم طبعا واللى مش عايز بسلفه ما يسلفوش ، مجالس الادارة معروفين . مسكت البنوك كلها وحطيتها قدامهم وقلت لهم ده ، بهذا الحال لا يمكن لهذا البلد انها تمشى .

تعريب البنوك :

واصدرنا قانون وانا هناك ، بعد هذا الكلام ، قانون تعريب البنوك . طبعا الراسمالية المستغلة ما عندهاش مانع تتعامل مع الاستعمار والرسمالية الاجنبية ولو على مصلحة البلد . العملة الصعبة قلنا لهم عايزين نرفع الدخل القومى فى عشر سنوات ، نضاعفه . طيب ازاى نترك العملة تخرج ، ازاى واحد بيشيل فلوس ويخرج ، العامل اللى بيصرف ما هيته مش ح يقدر يطلع حاجة . مين هو اللى حيطلع اما العامل اللى بيقبض ماهيته ويصرفها ح يطلع فلوس فين ؟ ح يودى فلوس فين ؟ وقلنا بناخذ قرارات الرقابة على النقد لنحمى ثمرة عرق الفلاح والعامل السورى ونعمل على اساس تنمية وخلق اعمال جديدة .

الرجعية لا تتحمل هذا :

ولكن طبعا الرجعية لم تتحمل هذا ، لم ترض بهذا ، ساعدها فى كده ان الاستعمار فى اول يوم من ايام الوحدة كان يركز على سوريا ، والصهيونية ، اسرائيل ايضا ، ثم اعوان الاستعمار ، من اول يوم من أيام الوحدة قرروا انهم اقيموا الاتحاد العربى الهاشمى بين العراق والاردن ، وقالوا للمجابهة او للتصدى للاتحاد المصرى السورى ، للجمهورية العربية المتحدة ، برضه مش عايز أتكلم على المتاعب اللى شفناها فى الثلاث سنين اللى فاتت والتناقضات اللى حصلت او مواقف الناس . ومواقف الاشخاص ، ولكن بدى اطلع بدرس واحد اساسى ، ان الرجعية قعدت تتسلل وتدخل فى الاتحاد القومى وتدخل فى كل الهيئات ، لغاية ما وجدت الفرصة لتطعن ثورة الشعب .. ما اقلش انها تطعن الوحدة ، لان الهدف كان من طعن الوحدة ، هو طعن الشعب بالغاء القرارات الاشتراكية ولغاية النهارده ما قدروش يلغوا القرارات الاشتراكية لانها اصبحت مكاسب للشعب ، وانا على ثقة ان الشعب لن يمكن الرجعية من ان تلغى التاميم ولا تلغى الاصلاح الزراعى ، ولا تلغى اى قرار من القرارات الاشتراكية باى حال من الاحوال .

لعبة استعمارية :

النهاردة الاستعمار بيلعب لعبة جديدة والرجعية وراه بتساعده بالاشاعات والدس والفلوس والكلام واحنا بقى لنا عشر سنين ، كنا بنلاحظ الاول ان الاستعمار يقف والكلام ده زى ما احنا عارفين .. ده فى معركة استقلال الوطن .

فى الثورة الاجتماعية فوجئنا بالعكس ، الرجعية طلعت قدام والاستعمار بيسندها ، غيروا اوضاعهم ، الرجعية اخذت الصدارة لانها بتحارب معركة مستميتة من اجل اموالها واستغلالها ، مش بس الشكل ده ، ابدا ده مش اول يوم من الانقلا بالرجعى . السورى ، يا شعب مصر ثورة على دمشق ، سمعت والله دمشق يمكن بعد الانقلاب بيومين بالليل ، طبعا الواحد كان قلبه بيجرح حينما يسمع دمشق بتردد او بتتكلم زى اذاعة الملك حسين او اذاعة بن جوريون ، ولكن ما هو كده طبيعة الامور وكده المعارك ، يعنى لازم الواحد فى هذه المعارك يقبل كل شىء ، كان الواحد يسمع دمشق تقول هنا دمشق ، ايها الجيش المصرى الباسل قوم وثور وحطم كذا واعمل كذا وسوى كذا ، يا شعب مصر ومش فاهم ايه واحنـــا عملنا وسوينا وقوم اعمل كد ووكده ،حرب ، بقيت بعدين انا مستغرب الجماعة دول مصدقين الكلام ده ،ان اللى هنا لم يصدقوهم ، بقيت اقول ، يعنى ان العملية مش عملية كلام ضابط ، دى عملية اكبر من كده ، لان اللى طالع بيقول يا مصر ، الله ايه السبب ، يعنى اذا كان عليهم بيقولوا عايزين ننفصل ، فاذه السبب فى الاذاعات والتحريضات والندوات لشعب مصر بالثورة ، ويا جيش مصر ثورة .. ان السبب فى معاملة ضباطه هناك معاملة سيئة ، علشان يكفروا بالعروبة ؟ بعدين اسمع دمشق بتقول ايه يا مصريين انتم مش عرب انتم فراعنة ، ده طه حسين قال سنة ٣٨ انتم فراعنة مش عارف فى جريدة ايه ومجلة ايه وبتاع . وهـــو احنا بننكر ان الفراعنة كانوا هنا فى مصر .

ولكن احنا قلنا ان احنا عرب وبنتبنى القومية العربية ، طيب بدكم تخلونا نكفر دهنى بالعروبة ؟ طيب مين باه اللى يهمه ان احنا نكفر بالعروبة ؟ .. اسرائيل

الضباط اللى رجعوا فى الآخر من سوريا وقعدوا يشتكوا ، واحد من الضباط قال انه لما اتاسر فى اسرائيل ١٩٥٦ ، واتاسر فى سوريا كانت المعاملة فى اسرائيل احسن من المعاملة فى سوريا ، وبعدين سالوه ، سالوا الضابط ، كان الفريق موجود ، قال له يعنى لو اسرائيل هجمت على سوريا ايه ؟ قال له لا ده انا باموت فى سبيل سوريا وكلنا نموت فى سبيل سوريا ، قال ده شىء وده شىء .. ده احنا بنعبر عن عروبتنا ، فاذا كانوا فاهمين انهم كفرونا فى قوميتنا ، ودى لعبـــة الاستعمـــار والصهيونية ، ما كفروناش ، القومية العربية رايتها مرتفعة وزى ما هزت كل التيجان وهزت المنطقة ، القومية العربية رايتها عالية ، طبعا المصريين زعلوا من نتيجـــة الاهانا ونتيجة المعاملة السيئة ، ولكن كل واحد ، ناس كتير من اللى الواحد بيتكلم عنهم بيقولوا هم غرضهم يكفرونا بالعرب . تقرأ شوية جرائد من بتـــوع لبنان امبارح .. جايبين مقالة لطه حسين سنة ٣٨ وبيقولوا احنا فراعنة ، آه يعنى ده احنا عايزين ننقذ ادو سمبل بـ ٧٠ مليون دولار بتاع الفراعنة . بتبرأ من الفراعنة ؟ مين اللى بيلعب اللعبة دى ؟ طبعا الاستعمار والصهيونية .

ايماننا بالشعب العربى :

فى سنة ١٩٥٦ واجهنا عدوان وشفنا ازاى العرب وقفوا معانا ، حكمنا على القومية العربية مش حكم على عدد من الافراد او على عدد من الحكام ، ولكن ايماننا بالقومية العربية هو جزء من ايماننا بالشعب العربى اللى يمثل امة عربية واحدة .. ده امر واضح وده امر مبدئى بالنسبة لنا .

الشتيمة اللى شتموها لنا ، حرب الاعصاب اللى حصلت علينا من راديو دمشـــق ، الكلام اللى قالوه والثورات اللى قالوها والجيش اللى ثار فى قايد عبد الناصر حاطط طيارة ورا بيتهم وبيمشى ، بيلعبوا لعبة الاستعمار ، طبعا اللى بيلعبها الملك حسين من سنة ٥٧ ، يعنى هم فى هذا متعاونين بيرفوا ايه اللى بيعملوه ، مس بس حتى دمشق والملك حسين ، ويقف المذيع ويقول هنا حسين العرب حسين مصر يا جيش مصر يا جيش مصر ثور الى آخره . الناس دول اتهبلوا قالوا على الاعتقالات ، طبعا قالوا ان فيه عشرة آلاف ، المقفل عشرة آلاف ، قلنا عدد المقفلين طلعوا ٣٧ والعدد الثانى كان ٦١ ، قالوا لا عشر آلاف .. قلنا خلاص على كيفكم عشر آلاف عشر آلاف .

لم يستحوا :

الحراسة ، قالوا ان احنا فرضنا الحراسة على الموظفين حطوا من اللى فرضت عليهم ، جعلوا منهم زعماء وطنيين ، ما استحوش ما اتكسفوش ما فيش ، يعنى الحراسة بتعلن ان احنـا فيه ٦٥٠ تحت الحراسة ، فى عمليـة الفـرز الى احنا بنتكلم عليها والل ىاتكلمنا عليها فى الاول ، وبعدين فيه ١٨٦ اللى عملوا فلوسهم من تجارة المخدرات كلهم اتحطوا تحت الحراسة ، لان برضه لا بد انهم يدخلوا فى عملية الفرز وطبعا ما تقدرش ، تجارمخدراتعارفيلهم كبار تجارمخدرات بنفتشهم ما فيش ، ما نقدرش نثبت عليهم حاجة ، وما حدش يستفيد من هذه العملية الا اسرائيل واعداؤنا لان البلد بتنحل .

الكلام عن آلاف الضباط اللى اعتقلوا كلام فارغ ، اعتقل عدد من الضباط ٤ اربع ضباط فى قضية تعرفوا عنها فى المستقبل ، بس يعنى لم يزد الوضع عن هذا الامر .

كلام طبعا كتير ، كلام فارغ ، وبلاهات وسخف وانا كنت ضد الرد دايما على هذا الكلام .

آخر حاجة :

امبارح آخر حاجة يمكن امبارح انا عندى ، عنكم انتم من اللجنة التحضيرية ، اتكلموا عن اللجنة التحضيرية والتعيين وقالوا ان جمال عبد الناصر عين.. ٥ عضوا ، عينهم من اشقائه واقربائه فى بنى مر ، اقول ما فيش حد هنا من بنى مر ، يعنى يشرفنا انكم كلكم تبقــوا من بنى مر ، وما فيش ولا واحد من بنى مر ولا واحد من اقربائه واشقائه فى الاسكندرية وبعدين باه ايه .. يا أيها الشعب العربى فى مصر ، يا أيها الاشقاء فى العروبة لقد صبرتم طويلا على هــذا الحكم وصبركم يطول ، واننا لنعلم علم اليقين ماذا أعددتم لضرب الحكم ولن نكشف تنظيماتكم ».

طبعا بيحاولوا يبينوا هناك ان فيه حاجة ضدهم ، احنا ما عملناش حاجة قعدوا يقولوا فيه تسلل من لبنان ، تسلل من لبنان ليه ؟ وبعتنا أسلحة وسفيرنا فى لبنان والارهابى الكبير اللى هو سكرتير رئاسة الجمهورية موجود فى لبنان ، وهو موجود هنا فى رئاسة الجمهورية ويتطلع صورة فى اجتماعات الوزراء ، ولكن الوهم والخيال والدوامة اللى هم فيها ، وانا طبعا اكثر واحد حاسس بالدوامة اللى هم فيها .

. ونسيبهم فى الوهم ونسيبهم فى الخيال ، ونحاول احنا ان هناك نصـــنع مستقبلنا هنا فى مصر ، فى بلدنا ، بنبنى بلدنا وبنعمل مستقبلنا ونسيبهم فى ضباب الاوهام .

الملك حسين لما يقعد يهاتى عشرين سنة طول عمره وبقية المحطات السرية وبقية المؤامرات مؤامرات استعمارية واعوان الاستعمار ، واللى يقف ويقــول الاشتراكية ده ضد الاسلام . الاسلام ايه ؟ الجوارى اللى فى القصور والحريم ، سلب الفلوس وخبط اموال لناس كلها وتركها عرايا وجعانين ؟

الاسلام عدالة :

الشعب العربى مش ح ينضحك عليه ، لكل واحد يوم يتحاسب فيه ، مش انا ححاسب ، اللى بيحاسب هو الشعب ، مش معنى ده ابدا انا احاول التأثير على سوريا علشان ترجع سوريا للجمهورية العربية المتحدة ، انا قلت فى كلامى الاخير ان انا لن احاول باى وسيلة من الوسائل .

قالوا انك بعت متسللين ، والله ما بعتنا ولا ح نبعت ، يتأثر بأى طريقة ليه خمسة متسللين او صباعين جلتجايت نعمل بيهم ايه ؟ كلام فارغ وشغل اوهام ، طبعا انا حريص على مكاسب الشعب السورى . وانا على ثقة ان الشعب السورى هو اللى ح يحمى هذه المكاسب وهو القادر على ايجاد الحكم الوطنى اللى يحميه .. وانا على ثقة ان ما حدش يقدر يسلب من الشعب السورى مكاسبه .

سيب الحكاية واماتينا دايما مع الشعب السورى فى معركتـــه من اجل الاشتراكية ومن اجل الحكم الوطنى .

قاعدة التحرر العربى :

المهم ان علينا هنا ان نبنى القاعدة ، قاعدة للتحـــرر العربى ، قاعـدة للمستقبل العربى ، قاعدة للديمقراطية السليمة ، قاعدة للاشتراكية العربية ، قاعدة للعدالة الاجتماعية العربية .

دى مهمتكم ، مهمة هذه اللجنة ، مهمة كبيرة ، مهمتكم التجهيز لها ، مهمتكم ان تجهزوا للمضى فى الثورة ، توسيع القيادة الثورية ، توسيع القاعدة الثورية . طبعا المة الاساسية هى طريق تكوين المؤتمر الشـعبى للقـوى الوطنيـة ، عايزين توسيع القاعدة الثورية ، عايزين توسيع القيادة الثورية ، بنكون المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية على اساس من القطاعات الراسية من على اســاس انتخاب عام ، لان احنا قلنا ان الانتخابات العامة ح تبقى للاتحاد القومى بالنسبة للعمال والفلاحين والجامعات والمنظمات المهنية ، الجمعيات النسائية ، والطلاب والتجار والصناع والراسمالية الوطنية بعد عملية الفـرز وبعد عملية العزل .

مهمتنا ان احنا بنجهز لها ، مهمتنا ان احنا نجهز للديمقراطية الكاملة للشعب وللحرية الكاملة للشعب ، باعتبر ان هذه المهمة مهمة شاقة ، مهمة صعبة ، احنا لا زلنا فى مجتمع راسمالى بيتحول الى مجتمع اشتراكى ، لا زلنا فى مجتمع فى عملية تحويل ، ويمكن لسة مش فايق من عملية التحويل .

الاتحاد القومى لم يفشل :

وبعدين انا بدى اقول حاجة . الاتحاد القومى ما اقدرش اقول انه فشل وحتى هيئة التحرير فشـــلت فى الاول ، ابدا قامت بدور مهم جدا فى الاول ، الاتحاد القومى قام بدور ، احنا بنمر بمراحل ، كل مرحلة لها ظروف ، هيئة التحرير طلما احنا كنا بنقول ان احنا عايزين نحل مشـــاكلنا فى اطار الوحدة الوطنية وان الاتحاد القومى قام بدوره ، زى ما احنا النهاردة بننتقل الى مرحلة اخرى ، مرحلة جديدة، مرحلة الثورة الاجتماعية ، بنعوز ننظم نفسنا على اساس جديد ، توسيع القيادة الثورية ، توسيع القاعدة الثورية ، الثورة مستمرة ، التطور الاشتراكى مستمر ، حتى نقضى على الاستغلال وحتى نقيم مجتمع ترفرف عليه الرفاهية وحتى ننهى استغلال الانسان للانسان وحتى يشعر كل فرد فى هذه الجمهورية انه عنده كل الفرص متكافئة والله يوفقكم جميعا ويوفقنا

... في يقيني أن هذا الكتاب خطوة هامة وبناءة ومخلصة ، على طريق الوفاء لعبد الناصر ، بل لأنفسنا ، باعتبار أن عبد الناصر بفكره ونضاله ، كان تعبيرا عن فكر ، ونضال الشعب العربي .. عن أنفسنا . وفي سبيل الارساء الصحيح الصادق والأمين لحقائق المواقف النظرية للقائد المعلم .

وهي كما قال المؤلف ، المحاولة الأولى التي نرجو — كما تمنى — أن تتطور .. وتتضاعف ..

ضياء الدين داود

الثمن ١٠٠ قرش

مطبوعات دار الشعب

تصدر عن الشعب مؤسسة صحفية عربية

إخصائيو في المطبوعات العامة

الإدارة : ٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة ، ت ٣١٨١٠ ● مكتبة دار الشعب - ت

التوزيع : مكتبة دار الشعب

المطابع : قصر العيني ت ٣١٨١٠-٣١٨١٨-٣١٨١١ دير النحاس - تليفون ٨٤٤٨١٠

رئيس ... الس...

رقم الايداع ١٩٧١/٢٨٦٤

١٣٩١ هـ - ١...